

يوم مر الحسين عليه السلام

الجزء الأول

عرض وتحليل أهم أحداث ثورة الحسين (ع)
منذ انطلاقها حتى فجر عاشوراء

لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل

الدكتور علاء السالم



إصدارات أنصار الإمام المهدي / العدد ٢٢٠

يَوْمُ الْحُسَيْنِ

الجزء الأول

عرض وتحليل أهم أحداث ثورة الحسين^(ع)
منذ انطلاقها حتى فجر عاشوراء

علاء السالم

الفهرست الإجمالي

البشرية بين خطين دائئاً:.....	٥
تمهيد:.....	٧
وصايا الرسول (ص) بأهل بيته وبيان فضلهم:	٧
منزلة الحسين عند الرسول (ص) وإخباره بمصيبته:	١١
علي (ع) أيضاً يخبر بما يجري على الحسين (ع):.....	١٣
الحسين (ع) الثائر المصمم على ملاقاته الوعد:	١٨
مملكة آل أبي سفيان.....	٢٥
سياسة معاوية في أيام خلافة علي (ع):	٣٤
سياسة معاوية بعد شهادة علي (ع):.....	٤٩
حواضر المسلمين قبيل الثورة:	٦٩
ما قبل يوم عاشوراء الحسين (ع).....	٩٣
بيعة يزيد وموقف الحسين (ع) منها:	٩٣
الحسين (ع) الثائر الفاتح:	١٠٧
الحسين (ع) في مكة وشهادة مسلم في الكوفة:	١٤٤
الحسين (ع) يغادر مكة إلى العراق:	١٧٨
مسيرة الركب الحسيني من مكة إلى كربلاء:	٢٠١
الاستعداد لحرب الحسين (ع):	٢٦٤
المصادر.....	٣٢٧
الفهرست التفصيلي.....	٣٣٧

البشرية بين خطين دائماً:

منذ يوم الرسالة الإلهية الأول على هذه الأرض اختار الله سبحانه آدم عليه السلام ونصّبه علماً وهادياً لعباده وحجة له عليهم، ثم طلب من الخلق طاعته والانصياع له ولما يصدر منه.

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" البقرة: ٣٠-٣٤.

اسجدوا: أي طيعوا وسلّموا.

ولشدة رحمته سبحانه - ولأنّ دار الامتحان لا تنتهي بموت آدم - شاء الله تعالى أن يستمر الحجة والخليفة الإلهي مع الخلق دائماً وأبداً حتى اليوم الأخير على هذه الأرض؛ ليقطع عندهم ولنلّا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة والحساب فيعتذروا لضلالهم بعدم وجود الهادي والرسول الإلهي وأن لو كان لاهتدوا ولم يضلّوا!

قال تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء: ١٦٥. وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق)^(١).

الفرمان الإلهي الأول (الأهم) القاضي بتنصيب آدم عليه السلام حجة على الخلق أدى إلى انقسام الخلق إلى خطين متقابلين متنافرين على طول المسير: طائعين مسلمين لأمر الله ومعترضين متكبرين عليه، أو قل: (خط الساجدين) و(خط المتكبرين).

خط الساجدين الإلهي: هو خط رسل الله وأتباعهم، يرأس هذا الخط الإلهي دائماً خليفة وحجة إلهي (نبي، رسول، إمام) منصّب من قبل الله، وقد ابتداءً - كما عرفنا - بآدم عليه السلام ومن تبعه وأطاع أمره، ثم الرسل من ولده تبعاً ومن تبعهم؛ كلٌّ في زمانه كإدريس ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى؛ وصولاً إلى خاتمهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وآله ثم الأوصياء من بعده ومن تبعهم وأطاعهم.

خط المعترضين الشيطاني: ابتداءً بإبليس لعنه الله؛ المعترض الأول على استخلاف آدم وتنصيبه، ثم تمثل في كل زمان بشيطان يجسد موقف إبليس ويكرره تماماً كقبايل ونمرود وفرعون والطغاة الظلمة وعلماء الدين غير العاملين الذين وقفوا (ويقفون دائماً) بالضد من دعوات الأنبياء والمرسلين. وللأسف فإنّ الغالبية العظمى من الناس تسلك هذا الدرب لأسباب كثيرة لست في مقام استعراضها الآن.

لهذا، فإنّ المتتبع لأحداث بعثة الأنبياء والرسل يجد الحقيقة التالية ماثلة أمام عينيه: ما من رسول ومصلح إلهي إلا وقابله شيطان من الإنس وقف بالضد منه وحمل الناس على تكذيبه وحربه، وبالنسبة للمسلمين فلا أقلّ أنّ الكثير منهم مطلع على أحداث بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وما لاقاه من صنوف الأذى من قبل عتاة قريش وعلى رأسهم أبي سفيان بن حرب.

والحال نفسه استمر مع ورثة خط الرسول وأوصيائه الشرعيين، فكان لأمير المؤمنين عليه السلام من عداة وأذى معاوية بن أبي سفيان نصيب، وما أصاب الحسين عليه السلام من أذى يزيد واضح للجميع، وأيضاً: ما سيلاقيه المهدي الموعود من عداة وأذى السفيناني والسفيناينيين أمريكيّين وموعود به، لكن يبقى يوم الحسين عليه السلام لا نظير له ولا يوم كيومه.

تمهيد:

نتناول في التمهيد أربعة أمور:

- ١- وصايا الرسول صلى الله عليه وآله بأهل بيته وبيان فضلهم.
- ٢- منزلة الحسين عند الرسول صلى الله عليه وآله وإخباره بمصيبته.
- ٣- إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بما يجري على الحسين عليه السلام.
- ٤- الحسين عليه السلام النائر المصمم على ملاقاته الوعد الإلهي.

وصايا الرسول (ص) بأهل بيته وبيان فضلهم:

دخول علي وفاطمة وأبنائهما في مصطلح: (آل محمد) أو (أهل البيت) أمر يقيني لا يشك فيه مسلم على اختلاف طوائف المسلمين ومشاربهم، والخلاف الذي أثاره البعض كان فيما زاد على ذلك كالزوجات مثلاً.

لست بصدد الخوض في هذا الجدل، بقدر ما أردت التنويه إلى أن كل وصايا الرسول بآله وأهل بيته وبيان فضلهم وقدرهم الحقيقي، تعني - أولاً وبالذات - علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، بل وكثير من الروايات قد خصتهم بالاسم والتعيين؛ مجتمعين أحياناً ومتفرقين أحياناً أخرى، وليس بوسع مسلم التنصّل عن ذلك والتنكّر لكم الهائل من الأحاديث إلا أن يدين بغير دين محمد صلى الله عليه وآله.

ولأنّ الأمور واضحة وضوح الشمس في كتب المسلمين (الشيعية) سأكتفي بالتذكير ببعض الروايات الواردة في كتب المسلمين (السنة):

- أهل البيت أمان للأمة من الضلال.
- لن يفترقوا عن القرآن.

• "يزيد ابن حيان قال انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا أيها الناس فإنما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب و انا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده"^(١).

• "عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما"^(٢).

• "عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"^(٣).

• "عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض"^(٤).

١- صحيح مسلم: ١٢١ / ٧ - ١٢٢ ، باب من فضائل علي.

٢- سنن الترمذي: ٣٢٩ / ٥ ، صحيحه الألباني في "صحيح سنن الترمذي": ٣٧٨٨.

٣- سنن الترمذي: ٣٢٣ / ٥ : الطبراني، المعجم الكبير: ٦٦ / ٣ . صحيحه الألباني في "صحيح سنن الترمذي": ٣٧٨٦.

٤- مسند أحمد: ١٨١ / ٥ - ١٨٢ ، قال الهيثمي: "أخرجه أحمد وإسناده جيد" مجمع الزوائد: ١٦٣ / ٩.

الرسول صلى الله عليه وآله يبين لأمته: أنَّ الهادي بعده هو علي عليه السلام وفسّر قول ربّه: "إنما أنت منذر لكل قوم هاد" به ^(١). وقال في حقه: "من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ^(٢)، وقال له: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" ^(٣). وعن أهل بيته، أوضح لأمته أنهم:

- "مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق" ^(٤).
- طاهرون مطهرون بشهادة الله ورسوله ^(٥).
- قرن الصلاة عليهم بالصلاة عليه ^(٦).

١- انظر الأحاديث التي ذكرت ذلك على سبيل المثال: جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١٣ / ١٤٢، بسنده عن ابن عباس وقال ابن حجر عنه: "إسناد حسن" فتح الباري: ٨ / ٢٨٥. والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٣٠ بسنده عن علي عليه السلام وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢- ورد في مصادر عديدة منها: مسند أحمد: ١ / ٨٤ ومواطن أخرى كثيرة من المسند، قال الألباني: "حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وهو حديث صحيح غاية، جاء من طرق جماعة من الصحابة خرجت أحاديث سبعة منهم، ول بعضهم أكثر من طريق واحد، وقد خرجتها كلها وتكلمت على أسانيدھا في "سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٥٠)" السنة - ابن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخریج السنة - محمد ناصر الألباني: ص ٥٥٢.

٣- انظر: صحيح البخاري: ٤ / ٢٠٨ باب مناقب المهاجرين وفضلهم، صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠ باب من فضائل علي.

٤- ورد الحديث في مصادر وطرق كثيرة، منها: فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ٢ / ٨٥ رقم الحديث ١٤٠٢؛ المستدرک، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٥٠، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

٥- وهذه نماذج من الأحاديث:

- "قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء علي فادخله ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" صحيح مسلم: ٧ / ١٣٠.

- "قال (ابن عباس) وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" مسند أحمد: ١ / ٣٣١.

٦- قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" الأحزاب: ٥٦، سأل المسلمون الرسول صلى الله عليه وآله أنهم يعرفون السلام عليه فكيف يصلون عليه قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد" صحيح البخاري: ٦ / ٢٧؛ صحيح مسلم: ٢ / ١٦ باب الصلاة على النبي بعد التشهد.

- أولي القربى الذين تجب مودتهم على الجميع^(١).
- هم المقصودون بأية المباهلة، فهم نفس النبي وأبنائه^(٢).
- راضي عنهم ورضاه رضا الله^(٣).
- سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم^(٤).
- إنهم معه في موضع واحد يوم القيامة^(٥).
- هم ومحبتهم من أهل الجنة^(٦).

تنبيه: ذكر الال في التشهد واجب عند بعض طوائف المسلمين (الشيعية، والشافعية وبعض الحنابلة)، وهو الالتم والأكمل عند آخرين مع عدم جواز التعمد بحذف ذكر الال عند جمهور المسلمين.

١- "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قالوا يا رسول الله ومن قربتكم هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وأبناهما" المعجم الكبير، الطبراني: ٣ / ٤٧. قال الهيثمي: "رواه الطبراني وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا" مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٨.

٢- قال تعالى: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَغْدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ" آل عمران: ٦١ ولم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وأله معه غيرهم لمباهلة نصارى نجران: "عن عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية تدع أبناءنا وأبنائكم ونسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فقال اللهم هؤلاء أهلي" المستدرک، الحاكم: ٣ / ١٥٠، قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

٣- "عن علي أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسط شملة فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمجامعه ف عقد عليهم ثم قال اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راض" المعجم الأوسط، الطبراني: ٥ / ٣٤٨. قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل وهو ثقة" مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٩.

٤- "عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم" صحيح ابن حبان: ١٥ / ٤٣٤، المعجم الصغير، الطبراني: ٢ / ٣. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه تليد بن سليمان وفيه خلاف، وبقي رجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٩.

٥- "عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة ذات يوم وعلي قائم وهي مضطجعة وأبناؤها إلى جنبها فاستسقى الحسن فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقحة فحلب لهم فأتى به فاستيقظ الحسين فجعل يعالج أن يشرب قبله حتى بكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخاك استسقى قبلك فقالت فاطمة كأن الحسن أتر عندك قال ما هو بأثر عندي منه وإنما هما عندي بمنزلة واحدة وإني وإياك وهما وهذا النائم لفي مكان واحد يوم القيامة" المعجم الكبير، الطبراني: ٢٢ / ٤٠٦. قال الهيثمي: "رواه الطبراني وفيه كثير بن يحيى وهو ضعيف ووثقه ابن حبان" مجمع الزوائد: ٩ / ١٧١.

٦- "عن علي رضي الله عنه قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين قلت يا رسول الله فمحبونا قال من ورائكم" المستدرک، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٥١.

منزلة الحسين عند الرسول (ص) وإخباره بمصيبته:

بخصوص الحسين صلوات الله عليه، فقد كان له نصيب وافر من الاهتمام النبوي، فلما ولد في مطلع شعبان من السنة الثالثة للهجرة، وبعد أن سمّاه الرسول صلى الله عليه وآله وأجرى عليه السنّة التي تُجرى على المولود^(١)، أعلن لأُمته:

- أنه يحب الحسين ومن أحبه أحب الله ورسوله^(٢).
- وبعده من المفاخر التي خصّه الله بها^(٣).
- كان يقول: حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً^(٤).
- شهد له أنه من أهل الجنة بل سيد شبابها^(٥).

١- "عن عائشة رضي الله عنها قالت: عرق رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسن والحسين يوم السابع وسماههما وأمر أن يماط عن رؤسهما الأذى" المستدرک، الحاكم: ٢٣٧/٤، قال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

٢- تكرر منه التصريح بذلك في مواضع كثيرة، منها:

- "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حامل الحسين بن علي وهو يقول اللهم إني أحبه فأحبه" المستدرک: ١٧٧/٣، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

- "من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني" المعجم الكبير، الطبراني: ٤٨/٣.

٣- "عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي" المعجم الصغير، الطبراني: ٣٧/١، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الصغير وفيه قيس بن الربيع وهو ضعيف وقد وثق، وبقيّة رجاله ثقات" مجمع الزوائد: ١٦٦/٩.

٤- "عن يعلى العامري أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له قال فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله أمام القوم وحسين مع الغلمان يلعب فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذه فطفق الصبي يفرها هنا مرة وما هنا مرة فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يضاحكه حتى أخذه قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه يقبله فقال حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط" المستدرک، الحاكم: ١٧٧/٣، قال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

٥- "عن جابر قال من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله" مسند أبي يعلى: ٣٩٧/٣، قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد وقيل ابن سعد وهو ثقة" مجمع الزوائد: ١٨٧/٩.

"عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة" مسند أحمد: ٣/٣، سنن الترمذي: ٣٢١/٥، قال: "هذا حديث صحيح حسن".

- يقول عنه وأخيه الحسن: "هما ريحانتي من الدنيا" (١).
- بضعة منه يبكيه منذ ولادته ويخبر بما يجري عليه (٢).
- ثمرة فؤاده (٣).
- يخبره أهل السماء "الملائكة" بمقتله ويرويه تربته (٤).
- يعلو نسيج الرسول لمصيبته ويلعن قاتله (٥).

١- صحيح البخاري: ٧/ ٧٤.

٢- "عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله اني رأيت حلما منكرا الليلة قال وما هو قالت إنه شديد قال وما هو قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري فقال رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت خيرا تلد فاطمة إن شاء الله غلاما فيكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت يوما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعت في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهربقان من الدموع قالت فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك قال اتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني ان أمي ستقتل ابني هذا فقلت هذا فقال نعم وأتاني بترية من تربته حمراء" المستدرک، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٧٦ ، قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

٣- "عن ابن عباس قال كان الحسين جالسا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم أحببه فقال وكيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي فقال أما إن أمتك ستقتله الا أريك من موضع قبره فقبض قبضة فإذا تربة حمراء" مجمع الزوائد، الهيئتي: ٩ / ١٩١ - ١٩٢ ، قال: "رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف".

٤- "عن عائشة أو أم سلمة ... ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأحدهما لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل على قبلها فقال لي ان ابنك هذا حسين مقتول وان شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء" مسند أحمد: ٦ / ٢٩٤ ، قال الهيئتي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٨٧ .

٥- "عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم في بيتي قال لا يدخل على أحد فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نسيج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فأطلت فإذا حسين في حجره والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح جبينه وهو يبكي فقلت والله ما علمت حين دخل فقال إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت قال أفتحبه قلت أما في الدنيا فنعم قال إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء فتناول جبريل من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وسلم فلما أحيط بحسين حين قتل قال ما اسم هذه الأرض قالوا كربلاء فقال صدق الله ورسوله كرب وبلاء ، وفي رواية صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض كرب وبلاء" مجمع الزوائد، الهيئتي: ٩ / ١٨٨ - ١٨٩ ، قال: "رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات". والنسيج: البكاء بصوت عالٍ.

"قالت أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم نائما فجاء حسين يدرج قالت فقعدت على الباب فسميقته مخافة أن يدخل فيوقظه قالت ثم غفلت في شيء فدب فدخل فقعد على بطنه قالت فسمعت نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت فقلت يا رسول الله والله ما علمت به فقال إنما جاءني جبريل عليه السلام وهو على بطني قاعد فقال لي أتجبه فقلت نعم قال إن أمتك ستقتله ألا أريك التربة التي يقتل بها قال فقلت بلى قال فضرب بجناحه

علي (ع) أيضاً يخبر بما يجري على الحسين (ع):

الروايات كثيرة، أكتفي بنموذج منها:

"عن نجي الحضرمي انه سار مع علي رضي الله عنه وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى على اصبرأبا عبد الله اصبرأبا عبد الله بشط الفرات قلت وما ذاك قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وإذا عيناه تذرفان قلت يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان قال بل قام من عندي جبريل عليه السلام قيل حدثني ان الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال هل لك ان أشمك من تربته قلت نعم قال فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني ان فاضت" (١).

"عن ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفين، فلما نزل بنينوى وهو بشط الفرات، قال بأعلى صوته: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي.

قال: فبكي طويلاً حتى اخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكىنا معا وهو يقول: أوه أوه مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر (والطغيان)؟ صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم. ثم دعا بماء فتوضأ

فأتى بهذه التربة قلت فإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول يا ليت شعري من يقتلك بعدي " تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ١٤ / ١٩٤.

ملاحظة: هذا الحديثان بنفس المضمون ويؤكدان أنّ البكاء والتعجب على الحسين عليه السلام سنة نبوية. أما لعن قاتله: روى الطبراني بسنده عن الرسول صلى الله عليه وآله: "قال يزيد لا يبارك الله في يزيد ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال نعي إلي حسين وأتيت بتربته وأخبرت بقاتله والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً ... " المعجم الكبير: ٣ / ١٢٠.

١- مسند أحمد: ١ / ٨٥. قال الهيثمي: "رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني ورجاله ثقات" مجمع الزوائد: ٩ / ١٨٧. ورواه ابن أبي شيبة عن الحضرمي أيضاً بالنحو التالي: "أنه سافر مع علي، وكان صاحب مطهرته، حتى حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى: صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله! فقلت: ماذا أبا عبد الله! قال: دخلت على النبي وعيناه تفيضان، قال: قلت: يا رسول الله! ما لعينيك تفيضان؟ أغضبك أحد؟ قال: قام من عندي جبريل فأخبرني أن الحسين يقتل بشط الفرات، فلم أملك عيني أن فاضت" المصنف: ٨ / ٦٢٢.

وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله أن يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه فقال: يا بن عباس، فقلت: ها أنا ذا فقال: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي، فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث فيه فلا يغاث، وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبرا آل الرسول صلى الله عليه وآله فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة ثم يعزوني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقر الله به عينك [يوم القيامة] يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثم انتهت هكذا والذي نفس علي بيده، لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم أني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة عليهما السلام وإنها لفي السماوات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس^(١).

"عن عبد الله بن يحيى قال: دخلنا مع علي إلى صفين، فلما حاذى نينوى نادى صبرا يا أبا عبد الله، فقال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أما لعينيك تفيضان؟ أغضبك أحد؟ قال: لا، بل كان عندي جبرئيل، فأخبرني أن الحسين عليه السلام يقتل بشاطئ الفرات، وقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، فمد يده وأخذ قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا، واسم الأرض كربلا.

فلما أتت عليه سنتان خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى سفر فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل يخبرني

عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين عليه السلام وكأني أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكأني أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا، وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين عليه السلام ويفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه، وعذبه الله عذاباً أليماً.

ثم رجع النبي صلى الله عليه وآله من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزينا فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين عليهما السلام وخطب ووعظ الناس فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن واليسرى على رأس الحسين عليهما السلام، وقال: اللهم إن محمداً عبدك ورسولك وهذان أطائب عترتي، وخيار أرومتي، وأفضل ذريتي ومن أخلفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرئيل عليه السلام أن ولدي هذا مقتول بالسم والآخر شهيد مضرج بالدم، اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، واللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله وأصله حرنارك، واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال: فضج الناس بالبكاء والعيول، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: أيها الناس أتبكونه ولا تنصرونه، اللهم فكن أنت له ولياً وناصرًا، ثم قال: يا قوم إني مخلف فيكم الثقيلين: كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي، وثمرة فؤادي، ومهجتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ألا وإني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم عنه، أسألكم عن المودة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد أذيتم عترتي، وقتلتهم أهل بيتي وظلمتموهم" (١).

الحسن عليه السلام أخبر بمقتل الحسين عليه السلام أيضاً:

"عن الصادق، عن أبيه، عن جده أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام فلما نظر إليه بكى فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتى إلي سم يدس إلي فاقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك

وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسي ذراريك ونسائك، وانتهاج ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شئ حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار" (١).

ومسألة حصول آيات عند مقتل الحسين وردت عند المسلمين (السنة) بكثرة (٢).

وأيضاً: كان علي عليه السلام يخبر بأن عمر بن سعد قاتل ولده الحسين عليه السلام: "عن الأصبغ بن نباتة، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا أنبأتكم به. فقام إليه سعد بن أبي وقاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: أما والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه" (٣).

١- الأمالي، الصدوق: ١٧٧ - ١٧٨.

٢- هذه نماذج من الروايات في مصادره:

- "عن ابن شهاب قال ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم رضي الله عنه" المعجم الكبير: ٣ / ١١٣، قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح" ١٩٦ / ٩.

- "عن الزهري قال قال لي عبد الملك أي واحد أنت ان أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت لم ترفع حصاة ببیت المقدس الا وجد تحتها دم عبيط" المعجم الكبير: ٣ / ١١٣، قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات" ١٩٦ / ٩.

- "عن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا انها هي" المعجم الكبير: ٣ / ١١٤، قال الهيثمي: "رواه الطبراني وإسناده حسن" ١٩٧ / ٩.

- "عن دويد الجعفي عن أبيه قال لما قتل الحسين انتهبت جزور من عسكره فلما طبخت إذا هي دم. رواه الطبراني ورجاله ثقات" مجمع الزوائد: ١٩٦ / ٩.

٣- الأمالي، الصدوق: ١٩٦.

وروى المسلمون أنَّ أصحاب أمير المؤمنين كانوا يعلمون بأنَّ ابن سعد قاتل الحسين، وأكد أنَّ ذلك كان بإخبار وإعلام منه ^(١). أيضاً: أخبر علي عليه السلام عن حامل راية ضلال تخرج لحرب الحسين ^(٢)، وكذلك أخبر بعض شيعته أنه لا ينصرولده الحسين ^(٣).

ونحن إذا عقلنا هذه الروايات وضممنها لما تواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله في الإخبار عن شهادة ولده الحسين وبكائه عليه وبيان فضله ومنزلته عند الله، فإننا ننتهي إلى حقيقة مفادها: أنَّ أمر الحسين مخطط له إلهياً، ولم يكن خروجه على انحراف الأمويين ورفضه بيعة يزيد إلا لتنفيذ مراد الله، وقد كشف الرسول مراد ربه ودراه الحسين دراية امتلكت كل وجوده الشريف، فصمَّ على إنفاذه بكل ما أوتي من قوة.

١- الشيخ المفيد: "روى عبد الله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب علي إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين عليه السلام وذلك قبل أن يقتل بزمان طويل" الإرشاد: ١٣٢ / ٢ - ١٣٣. ابن الأثير وابن عساكر: "عن عبد الله بن شريك قال أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله" انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢٤٢ / ٤: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٨ / ٤٥ - ٤٩.

٢- "عن سويد بن غفلة قال: إنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئتكم من وادي القرى وقد مات خالد بن عرقطة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنه لم يمِت فأعادهما عليه، فقال علي عليه السلام: لم يمِت والذي نفسي بيده لا يموت، فأعادهما عليه الثالثة، فقال: سبحان الله أخبرك أنه مات، وتقول: لم يمِت، فقال له علي عليه السلام: لم يمِت والذي نفسي بيده، لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جمار. قال: فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أناشدك في واني لك شيعة، وقد ذكرتني بأمر لا والله ما أعرفه من نفسي. فقال له علي عليه السلام: إن كنت حبيب بن جمار فتحملها، فولي حبيب بن جمار وقال: إن كنت حبيب بن جمار لتحملها. قال أبو حمزة: فوالله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليهما السلام وجعل خالد بن عرقطة على مقدمته وحبيب صاحب رايته" بصائر الدرجات، الصغار: ٣١٨.

٣- "عن إسماعيل بن زياد قال: إن عليا عليه السلام قال للبراء بن عازب يوماً يا براء، يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره، فلما قتل الحسين بن علي عليهما السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق - والله - علي بن أبي طالب، قتل الحسين ولم انصره، ثم يظهر الحسرة على ذلك والندم" الإرشاد، المفيد: ١ / ٣٣١.

الحسين (ع) الثائر المصمّم على ملاقاته الوعد:

ابتداءً، ينبغي الإشارة إلى مسألة مهمة:

يمكننا تصنيف عموم المسلمين في تعاملهم مع شخصية الحسين عليه السلام إلى صنفين؛ الأول: يتعامل معه بوصفه إماماً معصوماً وثالث أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله بعد أبيه أمير المؤمنين وأخيه الحسن عليهما السلام. والعصمة باختصار تعني: الاعتصام والامتناع بالله عن جميع محارم الله، ومن ثمّ فالمعصوم لا يخرج الناس من هدى ولا يدخلهم في باطل دائماً وأبداً^(١).

والثاني: يتعامل معه على مستوى الإجلال والتعظيم والحب (بدون الاعتقاد بالعصمة والوصاية)؛ استناداً لسيرة الرسول - قولاً وفعلاً - التي أبانت فضل الحسين الذي لا يدانيه فيه أحد غير أبيه وأمه وأخيه، وليست المسألة تتعلق بنسبه الشريف فقط. فمثلاً: ماذا بوسع المسلم أن يقول وهو يسمع نبيه صلى الله عليه وآله الذي يعتقد به يقول: "حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً"، "الحسين ثمرة فؤادي، ريحانتي من الدنيا"، "الحسين سيد شباب أهل الجنة"..... إلخ مما تقدم ذكره وتواتروا صح نقله!

وعموماً، نحن إذا استحضرنّا بعض المضامين النبوية التي تقدمت، سواء التي جمع فيها الرسول ولده الحسين مع أبويه وأخيه عليهم السلام بعنوان "أهل بيته، آله، عترته"، أو التي أفرد فيها بالذكر، فإننا - لا محال - سننتهي إلى الخلاصة التالية:

[الحسين: أمان للأمة من الضلال + الحسين: لن يفترق عن القرآن + الحسين: طاهر مطهر من الله، ومن أولي القربى الذين تجب مودتهم والصلاة عليهم + الحسين: سفينة النجاة + الحسين: سيد شباب أهل الجنة + الحسين: حبيب الله وحبيب رسوله وثمره فؤاده وبضعته وسبطه وريحانته + الحسين: من الرسول والرسول منه + الرسول راض

١- عن الصادق عليه السلام، قال: "المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم" معاني الأخبار، الصدوق: ١٣٣.

عن الحسين وأنه سلم لمن سالمه وحرب لمن حاربه + الرسول كثير البكاء على ما يجري على الحسين ويخبر بذلك منذ ساعة مولده +]، وماذا ستكون النتيجة؟

النتيجة: إنّ الحسين عليه السلام - بكل ما يصدر عنه - لا يدعو الحق الذي يريده الله سبحانه ويرتضيه، وأنّ الباطل لا يجد ثغرة مهما صغرت لينفذ إلى ساحته المقدسة، وحاشاه، وهذا - بلا شك - نفس مؤدى العصمة.

والإنصاف، إنّ بعض هذه الصفات النبوية التي أضفها الرسول صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام تكفي لتنزيه ساحته عن أي باطل لا يرتضيه الله مهما كان، فضلاً عن أن تُلاحظ "الصفات" وهي مجتمعة. فمثلاً: هل يفعل باطلاً من طهره الله تطهيراً؟ أو هل يفعل باطلاً من صفته "أمان للأمة من الضلال" و"لن يفترق عن القرآن"، والقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم دائماً وأبداً؟ هل "سيد شباب أهل الجنة" يمتنع عن بيعة رجل يرضى الله ببيعته؟!

أعتقد الجواب واضح لكل من يؤمن بالرسول صلى الله عليه وآله ولا يجحد كلامه أو يكذبه أو يردده عليه، وحينها لا يبقى له من إسلامه شيء!

هذه النتيجة - التي يفترض أن ينتهي إليها كل مسلم - ستكون أكثر من كافية لإجابة جميع الإشكالات التي أثارها بعض المتعصّبين لبني أمية قديماً وحديثاً، من قبيل: إنّ الحسين شق عصا المسلمين بخروجه غير الشرعي، أو أنه كان طالب دنيا (ملك دنيوي) وهو بهذا لا يختلف عن بني أمية الذين يطلبون الدنيا، أو أنه بخروجه بأهل بيته يكون قد أقدم على الانتحار والتهلكة، ونحو ذلك من ترّهات.

الحسين عليه السلام لا يحيد عن تنفيذ مراد الله وفعل ما يرتضيه الله ورفض كل ما لا يريده ولا يرتضيه سبحانه ولو كانت النتيجة قتله وتمزيق جسده الشريف ورفع رأسه ورؤوس بنيهِ وصحبه على أسنة الرماح، ولو كانت النتيجة إبادة أهل بيته وسي أسرته وعياله في الأمصار يتفرج عليهم القاصي والداني (وهل يقدم على ذلك طالب دنيا، هيمات والله)، ولأنّ الحسين لله بكله قال الرسول: "أحب الله من أحب حسيناً"، "حسين مني وأنا من حسين"، وكان الرسول "راضٍ عنه"، بل "سلم لمن سالمه وحرب لمن حاربه"، وكان دائم

الحزن والبكاء على مصيبتة التي أخبر بها أهل السماء وأمناء وحي الله في ساعة ولادته، واستمر الرسول في بيان فضل الحسين ومنزله وعظيم قدره وإعلان ذلك لجميع أمته طيلة حياته التي قضاها مع الحسين، ولم يصدر منه أي شيء يوهم نسخ ما فعله أو قاله بخصوص ولده.

الحقيقة، إنَّ من يتهم الحسين عليه السلام بالخروج عن شرع جده وطلب الدنيا وحاشاه، فهو يتهم جده الرسول قبله؛ لأن قوله - ببساطة - يعني أنَّ الرسول (بكل ما صدر عنه بحق الحسين) كان يغري أمته ويخدعهم (وحاشاه) بتعظيم رجل سيكون مآله طلب الدنيا التافهة ومخالفة دين الله لا غير، أو يعني أنَّ ما بيَّنه الرسول بحق ولده الحسين كان مجرد عاطفة طفحت من أب تجاه ولده لا أكثر وليس لها رصيد حقيقي عند الله، والعياذ بالله! ويا لها من نتيجة منكرة وقبيحة لا ينتهي إليها إلا من سوَّد الله قلبه وأعلن النصب والعداء لله ورسوله وآل الرسول. علماً، إنني لاحظت أنَّ أول من استعمل كلمة "شق عصا المسلمين" بوجه الحسين عليه السلام ومشروعه الإلهي هو يزيد بن معاوية ثم تبعه على ذلك شريح القاضي في فتواه التي حمل الناس فيها على قتال الحسين، وسار على نهجهم النواصب في كل زمان.

قلت: إنَّ الحسين كان لله بكله، فهو - بكل ما يصدر عنه قولاً وفعلًا - لا يبتغي شيئاً غير تنفيذ مراد ربه الذي أخبر به الرسول وأبوه صلوات الله عليهما، ولهذا كان يستحضر ذلك دائماً في مجمل مسيرته حتى يوم شهادته ^(١).

١- هذه نماذج من الأحاديث التي توضح ذلك:

- "عن المطلب ابن عبد الله بن حنطب قال لما أحيط بالحسين بن علي قال ما اسم هذه الأرض قال كربلاء قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم إنها أرض كرب وبلاء" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٢، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وهو ضعيف وقد وثق. وعن علي بن الحسين قال قال لي الحسين ابن علي قبل قتله بيوم ان بني إسرائيل كان لهم ملك قال وذكر الحديث. رواه الطبراني واسناده جيد".

- "عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرني أم سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام ان

الحسين عليه السلام يعلم أنه مقتول لا محال، وهذا ما أكدته كلماته وخطبه، فلما عزم على المسير من مكة إلى العراق قام خطيباً فحمد الله، ثم قال: "خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا، فيملآن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه، وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله" (١).

وكان عليه السلام يعرف قاتله أو بعض من يشترك في قتله (٢).

هذا يقتل بأرض العراق للحسين فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها" المستدرك: ٤ / ٣٩٨، قال الحاكم: "هذ حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

- "عن أنس بن الحارث، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أمي تقتل هذا بأرض من أراضي العراق، فمن أدركه منكم فلينصره، قال: فقتل أنس مع الحسين بن علي رضي الله تبارك وتعالى عنهم" دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني: ٢ / ٥٥٢.

- "عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بني إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون، وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى "عمورا" وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: (قلنا يا ناركوني بردا وسلاما على إبراهيم) تكون الحرب عليك وعليهم سلاما. فأبشروا: فوالله لن نقتلونا، فانا نرد على نبينا" الخرائج والجرائج، الراوندي: ٢ / ٨٤٨.

- عن الصادق عليه السلام: "كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك، فقالت فاطمة: يا أبة أي شيء تقول، قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعذك من الأذى والظلم والغدر والبيغ، وهو يومئذ في عصبية كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني انظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم. فقالت: يا أبة وأين هذا الموضع الذي تصف، قال: موضع يقال له كربلاء، وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمي، ولو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعا فيهم وهم المخلدون في النار" كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٤٤.

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٦٦ - ٣٦٧.

٢- هذه نماذج من الروايات في ذلك:

الحسين عليه السلام يعلم أنه مقتول لا محال: عن الصادق عليه السلام: "أتى جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: السلام عليك يا محمد ألا أبشرك بغلام تقتله أمتك من بعدك، فقال: لا حاجة لي فيه، قال: فانقض إلى السماء ثم عاد إليه الثانية فقال له مثل ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فانعرج إلى السماء ثم انقض إليه الثالثة فقال مثل ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: ان ربك جاعل الوصية في عقبه، فقال: نعم، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل على فاطمة عليهما السلام فقال لهما: ان جبرئيل عليه السلام أتاني فبشرني بغلام تقتله أمتي من بعدي، فقالت: لا حاجة لي فيه، فقال لهما: ان ربي جاعل الوصية في عقبه، فقالت: نعم اذن. قال: فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: (حملته أمه كرها ووضعته كرها)، لموضع اعلام جبرئيل إياها بقتله، فحملته كرها بأنه مقتول، ووضعته كرها لأنه مقتول" (١).

وفي هذه الرواية إشارة إلى أن العطاء لله والتضحية في سبيله هو خير عظيم يتفضل به الله على صاحبه، وصاحبه يُبشّره وإن كان ثمن العطاء فاجعة تدمي القلوب وتهتز لها الجبال الرواسي. وأيضاً: إذا عظم الله في قلب العبد هان كل شيء سواه، فالرسول وابنته فاطمة صلوات الله عليهما بمجرد أن علما بأن المولود الموعود ليس كأبي ولد ينتظره الأبوان عادة، وإنما هو ولد له علاقة بدين الله وحاكميته وخلافته في أرضه قبلا على الفور بالرغم من أن القتل هو المصير المحتوم الذي ينتظر ولدهم المبشر به، وواضح أن قتله له علاقة بدين الله واستمرار الإمامة والخلافة الإلهية: "جاعل الوصية في عقبه".

- "قال عمر ابن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، إن قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أني أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنهم ليسوا سفهاء، ولكنهم حلماء، أما إنه يقرعيني أن لا تأكل بر العراق بعدي إلا قليلاً" الإرشاد، المفيد: ١٣٢/٢.

- "عن الحسين بن علي عليهما السلام، قال: قال: والذي نفس حسين بيده لا ينتهي بني أمية ملكهم حتى يقتلوني وهم قاتلي، فلو قد قتلوني لم يصلوا جميعاً أبداً، ولم يأخذوا عطاء في سبيل الله جميعاً أبداً، إن أول قتيل هذه الأمة أنا وأهل بيتي، والذي نفس حسين بيده لا تقوم الساعة وعلى الأرض هاشمي يطرف" كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٦.

- عن حذيفة بن اليمان قال: "سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول: والله ليجتمعن على قتلي طغاة بني أمية، ويقدمهم عمر بن سعد" دلائل الإمامة، الطبري: ١٨٣.

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٢٣.

ولم يكن الإمام الحسين وحده يعلم بمصيره المحتوم، بل كثير من المسلمين في زمانه كانوا يعرفون ذلك ^(١)، قال ابن نما: (وكان الناس يتذكرون مقتل الحسين عليه السلام ويستعظمونه ويرتقبونه) ^(٢).

وكم حاول بعض المسلمين كأخيه ابن الحنفية وأم سلمة وابن عباس وابن عمر وغيرهم في ثنيه عن المسير إلى العراق أولاً أقل تغيير وجهته، لكنه في كل مرة يأبى ذلك.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "جاء محمد ابن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها عن مكة فقال له: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من بالحرم وأمنه، فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالي يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت، فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمانع الناس به، ولا يقدر عليك أحد، فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر، ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته - وقد ركبها - فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى قال:

١- مثلاً: قول عبد الله بن عمر للحسين عليه السلام عند توديعه إياه: "إنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تخرج قال فأبى فودعه وقال أستودعك الله من مقتول" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٢، قال الهيثمي: "رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله البزار ثقات".

- قال ميثم التمار: "والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيا في المحرم لعشر يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإن ذلك لكانن، قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين صلوات الله عليه..." الأمالي، الصدوق: ١٨٩.

- عن العريان بن الهيثم، قال: "كان أبي يتبذّر (يخرج إلى البادية) فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك فقال له إني أراك ملازماً هذا المكان قال بلغني أنّ حسيناً يقتلها هنا فأنا أخرج لعلّي أصادفه فأقتل معه فلما قتل الحسين قال أبي انطلقوا ننظر هل الأسدي فيمن قتل وأتينا المعركة فطوفنا فإذا الأسدي مقتول" تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢١٦؛ بغية الطلب في تاريخ حلب: ٦ / ٢٦١٩.

- روى ابن عساکر: "أشعث بن سحيم عن أبيه قال سمعت أنس بن الحارث يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن ابني ذا يعني الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينبصره. قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين" تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢٢٣ - ٢٢٤.

٢- مثير الأحزان: ١٣.

فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١) بعد ما فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً فقال محمد ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال [لي صلى الله عليه وآله]: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا، فسلم عليه ومضى" ^(٢).

وأيضاً: لعل أحد أسباب تحوّل موقف زهير بن القين وتصميمه أخيراً على الالتحاق بالحسين عليه السلام أثناء مسيره من مكة إلى العراق والانضمام إلى ركبه هو ما سمعه من سلمان الفارسي رضوان الله عليه ^(٣)، كما سيتضح لاحقاً.

أعتقد صار واضحاً الآن سبب سوق الحسين عليه السلام نفسه إلى القتل والشهادة في سبيل الله وبلوغ مصيره الموعود به من الله ورسوله، وما ذاك إلا لإنفاذ مراد الله وإعلاء ذكره وحاكميته وإتمام دينه وحجّته على عباده، وكان عليه السلام موطئاً نفسه على ملاقة حتفه بعزم وتصميم لا يلين ولو كان وحده فقط، وكأنه يتمثل قول القائل:

إن كان دينُ محمدٍ لم يستقمْ إلا بقتلي فيا سيوف خُذيني

وأكد أنّ الأمة لها يد في بلوغ مشروع الله في هداية عباده إلى حد التضحية بأحب الخلق إلى الله من أجل إتمام الحجة عليهم وتخليصهم من الضلال والانحراف والظلام الذي أوقعوا أنفسهم فيه. أما سبب اصطحاب العيال وبيان وجه المشيئة الإلهية "شاء الله أن يراهن سبايا" التي أخبر بها الحسين عليه السلام فستتضح في قادم البحوث.

١- أي: في الرؤيا.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٦٤.

٣- قال زهير لأصحابه: (إني سأحدثكم حديثاً: إنا غزونا البحر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم مما أصبتم اليوم من الغنائم) الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٣.

(١)

مملكة آل أبي سفيان

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عام ١١ هـ وحدث الانقلاب الذي ذكره الله تعالى في كتابه: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" آل عمران: ١٤٤. آلت الخلافة (الحكم) إلى أبي بكر (١١ - ١٣ هـ)، ثم عمر (١٣ - ٢٣ هـ) ثم عثمان (٢٣ - ٣٥ هـ)، وبعد خمسة وعشرين عاماً بوع علي عليه السلام؛ خليفة رسول الله الشرعي المنصوص عليه من قبل الرسول بعد مقتل عثمان في نهاية سنة ٣٥ هـ^(١).

لم يكن الأصل والأساس الذي يضبط حركة الحاكم (الخليفة) طيلة الـ ٢٥ عاماً التي سبقت أمير المؤمنين عليه السلام هو الكتاب والعترة، ولا حتى الكتاب والسنة (أعني: قول وفعل الرسول)، وإنما استحدث بعد الرسول ما يسمى بـ (سيرة / سنة الشيخين) كميزان في التقييم والمفاضلة وأحد ضوابط العمل التنفيذي لمن يستلم الحكم والخلافة، وهو ما رفضه أمير المؤمنين لما عرض عليه عمر تولي الأمر بعده^(٢)؛ لأن دين الله الذي يعرفه علي عليه السلام هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله لا غير.

عموماً، كانت واحدة من نتائج سيرة الشيخين - وتحديداً عمر - هو التمهيد للدولة السفليانية الأموية من خلال تعيين معاوية والياً على الشام من قبل عمر سنة ٢١ هـ بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، وزاد الأمر رسوخاً في زمن عثمان الذي لم يكتفِ بإقرار

١- لم تدم خلافة أمير المؤمنين عليه السلام سوى خمس سنوات (٣٥ - ٤٠ هـ) غير مكتملة.

٢- "عن أبي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً رضي الله عنه قال ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال فقال فيما استطعت قال ثم عرضتها على عثمان رضي الله عنه فقبلها" مسند أحمد: ١ / ٧٥.

معاوية على ما كان عليه في أيام عمرو وإنما وسّع من سلطته وضم لولايته بلاداً أخرى، وبهذا تمكّن معاوية من بسط سيطرته ونفوذه على الشام كلها.

لا يخفى أنّ معاوية - وكذا أبوه وأمه - من الطلقاء الذين أسلموا (ظاهراً) عام الفتح سنة ٨ هـ عنوة لحقن دماءهم، بعد أن لاقى الرسول صلى الله عليه وآله من أذاهم ما لم يلقه رسولاً ولا نبياً قبله، فكل حياة الرسول في الإسلام - بعد بعثته - كانت ثلاثة وعشرين عاماً، قضى واحداً وعشرين عاماً منها وهو يتجرّع الويل والأذى الذي يخيّط رداءه أبو سفيان وعائلته وحزبه! تهم: (ساحر، كذاب، مجنون، يعلمه بشر، ... إلخ)، محاولات اغتيال الرسول في مكة والمدينة، تعذيب المسلمين الأوائل ومصادرة أموالهم ودورهم، الإغارة على أتباع الرسول وهم في مدنها وقراهم آمنون وقتلهم وسلب أموالهم، قيادة الجيوش في الحروب التي تهدف للقضاء على الإسلام ورسوله، قتل المسلمين وهم يدافعون عن دين الله ورسوله، تحشيد العرب واليهود في الجزيرة العربية والزحف بهم نحو المدينة ومحاصرتها للقضاء على الرسول ومن آمن به، إلى غير ذلك من فصول الأذى الذي تعرّض له الرسول ودعوته الفتية، كلها كانت تتم بقيادة أبي سفيان بن حرب^(١).

هذا إرث معاوية من جهة الأب، وأما من جهة الأم فيكفي أن نعرف أنّ لقب (ابن أكلة الأكباد) الذي يُطلق عليه إنما كان بسبب ما فعلته أمه (هند بن عتبة) بكبد حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) بعد واقعة بدر للثأر من الرسول على مقتل أبيها وأخيها وعمها (عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة) في معركة بدر^(٢).

١- ما تعرّض له الرسول صلى الله عليه وآله من أبي سفيان وحزبه يمكن ملاحظته في جميع كتب السيرة النبوية بما في ذلك كتب المتعصبين لبني أمية كابن كثير مثلاً.

٢- على سبيل المثال: (قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة، كما حدثني صالح بن كيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يجدن الأذان والأنف، حتى اتخذت هند من أذان الرجال وأنفهم خدماً وقلانداً، وأعطت خدماً وقلانداً وقرطها وحشياً، غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشي غليل صدري

التمهيد لسلطة الأمويين ومملكتهم^(١) لم يحصل صدفة، وإنما كان هناك عمل منظم ومدروس يسير بشكل تدريجي، يضمن وصولهم إلى الحكم وفرضهم على المسلمين كأمر واقع من دون أن يثير هذا الأمر ضجة أو ردة فعل قوية بين المسلمين تؤدي بالنتيجة إلى إفشال المشروع من أساسه؛ إذ ليس من السهل بمكان أن تتقبل أمة كان يقودها الرسول محمد صلى الله عليه وآله بما عليه من خلق ودين وعدل ورحمة وحكمة أن يحكمها (باسمه) من هو بالضد منه تماماً؛ طليق معاند ليس له فضيلة ولا سابقة في دين، سوى ادعاء أنه وأبويه أسلموا قبل رحيل الرسول بسنتين مكرهين لا باختيار ورغبة!

اللهم، إلا ما روي عن ابن عباس أن الرسول بعثه في صباه ليدعوه له معاوية فوجده يأكل، وتكرر الأمر مرتين - فقال: "لا أشبع الله بطنه"^(٢)، أو قول عمر بن الخطاب لما كان ينظر لمعاوية: "هذا كسرى العرب"^(٣)، "تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية"^(٤)؛ وحسنأ فعل النسائي - الذي ألف كتباً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

.....) السيرة النبوية، ابن هشام: ٦٠٧/٣.

وأيضاً: "عن ابن مسعود ان النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين قال أبو سفيان قد كانت في القوم مثلة وان كانت لعن غير ملائنا ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساء ولا سرنى قال فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكها فلم تستطع ان تأكلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أأكلت منه شيئا قالوا لا قال ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة النار" مسند أحمد: ٤١٨/٧ - ٤١٩.

وقال ابن كثير: (وقد شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل المسلمين يومئذ، ولما قتل حمزة مثلت به وأخذت من كبده فلاكها فلم تستطع إساغتها، لأنه كان قد قتل أباه وأخاه يوم بدر) البداية والنهاية: ٦٠ / ٧.

١- يخجل حتى بعض المعتصمين لبني أمية - كابن كثير مثلاً - من اعتبار فترة حكم معاوية امتداداً لخلافة الرسول، ويعتبرها أول مراحل الملك العضوض استناداً لما رواه عن الرسول: "إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة وكاننا خلافة ورحمة وكاننا ملكاً عضوضاً" السنن الكبرى، البيهقي: ٨ / ١٥٩. وأيضاً: روى ابن كثير قول معاوية: "أنا أول الملوك" البداية والنهاية: ٨ / ١٤٤.

٢- انظر: صحيح مسلم: ٨ / ٢٧. وفي تعليق له على هذا الحديث، يقول ابن كثير: (وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك) البداية والنهاية: ٨ / ١٢٨.

٣- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٣٤؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ١٣٤.

٤- تاريخ الطبري، ابن جرير: ٤ / ٢٤٤.

والصحابة - لما قيل له: (ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج؟ "اللهم لا تشيع بطنه!" وسكت، وسكت السائل) ^(١).

قلت: إن تمهيداً حصل لبلوغ الأمويين لحظة إعلان مملكتهم الكسروية، فقد عمد عثمان بن عفان طيلة ثلاثة عشر عاماً من عمر خلافته إلى تعيين الأمويين عملاً له في حواضر المسلمين المهمة وتسليم زمام الأمور فيها لهم ^(٢).

وهذه أسماء بعض ولاته حتى سنة ٣٤ هـ، أي قبل مقتله بسنة:

- ١- معاوية بن أبي سفيان، واليه على الشام.
- ٢- سعيد بن العاص بن أمية، واليه على الكوفة ^(٣).

١- تاريخ الإسلام، الذهبي: ٢٣ / ١٠٧.

٢- قال ابن عبد البر، والمقرئزي: (وروى عن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدركها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار. فصاح به عثمان، قم عني، فعل الله بك وفعل) الاستيعاب: ٤ / ١٦٧٩؛ النزاع والتخاصم: ٦٠. بحسب الرواية، إن عثمان زجر أبا سفيان، لكن يبدو أنه أخذ بنصيحته عملياً.

٣- سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية (٢ - ٥٩ هـ)، قتل أبوه يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، نشأ في حجر عثمان بن عفان، كان فيه غلظة وتجبر وشدة، ولأه عثمان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة وكان غير محمود السيرة عندهم فطلبوا تغييره فلم يقبل عثمان ثم اضطر إلى ذلك. كان ممن خرج مع طلحة والزبير وعائشة في مسيرهم إلى البصرة ثم انقرد عنهم. ولأه معاوية المدينة سنة ٤٩ هـ بعد مروان بن الحكم وبقي فيها سبع سنين ثم عزله وأعاد مروان. انظر: الاستيعاب: ٢ / ٦٢١؛ البداية والنهاية: ٨ / ٩٠ - ٩١. وقال ابن سعد: (لم يزل سعيد بن العاص في ناحية عثمان بن عفان للقرابة فلما عزل عثمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن الكوفة دعا سعيد بن العاص واستعمله عليها فلما قدم الكوفة قدمها شابا مترفا ليست له سابقة فقال لا أصعد المنبر حتى يظهر فأمر به فغسل ثم صعد المنبر فخطب أهل الكوفة وتكلم بكلام قصر بهم فيه ونسبهم إلى الشقاق والخلاف فقال إنما هذا السواد بستان لأغليمة من قريش فشكوه إلى عثمان فقال كلما رأى أحدكم من أميره جفوة أرادنا أن نعزله وقدم سعيد بن العاص المدينة... ثم انصرف سعيد بن العاص إلى الكوفة فأضرب أهلها إضراراً شديداً وعمل عليها خمس سنين إلا شهراً) الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٢.

- ٣- عبد الله بن عامر، واليه على البصرة^(١).
- ٤- عمرو بن العاص، واليه على مصر^(٢).
- ٥- عبد الله بن أبي سرح، واليه على المغرب^(٣).

١- عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، ابن خال عثمان بن عفان، أسلم أبوه عام الفتح، جمع له عثمان ولاية البصرة وفارس سنة ٢٩ هـ وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقي في البصرة حتى مقتل عثمان. فأخذ أموال بيت المال ووافى عائشة وطلحة والزبير في مكة يريدون التوجه للشام فاقترح عليهم المجيء للبصرة لأموالها وصنائه فيها وقدم بهم إليها، وهو أول من لبس الحرير في البصرة. روجه معاوية ابنته هند، عرض على معاوية أن يوليه البصرة مجدداً لاسترجاع أمواله فولاه عليها سنة ٤١ هـ بعد بسرين أوطاة وبقي فيها ثلاث سنين. انظر: الاستيعاب: ٩٣١ / ٣ - ٩٣٣: الطبقات الكبرى: ٤٤ / ٥ - ٤٩: سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٣ - ١٩.

٢- عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، أسلم سنة ٨ هـ قبل فتح مكة بأشهر، ولده عمر على فلسطين وما والاها، وولاه عثمان على مصر سنتين ثم عزله وعين ابن أبي سرح مكانه، كان ممن يطعن على عثمان ويؤلب أهل المدينة عليه لكنه بعد مقتله صار إلى معاوية وحضر معه صفين يطلب بدمه، وهو أحد الحكمين بعد المعركة. سيّره معاوية إلى مصر فانتزعها من محمد بن أبي بكر والي علي عليه السلام فيها بعد قتله، ولم يزل فيها حتى مات سنة ٤٣ هـ مخلفاً وراءه قناطير مقنطرة من الذهب. انظر: الطبقات الكبرى: ٧ / ٤٩٣ - ٤٩٤: أسد الغابة، ابن الأثير: ٤ / ١١٥ - ١١٧: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٥٤ - ٧٧.

٣- عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخو عثمان من الرضاعة، أسلم ثم ارتد ورجع إلى مكة، أهدر الرسول دمه عام الفتح وأمر بقتله ولو وجد معلقاً بأستار الكعبة. فأواه عثمان وطلب له الأمان فأمنه الرسول. ولّاه عثمان مصر بعد عمرو بن العاص وبقي فيها حتى مقتل عثمان، وكان عمر قد ولّاه بعض أعمال مصر. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٥ - ٣٣: البداية والنهاية، ابن كثير: ٤ / ٣٤٠ - ٣٤٢.

روى الحاكم بسنده: "عن سعد قال لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي كفت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك إلا أومأت إلينا بعينك فقال إنه لا ينبغي لني أن تكون له خائنة الأعين" المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٤٥، قال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

وما فعله ابن أبي سرح هو أنه كان يسب الرسول ويكذب عليه بافتراء آيات كان يكتتبها له ويحرف فيها، ولما ذهب لقريش كشف لهم ما كان يفعل وزعم أنّ محمداً (وحاشاه) لا يدري ما يقول! وإلى يوم الناس هذا يتخذ الملحدون فعله مطعناً على الرسول والقرآن.

روى ابن جرير الطبري بسنده: "عن السدي: ومن أظلم ممن افتري على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء... إلى قوله: تجزون عذاب الهون قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم، وكان يكتب للنبي (ص)، فكان إذا أملى عليه سميعاً عليماً، كتب هو: عليماً حكيماً وإذا قال: عليماً حكيماً كتب: سميعاً عليماً. فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إليّ، وإن كان الله يتزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: سميعاً عليماً، فقلت أنا: عليماً حكيماً. فلحق بالمشركين..." جامع البيان: ٧ / ٣٥٥.

وهذا نص يرويه المؤرخون ضمن أحداث سنة ٣٤ هـ يوضح كيفية تعاطي هؤلاء الولاة مع مطالب الناس المحقة والعادلة في رفض الظلم والفساد المالي والإداري الذي كان عليه الولاة^(١):

(قال أبو معشر: وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بجمص منفيون عن الكوفة، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألّبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة، حتى شق ذلك عليه جدا، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام، وعمرو بن العاص أمير مصر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب،

١- بل إشكال المسلمين كان على عثمان بالأساس، وهذا نص للبلاذري يوضح نقمة بعض المسلمين على عثمان بما فيهم عائشة وعمرو بن العاص بعد عزله عن مصر، يقول: (قال الزمري: وكان في الخزان سقطة فيه حلي فأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه، وبلغه ذلك فخطب فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم، فقال عمار: أنا والله أول من رغم أنفه من ذلك، فقال عثمان: لقد اجترأت عليّ يا ابن سمية، وضربه حتى غشي عليه، فقال عمار: ما هذا بأول ما أوديت في الله، وأطلعت عائشة شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعله وثيابه من ثيابه، فيما يحسب وهب، ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وقال عمرو بن العاص: هذا منبر نبيكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم، فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول، والتجّ المسجد واغتنمها عمرو بن العاص، وقد كان عثمان قال لعمرو قبل ذلك وقد عزله عن مصر: إن اللقاح بمصر قد درّت بعدك ألبانها، فقال: لأنكم أعجفتهم أولادها، فقال له عثمان: قملت جبتك مذ عزلت عن مصر، فقال: يا عثمان إنك قد ركبت بالناس نهايروكبوها بك فيما أن تعدل وإما أن تعازل، فقال: يا ابن النابعة وأنت أيضا تتكلّم بهذا لأني عزلت عن مصر؟! وتوعده) أنساب الأشراف: ٥ / ٥٨٠ - ٥٨١. توضيح بعض المفردات:

- سقطة: وعاء توضع فيه أمور خاصة بالنساء. التجّ المسجد: أي اضطرب وهاج. نهايبر: الأرض المرتفعة والعالية.

- قول عثمان لابن العاص: "اللقاح بمصر قد درّت بعدك ألبانها": اللقاح جمع لقحة وهي الناقة الغزيرة اللبن، وقد شبه مصر بها، درّت: أي أخرجت لبنها وهو كناية عن زيادة خراجها، وقصد عثمان: إنّ مصر بعد ابن العاص زاد خراجها الذي صار ابن أبي سرح يبعث به بخلاف ابن العاص الذي كان يحتكره لنفسه وأهل مصر.

- قول ابن العاص لعثمان: "لأنكم أعجفتهم أولادها": أي جعلتم أولادها ضعافاً هزلاً، وقصده: أنك يا عثمان صرت تأخذ كل خراج مصر وهذا يؤدي إلى إرهاق أهلها وضعفهم.

وسعيد ابن العاص أمير الكوفة، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الامر وافتراق الكلمة، فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته فإن غوغاء الناس إذا تفرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يغني وتكلموا بما لا يرضي وإذا تفرقوا نفخوا أنفسهم وغيرهم، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم، وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر، فإنهم أقل وأضعف جنداً. وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطهم منه ما يكف به شرهم، ويأمن غائلتهم، ويعطف به قلوبهم إليه. وأما عمرو بن العاص فقال: أما بعد يا عثمان فإنك قد ركبت الناس ما يكرهون فأما أن تعزل عنهم ما يكرهون، وإما أن تقدم فتنزل عمالك على ما هم عليه، وقال له كلاماً فيه غلظة، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليبليغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا، فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه، وتألف قلوب أولئك بالمال، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو إلى الثغور، فجمع بين المصالح كلها، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعري (١).

عموماً، ظل معاوية يحكم الشام أربعين عاماً تقريباً؛ منها خمسة عشر عاماً بتعيين من عمر وعثمان (٢١ - ٣٥ هـ)، ثم خمسة أعوام بتعيين من نفسه في فترة خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام (٣٦ - ٤٠ هـ) ولم يمثل قرار عزله الذي اتخذه أمير المؤمنين لما آل له الأمر وعيّن سهل بن حنيف مكانه (٢)، وبعد مقتله عليه السلام واضطرار ولده الحسن إلى توقيع الصلح مع معاوية إثر خذلان الناس له، عمّ حكم معاوية بلاد المسلمين كلها بين عامي (٤١ - ٦٠ هـ)، وبهذا يكون التمهيد قد أتى أكله بعد طول ترقّب وانتظار ونشأت مملكة الأمويين التي استمرت حتى عام ١٣٢ هـ، كان أول ملوكها معاوية وآخرهم

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ١٨٦ / ٧ - ١٨٧.

٢- قال الطبري: "لما دخلت سنة ٣٦ ... بعث علي عماله على الأمصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير قالوا على أي شيء قال على الشام قالوا إن كان عثمان بعثك فجهلاً بك وإن كان بعثك غيره فارجع فارجع إلى علي" تاريخ الطبري: ٤٦٢ / ٣.

مروان بن محمد بن مروان، مروراً بيزيد ومروان بن الحكم^(١) وعبد الملك ولده، وهكذا توريثاً^(٢).

كان معروفاً عن معاوية انكبابه على الدنيا وملذاتها بشكل كبير منذ أول أيام إمارته على الشام حتى إنَّ عمر بن الخطاب عاتبه لما رآه في الشام وقد أعدَّ موكبين للاستقبال، فقال له: (يا معاوية! تروح في موكب وتغدو في مثله، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحجاجات ببابك! قال: يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منا ولهم عيون وجواسيس،

١- مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ابن عم عثمان بن عفان، ولد عام ٢ هـ في مكة، أسلم أبوه عام الفتح، خرج مع أبيه من المدينة إلى الطائف بعد أن طرده الرسول منها إثر استهزائه بالرسول ونقل أخباره إلى مشركي قريش. أرجعه عثمان إلى المدينة في خلافته وقربه إليه وقلَّده مناصب وكان عثمان يطيع رأيه. شهدت عائشة أن الرسول لعن مروان وأباه إثر الخلاف الذي نشب بينه وبين أخيها عبد الرحمن. كان مع الخارجين على علي عليه السلام يوم الجمل. قتل طلحة بن عبيد الله وهو واقف إلى جنب عائشة بالرغم من كونه معه في صف واحد؛ ثاراً لعثمان الذي يرى مروان أن طلحة من ضمن المشتركين في قتله. نظر إليه علي عليه السلام يوماً وقال: "ويلك ويل أمة محمد منك ومن وبنيك!". شهد صفين مع معاوية، ثم ولَّاه على المدينة سنة ٤٢ هـ وأضاف له مكة والطائف، ثم عزله عن المدينة وأعاد عليها سنة ٥٤ هـ. تولى حكم المسلمين بعد يزيد سنة ٦٤ هـ ولم يدم ملكه غير سنة واحدة بل أقل، مات عام ٦٥ هـ وكان يعد ممن قتلته النساء خنقاً. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ١/ ٣٥٩ - ٣٦٠، ٢ / ٧٦٧ - ٧٦٩، ٣ / ١٣٨٧ - ١٣٨٩، الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٣ / ٢٢٣، ٥ / ٣٥ - ٤٣.

ذكر المؤرخون طريقة موت مروان، وملخصها: إنه لما بوع لمروان كان قد أطمع خالد بن يزيد بن معاوية في أن يكون له نصيب من أمر الملك من بعده وكان يجلسه معه على سريره، لكنه بدأ ينحاز إلى توريث ولده عبد الملك، فجاء خالد يوماً وأراد الجلوس في مكانه المخصوص فزبره مروان وأهانته قائلاً: "تنح بين رطبة الأست"، فانصرف خالد إلى أمه (وكان مروان قد تزوجها بعد هلاك يزيد) مغضباً ووعدته أن تأخذ له بحقه شرط أن لا يعلم أحد بإخباره لها، ولما جاء مروان وسألها إن كان ابنها خالد حكي لها شيئاً فنفت وذكرت له أن خالداً يجله ويعظمه ويراه بمنزلة الوالد، فاطمئن مروان لجانبها ونام في بيتها، فعمدت هي وجواربها إلى غلق أبواب البيت والانقباض عليه وخنقه بوسادة حتى مات، ثم صرخت وشقت جيها مع جواربها وادعت أنه مات فجأة. انظر على سبيل المثال: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٤٢ - ٤٣.

٢- مسألة التوريث في الحكم الأموي كانت من ضمن نصائح أبي سفيان لولده معاوية، لما ولَّاه عمر الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، إذ قال له: "يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرقمهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصرنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة. وصرنا أتباعاً، وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورتته عقبك"، قال ابن كثير معقباً: (فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان) البداية والنهاية: ٨ / ١٢٦.

فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً، فقال له عمر: إنَّ هذا لكيد رجل لبيب أو خدعة رجل أريب^(١).

الحقيقة إنَّ انكباب الأمويين - وعلى رأسهم معاوية - على الدنيا لا علاقة له بمصلحة الإسلام من قريب أو بعيد، وإذا كانت حيلة معاوية انطلت على الخليفة - أو ربما كان يعلم بكذبه لكنه غرض النظر عنه لغاية ما - فإنها لم تنطل على رفيق دربه والعارف بدروبه (عمرو بن العاص) عندما جاء الشام بعد مقتل عثمان يطلب من معاوية حصته من الدنيا ليكون في صفه ضد علي عليه السلام، فأعطاه مصر^(٢)، فعلاً كان له ما أراد وأصبح ابن العاص والياً له على مصر بعد هجومه عليها وقتل محمد بن أبي بكر (والي أمير المؤمنين عليها)، حتى إن معاوية استعان بابن العاص يوماً يطلب منه شيئاً من خراج مصر وأموالها فلم يقبل وذكره بالاتفاق الذي حصل بينهما^(٣).

ولما كان معاوية يعلم جيداً أنَّ ملكه ودنياه لا يستقيمان وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر بين الناس سواء بشخصه أو بنهجه وذكره، كان هدفه الأول القضاء عليه وعلى

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٤٤.

٢- روى الذهبي: (أن الفتنة لما وقعت، ما زال عمرو بن العاص معتمداً بمكة حتى كانت وقعة الجمل، فلما كانت، بعث إلى ولديه عبد الله ومحمد، فقال: قد رأيت رأياً، ولستما باللذين ترداني عنه، ولكن أشيراً علي، إني رأيت العرب صاروا غارين يضطربان، فأنا طارح نفسي بين جزاري مكة ولست أرضى بهذه المنزلة، فإلى أي الفريقين أعمد؟ قال عبد الله: إن كنت لابد فاعلاً فإلى علي، قال: ثكلتك أمك، إني إن أتيت، قال لي: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية، خلطني بنفسه، وشركني في أمره، فأتى معاوية... فأتى معاوية، فوجده يقص ويذكر أهل الشام في دم الشهيد. فقال له: يا معاوية، قد أحرقت كبدي بقصصك، أترى إن خالفنا علياً لفضل منا عليه، لا والله! إن هي إلا الدنيا نتكالب عليها، أما والله لتقطعن لي من دنياك أو لأنا بذنك، فأعطاه مصر. وقد كان أهلها يبعثوا بطاعتهم إلى علي) سير أعلام النبلاء: ٣ / ٧١ - ٧٢.

٣- ذكر الدينوري: (كتب معاوية إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، قد قبضها بالشرط الذي اشترطه على معاوية: "أما بعد، فإن سؤال أهل الحجاز، وزوار أهل العراق قد كثروا علي، وليس عندي فضل من أعطيات الجنود، فأعني بخراج مصر هذه السنة. فكتب إليه عمرو:

معاوي إن تدركك نفس شحيحة	فما ورثتني مصر أمي ولا أبي
وما نلتها عفواً ولكن شرطتها	وقد دارت الحرب العوان على قطب
ولولا دفاعي الأشعري وصحبه	لألفيتها ترغو كراغية السقب

فلما رجع الجواب إلى معاوية تذمم، فلم يعاوده في شيء من أمورها) الأخبار الطوال: ٢٢٢.

ذكره تماماً بمختلف السبل، ويمكننا أن نجمل خطوات معاوية في تحقيق هذا الهدف الخبيث عبر مرحلتين:

سياسة معاوية في أيام خلافة علي (ع):

الزمان: (٣٦ - ٤٠ هـ):

كل مجريات الأحداث التي أعلن فيها معاوية العداء لخليفة رسول الله علي عليه السلام - وسأقتصر على أهمها - تمت تحت شعار "الطلب بدم عثمان". وأياً تكن أسباب النقمة على عثمان، فإنّ علياً عليه السلام لا يد له فيها ولا في قتله من قريب أو بعيد، ومن ثار عليه في المدينة والعراق ومصر معروفون. نعم، كانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام مع عثمان كسيرته مع سابقه تتلخص في النصح وبيان الحق إن استنصحه أحد منهم.

من جانب آخر: لم تكن صفحة معاوية بريئة، بل لم تكن سلامة عثمان تعنيه أصلاً، وهذا يتضح بملاحظة ما يلي:

أولاً: إنّ معاوية كان يعلم جيداً بما يجري في مدن المسلمين وبوادر نقمتهم على عثمان بسبب سياسته المالية مع ولاته وأقربائه وإيثارهم بالمال دون غيرهم من المسلمين الذين يشتكي الكثير منهم العوز والحرمان، ومع هذا كان معاوية يطلب من عثمان أن يزيد له العطاء وأن يقتطع له الأراضي لاستثمارها، ولما أذن له في زراعتها والانتفاع بثمرها، وبدل أن يرسل وارد تلك الأراضي لبيت مال المسلمين لصرفها في مصالحهم العامة - وبذلك يخف الضغط على عثمان لو كان فعلاً تهمة سلامته - حبسها معاوية على نفسه وأهل بيته وحاشيته، وكل من يعترض على سياسته المالية ينفيه إلى خارج الشام^(١).

١- ذكر ابن عساکر الأراضي والمزارع التي استغلها معاوية فقال: (... فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبلة تدخل قبالتها بيت المال فيخرج نفقة مع ما يخرج من الخراج حتى كتب معاوية في إمرته على الشام إلى عثمان أن الذي أجراه عليه من الرزق في عمله ليس يقوم بمؤن من يقدم عليه من وقود الأجناد ورسل أمراءها ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها ووصف في كتابه هذه المزارع الصافية وسماها له يسأله أن يقطعه إياها ليقوى ها على ما وصف له وإنها ليست من قرى أهل الذمة ولا الخراج فكتب إليه عثمان بذلك كتاباً...) تاريخ مدينة دمشق: ٢ / ٢٠٦.

ثانياً: أراد عثمان أن يعالج الأوضاع الملتببة عليه في بعض الولايات كالكوفة، فقام في سنة ٣٣ هـ بتسيير بعض كبار المعترضين (صعصعة وصحبه مثلاً) إلى الشام ليكونوا تحت نظر معاوية، وكتب إليه: "إن نقرأ قد خُلِقوا للفتنة؛ فأقم عليهم وانهم، فإن آنست منهم رشداً فأقبل، وإن أعيوك فارددهم علي". التقاهم معاوية بعد وصولهم وتكلم معهم ونصحهم بالتزام الجماعة وكان يتغدى ويتعشى معهم ثم أذن لهم بالخروج من الشام إلى أي وجهة يختارونها^(١).

واضح أنّ تصرف معاوية وإخراجه لهم من الشام بهذه السرعة؛ الهدف منه إبعاد دار ملكه عن أجواء الفتنة وإبقائها على هدوئها غير مبال بما سوى ذلك حتى ولو اشتعلت الدنيا وحتى لو ازدادت النعمة اتساعاً وأدت إلى مقتل عثمان نفسه!

ونفس الشيء تم فعله مع عائشة وطلحة والزبير لما نكثوا بيعتهم لعلي عليه السلام سنة ٣٦ هـ وخرجوا عليه في "الجمل"، فقبل توجههم إلى البصرة كانوا قد تجمّعوا في مكة وأرادوا الشام، لكن عبد الله بن عامر (والي عثمان على البصرة، المقرب من معاوية وزوج ابنته هند) التحق بهم في مكة ونصحهم بالذهاب إلى البصرة بحجة أنّ له فيها أموالاً وله فيها صنائع^(٢)! وهو تحليل باهت؛ فمهما يكن عدد المناوئين لعلي في البصرة فلا يمكن مقارنتهم بعددهم في الشام، كما أنّ الأموال في الشام التي يمكن الاستعانة بها في محاربة علي عليه السلام لا يمكن مقارنتها بأموال عبد الله بن عامر في البصرة مهما بلغت. لذلك فلا يُستبعد أن يكون الهدف من صرفهم عن الشام هو إبقاؤها بعيدة عن أي صراع، بل لا يُستبعد أن يكون ذلك قد تم بتنسيق مع معاوية؛ خصوصاً وأنّ عبد الله بن عامر كان

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ١٣٩ - ١٤١.

٢- ذكر ابن قتيبة مسير عائشة وطلحة والزبير من مكة لحرب علي عليه السلام، قال: (ثم سار القوم، فقال الزبير: الشام بها الرجال والأموال، وعليها معاوية، وهو ابن عم الرجل (يعني عثمان)، ومتى تجتمع يولنا عليه، وقال عبد الله بن عامر: البصرة، فإن غلبتم علياً فلکم الشام، وإن غلبكم علي كان معاوية لكم جنة، وهذه كتب أهل البصرة إليّ. فقال يعلى بن منبه (والي عثمان على اليمن)، وكان داهياً: أيها الشيخان، قدراً قبل أن ترحلا أن معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة، وأنتم تقدمون عليه غداً في فرقة وهو ابن عم عثمان دونكم، رأيتم إن دفعكم عن الشام، أوقال: أجعلها شوري، ما أنتم صانعون؟ أتقاتلونه أم تجعلونها شوري فتخرج منها؟ وأقبح من ذلك أن تأتي رجلاً في يديه أمر قد سبقكم إليه، وتريداً أن تخرجاه منه، فقال القوم: فإلى أين؟ قال: إلى البصرة (... الإمامة والسياسة: ١/ ٥٧ - ٥٨؛ وانظر أيضاً: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥/ ٤٨؛ تاريخ الطبري: ٣/ ٤٦٩ - ٤٧٠.

قد أخذ أموال بيت المال وترك البصرة قبل مقتل عثمان لما ساءت أوضاعه وترك منصبه بالبصرة شاغراً^(١) ويمكن أن يكون قد التقى معاوية ونسق معه الأمر في الفترة الفاصلة بين تركه البصرة وبين اجتماع الثلاثة في مكة، فمعاوية لا يهيمه أصلاً سلامة أحد أو الطلب بثأر أحد بقدر ما يهيمه ملك الدنيا، بل ومن مصلحته اصطدام الطرفين فيما بينهم خارج حدود ملكه وأياً تكن نتيجة الحرب بينهم فهي تصبّ في مصلحة ملكه بالنهاية.

ثالثاً: يؤكد ما قلناه، النصيحة التي أسداها معاوية لعثمان لما استشاره في الخروج من المأزق الذي هو فيه واختلاف الناس عليه بما فهم المهاجرين والأنصار، إذ نصحه بمجموعة من الأمور كلها تصب في مصلحته وتؤكد أنه كان يريد توريط عثمان، إذ قال له: (الرأي أن تأذن لي بضرب أعناق هؤلاء القوم، قال من؟ قال: علي وطلحة والزبير، قال عثمان: سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه)^(٢)!

معاوية يريد تخليص عثمان من ورطته فيقترح أن يقتل علياً عليه السلام مع أنه لا يد له في الحال الذي وصل إليه عثمان بشهادة عثمان نفسه، ولا منتفع من هذا الاقتراح غير معاوية الذي يريد إزاحة علي عليه السلام (وكل من يراه منافساً) من المشهد مبكراً ليستقيم له أمر المملكة التي يتربقب توسعتها والإعلان عنها.

ثم بعد أن رفض عثمان هذا الاقتراح، اقترح معاوية عليه ثلاثة أمور تبعاً:

- ١- أن يأتيه بأربعة آلاف من خيل الشام يحرسونه. رفض عثمان ذلك لعدم وجود مال يغطي نفقتهم.
- ٢- إبعاد علي عليه السلام وكبار الصحابة عن المدينة ونفهم في مدن شتى والتفريق بينهم وبين أهاليهم. رفض عثمان هذا الاقتراح أيضاً.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٣/ ٤٤٥.

٢- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/ ٣٤.

٣- قال له معاوية: (اجعل لي الطلب بدمك إن قتلت)! فقال عثمان: (نعم هذه لك، إن قتلت فلا يطل دمي) ^(١)، أي: لا يذهب هدرًا.

واضح أنّ جميع الاقتراحات تصبّ في صالح معاوية ولا يظهر منها أنّ مسألة سلامة عثمان تعنيه إطلاقاً؛ فالأول منها يمتدّ لسيطرته على الحجاز والتحكم بها وعثمان لا زال حيّاً، ولو كان تهمّه سلامة عثمان حقّاً لعجّل بانتداب مجموعة من جيشه تحميه وتنجده من الحال الذي هو فيه، وأكد أنّ نفقة مثل هؤلاء ليس كنفقة جيش بقوام أربعة آلاف يقيمون بشكل دائم في المدينة، لكن معاوية لم يفعل ذلك مع أنه الوحيد الذي تعتبر ولايته مستقرة وأتباعه أكثر قياساً بسائر الولايات التابعة لخلافة عثمان. وحتى لما طلب عثمان النجدة من عمّاله بتباطأ معاوية في ذلك، ثم بعث يزيد بن أسيد ومعه أربعة آلاف فبلغهم نبأ مقتل عثمان أثناء مسيرهم، أنبأهم به النعمان بن بشير الذي أرسلته زوجة عثمان بقميص عثمان الذي قتل فيه إلى معاوية فسلمهم إياه ورجعوا إلى معاوية به ^(٢).

الحقيقة، إنّ معاوية لا يهمه سوى المطلب الأخير: أن تكون له ولاية الدم بعد مقتل عثمان؛ لأنه أمر يسمح له بالمناجزة بدمه والاستفادة من قميصه المملّخ بالدم لكسب جولة صراعه المحتدم على توسعة ملكه خارج الشام والقضاء على كل المنافسين له، وفي مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٣).

سأل أبو الطفيل معاوية بعد مقتل عثمان: (ما منعك يا أمير المؤمنين من نصره - أي عثمان - ومعك أهل الشام؟ فقال معاوية: أما طلبي بدمه نصره له؟ فضحك أبو الطفيل ثم

١- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٣٤. وهناك اقتراح رابع ذكره بعض المؤرخين: إنّ معاوية عرض على عثمان الخروج معه إلى الشام فلم يقبل، وهو اقتراح يعني - بطبيعة الحال - نقل العاصمة من المدينة إلى دمشق، ويجعل معاوية الأمر النهائي في حياة عثمان وبعد موته.

٢- انظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٤٥.

٣- ممّن استعمل هذه الحجة عمرو بن العاص في كلامه مع أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم التي حصلت بعد معركة صفين: (قال عمرو، ألسنت تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟ قال: بلى. قال اشهدوا، فما يمنحك يا أبا موسى من معاوية ولي عثمان، وبيته في قريش ما قد علمت؟ فإن خشيت أن يقول الناس وليّ معاوية وليست له سابقة، فإن لك بذلك حجة، تقول: إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم، والطالب بدمه) وقعة صفين، ابن مزاحم: ٥٤١.

قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر: لا ألفينك بعد الموت تندي ... وفي حياتي ما زودتني زادي^(١).

علماً، إنّ أهم أسباب نقمة المسلمين على عثمان هو سيرة ولاته الأمويين الذين تسلّطوا على الناس؛ وفي مقدمتهم معاوية ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وأمثالهم، وما كان يغدقه عثمان عليهم وعلى أهله وخاصّته دون سائر المسلمين، وبالتالي لا شك في أنّ معاوية ومروان بن الحكم والأمويين عموماً كانوا سبباً في نقمة الناس على عثمان وبلوغه المآل الذي انتهى إليه^(٢) ويتحمّلون جزءاً من المسؤولية كحد أدنى.

مع هذا كله، فإنّ معاوية ما فتى يصوّر للناس أنّ علياً عليه السلام هو السبب في مقتل عثمان، وأنه الوريث الشرعي لدم عثمان، ولذا فمن حقه أن يعلن الحرب على علي عليه السلام، ومن حقه أن يززع أمن واستقرار كل ولايات المسلمين التي بايع أهلها علياً بعد موت عثمان ويفعل بها ما يشاء، وانضم الأمويون ومن على شاكلتهم لمشروع معاوية المعادي لأمر المؤمنين (خليفة رسول الله الشرعي)، واتفقت كلمتهم على عدم مبايعته، ولا حجة لمعاوية في ذلك غير شعار: "الطلب بدم عثمان!"

ومن العجب حقاً، إنّ طلحة والزبير كانا من ضمن الناقمين على عثمان وصرّحا بعد مقتله ودفنه أنّهما كانا كارهين لولايته لتغييره وتبديله السنن وأنّ أمره إلى الله، وطلباً من علي عليه السلام أن يمد يده للبيعة فأبى، لكن لما بايعه المهاجرون والأنصار - في شهر ذي الحجة سنة ٣٥ هـ - وهما معهم طلباً منه أن يشركهما في الأمر ويؤيّمهما العراق واليمن؛ ظناً منهما أنّ سيرته كسيرة من سبقه، فرفض عليه السلام حتى إنّ بعض المسلمين اقترح عليه

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٦ / ١١٦.

٢- كتب مجموعة من الصحابة كتاباً لعثمان ذكروا فيه ما خالف فيه سنّة الرسول وسنة أبي بكر وعمر؛ منها: هبته خمس أفريقيا لمروان بن الحكم وفيه حق الله ورسوله وقد بنى بها مروان القصور بالمدينة، بناء الأبنية المرتفعة لأهله وبناته، تعيينه الولاة من بني عموته الأمويين وفيهم غلمان وأحداث صغار ممن لا صحبة لهم ولا سابقة ولا دراية بالأمر، صلاة الوليد (واليه على الكوفة) بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران وقوله لهم: إن شئتم زدكم وتعطيل إقامة الحد عليه، اختصاص خاصته بالأقطاع والاعطيات دون سائر المسلمين، ... إلى غير ذلك. انظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٣٥.

أن يوليهما البصرة والكوفة لكسب ودهما فلم يقبل^(١). ولما آيس طلحة والزبير منه خرجا من المدينة بداعي العمرة ولحقا بعائشة التي كانت تؤدي العمرة في مكة وقد دعت إلى المطالبة بدم عثمان لما بلغها خبر مقتله وبيعة الناس لعلي عليه السلام، فاجتمع الثلاثة على المطالبة بدم عثمان وعصبوا الأمر برأس علي عليه السلام ظلماً، والتحق بهم سائر بني أمية كعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم الذي هرب من المدينة إلى مكة ولم يبايع علياً^(٢).

وكم حاول علي عليه السلام - كعادته في الحروب دائماً - أن يصرفهم عن قصدهم ويمنحهم الفرصة لتلو الأخرى عسى وأن يثوبوا إلى رشدهم ويكفوا عن خروجهم عليه قبل أن تسيل الدماء لكن دون فائدة، حتى إنه أرسل ابن عباس وطلب منه أن يأتي الزبير وينقل له قوله عليه السلام: "يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا"^(٣)؛ وكتب إلى طلحة أيضاً، كما كتب إلى عائشة قائلاً: "إن الله قد أمرك أن تقرّي في بيتك فاتقي الله وارجعي"^(٤)، ولكن دون جدوى أيضاً إلى أن بلغته كتبهم الأخيرة، فأما طلحة فختم كتابه بقوله: "فاعتزل هذا الأمر، ونجعله شورى بين المسلمين"^(٥)، وأما

١- كان ابن عباس اقترح على أمير المؤمنين عليه السلام توليتهما، فقال له: "ويحك، إن العراقيين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكنا رقاب الناس يستميلنا السفه بالطمع، ويضربنا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان، ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام، ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية، لكان لي فيهما رأي" الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٥١.

وأيضاً اقترح عليه المغيرة بن شعبة توليتهما وأضاف لهما معاوية، فقال: (يا أمير المؤمنين، إن أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة، والزبير بن العوام على البصرة، وابعث معاوية بعهدته على الشام حتى تلزمه طاعتك، فإذا استقرت لك الخلافة فأدرها كيف شئت برأيك. قال علي: "أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما، وأما معاوية فلا والله لا أراني الله مستعملاً له، ولا مستعيناً به، ما دام على حاله، ولكني أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فإن أبي حاكمته إلى الله"، وانصرف عنه المغيرة مغضباً لما لم يقبل عنه نصيحته، فلما كان الغد أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، نظرت فيما قلت بالأمس وما جاوبتني به، فرأيت أنك وفقت للخير، فاطلب الحق الاستيعاب، ابن عبد البر: ٤ / ١٤٤٧.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٤٦٩ - ٤٧٠: الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٤٦ - ٤٧، ٥١، ٥٣.

٣- عيون الأخبار، ابن قتيبة: ١ / ٢٩٢.

٤- أنساب الأشراف، البلاذري: ٢ / ٢٣٩.

٥- الامامة والسياسة: ١ / ٧٠.

عائشة فقالت: "جل الأمر عن العتاب، والسلام" ^(١). فلما يؤس منهم رفع يديه عليه السلام على طلحة والزبير قائلاً: "اللهم إنهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، وألبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا، ولا تحكم لهما ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أملا وعملا. ولقد استثنيتهما قبل القتال، واستأنيت بهما أمام الوقاع، فغمط النعمة، وردّا العافية" ^(٢).

وبقي الطرفان ثلاثة أيام مصطفين للقتال في البصرة وعلي عليه السلام لم يأذن لأصحابه أن يبدؤوهم بقتال، بالرغم من أنهم أثاروا فتنة في البصرة عند وصولهم لها وقاتلوا عامله فيها "عثمان بن حنيف" وطردوه منها بعد أن ضربوه ومنتفوا شعر رأسه ولحيته وكتبوا إلى القبائل فيها يألّبونها على علي عليه السلام ونكث بيعته ^(٣). ومع هذا كله لم يبدأهم أمير المؤمنين عليه السلام بقتال حتى رموا أحد أصحابه بسهم وهو واقف بين الصفيين يحمل مصحفاً فقتلوه، فعندها إذن لجيشه بالقتال، وحدثت معركة الجمل في جمادي الآخرة سنة ٣٦ هـ، وقد خلّفت آلاف القتلى من الطرفين، وكانا طلحة والزبير من بين المقتولين، فاستراح معاوية من نصف من كان وجودهم يؤرقه، وكان مروان بن الحكم هو من قتل طلحة؛ لأنه يراه من ضمن المحرّضين على قتل عثمان، ولما قتله قال مقولته الشهيرة لأبان بن عثمان وكان معه: "لقد كفيتك أحد قتلة أبيك" ^(٤).

وفي أثناء سيره عليه السلام من المدينة إلى البصرة كتب لأبي موسى ^(٥) أن يحث أهل الكوفة بالسير إليه فلم يفعل، وبلغه كتاب أخيه عقيل يخبره فيه بخروج الثلاثة لحربه، وأنه رأى ابن أبي سرح ومعه جماعة ينشرون الضلال لمعاوية، فأجابه: "دع ابن أبي سرح

١- الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٦٧.

٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ٣٨، استثنيتهما: أطلبت منهما التوبة، واستأنيت بهما: أي انتظرتهما.

٣- انظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣ / ٣٣٢ - ٣٣٧.

٤- ممن ذكر قتل مروان لطلحة: الحاكم في المستدرک: ٣ / ٣٧١، محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: ٣ / ١٦٧، ابن حجر العسقلاني في الإصابة: ٣ / ٤٣٢، بطرق وأسانيد متعددة، وغيرهم أيضاً.

٥- كان والي عثمان على الكوفة عند مقتله هو أبو موسى الأشعري، ولم يبايع علياً عليه السلام، ولم يعزله أمير المؤمنين بعد عن الكوفة، كتب إليه أن يحث الناس للجهاد والسير بهم للحقوق به في البصرة، لكنه منع أهل الكوفة من الذهاب إلى البصرة، فكتب له كتاباً بعزله وأرسله بيد ابن عباس ومحمد بن أبي بكر، ثم أمر عليه السلام مالك الأشتر بالذهاب إلى الكوفة لإقالة الأشعري، فوصل مالك ودخل عليه قصر الإمارة وطرده منه.

وقريشاً وتركاضهم في الضلال، فإنّ قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك، اجتماعها على رسول الله قبل اليوم" (١).

على أي حال، نجّى الله سبحانه علياً عليه السلام من حرب الجمل التي فرضت عليه فرضاً وخرج منها منتصراً (٢)، لكن معاوية الذي لم يتم له كل ما أراد وتمنّى في الجمل لم يقرّ له قرار فشرع بالإعداد لإيذاء علي عليه السلام مرة أخرى وزعزعة دولته الشرعية فكانت حرب صفين سنة ٣٦ - ٣٧ هـ، وأيضاً تحت شعار: "الطلب بدم عثمان!"

وملخص أحداثها (٣): إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعه من معركة الجمل بعث جرير البجلي إلى الشام لنصح معاوية وتذكيره بالدخول في بيعته كما فعل المهاجرون والأنصار ليلتئم وضع المسلمين، لكن معاوية ماطل واستشار ابن العاص فأشار عليه: "أن يجمع أهل الشام ويُلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ففعل معاوية ذلك"، فأخرج قميص عثمان ووضعه على المنبر وجمع جنده ينظرون إليه ويكونون فأقسموا أن لا يناموا على فرشهم إلا بعد قتال علي (٤)!

خرج أمير المؤمنين عليه السلام لملاقاتهم بجيشه، وأرسل مالك الأشتر قبله ونصحه أن لا يبدأ القوم بقتال حتى يبدأوا هم، وفعلاً بدأ أهل الشام بالقتال وحازوا الماء ومنعوا جيش علي عليه السلام منه، فاضطروا إلى اقتحام المشرعة وأبعدوهم عنها ولما أرادوا منع

١- انظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٥٤ - ٥٥.

٢- لم يتصرف أمير المؤمنين عليه السلام مع الذين خرجوا عليه وحاربوه كما يتصرف القادة المنتصرون عادة، فبعد أن كان يوصي أصحابه - قبل المعركة - بعدم البدء بقتال وعدم تتبّع الفارين أو الإجهاد على الجرحى ونحو ذلك، أرجع لهم أموالهم التي غنمها جيشه - بعد المعركة - ولم يقسمها على جنده، وهذه شهادة أحد أعدائه الأمويين: (عن مروان بن الحكم قال: لما هزمنا علي بالبصرة رد على الناس أموالهم، من أقام بيّنة أعطاه ومن لم يقم بيّنة أحلفه قال: فقال له قائل: يا أمير المؤمنين أقسم الفبيّنة بيننا والسبي قال: فلما أكثروا عليه قال: أيكم يأخذ أم المؤمنين في سهمه؟! فكفوا) تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ١٥٥.

٣- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٣ / ٥٦٠ فما بعد.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٥٦١.

الشاميين من الماء لم يقبل عليه السلام وقال لهم: "خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكريكم وحلوا عنهم فإن الله عزوجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيمهم" (١).

حرب صفين كان يتخللها فترات للسكون ثم الهدنة بعد دخول محرم سنة ٣٧ هـ، استغلها أمير المؤمنين لإرسال رسله إلى معاوية ودعوتهم إياه للطاعة ولزوم جماعة المسلمين، لكن بدون فائدة وهو لا زال يصبر بأنّ علياً عليه السلام مشترك بقتل عثمان ويأوي قتلته وأن ليس بينه وبينهم إلا السيف (٢)، وبالمقابل كان علي عليه السلام ينصح رسل معاوية ويذكرهم بحقه (٣).

ثم عادت الحرب بعد محرم ولا زال أمير المؤمنين يوصي جيشه بعدم البدء بقتال وعدم قتل المدبر أو الاجهاز على جريح ونهى عن المثلة وكشف العورة وعن دخول الدور وأخذ الأموال منها وعدم التعرض للنساء، واشتد القتال لأيام وقُتل عمار بن ياسر رضوان الله عليه فنزل علي عليه السلام ساحة الحرب بنفسه وحمل بجيشه حملة رجل واحد ونادى على معاوية يدعوه للبراز فأبى (٤)، وزحف الأشر من الميمنة وتقدم حتى بلغ معسكر

١- تاريخ الطبري: ٣ / ٥٦٩.

٢- كان بشير بن عمرو الانصاري وشبث بن ربعي ومعهم جماعة ممن أرسلهم علي عليه السلام إلى معاوية يدعونه إلى الله والطاعة ولزوم الجماعة، قال له شبث: "والله لا يخفي علينا ما تطلب إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهوائهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزل التي أصبحت تطلب... فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله"، فكان جواب معاوية: "انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف". وذكره شبث قائلاً: أيسرك يا معاوية أن تقتل عمار؟ فقال: "وما يمنعني من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان!" انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٨٦.

٣- قال عليه السلام مبيّناً حاله بعد مقتل عثمان: "... ثم أتاني الناس وأنا معتزل أموره فقالوا لي بايع فأبيت فقالوا بايع فإن الأمة لا ترضي إلا بك وأنا نخاف إن لم تفعل أن يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من الأحزاب، لم يزل حرباً لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين ولا عجب إلا من اختلافكم معه وانقيادكم له وتكون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإماتة الباطل وإحياء الحق ومعالم الدين" انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٩١ - ٢٩٢.

٤- قال لمعاوية: "علام يقتتل الناس بيننا هلم أحاكمك إلى الله فأبينا قتل صاحبه استقامت له الأمور فقال له عمرو: أنصفك فقال معاوية: ما أنصفت، إنك لتعلم أنه لم يبرز له أحد إلا قتله، فقال عمرو: ما يحسن بك ترك مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيما بعدي" انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٣١٢.

أهل الشام واخترق أربعة من الصفوف الخمس الأخيرة المحيطة بخيمة معاوية وكان الظفر أقرب من "عدو الفرس" كما قال، لكن عمرو بن العاص لما أيقن الهلاك والهزيمة اقترح على معاوية حيلة رفع المصاحف على رؤوس الرماح فاستحسن الرأي، وبمجرد رفعها دبّ الخلاف في جيش علي عليه السلام وقال كثير منهم أجيبوهم، فحذّرهم أمير المؤمنين من أنها مكيدة^(١) فهدّوه إما القبول أو القتل وأصروا عليه أن يبعث على الاشترا بالرجوع فبعث يزيد بن هانئ والأشتر يقول ببني وبين النصر ساعة، فقال له ابن هانئ: "أنتحب أن تظفروأمير المؤمنين يُسلّم إلى عدوه أويقتل، قال لا والله"، فرجع.

ولما توقّف القتال وانتهى الأمر إلى التحكيم اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً يمثلهم، واختار علي عليه السلام حكماً من طرفه لكن الأحنف بن قيس ومن معه (الخوارج لاحقاً) أصروا على أن يكون الحكم أبا موسى الأشعري، فرفضه علي عليه السلام؛ لأنه ليس ثقة عنده وكان يخذل الناس عنه ولم يكن قد خرج معه إلى صفين، ونصحهم بأن لا يعصوه ثانياً بعد أن عصوه بخدعة رفع المصاحف أولاً، فلم ينفعهم نصحه ولما رأى إصرارهم عليه قال لهم: "افعلوا ما أردتم"^(٢).

وفعلاً، حضر أبو موسى واتفق الطرفان - في صفر سنة ٣٧ هـ - على أن يكون الأمر إلى الحكيمين اللذين أقرّا مؤقتاً بقاء علي عليه السلام في العراق ومعاوية في الشام ريثما ينظرا لاحقاً في الكتاب والسنة - حسب زعمهما والاتفاق الذي جرى بينهما - ويقررا القرار الأخير في شهر رمضان وانتهت القصة في دومة الجندل بمكيدة ابن العاص المعروفة للأشعري الذي تكلم أولاً وأقر بخلع الطرفين وتكلم ابن العاص بعده فوافق في خلع علي عليه السلام وأثبت خلافة صاحبه، وكانا قد اتفقا في السر على خلع الطرفين وجعل الأمور شوري، فانصرف أهل الشام وهم يسلمون على معاوية بالخلافة^(٣).

١- قال لهم: "عباد الله أمضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فإنّ معاوية وعمرا و ابن أبي معيط وحبيبا و ابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالا ثم رجلا فكانوا شر أطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهناً ومكيدة" انظر: الكامل في التاريخ: ٣ / ٣١٦.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٧٦ - ٣٢١.

٣- انظر: وقعة صفين، ابن مزاحم: ٥٤٤ - ٥٤٦.

والمؤلم أنّ من حالوا بين علي عليه السلام والظفر بمعاوية وأصروا على قبول التحكيم وعلى أبي موسى الأشعري، كانوا أول من اعترض على بنود وثيقة الأشعري وابن العاص، واتهموا علياً بتحكيم الرجال في دين الله ورفعوا شعار "لا حكم إلا لله" بوجهه ثم خرجوا عليه في النهروان سنة ٣٨ هـ! لله صبرك يا علي.

ثم إنّ معاوية استغل أيام صفين - التي استمرت من ذي الحجة سنة ٣٦ هـ حتى صفر سنة ٣٧ هـ - وأرسل رسائل إلى شخصيات لم تكن قد بايعت علياً عليه السلام يحرضهم فيها عليه؛ منهم: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص^(١).

وما إن وضعت حرب صفين أوزارها، وعلي عليه السلام (المظلوم؛ المعتدى على حقه) بعد لم ينفذ غبار ترابها عن وجهه، إلا وبلغه استفحال العثمانية في مصر سنة ٣٨ هـ بتوجيه من معاوية وتحريضه رؤوس الفتنة فيها^(٢) على رفض والي علي عليه السلام على مصر (محمد بن أبي بكر)؛ خصوصاً بعد أن دبّ الخلاف في معسكر علي عليه السلام وظهرت بوادر الخذلان في صفوفهم، فعزم على إبدال محمد بن أبي بكر بمالك الأشتر للسيطرة على الأوضاع هناك، ولما بلغ معاوية الخبر خاف على ذهاب مصر من يده بوصول الأشتر إليها فنسق مع الجايستار (رجل من أهل الخراج) لاغتيال مالك وهو في طريقه إلى مصر ووعده بإسقاط الخراج عنه إن فعل ذلك، وفعلاً دسّ له سمّاً فقتله. ولما بلغ معاوية خبر موته فرح وقام خطيباً فقال: (أما بعد، فإنه كانت لعلي ابن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الأخرى اليوم يعني الأشتر)^(٣).

١- كتب إلى عبد الله بن عمر: "أما بعد فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجتمع عليه الأمة بعد قتل عثمان منك. ثم ذكرت خذلانك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك، وقد هون ذلك عليّ خلافاً لك علي، ومحا عنك بعض ما كان منك فأعنا - رحمك الله - على حق هذا الخليفة المظلوم، فإني لست أريد الإمارة عليك، ولكني أريدها لك. فإن أبيت كانت شوري بين المسلمين".

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: "أما بعد فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشوري من قريش، الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكانك في الأمر، ونظيرك في الإسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين. فلا تكرهن ما رضوا، ولا تردن ما قبلوا، فإننا نردها شوري بين المسلمين" انظر: وقعة صفين، ابن مزاحم: ٧١، ٧٤.

٢- مثل: مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج، وهما من رؤوس العثمانية في مصر.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٧١ - ٧٢.

فهذه مقتله أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنه كان من أطوع الناس له وأشجعهم في الدفاع عن حقه (١).

في هذه الأثناء، اجتمع معاوية - على وجه السرعة - بأمرائه يستشيرهم في غزو مصر وانتزاعها من يد علي عليه السلام فوافقوا وجهز جيشاً بقيادة عمرو بن العاص، وما إن دخلوا مصر التحق بهم عثمانية مصر فبلغوا الوفاء. فعمد محمد بن أبي بكر إلى إخبار علي عليه السلام بالحال وطلب المدد منه، فقام عليه السلام يبحث الناس على الصبر والمسير لدفع العدو ودعاهم إلى موافاته بالجرعة (٢) فلم يستجب له أحد، فبعث إلى أشرفهم فدخلوا عليه وهو حزين فخطب فيهم وعاتبهم (٣)، ثم انتدب له مالك بن كعب ألفي مقاتل فأمره عليهم وسيّره إلى مصر، وبعد أيام بعث إليه بالرجوع عندما بلغه مقتل محمد بن أبي بكر وتنصيب معاوية لعمر بن العاص والياً له على مصر (٤).

في نفس السنة - أي ٣٨ هـ - أيضاً: بدأ معاوية بالتحرك على البصرة لزعة الأمن فيها كما فعل في مصر، فأرسل عبد الله الحضرمي يدعو الناس إلى معاوية، وفعلاً أحدث فتنة بمجرد وصوله لها واصطف معه جماعة لكن تمت معالجة الموقف بعد أن قتلوا أمر السرية التي بعثها أمير المؤمنين، ولم يكن والي البصرة (عبد الله بن عباس) حينها موجوداً بالبصرة إذ كان قد ذهب للكوفة لتسليّة أمير المؤمنين بمقتل محمد بن أبي بكر (٥).

١- عن صعصعة بن صوحان قال: "فلما بلغ علياً عليه السلام موت الأشتر قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا فقد وفي بعهد، قضى نحبه، ولقى ربه، مع أنا قد وطننا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنها أعظم المصائب الغارات، الثقفي: ١ / ٢٦٤.

٢- موضع بين الكوفة والحيرة.

٣- جاء في كلامه لهم: "الحمد لله على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل، وابتلاني بكم، وبمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، وأليس عجبا أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ويجيبونه في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء، وأنا أدعوكم - وأنتم أولو النهى وبقية الناس - على المعونة والعطاء فتتفرقون وتنفرون عني وتعصوني وتختلفون عليّ" انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٦٦٤.

٤- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٦٦٤: تاريخ الطبري: ٤ / ٧١ فما بعد.

٥- نفس المصدر: ١ / ٦٦٥: تاريخ الطبري: ٤ / ٨٤.

ثم إن معاوية - بعد أحداث صفين ومصر - أكثر من شنّ غاراته على المدن الخاضعة لدولة علي عليه السلام في العراق والحجاز واليمن في عامي (٣٨ - ٤٠ هـ)، فكان يرسل جيوشاً تزيد على الألف مقاتل لقتل كل من صادفوه من أتباع علي عليه السلام ونهب أموالهم، وواضح أنّ الهدف منها زعزعة الأوضاع وإرهاب الناس لإبعادهم عن علي عليه السلام. وهذه بعض غاراته:

١- غارة الضحّاك بن قيس على أطراف الكوفة (السمّاءة والثعلبية) (١).

٢- غارة النعمان بن بشير على عين التمر (٢).

١- قال إبراهيم الثقفي: (دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري وقال له: سرّ حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغره عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغره عليها ... فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل (أي: ليس فهم راجل) فأقبل الضحّاك يأخذ الأموال ويقتل من لقي من الأعراب حتى مبالثلية فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله فقتله في طريق الحاج وقتل معه ناساً من أصحابه. قال أبو روق: فحدثني أبي أنه سمع علياً عليه السلام وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر: "يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين". قال: فردوا عليه رداً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال: "والله لوددت أن لي بكل مائة منكم رجلاً منهم، ويحكم اخرجوا معي ثم فزّوا عني إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة والثياب المتهترئة كلما خيطت من جانب تهتك على صاحبها من جانب آخر" ثم نزل. فخرج يمشي حتى بلغ الغريين ثم دعا حجر بن عدي الكندي من خيله فعمد له راية على أربعة آلاف ثم سرحه) الغارات: ٢ / ٤٢١ - ٤٢٥: تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٣.

٢- أقبل النعمان بن بشير من الشام بالفي رجل وأغار على عين التمر، وكان بها مالك بن كعب ومعه جماعة كثيرين لكن متفرقين، فاستعان بهم ولم يأتهم منهم غير خمسين واقتتلوا معهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه الخبر: "يا أهل الكوفة المنسرح من مناسر أهل الشام إذا أظّل عليكم أغلقتكم أبو ابيكم وانجرحتم في بيوتكم انجرحوا الضربة في جرحها والضعب في وجارها، الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناضل، أف لكم لقد لقيت منكم ترحاً، ويحكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم، فلا أجاوب عند النداء، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله منيت بكم، صم لا تسمعون، بكم لا تنطقون، عني لا تبصرون، فالحمد لله رب العالمين، ويحكم اخرجوا إلى أخيك مالك بن كعب فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً"، ثم نزل. فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن يهضوا ويحثوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً ... ولما دخل علي عليه السلام منزله قام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان القبيح، هذا والله الخذلان غير الجميل، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين ثم دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن معي ألف رجل من طي لا يعصونني فإن شئت أن أسير بهم سرت؟ قال: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة

٣- غارة عبد الله بن مسعدة على أطراف مكة والمدينة (١).

٤- غارة سفيان بن عوف على الأنبار (٢).

٥- غارة بسر بن أرطاة على المدينة ومكة واليمن (٣).

من قبائل العرب للناس ولكن اخرج إلى النخيلة فعسكرهم. فخرج فعسكرهم سارهم في أثرهم " انظر: الغارات، الثقفى: ٢ / ٤٥٠ - ٤٥٥: تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٢.

١- روى الطبري: (بعث معاوية عبد الله بن مسعدة بن حذيفة بن بدر الفزاري في جريدة خيل وأمره أن يقصد المدينة ومكة، فسار في ألف وسبعمائة فلما أتى عليا الخبر وجهه المسيب بن نجبة الفزاري، فقال له: يا مسيب إنك ممن أثق بصلاحه وبأسه ونصيحته، فتوجه إلى هؤلاء القوم وأترفيهم وإن كانوا قومك. فقال له المسيب: يا أمير المؤمنين إن من سعادتني أن كنت من ثقاتك، فخرج في ألفي رجل من همدان وطى وغيرهم وأغد السير، وقدم مقدمته فلقوا عبد الله بن مسعدة فقاتلوه، فلحقهم المسيب فقاتلهم حتى أمكنه أخذ ابن مسعدة فجعل يتحاماه، وانهزم ابن مسعدة فتحصن بتيماء وأحاط المسيب بالحصن، فحصر ابن مسعدة وأصحابه ثلاثاً فناداه: يا مسيب! إنما نحن قومك فليمسك الرحم، فخلى لابن مسعدة وأصحابه الطريق ونجا من الحصن! فلما جهم الليل خرجوا من تحت ليلتهم حتى لحقوا بالشام، وصبح المسيب الحصن فلم يجد أحداً. فقال عبد الرحمن بن شبيب: داهنت والله يا مسيب في أمرهم، وغششت أمير المؤمنين، وقدم على علي فقال له علي: يا مسيب كنت من نصاحي ثم فعلت ما فعلت! فحبسه أياماً ثم أطلقه وولاه قبض الصدقة بالكوفة) انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٣.

٢- روى الطبري: (وجه معاوية في هذه السنة (٣٩هـ) سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره أن يأتي هيت فيقطعها وأن يغير عليها ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعل تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائة رجل فقاتلهم فصرلهم أصحاب علي مع قتلهم ثم حملت عليهم الخيل والرجالة فقتلوا صاحب المسلحة وهو أشرس ابن حسان البكري في ثلاثين رجلاً واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ورجعوا إلى معاوية وبلغ الخبر علياً فخرج حتى أتى النخيلة فقال له الناس نحن نكفونك قال ما تكفونني ولا أنفسكم وسرح سعيد بن قيس في أثر القوم فخرج في طلبهم حتى جاز هيت فلم يلحقهم فرجع) تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٣.

٣- هي من أكثر اعتداءات معاوية قتلاً وفتكاً وتخريباً فقد بلغ عدد قتلاها آلاف من البشر.

جاء في كلام معاوية لبسر بن أرطاة: "سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها، وأخف من مررت به، وأذهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، وأوهم أهل المدينة أنك تريد أنفسهم، وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة، واجعلهم شرادات، ثم امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة، وقد جاءني كتابه". وفعلاً فعل بسر ما أوصاه به معاوية، فدخل المدينة وهدم دوراً بها وأهان أهلها وهدمهم، وكان عامل علي عليه السلام أبو أيوب الأنصاري تنحى عنها ولم يتمكن من فعل شيء، ثم أتى بسر مكة ثم ذهب إلى اليمن التي كان عليها عبيد الله بن العباس من طرف علي عليه السلام، ولما بلغ علياً عليه السلام خبره قام خطيباً: "أيها الناس إن أول نقصكم ذهاب أولي النهي والرأي منكم الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون، وإني قد دعوتكم عوداً وبدأً، وسراً وجهراً، وليلاً ونهاراً، فما يزيدكم دعائي إلا فراراً، ما ينفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة، أما والله إني لعالم بما يصلحكم، ولكن في ذلك فسادي، أمهلوني قليلاً، فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم، إن من ذل الإسلام وهلاك الدين أن ابن

الملفت في هذه الأحداث والاعتداءات الأموية الظالمة هو كيفية تعاطي أتباع علي عليه السلام معها ومدى الخذلان والفشل والتلكؤ الذي كانوا عليه في الاستجابة السريعة لأوامر أمير المؤمنين عليه السلام في رد المعتدي ودفع الظلم والدفاع عن الحق، والمطلع على خطبه عليه السلام يجد بوضوح تام مدى الألم الذي كان يعانيه منهم^(١)، حتى بلغ به الحال أنه كان يتمنى إبدال المائة منهم بواحد من أولئك، وأنّ حالهم كالثوب المتهرئ كلما عالج منه جانب انفتق من جانب آخر، وكان يتمنى الموت للخلاص منهم؛ خصوصاً بعد ذهاب خيرة صحبه كعمار بن ياسر ومالك الأشتر رضوان الله عليهم.

وفعلًا، كان له ما تمنى صلوات الله عليه ورحل علي عن الدنيا شهيداً مخضّباً بدمه في مسجد الكوفة عام ٤٠ هـ، وأسدل الستار على أعظم شخصية عرفها التاريخ الإنساني بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله مخلفاً ولديه الحسنين بين ظهري أمة لا يعدو حال أغلب أفرادها التآرجح بين ثلاث: (محب مقصّر، عدو مبغض، وصنف لا يعنيه ولا يهيمه شيء غير العيش في الدنيا كيفما حصل، وهم الأكثر عدداً بطبيعة الحال)، أما المحب الملازم للحق وصاحبه على الوجه التام - أو المقبول لا أقل - فهو أندرو من الكبريت الأحمر.

أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون، وأدعوكم وأنتم لا تصلحون فتراعون! هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكة والمدينة...". ثم سَيرَ له جارية بن قدامة السعدي من البصرة بألفين ووهب الخثعمي من الكوفة بألفين وجعل جارية على الجميع وأوصاه بوصايا: "أوصيك يا جارية بتقوى الله، فإنها جموع الخير، وسرعى عون الله، فألقِ عدوك الذي وجهتك له، ولا تقا تل إلا من قاتلك، ولا تجهز على جريح، ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشي أصحابك! ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم، ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم، ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤذ بغيرك عليه، ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة، واذكر الله ولا تفتر ليلاً ولا نهراً، واحملوا رجالكم، وتواسوا في ذات أيديكم، وأجدد السير، وأجل العدو من حيث كان، واقتله مقبلاً وارده بغيبه صاغراً، واسفك الدم في الحق واحقنه في الحق، ومن تاب فاقبل توبته. وأخبارك في كل حين بكل حال، والصدق الصدق، فلا رأي لكذب". وكان بسر قد وصل اليمن وفرمها عبيد الله بن العباس واستخلف مكانه عبد الله الحارثي فقتله بسر، وكان عبيد الله ترك ولديه عبد الرحمن وقثم عند زوجته الكنانية فدعا بسر بهما ليقتلا فخرجن نسوة من كنانة وقلن: "الرجال يقتلون فما ذنب الولدان، والله ما كانت الجاهلية تقتلهم، إنّ سلطاناً لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء!" وأراد بسر قتلهم ثم قدّم الطفلين فذبحهما أمام عيني أمهما. ثم سار إلى منطقة جیشان وهم شيعة لعلي فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، ثم رجع إلى صنعاء ومنها إلى الحجاز، ولما سمع بقدوم جارية بن قدامة هرب منه وأخذ جارية يطارده من مكان لآخر، إلى أن بلغ جارية نبأ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام. انظر: تاريخ اليعقوبي: ١٩٧/٢.

١- نقلت بعضاً منها في الهوامش السابقة، فراجع.

سياسة معاوية بعد شهادة علي^(ع):

الزمان: (٤١ - ٦٠ هـ)

بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام اقترب معاوية بن أبي سفيان - أكثر من أي وقت مضى - من تحقيق حلمه، فلم يتبق له شيء يحول بينه وبين الإعلان عن مملكته على عموم المسلمين سوى إزاحة الإمام الحسن بن علي عليه السلام (المبايع له بعد أبيه) عن طريقه، وهو أمر ممكن بعد معرفة الحال الذي وصل إليه أهل الكوفة في أواخر حياة أمير المؤمنين من الخذلان والتكاسل عن نصرة الحق ودفع الباطل. وهذا ما حدث فعلاً، فبمجرد أن علم معاوية بخبربيعة أهل الكوفة للحسن عليه السلام أرسل جواسيسه إلى الكوفة والبصرة ليحرّضوا الناس عليه ويفسدوا الأمور، فكُشف أمرهما وتم القبض عليهما، ثم سار معاوية بنفسه إلى العراق، فاستنفر الحسن عليه السلام الناس لجهاد العدو القادم من الشام فتناقلوا أول الأمر كما هو المتوقع منهم، ثم - بعد اللتيا والتي - خرجوا وكان فيهم أخلاط (أي لم يكونوا كلهم محبّين للحسن، وإنما كان بعضهم شاكّين أو طلاب دنيا، وبعضهم تجمعهم به حالة العداء لمعاوية لا أكثر كبعض الخوارج)، فسار بهم حتى بلغ سابط.

إثناء سيرهم معه أراد الإمام الحسن اختبار طاعتهم له، فخطب فيهم قائلاً: "أما بعد فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على امرئ مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليّ رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا".

وما إن أتم كلامه حتى نظر القوم بعضهم في وجوه بعض وقالوا: ما ترونه يريد، قال بعضهم: نظن أنه يريد أن ي صالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل فهجموا على فسطاطه وانهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته وهو جالس متقلّد سيفه، ثم هجم عليه رجل فنزع مطرفه عن عاتقه، فتدخل أهل بيته وحالوا بينه وبين هؤلاء، وفي الطريق هجم عليه رجل من جيشه وأخذ بلجام فرسه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل وطعنه في فخذه فبلغت العظم، فحملوه عليه السلام إلى المدائن للعلاج.

في هذه الأثناء كانت مجموعة من زعماء القبائل الكوفية كتبت لمعاوية بالطاعة له في السروطلبوا منه المسير نحوهم وضمنوا له قتل الحسن أو تسليمه له عند اقترابه من معسكره، وانكشف أمرهم للحسن عليه السلام. وأيضاً: كان الحسن أرسل عبيد الله بن العباس من الكوفة ومعه قيس بن سعد في جيش لملاقاة معاوية وجعل الإمرة لعبيد الله وإذا أصيب فقيس بن سعد، فبلغه كتاب قيس يخبره فيه أنّ معاوية أرسل إلى عبيد الله ورغبه بالمسير إليه ووعدته بمنحة مالية قدرها مليون درهم نصفها معجل والنصف الآخر عند دخول معاوية الكوفة، فانسل عبيد الله وخاصة ليلاً من المعسكر نحو معاوية تاركاً الجيش بلا أمير^(١)؛ وهي خيانة كبرى بلا شك.

هذه الأمور وغيرها كشفت عن أنّ جهة الحسن بلغت به عليه السلام حدّ اليأس من إقامة الحق وإماتة الباطل^(٢) بافتقادها القدر الكافي من الأنصار الحقيقيين الذين يتمكن بواسطتهم من مناجزة الألوف الكثيرة التي قدم بها معاوية من الشام، فكان عليه السلام يعلم يقيناً بأنّ الأمر - عسكرياً - محسوم لمعاوية الذي لا يتورع عن إبادة آل محمد عليهم السلام وذرائعهم وشيعتهم عن آخرهم في حال أصرّ الحسن على الحرب، وبالتالي ذهاب دين محمد صلى الله عليه وآله بذهاب أتباعه الحقيقيين، فكان مضطراً للإقدام على توقيع الصلح مع معاوية^(٣)، ووضع شروطاً للصلح^(٤)؛ إقامة للحجة على معاوية وعلى الناس لا

١- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩ - ١٣.

٢- أوضح الإمام الحسن عليه السلام هذا الأمر لمعاوية في أحد كتبه له، فقال: "أما بعد: فإنّ خطبي انتهى إلى اليأس من حق أحبيه وباطل أميته وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، وإنّي اعتزل هذا الأمر وأخليه لك وإن كان تخليقي إياه شراً لك في معادك ولي شروط أشرطها لا تهظنك إن وفيت لي بها بعهد ولا تخف أن غدرت، وكتب الشرط في كتاب آخر فيه يمينه بالوفاء وترك الغدر، وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أوقعه عن الحق حين لم ينفع الندم والسلام" علل الشرائع، الصدوق: ٢٢١ / ١.

٣- لا شك أنّ الإمام الحسن عليه السلام معصوم واجب الطاعة بنص الرسول صلى الله عليه وآله وما يفعله هو الحق والصواب، هذا ما نعتقده فيه. أما من يشكل على عصمته بمسألة الصلح مع معاوية فهي بالتأكيد لا تضر بعصمته، وإلا لضرّت بعصمة الرسول صلى الله عليه وآله وحاشاه - في صلحه مع مشركي قريش في الحديبية سنة ٦ هـ، علماً أنّ الظروف التي اضطرت الإمام الحسن للصلح قد تبدوا أقسى بعد الخذلان وفقدان الناصر.

٤- وثيقة الصلح تضمنت شروطاً، أهمها: ١- أن يسلم الأمر لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين. ٢- أن يكون الأمر للحسن من بعده فإن حدث به حدث فللحسين وليس لمعاوية أن يعهد به لأحد. ٣- أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة ولا يذكره إلا بخير. ٤- الناس جميعاً آمنون في أرض الله، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض

أكثر، وإلا فهو يعلم سلفاً أنّ معاوية الغادر سوف لا يلتزم بأيّ شرط منها^(١)، وأنّ الأمور تؤوّل بالنتيجة إلى ما أخبره جده الرسول صلى الله عليه وآله بخصوص ما يجري عليه وعلى أخيه الحسين عليه السلام اللذين سعى كلّ منهما أن يعمل بتكليفه المطلوب منه إلهياً بعهد من الرسول صلى الله عليه وآله.

سبّ علي(ع) سنة أموية:

قبل الشروع في بيان باقي الإجراءات التي اتخذها معاوية بين عامي (٤١ - ٦٠ هـ) الممهدة لتوريث ولده يزيد الحكم من بعده، أبدأ بأحد بنود الصلح الذي كان بين الحسن عليه السلام ومعاوية وهو: "الكف عن سبّ علي عليه السلام وذكره بخير"، فما الذي كان يفعله معاوية وأتباعه بهذا الخصوص بحيث دعا الحسن عليه السلام إلى أن يضمّن ترك سبّ أبيه شرطاً! الحقيقة، إنّ معاوية كان يفرض سبّ علي عليه السلام والنيل منه على

لأحد منهم بسوء ويوصل إلى كل ذي حق حقه حيث كانوا، وأن لا يبغى للحسن والحسين ولأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سرّاً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق. انظر: صلح الحسن، راضي آل ياسين.

١- ذكر الشيخ المفيد: (فلما استتمت الهدنة على ذلك، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان ذلك يوم جمعة فصلى الناس ضحى النهار، فخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكي قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون. ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له. ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياماً، فلما استتمت البيعة له من أهلها، صعد المنبر فخطب الناس، وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فقال منه ونال من الحسن، وكان الحسن والحسين صلوات الله عليهما حاضرين، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ بيده الحسن فأجلسه ثم قام فقال: "أيها الذاكر عليا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأملك هند، وجدي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أئمتنا ذكراً، وألأمتنا حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً" فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين.

ولما استقر الصلح بين الحسن صلوات الله عليه وبين معاوية على ما ذكرناه، خرج الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها كاملاً غيظه، لازماً منزله، منتظراً لأمر به جل اسمه، إلى أن تم لمعاوية عشرين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد، فدرس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس - وكانت زوجة الحسن عليه السلام - من حملها على سمه، وضمن لها أن يزوجه بابنه يزيد، وأرسل إليها مائة ألف درهم، فسقته جعدة السم، فبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً، ومضى عليه السلام لسبيله في صفر سنة خمس من الهجرة وله يومئذ ثمان وأربعون سنة) الإرشاد: ١٤ / ٢. ولما انتهى خبر وفاة الحسن إلى معاوية - كتب به إليه عامله على المدينة مروان - فأرسل إلى ابن عباس، وكان عنده بالشام - قدم عليه و افدا - فدخل عليه، فعزاه، وأظهر الشماتة بموته، فقال له ابن عباس: لا تشمتن بموته، فوالله لا تلبث بعده إلا قليلاً) الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٢.

أتباعه كنهج أساسي وملزم لا يجوز التخلف عنه، حتى إنه عرض نهجه الخبيث هذا على سعد بن أبي وقاص فرفض أو غضب^(١).

معاوية يعرف جيداً أنّ شيوع صفحة علي عليه السلام بالصورة التي أرادها الله ورسوله بين المسلمين يسلب منه أي حق في تسلّطه وتأمّره على الشام فضلاً عن طموحه بتوسيع ملكه على عموم بلاد المسلمين، ولما كان وجود علي عليه السلام هو الحائل الأكبر بينه وبين مراده سعى بكل وسيلة قذرة لقتل شخصيته من خلال التوهين والنيل والانتقاص والسب وتوظيف الأمراء ووعاظ السوء للإساءة له من على المنابر^(٢)، واختلاق

١- روى مسلم بسنده: "عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال امر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك ان تسب أبا التراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه لان تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له على يا رسول الله خلقتي مع النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي وسمعت يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فاتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي" صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠ - ١٢١.

وروى ابن ماجة بسنده: "عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليا. فنال منه. فغضب سعد، وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من كنت مولاه فعلى مولاه". وسمعت يقول أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي". وسمعت يقول "لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله" سنن ابن ماجة: ١ / ٤٥. قال الألباني في (صحيح وضعيف سنن ابن ماجة: ١ / ١٩٣): "صحيح".

٢- الروايات ونقول المؤرخين في نيل الأمويين من علي عليه السلام ولعنهم إياه (والعياذ بالله) من قبل معاوية وعماله كزياد والمغيرة ومروان وبسرين أرطاة وغيرهم كثيرة جداً، وهذه جملة ممن ذكر ذلك:

- ابن حجر، قال: (ثم كان من أمر علي ما كان فنجمت طائفة أخرى حاربوه ثم اشتد الخطب فتتقصوه واتخذوا لعنه على المنابر سنة ووافقهم الخوارج على بغضه) فتح الباري: ٧ / ٥٧.

- اليعقوبي، ضمن أحداث سنة ٤٤ هـ، قال: (وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس، إذا صلوا، انصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي، فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٣.

- المسعودي: (وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي، فمن أبى ذلك عرضه على السيف) مروج الذهب: ٣ / ٢٦.

الأحاديث التي تسيء له مرة أو التي ترفع من الأمويين أخرى^(١)، بل بلغ الحال إلى تأسيس العقائد المزيفة التي تطوّر قلوب المسلمين شيئاً فشيئاً على تقبّل فكرة ملك الأمويين كأمر واقع ومقبول شرعاً طالما أنه حصل بقضاء الله وقدره^(٢).

قال الثقفى: (وقد كان معاوية لعنه الله يسب علياً ويتبع أصحابه مثل ميثم التمار وعمرو ابن الحمق وجويرية بن مسهر وقيس بن سعد ورشيد الهجري ويقنت بسبّه في الصلاة ويسب ابن عباس وقيس بن سعد والحسن والحسين عليهما السلام ولم ينكر ذلك عليه أحد)^(٣).

- الشيخ محمود أبورية: (وقد كان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله في جميع الأفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابرهم ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختتم بشتيم علي) شيخ المضيرة أبوهريّة: ١٨٠.

١- ذكر ابن أبي الحديد - نقلاً عن المدائني - بعضاً من أفعال معاوية، فقال: (ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثّر وفشا في كل مصروف في كل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا أحب إليّ وأقرب لعيي وادحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٥.

٢- إلى يوم الناس هذا نسمع بهذه العقائد الباطلة التي تصور للناس أنّ ملك معاوية - وأمثاله من الظلمة - مقبول عند الله بحجة أنّ الله قدّر ذلك وإذن بتحقيقه ولو كان غير مقبول عنده لما تحقق أصلاً وكلامهم باطل يتضمن مغالطة واضحة فليس كل ما يتحقق في هذا العالم هو مقبول ومرضي عند الله، فالله شاء أن تكون هذه الدنيا دار امتحان وقدّر فيها الخير والشر، وأراد الخير فأمر به ولم يرد الشر فنبى عنه، أي أنّ الكاشف عن الإرادة التي يتصف بها سبحانه هو أوامره ونواهيه، ثم قدّر للإنسان أن يكون مختاراً في فعله ليستحق الثواب على فعل الخير والعقاب على فعل الشر ولم يجبر أحداً على شيء وإلا لما صح الثواب والعقاب. وإذا عرفنا هذا، فمن الواضح أنّ الله أراد طاعة أوليائه لذلك أمر عباده بوجوب الإيمان بهم وطاعتهم، ولم يرد طاعة ملوك الدنيا غير المنصبيين منه كفرعون ونمرود لذلك نبى عن طاعتهم واتباعهم، تماماً كما أمر بالصدق ونهى عن الكذب وأمر بالأمانة ونهى عن الخيانة، لكننا مع هذا نجد تحقق الكذب والخيانة بكثرة أمام أعيننا بسبب سوء اختيار الإنسان، ولذلك يعاقب عليه، ولا يعني بحال أنه سبحانه يقبل ويرضى بالكذب والخيانة: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٣- الغارات: ٢ / ٨٤٣.

وروى الجاحظ: (أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويمهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً^(١)). وفعلاً، لم ينقطع ملوك بني أمية أخزاهم الله عن سب علي عليه السلام ولعنه بعد معاوية^(٢).

ولا أعتقد أن مسلماً يشك في أن النيل من علي عليه السلام والإساءة له مما يؤدي الرسول صلى الله عليه وآله أذىً شديداً، وجزاء من يؤدي الرسول مبين في القرآن بوضوح، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا" الأحزاب: ٥٧.

ثم إن سب علي عليه السلام هو سب للرسول صلى الله عليه وآله، لأنه نفسه بنص آية المباهلة في القرآن الكريم، لذا روي عن ابن عباس: "قال: أشهد بالله لسمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله عز وجل أكبه الله على منخريه"^(٣).

وأيضاً: سب علي عليه السلام من أظهر مصاديق بغضه الموجب لنفاق صاحبه كما روى مسلم بسنده: "عن زر قال قال علي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق"^(٤).

وجزاء المنافق واضح في القرآن الكريم، قال تعالى: "بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" النساء: ١٣٨، "إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا" النساء: ١٤٠، "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" النساء: ١٤٥.

١- نقل ابن أبي الحديد عنه ذلك، انظر: شرح نهج البلاغة: ٥٧ / ٤. "هذا الرجل": يعني علياً عليه السلام.

٢- روى مسلم بسنده: (عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً قال فأبى سهل فقال له أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا التراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها ...) صحيح مسلم: ١٢٤ / ٧.

٣- المستدرک على الصحيحین، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٢١، قال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

٤- صحيح مسلم: ١ / ٦١.

تعيين الولاة المعروفين بعدائهم لعللي(ع):

من أوائل أعمال معاوية - بعد إعلان مملكته على عموم المسلمين في عام ٤١ هـ - أنه عمد إلى تعيين ولاته وعمّاله على المدن والحواضر الإسلامية الموجودة في أيامه، وبطبيعة الحال فإن معرفة جردة أسماء الولاة وسلوكهم يسهم في تكوين رؤية لا بأس بها عن طبيعة الثقافة العامة التي ستسود وتطغى في مجتمعات تلك المدن؛ نظراً لأهمية دور الحاكم المصيري في تكوين الوعي العام لدى أي أمة من الأمم، فالناس - غالباً - على دين ملوكهم كما يقال وإن بنسب متفاوتة. وهذا ينفعنا إلى حد كبير في تفسير ظاهرة قلة استجابة المسلمين لنداء الحسين عليه السلام؛ الصوت الإلهي الذي كثروا تراه وقلّ ناصره، كما سيتضح في البحوث القادمة.

ثم إننا - بلا أدنى شك - في مثل حالة معاوية لا ننتظر أن يكون من بين أسماء ولاته شخصاً معروف عنه التدين أو الخلق الحمدي الأصيل أو تتوفر فيه الكفاءة واللياقة المطلوبة - ولو بحدودها الدنيا - في مثل هكذا منصب حساس؛ ذلك أنّ الحكم في زمن معاوية كان عائلياً فئوياً بامتياز، يضم شخصيات وأجنحة جمعها الولاء المشترك (معاداة الحق) والسعي لكسب المصالح الدنيوية الضيقة لا غير، لذا كان ضرورياً توفر عنصر "التوافق" وتوزيع "الحصص" بشكل يضمن فيه الجميع مكتسبات الحكم وامتيازاته. وعلى هذا، فمن الطبيعي جداً أن نجد عمرو بن العاص - مثلاً - يساوم معاوية على ولاية مصر مقابل الوقوف معه ضد علي عليه السلام، أو نجد عمر بن سعد يساوم عبيد الله بن زياد على ولاية الري مقابل الوقوف معه ضد الحسين عليه السلام، وهكذا.

وهذه قائمة بأسماء ولاية معاوية - إلى زمن هلاكه سنة ٦٠ هـ - على أهم المدن التي لها صلة بموضوعنا، مع بيان حال بعض الولاة الذين لم يتبين لنا حالهم سابقاً، وسأبدأ بالكوفة؛ باعتبار أنّ أول وإل عيّنه معاوية (بعد الصلح) - لما أراد الخروج من الكوفة والعودة إلى الشام سنة ٤١ هـ - هو المغيرة بن شعبه^(١)، ولم يسبقه أحد غير عمرو بن

١- روى الطبري: (استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة فأثاه المغيرة بن شعبه وقال لمعاوية استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمراً على مصر فتكون أنت بين لحي الأسد فعزله عنها واستعمل المغيرة بن شعبه على الكوفة، وبلغ عمراً ما قال المغيرة لمعاوية فدخل عمرو على معاوية فقال استعملت المغيرة على الكوفة فقال نعم فقال أ جعلته على الخراج فقال نعم قال تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال فيذهب فلا

العاص الذي ولّاه معاوية مصر في حياة أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل واليه عليها: محمد بن أبي بكر سنة ٣٨ هـ كما تقدم.

ولاة معاوية على الكوفة، هم:

١- المغيرة بن شعبه، سنة: ٤١ - ٥٠ هـ^(١).

٢- زياد بن أبيه، سنة: ٥٠ - ٥٣ هـ^(٢).

تستطيع أن تأخذ منه شيئاً استعمل على الخراج من يخافك ويهابك ويتقيدك فعزل المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلاة، فلقى المغيرة عمراً فقال أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله قال نعم قال هذه بتلك) تاريخ الطبري: ١٢٧/٤.

١- المغيرة بن شعبه الثقفي، أسلم عام الخندق أو الحديبية سنة ٦ هـ. كان معروفاً بالدهاء، ولّاه عمر البصرة سنة ١٧ هـ وعزله لما شهد عليه بالزنا ثم ولّاه الكوفة سنة ٢١ هـ وبقي فيها حتى موت عمر فأقره عثمان عليها ثم عزله بعد ذلك. وصارت قصته مثلاً بين أهل البصرة يقول أحدهم للآخر: "غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة فولّاه الكوفة". اعتزل علياً عليه السلام، وسار مع أهل الجمل عند خروجهم من مكة إلى البصرة ثم تركهم وانصرف للطائف، اعتزل صفين، ثم صار يدعو لمعاوية ولحق به بعد مسألة التحكيم وولّاه معاوية على الكوفة بعد الصلح مع الحسن عليه السلام. كان ينال من علي عليه السلام في خطبه، وأقام خطباء ينالون منه. مات بالكوفة سنة ٥٠ أو ٥١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢١ - ٣٢: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٤ / ١٤٤٥ - ١٤٤٧: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٤ / ٢٨٤ - ٢٨٦.

٢- له نسبان: الأول: زياد بن عبيد الثقفي، والثاني: زياد بن أبي سفيان بعد أن استلحقه معاوية وادعى أنه أخوه؛ إذ نقل: أن أبو سفيان أتى الطائف فسكروا وطلب بغياً فجيء له بسمية وكانت متزوجة بعبيد، فولدت زياداً من جماعة، فادعاه معاوية واستلحقه به واسترضاه وولّاه. ولد زياد عام الهجرة وأسلم في زمن أبي بكر، عمل كاتباً عند أبي موسى الأشعري في أيام ولايته على البصرة في زمن عمرو عثمان، ثم عمل مع ابن عباس أيام ولايته على البصرة من قبل علي عليه السلام وكان يستخلفه عليها إذا غاب عنها. كان معروفاً بالشدة والفتك على من يخالف هواه، ولّاه معاوية الكوفة والبصرة، ولما بلغ عبد الله بن عمر: "أن زياداً كتب إلى معاوية: إني قد ضبعت العراق بيميني، وشمالى فارغة، وسأله أن يوليه الحجاز. دعا عليه. وكان الحسن عليه السلام يدعو عليه أيضاً لما بلغه أن زياداً يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم، وكان يجمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من أبي الحسن، فأصيب بطاعون سنة ٥٣ هـ ومات. انظر: سير أعلام النبلاء: ٣ / ٤٩٤ - ٤٩٦. كان زياد يميل إلى علي عليه السلام وحضر معه صفين، ولما توعد معاوية قام زياد في الناس فقال: "إن ابن أكلة الأكباد ورأس النفاق كتب إلي يتوعدني، وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعين ألف مدحج من شيعته، أما والله لئن رامني ليجدني ضراباً بالسيف". ولما استتب الأمر لمعاوية بعد موت أمير المؤمنين عليه السلام تحصن زياد بقلعة اصطخر، ثم أعطاه معاوية الأمان فذهب إليه، وبدأ يقربه إليه شيئاً فشيئاً حتى ادّعى وزعم أنه أخاه من صلب أبي سفيان بشهادة رجلين؛ أحدهما: الخمار أبو مريم السلولي والثاني رجل من بني المصطلق اسمه يزيد. ثم ولّاه معاوية على البصرة وبعد هلاك المغيرة بن شعبه ضم له معاوية الكوفة. انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢١٩.

- ٣- عبد الله بن خالد بن أسيد، سنة: ٥٣ - ٥٥ هـ^(١).
- ٤- الضحّاك بن قيس الفهري، سنة: ٥٥ - ٥٨ هـ^(٢).
- ٥- عبد الرحمن بن عبد الله بن الثقفي، سنة: ٥٩ هـ^(٣).
- ٦- النعمان بن بشير، سنة: ٥٩ - ٦٠ هـ^(٤)، ثم أقرّه يزيد عليها ابتداءً، لكن بعد وصول مسلم بن عقيل الكوفة عزله وعيّن عبيد الله بن زياد مكانه.

١- عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، زوج ابنة عثمان بن عفان. استخلفه زياد على الكوفة عند موته وصلى عليه، و أقرّه معاوية عليها فترة ثم عزله عنها. وكان قد استعمله على الطائف ولما أتى بعنبرة بن أبي سفيان سكراناً وأقام عليه الحد غضب معاوية وعزله، كذلك قام بحد عمر بن سعد ومروان عدة مرات. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ٣ / ١٤٩: الإصابة، ابن حجر: ٣ / ٣٨٩: المنق، البغدادى: ٣٩٧.

٢- الضحّاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي. ولد قبل وفاة الرسول بقليل ولم تكن له صحبة. كان على شرطة معاوية، وعلى عسكر دمشق يوم صفين. ولّاه معاوية الكوفة بعد موت زياد بن أبيه ثم صرفه إلى دمشق. كان يقوم بعمل معاوية طول حياته وصلى عليه بعد موته. وبعد موت يزيد دعا إلى ابن الزبير وبإيعاه وجعل له إمرة الشام فطرد الأمويين من الحجاز، وكان مروان بن الحكم قد وثب على بعض الشام بمعونة عبيد الله بن زياد وبويع له فيها، فالتقى الطرفان في مرج راهط و انتهت الحرب لصالح مروان، قتل فيها الضحّاك سنة ٦٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢٤١ - ٢٤٥: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٢ / ٧٤٤ - ٧٤٦. كان ممن لعنهم علي عليه السلام (انظر: وقعة صفين: ٥٥٢). وقد تقدم أنّ معاوية بعث الضحّاك إلى العراق، فغار بجيشه على السماوة والثعلبية وقتل من أتباع علي عليه السلام خلق كثير ونهب أموالهم.

٣- عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، ابن أم الحكم "أخت معاوية". لا صحبة له. استعمله خاله معاوية على الكوفة سنة ٥٧ هـ فأساء السيرة فيهم فطردوه فرجع إلى خاله وولّاه بلاداً غيرها. كان يخطب الجمعة وهو جالس فرأه كعب بن عجرة فقال انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً وقال الله تعالى وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوا قائماً. غلب على دمشق بعد خروج الضحّاك بن قيس عنها إلى مرج راهط ودعا إلىبيعة مروان بن الحكم. توفي في أيام عبد الملك بن مروان. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ٢ / ٢٨٧ - ٢٨٨.

قلت: هو المادح قاتل أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس خاله معاوية، إذ قال: "لله درابن ملجم! فقد بلغ الأمل، وأمن الوجل، وأحد الشفرة والآن المهرة، وأدرك الثار، ونفى العار، وفاز بالمتزلة العليا، ورقى الدرجة القصوى" انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦ / ٣٠٠.

٤- النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي، ولد سنة ٢ هـ، استعمله معاوية على الكوفة، وعلى قضاء دمشق. دعا الناس إلى ابن الزبير لاحتقاً قتلوه. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٤١١ - ٤١٢. وقد تقدم أنه كان من ضمن من بعثهم معاوية لشن غارات على العراق وقتل أتباع علي عليه السلام وسلب أموالهم. كان أبوه بشير بن سعد أول من بادراً إلىبيعة أبي بكر في السقيفة. وعموماً، يعدُّ بشيرو ابنه النعمان من المبغضين لعلي عليه السلام وقد شارك النعمان بالحرب على أمير المؤمنين في الجمل وصفين.

ومن ولايتها في زمن عمر بن الخطاب:

- سعد بن أبي وقاص، سنة: ١٧ - ٢١ هـ.
- المغيرة بن شعبة، سنة: ٢١ - ٢٣ هـ.
- أما ولايتها في زمن عثمان بن عفان، فهم:
- سعد بن أبي وقاص، سنة: ٢٣ - ٢٦ هـ.
- الوليد بن عقبة، سنة: ٢٦ - ٣٠ هـ^(١).
- سعيد بن العاص، سنة: ٣٠ - ٣٤ هـ.
- أبو موسى الأشعري، سنة: ٣٤ - ٣٦ هـ^(٢).

ولاية معاوية على البصرة، هم:

- ١- بسر بن أرطاة، سنة: ٤١ هـ^(٣).

١- الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم الفتح، وفيه نزل قوله تعالى: "إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ..." ولأه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص ولما رأى انزعاج سعد من قرار عثمان قال له: "لا تجزعن أبا إسحاق فإنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون. فقال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً". كان فاسقاً شريباً للخمر، وهو الذي صلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات ثم التفت لهم قائلاً: "أزيدكم" فأجابه ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم! أقام علي عليه السلام عليه الحد لشربه الخمر. سكن البصرة بعد مقتل عثمان، اعتزل علماً، وحرض معاوية على قتال علي، ثم اعتزل بعد ذلك. مات في الرقة بالشام. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٤ / ١٥٥٢ - ١٥٥٧. صلى بالناس يوماً وقرأ بهم: علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا، انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٣١ / ١٥٩.

٢- عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، يكنى أبو موسى، أسلم في مكة ورجع إلى قومه. ولأه عمر على البصرة وأقره عثمان عليها ثم عزله ووئى عبد الله بن عامر. ثم انتقل إلى الكوفة وأصبح والياً لعثمان عليها بعد سعيد بن العاص، وبعد مقتل عثمان عزله علي عليه السلام، موقفه في قضية التحكيم بعد صفين معروف، وكان يدعولعبد الله بن عمر، مات سنة ٤٢ هـ. انظر: الاستيعاب: ٣ / ٩٧٩ - ٩٨٠؛ سير أعلام النبلاء: ٢ / ٣٨٠ - ٣٩٧. قلت: تقدم أن سبب عزل أمير المؤمنين عليه السلام له من الكوفة أنه كتب إليه أن يسير الناس لملاقاته في البصرة في حرب الجمل لكنه منع الناس وخذلهم عن الخروج فعزله وأرسل له مالك الأشتر فأخرجه من قصر الإمارة، كان ممن لعنه علي عليه السلام، انظر: الغارات، الثقفي: ٢ / ٦٤١ - ٦٤٢.

٣- بسر بن أرطاة القرشي الفهري، ولد قبل وفاة الرسول بقليل، طاغية مجرم، كان مع معاوية في صفين، شجعه معاوية على البراز لعلي عليه السلام ففعل، ولما طعنه علي وصرعه وأراد قتله كشف عورته بوجهه كما فعل عمرو بن العاص فكف عنه. أرسله معاوية إلى المدينة واليمن بعد صفين وقام بأعمال فظيعة ضد المسلمين وشيعة علي

- ٢- عبد الله بن عامر، سنة: ٤١ - ٤٤ هـ.
- ٣- زياد بن أبيه، سنة: ٤٥ - ٥٣ هـ.
- ٤- سمرة بن جندب، سنة: ٥٤ هـ^(١).
- ٥- عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي، سنة: ٥٥ هـ^(٢).
- ٦- عبيد الله بن زياد، سنة: ٥٥ هـ^(٣)، واستمر حتى موت معاوية سنة ٦٠ هـ ثم أقره يزيد عليها وأضاف له ولاية الكوفة.

عليه السلام بالخصوص: منها ذبح ولدي عبيد الله بن العباس والي علي عليه السلام على اليمن، وقتل الرجال وسبى النساء المسلمات وباعن في الأسواق، صعد منبر المدينة فقال: والله لولا أمر معاوية ما تركت في المدينة محتلماً ودعا الناس لبيعة معاوية. مات قبل معاوية. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ١/ ١٥٧ - ١٦٦. كان ممن لعنهم علي عليه السلام، انظر: الغارات، الثقفي: ٢/ ٦٤١ - ٦٤٢.

١- سمرة بن جندب بن هلال بن جريح الفزاري، كان راوياً للحديث، سكن البصرة واستخلفه زياد بن أبيه عليها قبل موته وأقره معاوية والياً عليها أقل من سنة، قتل بشراً كثيراً أيام إمارته. سقط في قدر مملوء ماءً حاراً فمات في البصرة سنة ٥٨ هـ. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٢/ ٦٥٣ - ٦٥٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ١٨٣ - ١٨٦.

روى الطبري بسنده عن: (حمد بن سليم قال سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحداً قال وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً قال لو قتلت إلهم مثلهم ما خشيت أو كما قال) تاريخ الطبري: ٤/ ١٧٦.

بذل له معاوية مبلغاً مقابل أن يروي نزول آية "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ" في علي عليه السلام، ونزول آية "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ" في ابن ملجم لعنه الله، فقبل. انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/ ٧٣.

ولما عزله معاوية عن ولاية البصرة، قال: "لعن الله معاوية لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً" انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣/ ٤٩٥.

٢- من كبار رجال معاوية، أدرك الجاهلية، ولّاه على البصرة سنة ٥٥ هـ بعد موت زياد بن أبيه ثم عزله، رماه رجل بحجارة وهو يخطب على منبر البصرة فأمر بقطع يده ورجله. انظر: تهذيب الكمال، المزي: ٢٢/ ١٨٧؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٥/ ٢٤١.

٣- خبيث ملعون ناصي، ولد سنة ٢٠ هـ (تاريخ الطبري: ٣/ ٢٤٦)، جدّه سمية معروفة بالبغاء، وأمه مرجانة مجوسية معروفة بالبغاء أيضاً: تربى عندها لذلك كان في لسانه لكنة فمثلاً كان يقول: هروري بدل حروري، كان قبيح السريرة فاسقاً ظالماً غشوماً جباراً إذا تمكّن (سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٥٤٩، ٥٤٥)، هلك أبوه زياد - الذي استلحقه معاوية به ونسبه لأبي سفيان كما تقدم - سنة ٥٣ هـ، ووفد على معاوية فولاه خراسان سنة ٥٤ هـ ثم ولّاه البصرة سنة ٥٥ هـ (تاريخ الطبري: ٣/ ٢٤٦، ٢٤٧). وبقي عليها حتى موت معاوية، وأقره يزيد عليها وضم له الكوفة سنة ٦٠ هـ. كان يزيد يستعمل معه نفس الأسلوب الذي استعمله معاوية مع زياد: الولاء المطلق أو التهديد بالإرجاع عبداً لتخفيف إذكبت إليه بعد مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة: "قد بلغني أنّ حسيناً سار إلى الكوفة وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك بين البلدان وابتليت به من بين العمال وعنده تعتق أو تعود عبداً"، فقتله وبعث برأسه

وكان من ولاية البصرة في زمن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان:

- المغيرة بن شعبه، سنة: ١٧ هـ، وعزله عمر في نفس السنة بتهمة الزنا.
- أبو موسى الأشعري، سنة: ١٧ - ٢٩ هـ، بقي عليها حتى موت عمر سنة ٢٣ هـ وأقره عثمان عليها ثم عزله سنة ٢٩ هـ.
- عبد الله بن عامر، سنة: ٢٩ هـ، بقي عليها حتى عزله علي عليه السلام سنة ٣٦ هـ وعيّن مكانه: عثمان بن حنيف.

ولاية معاوية على المدينة، هم:

- ١- مروان بن الحكم، سنة: ٤٢ - ٤٩ هـ، ولاية أولى.
 - ٢- سعيد بن العاص، سنة: ٤٩ - ٥٤ هـ.
 - ٣- مروان بن الحكم، سنة: ٥٤ - ٥٧ هـ، ولاية ثانية.
 - ٤- الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، سنة: ٥٧ هـ، واستمر إلى موت معاوية وأقره يزيد عليها، وهو الذي طلب البيعة ليزيد من الحسين عليه السلام كما سيتضح.
- وأما مكة فكانت في البداية تلحق بالمدينة تحت عنوان "ولاية الحجاز"، لكن المؤكد أنّ الحال تغير بعد ذلك، فعند هلاك معاوية في سنة ٦٠ هـ كان واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعلى مكة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية^(١).

وعموماً، نحن إذا لاحظنا قائمة أسماء الولاة الذين عيّنهم معاوية على أهم مدن المسلمين وجدناهم أمويين حتى النخاع؛ إما نسباً وولاءً، أو ولاءً واتباعاً، ولما كان الوالي أداة لتنفيذ نهج وسياسة ملكه أو رئيسه وجدنا الولاة كلهم سواء في خبثهم وبغضهم لعلّي

ونقله إلى يزيد" (العقد الفريد: ٣٨٢/٤). هرب إلى الشام بعد موت يزيد، ثم رده مروان بن الحكم إلى العراق، فوجه المختار إليه إبراهيم بن مالك الأشتر فالتقوا بقرب الزاب يوم عاشوراء سنة ٦٧ هـ وقتله وأنفذ برأسه مع رؤوس قواده إلى المختار (سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٥٤٩/٣).

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٧. ويحيى بن حكيم: من بني جمح (أحد بطون قريش) الذين كانوا مع عائشة يوم الجمل، قُتل منهم اثنان وهرب الباقيون منهم يحيى هذا، انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١ / ١٢٣. كان جده صفوان أحد الذين لعنهم الرسول يوم أحد، روى الترمذي: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية.." سنن الترمذي: ٤ / ٢٩٥.

عليه السلام والسعي للقضاء على ذكره وشيوع فضله بين المسلمين تماماً، وهذا يستدعي بطبيعة الحال القضاء على أتباعه ومحبيه، وأكد أنّ هناك تفاوت بين الولاة في كمية الظلم والبطش والإجرام؛ لأسباب ذاتية تعود إلى شخصية الوالي نفسه.

وهذا نص ذكره "المدائني" يوضح سياسة معاوية بعد أن استتبّت له الأمور وشملت مملكته كل بلاد المسلمين:

(قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الأفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم وكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي فكثّر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجي أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة الا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً.....

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيّنة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمته بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون

الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما روهها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض^(١).

وقد وفدت سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية يوماً وشكت إليه جور ولاته ومنهم بسر بن أرطاة، فهددها بأن يردها إليه وينفذ فيها حكمه، ثم قال: "هيات لمظكم ابن أبي طالب الجرة على السلطان"^(٢).

وعموماً، يمكننا إجمال سياسة معاوية بعد إعلان مملكته في ثلاث ركائز أساسية:

١- انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١ / ٤٤ - ٤٦.

٢- وهذا تمام الحادثة للفائدة: قال سودة لمعاوية: (إنك أصبحت للناس سيدياً ولأمورهم متقلداً والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تُقدم علينا من يهض بعزك ويبسط سلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقرويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجلييلة هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإما عزلته عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك فقال معاوية: إياي تهديدن بقومك والله لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صَلَّى الإله على روح تضمَّنه	قَبِرْتُ فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً	فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال: ومن ذلك قالت: علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك قالت: أتيت يوماً في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائماً يصلي فانفقتل من الصلاة ثم قال بر أفة وتعطف: ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إنك أنت الشاهد عليّ وعليم إني لم أمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ إذا أتاك كتابي هذا فاحفظ بما في يدك من عملنا حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فأخذته منه والله ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام فقرأته فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها فقالت: ألي خاصة أم لقومي عامة قال: وما أنت وغيرك قالت: هي والله إذن الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا يسعني ما يسع قومي قال: هيات لمظكم ابن أبي طالب الجرة على السلطان فبطينا ما تفضمون) جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت: ٢ / ٢٧٦ - ٢٧٧.

١- عداة علي عليه السلام والانتقاص منه بالسب واللعن وما شابه، وإرهاب أتباعه بالقتل والسجن والتعذيب والنفي وقطع العطاء، وأيضاً: استعمال وسائل التفرقة والتشتيت وجذب البعض بالمال ونحو ذلك.

٢- إنشاء منظومة دينية وأخلاقية تنسجم مع التوجّه الأموي تتيح لهم الحكم بغطاء ديني مبتدع، وتسهم بالقضاء على دين محمد صلى الله عليه وآله ومحو أثره من نفوس وقلوب المسلمين شيئاً فشيئاً، وكانت إحدى وسائل تحقيق هذا الغرض بث الأحاديث المزورة والمكذوبة التي ألّفها سمرة بن جندب ومن على شاكلته وبمرور الوقت أصبحت ديناً رديفاً يمكننا أن نسميه: "الإسلام الأموي".

٣- إلهاء الناس بالغزو، أو الفتوحات بحسب اصطلاح البعض، شرقاً وغرباً براً وبحراً، بقيادة بسر بن أرطاة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعبد الله بن عامر وابن أم الحكم وعقبة بن نافع وغيرهم، وأحدها (غزو القسطنطينية) كان بزعامة يزيد بن معاوية وقد حضرها بعض الصحابة مثل ابن عباس وابن عمرو وابن الزبير^(١)؛ كان هدف أغلب المشتركين فيها جمع المال والغنائم، وإلا فأى دينٍ وهدىٍ إلهي يُنتظر إيصاله إلى الناس بواسطة يزيد وبسر ومروان وعبد الرحمن بن خالد وعبد الله بن عامر وأمثالهم^{(٢)!!!}

وبخصوص مسألة الانتقاص من علي عليه السلام والنيل منه، فقد سعى الولاة إلى تنفيذ مرسوم ملكهم معاوية على أتم وجه، فمثلاً:

١- ذكر المؤرخون في كتبهم الغزوات التي كانت في زمن معاوية سنة ٤٢ هـ فصاعداً، وبخصوص غزو القسطنطينية ذكرها الطبري ضمن أحداث سنة ٤٩ هـ، انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٢٣٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٣١٤ - ٣١٥. وشذ بعض المؤرخين بزعمه حضور الإمام الحسين عليه السلام فيها، وهو أمر غير صحيح بدون شك وإلا لذاع واشتهر ذكره بين عموم المؤرخين لو كان قد حدث فعلاً.

٢- بالمناسبة أغلب الأسماء المذكورة إما ملعون من قبل الرسول أو أمير المؤمنين صلوات الله عليهما.

في الكوفة: كان المغيرة بن شعبة يسب علياً^(١)، وكان يذمّ علياً عليه السلام وشيعته وينال منهم على المنبر، ويلعن قتلة عثمان ويذمّهم، فتصدّى له حجر بن عدي يوماً فقال: (وإني أشهد أنّ من تدمّن أحق بالفضل ممن تطرون، ومن تزكّون أحق بالذمّ ممن تعيبون. فأجابه المغيرة: يا حجر، ويحك! اكفف من هذا واتّق غضبة السلطان وسطوته؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلك)^(٢).

وفي الكوفة والبصرة: سعى زياد إلى تتبع شيعة علي عليه السلام - لأنه عارف بهم جيداً؛ لما تقدم من أنه كان منهم أول أمره - فيقتلهم قتلاً ذريعاً، وكان يدعو الناس إلى لعنه والبراء منه^(٣)، وقد طلب من صعصعة بن صوحان فعل ذلك علناً أمام الناس فرفض فقطع العطاء عنه وهدم داره، ولما لم يتمكن من قتله نفاه إلى جزيرة البحرين فمات فيها رحمه الله^(٤).

١- روى الحاكم بسنده: (عن زياد بن علاقة عن عمه ان المغيرة بن شعبة سب علي بن أبي طالب فقام إليه زيد بن أرقم فقال يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن سب الأموات فلم تسب علياً وقد مات * هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) المستدرک على الصحيحين: ١ / ٣٨٥.

٢- انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ٩٠.

٣- تقدم في بيان حاله ما يؤكد ذلك، فراجع.

٤- أخرج القاضي النعمان: (كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد: أن ابعث لي خطباء أهل العراق: وابعث إليّ صعصعة بن صوحان. ففعل. فلما قدموا على معاوية خطبهم. فقال: مرحبا بكم يا أهل العراق قدمتم على إمامكم، وهو جنة لكم يعطيكم مسألتكم، .. وقدمتم على أرض المحشر والمنشر والأرض المقدسة وأرض هجرة الأنبياء. ثم قال في خطبته: ولو أن أبا سفيان ولد الناس كلهم لكانوا أكياساً.

ولما فرغ من خطبته، قال لصعصعة: قم واخطب. فقام صعصعة: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: إن معاوية ذكرنا قدمنا على إمامنا وهو جنة لنا فما يكون حالنا إذا انخرقت الجنة، وذكرنا قدمنا على أرض المحشر والمنشر والأرض المقدسة وأرض هجرة الأنبياء. فالمحشر والمنشر لا يضر بعدهما مؤمناً ولا ينفع قريهما كافراً. والأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس العباد أعمالهم. ولقد وطأها من الفراعنة أكثر مما وطأها من الأنبياء. وذكر أن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لكانوا أكياساً، فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه فولد الكيس والأحمق والجاهل والعالم.

فغضب معاوية وقال: اسكت لا أم لك ولا أب ولا أرض. فقال صعصعة: الأب والام ولداني ومن الأرض خرجت وإليها أعود. فأمر برده إلى زياد، ثم كتب إليه: أقمه للناس وأمره أن يلعن علياً، فإن لم يفعل، فاقتله. فأخبره زياد بما أمره به فيه وأقامه للناس. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، ونزل. فقال زياد لصعصعة: لا أراك لعنت إلا أمير المؤمنين. قال:

وفي المدينة: انتشر سبُّ علي عليه السلام إلى حدٍّ أنَّ أم سلمة كانت تسمعه بأذنيها وتقول لمن يدخل عليها: "أُسبُّ رسول الله فيكم، قلت: معاذ الله - أو سبحان الله أو كلمة نحوها - قالت: سمعت رسول الله يقول: من سبَّ علياً فقد سبَّني"^(١). وما كان هذا ليحصل في مدينة الرسول إلا بفعل ولاة معاوية وأوامره الصادرة لهم؛ خصوصاً وأنه ابتدأ ملكه في المدينة باستعمال مروان بن الحكم عليها إضافة لمكة والطائف، وما أدراك ما مروان وما بغضه وحقده على أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته^(٢)!

كانت هذه هي سيرة ولاة معاوية بأجمعهم في مدن وحواضر المسلمين دون استثناء، ولم تنقطع هذه السيرة الخبيثة إلا سنة ٩٩ هـ في أيام عمر بن عبد العزيز^(٣).

حجر بن عدي يدفع ضريبة الولاء:

حجر بن عدي الكندي من أجلاء الصحابة وزهادهم^(٤)، وفد على الرسول صلى الله عليه وآله مع أخيه هاني بن عدي، شارك في فتح الشام ومرج عذراء - التي قتل فيها - وهو أول مسلم كُتِبَ فيها^(٥). كان حجر موالياً للأمير المؤمنين محباً له حباً شديداً وشهد معه

إن تركتها مهمة وإلا بيتنها. قال زياد: لتلعن علياً، وإلا نفذت فيك أمر أمير المؤمنين، فصعد المنبر. فقال: أيها الناس إنهم أبوا علي إلا أن أسب علياً عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، وما كنت بالذي أسب الله ورسوله. فكتب زياد بخبره إلى معاوية. فأمره بقطع عطائه وهدم داره. ففعل) شرح الأخبار: ١ / ١٧٠.

١- الحديث رواه أحمد في مسنده: ٦ / ٣٢٣؛ والحاكم في المستدرک: ٣ / ١٢١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي عن الحديث: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة" مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٠.

٢- تقدم أنَّ مروان كان من ضمن الخارجين على علي عليه السلام في الجمل وصفين.

٣- روى ابن سعد والذهبي: (كان الولاية من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون علياً رحمه الله فلما ولي عمر أمسك عن ذلك) الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٩٣؛ سير أعلام النبلاء: ٥ / ١٤٧، وفي رواية الذهبي: "رجلاً" بدل "علياً" والمقصود واضح.

٤- خصص له الحاكم النيسابوري باباً في مستدرکه وقال: (ذكر مناقب حجر بن عدي رضي الله عنه وهو راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وذكر مقتله) المستدرک على الصحيحين: ٣ / ٤٦٨.

٥- مختصر أخبار شعراء الشيعة، المرزباني: ٤٩.

الجمال وصفين والنهروان. وبعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام واستيلاء معاوية على الكوفة، كان معاوية قلقاً من ناحية حجر بن عدي وبعض الأشخاص لذا كتب إلى واليه المغيرة بن شعبه: (خذ زياداً وسليمان بن صرد وحجر بن عدي وشبث بن ربعي وابن الكواء وعمرو بن الحمق بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه في الصلاة) ^(١).

في وقت المغيرة، استنكر حجر سياسة الأمويين الظالمة؛ خصوصاً ما يتعلق منها بدم علي عليه السلام والانتقاص منه ^(٢)، فتوعدّه المغيرة بالقتل إذا استمر بدفاعه عن علي عليه السلام، وفي أواخر حياة المغيرة كان له موقف معه إذ سمعه يخطب على منبر الكوفة وينال من علي عليه السلام ويلعنه ويلعن شيعته، فصاح حجر بوجهه صيحة أسمعت من المسجد وخارجه وطلب منه الكف عن ذلك، وأيده بعض الحاضرين الذين طالبوه بمنحهم أرزاقهم، واعتلت الأصوات فسكت وانصرف إلى قصره ^(٣).

وبعد هلاك المغيرة سنة ٥٠ هـ ومجيء زياد بن أبيه استدعى حجراً - وكان صديقاً له سابقاً قبل لحوقه بمعاوية - فقال له: (قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك؛ وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، أرايت ما كنت تعرفني به من حبّ عليّ وودّه، فإنّ الله قد سلخه من صدري فصيرّه بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإنّ الله قد سلخه من صدري وحولّه حبّاً ومودة!) ثم هدده لصرفه عن نهجه في الدفاع عن علي عليه السلام وحذّره من أن يحدث شيئاً في الكوفة؛ لأنّه كان محط أنظار أتباع علي عليه السلام حيث كانوا يجتمعون عنده ويسمعون كلامه ويحيطون به ^(٤).

ثم ساءت الأمور أكثر وحجر مستمر بدفاعه عن علي عليه السلام ومعه جماعة، فأمر زياد وجهاء الكوفة وأشرافها أن يسحبوا أبناءهم وإخوانهم وأقربائهم من حجر؛ سعياً منه إلى إفراذه والقضاء عليه، وشيئاً فشيئاً لم يبقَ مع حجر إلا نفر قليل باتوا مشردين مطاردين وزياد يطلبهم في كل مكان وبأي وسيلة؛ خصوصاً حجر، فتمكن من إلقاء القبض

١- تاريخ الطبري: ٤ / ١٣٧. يقصد بزياد: زياد بن أبيه؛ إذ كان من أتباع علي عليه السلام في ذلك الوقت.

٢- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٥٥.

٣- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ٩٠.

٤- نفس المصدر: ١٧ / ٩١.

على اثني عشر منهم وزجهم في السجون، وأخيراً تمكّن من إلقاء القبض على حجر بعد إشراك محمد بن الأشعث في المهمة^(١)، ثم هياً زياد ملف قضية حجر مع تثبيت شهادات الشهود عليه من أهل الكوفة، والجرم هو: الدفاع عن علي عليه السلام والترحم عليه والبراءة من عدوه وشتم الخليفة وعامله، وأنّ من معه هم على نفس رأيه، ثم سيّروهم إلى معاوية الذي طلب من عامله زياد أن يشده بالحديد ويرسله إليه^(٢).

(ولما قدم حجر عذراء قال: ما هذه القرية؟ فقيل: عذراء. فقال: الحمد لله أما والله إنني لأول مسلم ذكر الله فيها وسجد، وأول مسلم نبج عليه كلاهما في سبيل الله، ثم أنا اليوم أحمل إليها مصفداً في الحديد، ثم قال حجر للذي أمر بقتلهم: دعني أصلي ركعتين خفيفتين، فلما سلم انفتل إلى الناس فقال: لولا أن يقولوا جزع من الموت لأحببت أن يكونا أنفوس مما كانتا، وأيم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ما هاتان بنافعتي شيئاً، ثم أخذ ثوبه فتحزم به ثم قال لمن حوله من أصحابه: لا تحلوا قيودي فإني أجتمع ومعاوية على هذه المحجة، ثم مشى إليه هدبة الأعور بالسيف ... فقال له: فابراً من علي وقد أعد لك معاوية جميع ما تريد إن فعلت فقال: ألم أقل إنني لا أقول ما يسخط الرب والله لقد أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيومي هذا. ثم قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه، فقدمه فضربت عنقه فليل له: تعجلت الثكل فقال: خفت أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي عليه السلام فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين ثم التفت إلى بقية أصحابه، فرأى منهم جزعا فقال: قال لي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا حجر تقتل في محبة علي صبراً، ...^(٣). وقال: (اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا)^(٤).

١- زياد بن أبيه كان يسعى إلى تفتيت وحدة القبائل بل القبيلة الواحدة؛ لززع الفتنة فيما بين أبنائها وضمان إحكام قبضته على الكوفة، لذلك تعمد أن يرسل محمد بن الأشعث وهو "كندي" لاعتقال حجر وهو "كندي" أيضاً، بل هدد ابن الأشعث بهدم دراه وقتله إن لم يفعل ذلك وأمهله ثلاثاً! انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٩٥ / ١٧.

٢- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٩٧ / ١٧ - ٩٨: البداية والنهاية، ابن كثير: ٥٥ / ٨ - ٥٦.

٣- مختصر أخبار شعراء الشيعة، المرزباني: ٤٩ - ٥١.

٤- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ١٠١.

فقتلوه ومن معه وكانوا ستة؛ أحدهم ولده "همام" رضوان الله عليهم أجمعين، كان ذلك سنة ٥١ هـ.

مقتل حجر رضوان الله عليه وأصحابه أذى الحسين عليه السلام، ولما استنكر على معاوية أفعاله كانت جريمة مقتل حجر على رأس القائمة، حيث قال: "ألست القاتل حجراً أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم؟ ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك. أولست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي ^(١) صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه بعد ما أمنتته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلتته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد" ^(٢).

مقتل حجر على يد معاوية لم يرتضه كثير من المسلمين في ذلك الوقت، لكن لم تكن لديهم الجرأة الكافية على الاعتراض والرفض أو الاستنكار على أقل تقدير ^(٣).

١- عمرو بن الحمق الخزاعي، أسلم بعد الحديبية وصحب الرسول صلى الله عليه وآله في حياته. سكن الكوفة ووالى عليها عليه السلام وشهد معه مشاهد كلها: الجمل وصفين والتهروان، وأعان حجراً في الكوفة في زمن إمارة زياد بن أبيه ثم هرب منها إلى الموصل وبقي متخفياً، فبحث عنه عامل معاوية فيها: عبد الرحمن الثقفي "ابن أم الحكم أخت معاوية" وعثر عليه فقتله واحتز رأسه وبعث به إلى خاله معاوية وكان أول رأس يحمل في الإسلام. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣ / ١١٧٣ - ١١٧٤: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٤٩٠ - ٥٠٤. وكان معاوية حبس أمنة بنت الشريد الثقفية زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي بسبب فرار زوجها في سجن له بدمشق سنتين، ثم لما قتل زوجها وجيء برأسه لمعاوية بعثه إليها فألقوه في حجرها. انظر: الأعلام، الزركلي: ١ / ٢٦.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٢١٢ - ٢١٣.

٣- ابن كثير: (عن مروان بن الحكم قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة، فقالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبئ لك رجلاً فيقتلك؟ قال: لا، إني في بيت أمان، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الايمان قيد الفتك لا يفتك، لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك؟ قالت: صالح، قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل) البداية والنهاية: ٦ / ٢٥٣.

ذكر ابن كثير: (أن معاوية جعل يغرب بالموت وهو يقول: إنَّ يومي بك يا حجر بن عدي لطويل، قالها ثلاثاً)^(١).

ملاحظة: لم يكن حجر بن عدي وأصحابه وعمرو بن الحمق الوحيدين الذين قتلهم معاوية وزباد بن أبيه بسبب اتباعهم وحجهم لأمر المؤمنين عليه السلام، بل هناك الكثير مثل: جويرية العبدي^(٢) الذي صلبه زياد في الكوفة لنفس السبب.

حواضر المسلمين قبيل الثورة:

إذا أحطنا خبراً بما تقدم، وأردنا التعرف على الوضع العام الذي كانت تشهده حواضر المسلمين المهمة قبيل ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وطرحنا السؤال المهم: إلى أي حد سيكون المجتمع المسلم في حواضره ومدنه الكبيرة في الحجاز والعراق مستعداً لاستجابة النداء التي سيطلقه الحسين عليه السلام الثائر بوجه يزيد بن معاوية بعد هلاك أبيه مباشرة؟

أعتقد أننا قبل أن نجيب السؤال ينبغي أن يكون لدينا تصور واضح - ولو إجمالاً - عن وضع المسلمين في مجتمعات تلك المدن والحال الذي بلغوه بعد حكم تسلط على رؤوسهم دام عشرين عاماً من قبل رجل واحد (معاوية)، فأكد أن السياسات التي مورست في أيامه قد أثرت عليهم بشكل كبير وتركت بصمتها في وجودهم وسلوكهم، وهو ما سنعرفه الآن مع الالتفات إلى أن البحث الاجتماعي - كحالتنا - تلحظ فيه جهة العموم

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٥٨.

٢- جويرية بن مسهر العبدي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والمقربين إليه وأحد ثقاته العشر الذي نص عليه السلام بوثاقته، وكان يحبه كما ذكر ذلك حبة العري، وقد أخبر بمقتله، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢ / ٢٤٨. روى المفيد قول أمير المؤمنين عليه السلام لجويرية: (أقبل يا جويرية حتى أحدثك بحدثك فأقبل، قال: وأنت والذي نفسي بيده، لتعتلن إلى العتل الزنيم، وليقطعن يدك ورجلك، ثم لتصلبن تحت جذع كافر، فمضى على ذلك الدهر، حتى ولي زياد في أيام معاوية، ففقطعه يده ورجله، ثم صلبه إلى جذع ابن مكعب، وكان جذعاً طويلاً فكان تحته) الإرشاد: ١ / ٣٢٣.

والأغلبية، أي الوضع الإجمالي للمجتمع، وبالتالي فإن النتيجة فيه ليست بالضرورة تنطبق على كل فرد فرد.

أولاً؛ الشام:

إننا أسقطنا الشام عن الحسابات من الأساس؛ باعتبار أنها - في ذلك الوقت - أموية الهوى بامتياز، فمعاوية الذي سيفارقهم سنة ٦٠ هـ كان قد تسلط عليهم سنة ٢١ هـ بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان الذي تولى أمرهم سنة ١٧ هـ بأمر من عمر بن الخطاب، وهذا يعني أنّ أيام آل أبي سفيان في الشام - إلى وقت رحيل معاوية - تناهز ثلاثة وأربعين عاماً، مارس خلالها معاوية كل أساليب الجهل والتضليل مع أهلها ^(١) وإبعادهم عن دين الله الحق الذي بعث به محمد صلى الله عليه وآله وسار عليه آله عليهم السلام، فكان من السهل على معاوية حملهم لقتال علي عليه السلام في صفين وإيدائه بغزو المدن الخاضعة لحكومته وقتل أتباعه ونهب أموالهم، ومن السهل حملهم على الإساءة له والنيل منه، لذلك أيضاً؛ من السهل على ولده يزيد حملهم على حرب بقية علي أعني: ولده الحسين عليه السلام لما يعلن كلمة الرفض بوجه الطاغية يزيد، وهذا بالضبط ما أوصى به معاوية - في مرض موته - ولده يزيد، حيث قال له: (... وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فإن نابك شيء من عدوك فانتصرهم فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم) ^(٢).

١- روى ابن قتيبة نصّاً يكشف سياسة معاوية مع أهل الشام وكيفية تثقيفهم لهم، ذكره معاوية أيام اختلاف الناس على عثمان بالمدينة، قال: (قدم معاوية بن أبي سفيان على أثر ذلك من الشام، فأتى مجلساً فيه علي ابن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر، فقال لهم: يا معشر الصحابة، أوصيكم بشيخي هذا خيراً، فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً، ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال: يا عمار، إن بالشام مئة ألف فارس، كل يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم وعبيدائهم، لا يعرفون علياً ولا قرابته، ولا عماراً ولا سابقته، ولا الزبير ولا صحابته، ولا طلحة ولا هجرته، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله، ولا يتقون سعداً ولا دعوته، فأياك يا عمار أن تقعد غداً في فتنة تنجلي، فيقال: هذا قاتل عثمان، وهذا قاتل علي) الإمامة والسياسة: ٣٢ / ١.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٣٨ - ٢٣٩.

علماً، إنّ مسألة بغض أهل الشام لعلي عليه السلام وكل ما يمت له بصلة استمرت إلى وقت طويل بعد موت معاوية، حتى إنّ المحدث النسائي دخل دمشق سنة ٣٠٢ هـ فرأى شدة انحراف أهلها عن علي عليه السلام فصاريحدثهم عن فضائله، فسألوه عن فضائل معاوية فأمسك، فمسكوه وضربوه ضرباً مبرحاً في جامع دمشق فخرج منهم إلى مكة ومات فيها سنة ٣٠٣ هـ بسبب الضرب^(١)!

ثانياً، الحجاز:

لم يكن حال عموم المسلمين في المدينة - وكذا مكة - كالشام بالتأكيد، فأهلها (بالعموم) أحسن حالاً من أهل الشام في ذلك الوقت، بل وكثير منهم، خصوصاً في المدينة، يحترمون آل الرسول بشكل وآخر، باستثناء الذين ينحدرون من بطون قريش، في مكة تحديداً، فإنّ غالبيتهم لم يتخلّصوا من إرثهم القبلي، ولا زال الماضي يحرك فيهم نزعة البغض والحقد على علي عليه السلام الذي قتل آباء وأجداد الكثير منهم في معارك دفاعه عن دين الله ورسوله^(٢). وهذه الفئة بالذات ومن يصطف معها كانوا أمويين فكراً ونهجاً. هذا أولاً.

وثانياً: لا يعتقد الغالبية العظمى من أهل الحجاز بإمامة آل الرسول وأحقيتهم في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومن ثمّ فهم - من هذه الجهة - غير معنيين بوجوب نصرتهم على المستوى الشرعي الذي كانوا يتدينون به، وذلك يعود بالتأكيد إلى طبيعة الحكم بعد وفاة الرسول حيث آلت الأمور إلى اختيار أبي بكر وعمر وعثمان الذين استمرت فترة خلافتهم خمسة وعشرين عاماً، ومن الطبيعي أن تكون الناس خلال هذه الفترة قد تطبّعت بنهجهم الذي لا يلتقي مع مشروع العترة الإلهي، وبالتالي لم تتوفر الأرضية المناسبة لتهيئة عدد كافٍ من الأنصار الذين يمكن الاستعانة بهم لأداء مهام جسيمة تتطلبها الحكومة (في مثل حالة علي عليه السلام) أو النصرة للثورة بوجه الظلم والانحراف (في مثل حالة الحسين عليه السلام)، ولهذا لما آل الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام انتقل

١- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٤ / ٧٩٥.

٢- الحديث عن الفترة التي ثار فيها الحسين عليه السلام، أما قبل ذلك فأكيد أنّ مكة كانت تنظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه نظرة سلبية نتيجة قتله لطغاتهم في معارك الدفاع عن الإسلام ورسوله.

إلى الكوفة مباشرة واتخذها عاصمة لدولته في أيام فتنة الجمل، وأحد أسباب ذلك يعود إلى وجود عدد مقبول من أنصاره الذين يمكنه الاستعانة بهم على أداء مهامه.

وأيضاً: لا ننسى الأثر الذي تركه معاوية وعمّاله على أهل المدينة خلال العشرين عاماً (٤١ - ٦٠ هـ) التي ملك فيها، وحتى قبلها؛ باعتبار أنّ سني عثمان في الحكم الثلاث عشرة (٢٣ - ٣٥ هـ) - كان للأمويين أيضاً كلمتهم، وبالتالي فيمكننا أن نقول: إنّ أهل المدينة كانوا طيلة ثلاث وثلاثين سنة يتثقفون نهجاً أموياً بامتياز، وإذا افترضنا - وهو فرض غير واقعي طبعاً - أنّ مستوى دين الناس لم يتأثر بذلك ولم يبلغ مراحل خطيرة، فإنّ مستويات أخرى بلغت ذلك دون أدنى شك، مثل: مستوى الخوف من الحاكم المنحرف الظالم وعدم التفكير بمواجهته - قولاً أو فعلاً - وإن بلغ أقصى غايات الانحراف والشذوذ عن الدين، أو مستوى الابتعاد عن الآخرة والانشداد للعالم الدنيوي وطلب سلامة العيش فيها ولو على حساب ترك الحق وأهله؛ خصوصاً مع مشاهدة حالة الترف والبذخ التي كان عليها الولاة وخاصتهم وأقربائهم وحواشيهم ومن يسير في ركبتهم، إضافة إلى حالة إلهاء الناس بالفتوحات المزعومة شرقاً وغرباً؛ التي كانت تهدف إلى كسب الأموال والغنائم قبل أي شيء آخر! ثم ماذا ننتظر من أمة يقودها مروان بن الحكم لفترتين خلال عشرين عاماً فقط (مدة ملك معاوية)، بلغت سني إمارته فيها: اثنا عشر عاماً، وما تبقى كان نصيب سعيد بن العاص والوليد بن عتبة بن أبي سفيان الذي ترك الحسين عليه السلام المدينة في أيامه متوجهاً إلى العراق!

أقول: نتيجة طبيعية لمن يكون أكبرهمّ طلب السلامة في الدنيا هي مدهانة الظالم والفساق وربما تأييده أو السكوت عن فعله في أحسن الأحوال ولو بلغ ظلمه وفساده عنان السماء، ولهذا لم نجد من أهل المدينة ردة فعل واضحة تجاه عمّال معاوية خلال العشرين عاماً مع شدة وضوح انحرفهم عن دين الرسول ونهجه وخلقه، بل وحتى قبل ذلك، فمثلاً: عندما أرسل معاوية بسر بن أرطاة سنة ٣٩ هـ لغزو الحجاز واليمن وإرهاب المسلمين فيها، ووصل المدينة أعانه أبو هريرة على ظلم أهلها ونصبه والياً عليهم من طرف معاوية، بعد ابتعاد أبي أيوب الأنصاري (والي علي عليه السلام عليها) عنها خوفاً، ولما بعث علي عليه السلام جارية بن قدامة لملاحقة بسر وجيشه في مكة فرّوا منه ثم قصد جارية المدينة فهرب منها أبو هريرة بسبب فعلته وتعاونه مع بسر، وفي هذه الأثناء بلغ جارية خبر

مقتل أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ من أهل المدينة البيعة لولده الحسن عليه السلام ورجع إلى الكوفة، وبمجرد خروجه من المدينة رجع أبوهريرة إلى المدينة وعاد يصلي بالناس وهم يأتون خلفه^(١)!

بالنتيجة، من غير المتوقع - والحال هذه - أن تجد صرخة الإمام الحسين استجابة واسعة - أو حتى بمستوى مقبول - لدى أهل المدينة، ولهذا لما قرر رفض بيعة يزيد والتهوض بوجهه أسرع بالخروج من المدينة؛ تحسباً لغدر الأمويين وقتلهم له بسبب عدم وجود العدد الكافي من الأنصار الذين تتحقق بهم المنعة من أذى الظالم. علماً، أن الحسين عليه السلام لا يدفع الموت هنا عن نفسه لسبب يتعلق بسلامته فحسب ولكن - وهو الأهم في نظره - أنه ما كان يرغب بالإجهاز على ثورته وهي لا زلت في المهد وقبل أن تأخذ صداها بين المسلمين، وكذلك ترك مكة وخرج منها لنفس السبب، وسيتضح ذلك أكثر لاحقاً.

ثالثاً؛ العراق:

الأرجح - ونحن في طور البحث عن إجابة السؤال أعلاه، وقبل النظر إلى النتائج على الأرض - أن نتوقع استجابة واسعة لصرخة الحسين عليه السلام بوجه يزيد وتلبية ندائه ونصرته من أهل العراق؛ باعتبار أن العراق يضم الحاضنة الأكبر من محبي أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه (شيعة)^(٢). خصوصاً وأنهم عانوا كثيراً من ظلم واضطهاد الأمويين (معاوية وعمّاله)، وبالتالي فهم يتوقون للخلاص من الحال الذي كانوا يرتعون فيه، ولكن حيث إننا الآن بصدد دراسة لحالة مجتمع إنساني مسلم فينبغي أن لا نغفل عن حقيقة: أن لا شيء قطعي في توقع حركة أي مجتمع إنساني حتى تنبئك الأيام بالنتائج؛

١- انظر مثلاً: تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٧؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٧ / ٣٥٧، وهذا نص الطبري: (وهرب بسرو أصحابه منه - أي من جارية بن قدامة - و اتبعهم حتى بلغ مكة فقال لهم جارية: بايعونا، فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ قال لمن بايع له أصحاب علي، فتناقلوا ثم بايعوا. ثم سار حتى أتى المدينة وأبوهريرة يصلي بهم فهرب منه، فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي قبايعوه، وأقام يومه ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة، وعاد أبوهريرة فصلّى بهم).

٢- قال يحيى بن آدم: "ما أدركت أحداً بالكوفة إلا يفضل علياً يبدأ به وما استثنى أحداً غير سفيان الثوري" انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ٤٢ / ٥٣٠.

خصوصاً في مثل حالتنا؛ باعتبار أننا ننظر إلى الدنيا بوصفها دار امتحان وابتلاء لا يثبت فيها على الحق ونصرته إلا من أخلص لله ولديه من البأس والشجاعة ما يؤهله لذلك.

لكن لماذا هذا التريث والتردد في توقع حركة أهل العراق وعدم القطع باستجابتهم لنداء الحسين عليه السلام بعد أن كان معروفاً عنهم الولاء والتوق إلى الخلاص؟

السبب في ذلك يعود إلى عدة أمور:

أولاً: إنّ أهل العراق - خصوصاً في الكوفة - بلغوا في أواخر أيام أمير المؤمنين عليه السلام حالاً يرثى له من الاختلاف والفسل والتكاسل في طاعة الإمام ونصرته، ونقلت فيما سبق بعض كلماته التي يظهر فيها ألمه ووجعه من سلوكهم معه، وتكرر ذلك منهم مع ولده الحسن عليه السلام الذي اضطره خذلان أتباعه إلى الصلح مع معاوية كما عرفنا، وبالتالي فالتاريخ القريب للحسين عليه السلام يشهد بسوء الموقف والخذلان الذي كان يتصف به الأتباع، وربما يتكرر معه نفس ما حدث مع أبيه وأخيه عليهما السلام.

ثانياً: حجم الظلم والفتك الذي مارسه الأمويون (معاوية وعمّاله) مع أهل العراق كان كبيراً جداً، فحكم معاوية الذي دام عشرين عاماً كان حصّة الكوفة منه: ثلاثة عشر عاماً يحكمهم فيها أشرس رجلين وأكثرهم بغضاً لعلي عليه السلام، هما: المغيرة بن شعبه وزياد بن أبيه (بين عامي: ٤١ - ٥٣ هـ)، ثم تلاهما الضحّاك بن قيس الذي حكم أربع سنين (بين عامي: ٥٥ - ٥٨ هـ) وهو لا يقل فتكاً وجرمًا وخبثاً عن سابقيه. أما البصرة فلم يكن حال أهلها بأفضل من الكوفة؛ إذ حكمها عبد الله بن عامر وزياد بن أبيه ثلاثة عشر عاماً (بين عامي: ٤١ - ٥٣ هـ)، ثم عبيد الله بن زياد ست سنين (بين عامي: ٥٥ - ٦٠ هـ)، وكانت الإجراءات المتبعة مع أتباع علي عليه السلام في المدينتين، وفي زمن زياد بالذات، هي: القتل، السجن، النفي، قطع الأيدي والأرجل، سمل العيون، الصلب على جذوع النخل، ... إلخ. وأيضاً: قطع العطاء (المخصصات المالية = الرواتب الشهرية)، وهدم الدور، وزرع الجواسيس وبث الخوف والهلع وإرهاب الناس إلى درجة أنّ الجارصاريخاف من جاره ولا يثق به، إلى غير ذلك من إجراءات تعسفية جائرة يتخذها الطغاة والظلمة عادة - إلى يوم الناس هذا - لإسكات أي توجه شعبي لا يروق للحاكم الظالم. ولا يشك أحد في أنّ شدة

الفتك والإجرام تؤثر في زرع الخوف في نفوس الناس وتزيد من معدل التردد في الإقدام والاستجابة لنداء النهوض بوجه الطاغوت وإن كان المنادي هو الحسين عليه السلام.

أضف إلى ذلك: ضخ الأموال الذي مارسته السلطة الأموية في العراق لشراء الذمم وكسب الولاء أو ضمان الحياد كحد أدنى. وإذا كانت محاولة المغيرة بن شعبة مع حجر بن عدي رضوان الله عليه لم تفلح في تغيير قناعته بعلي عليه السلام أو تحييده عن خطه^(١) فبالتأكيد أنها نجحت مع كثيرين غيره؛ خصوصاً مع معرفة أن المجتمع الكوفي والبصري - كما هي عادة العرب عموماً آنذاك - قبلي إلى درجة كبيرة، وكفي أن يستميل الحاكم شيخ القبيلة أو رمزاً من رموزها المؤثرين أو تحييده لاستمالة كثيرين معه أو تحييدهم، بل وكفي أن يتردد الكبير أو الزعيم في التعاطي مع حدث ما بشكل معين (بدون استمالة مباشرة من الحاكم) ليكون موقفاً للكثير من أبناء عشيرته.

هذا، إضافة إلى استعمال الإعلام الحكومي بكل الوسائل المتاحة في ذلك الوقت من خطب في صلوات الجمع والأعياد والصلاة اليومية ومواسم الحج والمنابر والنوادي العامة التي يتحدث فيها الأمراء والخطباء والفقهاء والقضاة وهي تثقف بالضد تماماً من النهج العلوي - الحسيني، وبالتأكيد فإنّ هناك الكثير ممّن يؤثر فيه مثل هذا الكم من الترويج للباطل؛ لا سيما إذا ما ضمّمنا له التهديد بقطع الأعناق أو الأرزاق، والجانب المالي كما هو معروف مهم جداً عند أغلب الناس وليس بوسعهم تحمّل قطعه حتى وإن كان على حساب المبدأ الحق في أحيان كثيرة.

أمام هذه التحديات الكبيرة التي كان يعاني منها أتباع علي عليه السلام في العراق، إذا افترضنا أنّ الفرد منهم كان يرفض الرضوخ لتلك الضغوطات بقلبه ولسانه ابتداءً فإنه ربما سيصبح - نتيجة الخوف وبقية الأعذار - رافضاً لها بقلبه دون لسانه، وهكذا شيئاً فشيئاً يبدأ يعلل لنفسه ويمنحها الأعذار والمبررات ليجد حاله بالنهاية يسير ضمن الركب

١- ذكر الدينوري: (قالوا: وقد كان معاوية خلف على الكوفة حين شخص منها المغيرة بن شعبة، فصعد المنبر يوم الجمعة ليخطب فحصبه حجر بن عدي، وكان من شيعة علي، في نفر من أصحابه، فنزل مسرعاً من المنبر، ودخل قصر الإمارة، وبعث إلى حجر بخمسة آلاف درهم ترضاه بها. فقليل للمغيرة: لم فعلت هذا، وفيه عليك وهن وغضاضة؟ فقال: قد قتلته بها) الأخبار الطوال: ٢٢٣.

والموج العام، بل وربما ينتهي به الحال إلى أن يكون مصداقاً لمقولة: "قلوبهم معك وسيوفهم عليك" (١)!

وكمثال لتقريب الصورة: عرفنا أنّ أحد إجراءات السلطة الأموية قطع المخصصات المالية عن أتباع علي عليه السلام، ووضح أنّ عودتها مرهون بتخليهم عن ولائهم واشتراكهم في أداء المهام والواجبات سواء العامة منها التي تطلبها السلطة من عموم الناس وهم جزء منهم، أو الخاصة كوظائف تخصصها السلطة للمنضمين إلى أجهزتها الأمنية كالشرطة مثلاً، أو وظائف اقتصادية تهتم بشؤون الخراج والمؤن ونحو ذلك، أو يختار المحب لعلي عليه السلام طريقة الكسب الشخصي أي الاعتماد على مهنة أو حرفة معينة كالزراعة أو التجارة مثلاً، ولكن حتى طريقة العيش هذه لا يسمح بها الأمويون ما لم ينضم لها التخلي عن الولاء أو اتخاذ جانب الحياد من نهج علي عليه السلام إن صادف وسمحت بذلك لأحد علناً، وبالتالي ليس بعيداً أن يكون لسان حال الأغلب: "لنشترك معهم أو لنستعمل التقية معهم لضمان سلامتنا ورزق عوائلنا الآن إلى أن يفرجها الله لاحقاً!" والسؤال: كم ستكون نسبة المستعدين لترك وظائفهم والمجازفة بأرزاقهم - فضلاً عن المخاطرة بحياتهم وعوائلهم - إذا بلغهم نداء الحق الذي سيطلقه الحسين بعد حين؟

ثالثاً: كلا المدينتين (الكوفة والبصرة) يضمّان مجتمعاً خليطاً غير متجانس من الناحية الدينية والعرقية؛ إذ نجد فيها المسلم وغير المسلم، ونجد فيها العربي والفارسي والنبطي إلى جنب الموالي، وصحيح أنّ أغلب سكان المدينتين عرب مسلمون لكنهم لم يكونوا على توجّه واحد وونام كامل، وهذه بعض الملاحظات المهمة بهذا الخصوص:

بالنسبة للكوفة (٢):

١- تاريخ الكوفة الحديث يكشف عن أنها "معسكر" اختاره سعد بن أبي وقاص لاستقرار جيش المسلمين فيه نتيجة عدم ملائمة مناخ منطقة المدائن للقوات القادمة من

١- أقول ذلك: لأننا عشنا أيام ظلم بعض الطغاة كصدام المجرم ورأينا أساليبه التي تشبه أساليب عمّال بني أمية، وما ذكرته من حال الموالين لعلي عليه السلام آنذاك شاهدناه بأعيننا في حال الناس الموالين في زمن صدام، والناس هي الناس في كل زمان، نسأل الله الثبات على الحق.

٢- سأركز الحديث علماً؛ باعتبارها مسرحاً لأحداث ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

الحجاز إلى العراق في زمن عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ^(١)، ولما وصل سعد الكوفة قام بتخطيط قصر الإمارة ومنازل القبائل فيها واعتبر مسجد الجامع مركزاً لها^(٢). ولما كانت الكوفة مكاناً مثالياً لتدريب وعسكرة الجيش الإسلامي، وهي بين سنة ٤١ هـ إلى ٦٠ هـ تحت سلطة معاوية، فبكل تأكيد كان فيها قوات أمنية (جيش وشرطة) تابعة لسلطته، وبطبيعة الحال فإنّ قسماً منهم من أهل الكوفة كما أنّ قسماً منهم من أهل الشام والحجاز وأماكن أخرى؛ حيث تدفق عليها المهاجرون من أماكن مختلفة بعد أن بلغ نصيب المقاتل اثني عشر ألفاً^(٣)، وقد سبق إلى السكن والاستقرار فيها في وقت مبكر سبعون بدرية وثلاثمائة من أصحاب بيعة الشجرة^(٤).

٢- بالنسبة إلى القبائل اليمنية التي سكنت الكوفة بحسب ما رواه المؤرخون، فهي: (قضاة، غسان، بجيلة، خثعم، كندة، حضرموت، الأزد، مذحج، حمير، همدان، النخع)، وكان عددهم اثنا عشر ألفاً^(٥). وكانت السيطرة لقبائل: مذحج وهمدان وكندة. أما القبائل العدنانية التي سكنت الكوفة فأشهرها تميم، أيضاً: سكنت الكوفة قبائل بني بكر وهم: بنو أسد، غطفان، محارب، نمير. وتوجد قبائل أخرى مثل: كنانة وعبد القيس وتغلب وطي وثقيف وعامر وغيرها. والملاحظ أنّ الروح القبلية كانت هي السائدة داخل

١- روى الطبري: (كتب عمر إلى سعد: أخبرني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومهم؟ فكتب إليه سعد: إن الذي غيرهم وخومة البلاد إنّ العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان. فكتب إليه عمر: أنّ ابعت سلمان وحذيفة راندين فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس ببني وبينكم فيه بحر ولا جسر. فأرسلهما سعد فخرج سلمان حتى أتى الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وسار حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى أن يجعلهما منزل الثبات، فلما رجعا إلى سعد بالخبر، ... فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة) تاريخ الطبري: ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨.

٢- جعل شمال الجامع لقبائل: سليم، ثقيف، همدان، بجيلة، تميم، تغلب، وجنوب الجامع لقبائل: بني أسد، النخع، كندة، الأزد. وشرق الجامع لقبائل: الأنصار، مزينة، تميم، محارب، أسد، عامر. وغرب الجامع لقبائل: بجالة، جديلة، الليف، جهينة. انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٢٩.

٣- انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٤ / ٦.

٤- ترجم ابن سعد مائة وخمسين صحابياً نزلوا الكوفة واستقروا فيها، انظر: الطبقات الكبرى: ٦ / ٤٣.

٥- انظر: معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة: ١ / ١٥.

المجتمع الكوفي حتى إنّ الكوفة كانت مقسّمة إلى مناطق؛ لكل قبيلة منطقتها الخاصة بها التي لا يشاركها فيها أحد إلا من تحالف معها^(١).

وقد رأينا سابقاً، أنّ زياد بن أبيه استغل هذه الروح القبلية في إلقاء القبض على حجر بن عدي إذ ضرب بعض القبائل ببعض، كما أنّ ابنه "عبيد الله" عزف على نفس الوتر أيضاً في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة كما سنرى.

٣- لما كانت الكوفة معسكراً بالأصل، فقد اهتم الولاة على تنظيم الجيش فيها على أساس قبلي بطبيعة الحال، واستخدم فيها أولاً نظام الأسباع، أي تقسيم القبائل على سبعة أقسام أو فيالق، فكان السبع الأول: كنانة وحلفاؤها (المعروف بنصرته للولاة القرشيين والأمويين)، والثاني: كندة وختعم والأزد وآخرين، والثالث: مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم (المعروف بنصرته لأمر المؤمنين عليه السلام)، والرابع: تميم وحلفاؤها، وهكذا. وبعد معركة الجمل عيّناً أمير المؤمنين النظام السباعي بترتيب آخر. وفي سنة ٥٠ هـ عمّد زياد بن أبيه إلى جعله نظاماً رباعياً، فكان الربع الأول: أهل العالية (المدينة) وجعل عليه عمرو بن حريث، والثاني: تميم وهمدان وجعل عليهم خالد بن عرفطة، والثالث: ربيعة بكر وكندة وعليهم قيس بن الوليد، والرابع: مذحج وأسد وعليهم أبو بردة بن أبي موسى؛ ليسهل عليه السيطرة على الكوفة من خلال تعيين القيادات المطيعة للأمويين، وبقي هذا النظام هو السائد حتى زوال شأن الكوفة في أوائل القرن الرابع الهجري^(٢). وكان لهذا الترتيب الأموي دور في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة وتعبئة الجيش من أهلها للخروج إلى حرب الحسين فقد كان عمرو بن حريث وخالد بن عرفطة من قادة ذلك الجيش.

٤- في الكوفة: يتواجد الخوارج والمحكمة الذين كانوا يتبعون علماً عليه السلام أول أمرهم وخرجوا معه في صفين لكنهم كفّروه بعد مسألة التحكيم ثم خرجوا عليه في

١- يقول ابن أبي الحديد: "إنّ أهل الكوفة في آخر عهد علي كانوا قبائل فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنزل قبيلة أخرى، فينادي باسم قبيلته يا للنخع أو يا لکندة، فيتألب عليه فتيان القبيلة التي مر بها فينادون يا لتميم أو يا لربيعة، ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها فتسل السيوف وتثور الفتنة" شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢٣٩.

٢- انظر: خطط الكوفة، ترجمة وتعليق: تقي بن محمد المصعبي: ١٩ - ٢١، ٢٨.

النهروان، وبالرغم من أنه عليه السلام قاتلهم وكسر شوكتهم لكن لم يتم القضاء عليهم نهائياً، وقد رأينا أثر فعلهم مع الإمام الحسن عليه السلام لما انضم بعضهم إلى جيشه في خروجه لقتال معاوية بعد مقتل أبيه صلوات الله عليه، واستمرو وجودهم في الكوفة في أيام ملك معاوية وسيطرته عليها.

٥- في الكوفة أيضاً: يوجد منافقون كثرون يظهرون الولاء لعلي عليه السلام كذباً، وهؤلاء آذوا علياً عليه السلام في حياته كثيراً، واستمروا على نهج النفاق الذي تطبعوا به بعد شهادته، وكمثال لهذه الفئة المنحرفة: عائلة الأشعث بن قيس، وهو من أوائل من سكن الكوفة واستقر بها قبل قدوم أمير المؤمنين عليه السلام إليها بوقت طويل، فالأشعث - مثلاً - بالرغم من خروجه مع علي عليه السلام في صفين^(١) وكان أحد قادة جيشه - لموقعه في قبيلته - لكنه هو من أصرَّ على مخالفة الإمام عليه السلام في مسألة وقف القتال والتحكيم، وأيضاً خالفه بعد معركة النهروان لما عزم عليه السلام على العود لمحاربة معاوية لكن الأشعث رفض وتعلل بالتعب وضعف معنويات الجنود وما شابه، بل وكان له دور في قتل علي عليه السلام^(٢).

وعلى نفس النهج سار ولده: فابنته "جعدة" قتلت الحسن عليه السلام بالسم^(٣)، وابنه "محمد" كان من عمال زياد وابنه عبيد الله بن زياد في الكوفة وكان له دور في اعتقال حجر بن عدي وممن اشترك بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة^(٤). وأما ابنه الآخر "قيس" فهو ممن كاتب الحسين عليه السلام يدعوه للقدوم إلى الكوفة لكنه التحق بجيش عمر بن سعد وأنكر مكاتبته له، بل وهو الذي سلب قطيفة الإمام الحسين عليه السلام بعد مقتله^(٥).

١- لمعرفة مخالفات الأشعث لأمر المؤمنين في المعركة، انظر: وقعة صفين: ١٣٧ - ١٤٠، ٤٨٠ - ٤٨١.

٢- ذكر المؤرخون: إن ابن ملجم لعنه الله لما دخل الكوفة أقام شهراً كاملاً في بيت الأشعث يخطط لجريمته، وهو من شجعه على القيام بها قبل طلوع الفجر لئلا يفتضح أمره. انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٢: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٣ / ٢٧.

٣- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٤.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٢٦٣ - ٢٦٤، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٨٠.

٥- انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٤٥٣، والقطيفة: هي الدثار المخمل.

وأنها لما أتحدث عن الأشعث كمثال مؤثر في مجتمع الكوفة، أتحدث عن زعيم من زعماء قبيلة كندة معروف ومطاع عند كثير من أبنائها وغيرهم ربما إلى حد أن علياً عليه السلام لما عزله يوم صفين عن قيادة كندة وربيعه في جيشه وعين حسان بن مخدوج بدلاً منه اعترض عليه الكثير منهم وأحدثوا خلافاً واسعاً بلغ صداه معاوية وسعى حينها إلى جذب الأشعث إليه، فأسرع الإمام عليه السلام بحكمته إلى وئد الفتنة وأبقاه قائداً على ميمنة جيشه. ثم إنَّ الأشعث وإن كان مات سنة ٤٠ هـ بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، لكن أولاده ونهجه الخبيث لم ينته في الكوفة بطبيعة الحال.

"عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام" (١).

وإضافة إلى المنافقين، تعتبر الكوفة حاضنة لكثير من رجالات النهج الأموي وهم كثير، منهم: عمرو بن الحجاج الزبيدي، يزيد بن الحرث، شبت بن ربيعي، عمرو بن حريث، عمر بن سعد وغيرهم، وهؤلاء يعتبرون من وجوه الكوفة المؤثرين جداً في مجتمعهم ولعبوا دوراً كبيراً في إفشال ثورة مسلم بن عقيل وقيادة الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام.

٦- في الكوفة أيضاً: نلاحظ انقساماً واضحاً في الموقف الديني والعائدي حتى داخل القبيلة الواحدة بل البيت الواحد؛ فضلاً عن ملاحظة حال عموم القبائل، فمحمد بن الأشعث - الذي كنّا نتحدث عنه قبل قليل - كندي كوفي، أموي الهوى وكان أحد عمّال زياد وابنه عبید الله، بينما حجر بن عدي يسري فيه حب علي عليه السلام حتى النخاع وهو كندي كوفي أيضاً، والمفارقة أن ابن عمه "محمد" هو من شارك باعتقاله بأمر من زياد. وأيضاً: حبيب بن مظاهر أسدي كوفي قدى نفسه للحسين عليه السلام، بينما حرمله بن كاهل الذي أصاب جسد الحسين عليه السلام بسهم وقتل طفله بين يديه أسدي كوفي أيضاً، وهكذا.

وهذا الانقسام لم يكن موجوداً في أيام الحسين عليه السلام فقط، وإنما هذا هو حال الناس دائماً في كل زمان، وهذا نص يحكي حال مجتمع الكوفة في أيام علي عليه السلام بعد رجوعه من صفين ووصوله الكوفة:

(مر برجل مريض فقال له: خبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المسرور وهم أغشاء الناس وفيهم المكبوت الأسف بما كان بينك وبينهم وأولئك نصحاء الناس لك، قال: صدقت... ثم مضى غير بعيد فلقية عبد الله بن وداعة الأنصاري فدنا منه وسلم عليه وسأله فقال له: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا؟ قال: منهم المعجب به ومنهم الكاره له، قال: فما قول ذوي الرأي؟ قال: يقولون إنّ علياً كان له جمع عظيم ففرقه وكان له حصن حصين فهدمه فمتى يبني ما هدم ويجمع ما فرق ولو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم، قال علي: أنا هدمت أم هم هدموا أنا فرقنا أم هم فرقوا؟ أما قولهم: لو كان مضى بمن أطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك فوالله ما خفي هذا عني وإن كنت لسخياً بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالإقدام على القوم فنظرت إلى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين ونظرت إلى هذين استقدما يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة وكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا وأيم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لألقيهم وليسوا معي في عسكرولا دار) (١).

٧- هذه أمثلة واقعية لطبيعة المجتمع الكوفي الذي يتصف بصفات عديدة، أوضحها:

أولاً: ازدواجية المواقف والتقلب فيها، فمثلاً: لاحظنا أنهم من أرغم الإمام الحسن عليه السلام على الصلح مع معاوية نتيجة خذلانهم له، ولكن بمجرد أن ترك الإمام بلدتهم ورجع إلى المدينة صاروا ينوحون عليه! وكانوا قد فعلوا مثل ذلك مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ونفس الأمر سيكررونه مع الإمام الحسين عليه السلام فبعد أن شاركوا بقتله أخذوا ينوحون عليه حتى إنّ الإمام علي بن الحسين أستغرب من ذلك عند قدوم موكب

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦/ ٣٢٣.

السي إلى الكوفة ورؤية الناس من حولهم سيكون، قال: "إنَّ هؤلاء سيكون وينوحون من أجلنا، فمن قتلنا؟" (١).

ثانياً: الغدروالخذلان، فمثلاً: بعد أن أحصى ديوان مسلم بن عقيل عدد المبايعين له ثمانية عشر ألفاً منهم، وبعد أن ثار بوجه عبيد الله بن زياد وحاصره في قصره بأربعة آلاف منهم - كما سيتضح - نجده في غضون ساعات قليلة وحيداً فريداً لا يجد من يأويه أو يرشده الطريق؟! وسنرى أنَّ كتبهم التي بعثوا بها إلى الحسين يطلبون منه القدوم تبخرت وتلاشى مفعولها خلال وقت قصير جداً؟! ولأنَّ هذا الأمر كان معروفاً عنهم وشائعاً في سيرتهم نصح داود بن علي زيدا الشهيد فقال: "يا بن ابن عم إنَّ هؤلاء يغرونك من نفسك، أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه وانتهبوا فسطاطه وجرحوه، أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأؤكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه" (٢).

ثالثاً: التهاك على الدنيا والمال، وقد عزف الأمويون وعمّالهم على هذا الوتر كثيراً، وكان له دور كبير في تخذيل الناس عن أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، وسنرى أنَّ الأموال التي أغدقها ابن زياد على أشرف الكوفة وزعماء القبائل والوجوه فيها أسهمت بشكل كبير في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل بل وحمل الناس على الخروج لحرب الحسين؛ إمامهم الذي كاتبه الآلاف منهم بعد أن منّاهم ابن زياد برفع مرتباتهم (٣) وربما أحد أسباب هذا الاندفاع على المال هو حالة البؤس والفقر التي يعاني منها أكثر أهل الكوفة في قبال طبقة تتمتع بوضع اقتصادي جيد ومترف وهم أنفار قلائل مثل: الأشعث

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٢٩.

٢- تاريخ الطبري: ٥ / ٤٨٨.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨٥، إذ خطب ابن زياد في أهل الكوفة فذكر معاوية ثم قال: "وهذا ابنه يزيد من بعده، ... وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا".

بن قيس وعمرو بن حريث وشبث بن ربعي وأمثالهم من المحسوبين على ملأ السلطة وحاشيتها.

رابعاً: التأثير بالدعاية والإعلام بشكل كبير، فمثلاً: سار بهم الإمام الحسن لحرب معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد أن أشيع بين أوساطهم (كذباً) أنه قد يصلح معاوية ماجت بهم الفتنة وعمد بعضهم إلى خيمة الإمام وأمتعته فنهبوها واعتدوا عليه فطعنوه في فخذيه، وهكذا الحال لما بث ابن زياد في الكوفة خبر قدوم جيش الشام خفوا سراعاً إلى ترك مسلم بن عقيل يلاقي مصيره وحده والحال أن جيش مسلم كان قوامه أربعة آلاف في قبال ابن زياد الذي لم يكن معه سوى بضعة عشرات قليلة من حاشيته وشرطته المتحصنين داخل القصر، كما سيأتي.

أما البصرة:

ليس الحال في البصرة بأفضل من الكوفة، فهم - من جهة - لم يكونوا قريبين من أمير المؤمنين عليه السلام كأهل الكوفة التي أقام فيها ما يزيد على الأربع سنين كعاصمة لدولته، ومن جهة ثانية: إن ساحة البصرة وإن كانت أفضل من الكوفة من جهة تأثير الخوارج والحرورية، لكنها ابتلت بنوع آخر من المبغضين وهم قبائل وأهالي المشتركين بحرب الجمل، إذ أن انقساماً حاداً حصل آنذاك في مواقف قبائل البصرة بين مؤيد لعلي عليه السلام، ومؤيد لعائشة وطلحة والزبير، وهناك قبائل انقسمت صفوفها بين مؤيد لعلي عليه السلام ومؤيد للطرف الآخر ومن يدعو إلى اعتزال الطرفين^(١)، وكان من مخلفات الحرب الظالمة وقوع آلاف القتلى^(٢)؛ نصفهم أو أكثر كانوا من المنضمين إلى جبهة طلحة والزبير، وكان معاوية يصفهم بالموتورين في كلامه لعبد الله الحضرمي لما وجهه سنة ٣٨ هـ للسير إلى البصرة لتهييج أهلها على علي عليه السلام، قال له: (سر إلى البصرة فإن جل

١- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٣/ ٥١٣ - ٥١٧.

٢- بحسب الطبري (٣/ ٥١٧) كان عدد القتلى عشرة آلاف، وأوصلها بعضهم إلى ثلاثين ألفاً، كاليقوي في تاريخه، والحنق: الغيظ.

أهلها يرون رأينا في عثمان ويعظمون قتله وقد قتلوا في الطلب بدمه وهم موتورون حنقون لما أصابهم، ودّوا لو يجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان) (١).

تركت معركة الجمل أثرها على كثيرين في البصرة، كما تركت سياسات أمراء بني أمية بصمتها على سلوكهم تماماً كما ذكرناه في الكوفة، لا سيما وأنّ والي البصرة لسنين طويلة هو زياد بن أبيه ثم ابنه عبيد الله، وبالتالي فالإجراءات الظالمة التي اتخذها زياد مع أتباع علي عليه السلام في الكوفة هي نفسها التي فعلها مع أتباع علي في البصرة، ولا شك أنّ زياداً كان على دراية تامة بها وبقبائلها وبيوتاتها ورجالات الشيعة المؤثرين فيها؛ باعتبار أنه كان منهم أول أمره - كما عرفنا - ثم انكفاً على عقبيه خبيثاً مجرمّاً فتاكاً لا يقاس به حتى الحجاج بن يوسف الثقفي، وسارولده عبيد الله بنفس سيرته، ولهذا أسرع يزيد إلى تعيينه والياً على الكوفة إضافة للبصرة لما بلغه وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة وبدء نشاطه فيها، والملفت أنّ ابن زياد لما سار إلى الكوفة اصطحب معه واحداً من أكبر رجالات الشيعة في البصرة وهو شريك بن الأعور الهمداني، وفعله هذا لا يعدو:

- إما أنّ يكون شريك تنازل عن ولائه، وهذا بعيد لأننا سنعرف أنه أثناء مرضه بالكوفة ورقوده في بيت هاني بن عروة وعلمه بمجيء ابن زياد لعيادته، أشار على مسلم بقتل ابن زياد والخلّاص منه، وأضاف لمسلم: أنه سيتكفل له أمر البصرة إذا شفي من مرضه، وهذا يعني أنّ الرجل لا زال على ولائه.
- أو أنّ ابن زياد جاء به إلى الكوفة، لأنه كانت تربطه به علاقة وثيقة، ويمكنه أن يستفيد منه في التأثير على رجالات الشيعة في الكوفة وإسكات فورة أهلها.
- أو أنّ اصطحاب ابن زياد له من أجل أن يأمن جانبه من التحرك بالبصرة عند غيابه وابتعاده عنها.

ونحن طالما استبعدنا الاحتمال الأول، فكل من الاحتمالين الآخرين لا يبشّر بخير بخصوص ما نرجوه من نصرة الأتباع والمحبين للحسين عليه السلام، ويؤكد ثالث الاحتمالات أنّ شريك الهمداني أتى بدون رغبة منه وكان مجبوراً على الاستجابة لطلب الوالي الظالم، وإذا كان هذا هو حال شريك فما بالك بحال بقية المحبين لعلي عليه السلام

١- الغارات، الثقفي: ٣٧٥/٢، والموتور: هو الذي قتل له قتيل ولم يدرك بدمه.

- سواء كانوا في البصرة أو الكوفة - في التعامل مع أوامر ولادة بني أمية! بل لِمَ لا نتوقع أن كثيراً منهم سيعتذرون عن استجابة نداء الحسين عليه السلام متعللين بالخوف من بطش الظالمين وعدم القدرة على تحمل أذاهم الذي يطال كل شيء عزيز، وأن بيعتهم ورسائلهم (بالعموم الأغلب) التي سيبعثون بها إلى الحسين عليه السلام تكون مجرد فورة وتوق منهم إلى الخلاص، ولا مانع من أن تتضمن حب ورغبة وأمنيات صادقة بالنصر والتمكين للحسين لكن ليس لدى أصحابها استعداد حقيقي للتضحية والإقدام والدفاع عن دين الله مع إمامهم؛ وبالتالي لا يوقفون للوقوف معه نتيجة فقدانهم جهتين أساسيتين؛ الأولى: الإخلاص لله واستهانة العطاء لأجله سبحانه، والثانية: قوة البأس والشجاعة التي تتطلبها قضية إلهية كبرى بحجم قضية الحسين عليه السلام.

وسأضيف الآن سبباً آخر يسهم بشكل كبير في تقييم حركة واستجابة الأتباع والموالين للأئمة عموماً والحسين بالخصوص، ويفسر لنا كثيراً من مجريات الأحداث التي وقعت على الأرض فعلاً خلال ثورة الحسين عليه السلام والتي بدا ضعف الاستجابة والخذلان فيها واضح وكبير.

كيف تعامل الناس مع الإمام الحق:

- الناس: أقصد بهم من يتبعون ويتولّون قائداً إلهياً نبياً كان أو وصياً.
- الإمام الحق: وصف أشمل من "الإمام المعصوم" باعتبار أن كثيراً من الناس تبعت علياً عليه السلام مثلاً بوصفه الأحق والأليق بالخلافة دون أن تعتقد بإمامته وعصمته بالمعنى الديني المعروف.

وإذا عرفنا ذلك، فإن أهمية إثارة هذه النقطة هنا تكون بمثابة تنمة لمعرفة سلوك المسلمين - خصوصاً أتباع أهل البيت عليهم السلام - في مختلف مدنهم وتفسير ضعف استجابتهم لنداء الحسين عليه السلام.

ابتداءً، نحن نعتقد أن الدنيا دار بلاء وامتحان وليست دار جزاء، ومن أهم ما ابتلى الله به عباده هو طاعة القائد الرباني (نبي، رسول، إمام) المنصب من قبله، إذ ورد في صفة

آل محمد عليهم السلام: "أنتم.. الباب المبثلى به الناس" ^(١)، وهذا المعنى ذكر في روايات المسلمين (السنة) أيضاً ^(٢). وهم - أي: القادة الربانيون - من جهتهم مبتلون بالناس أيضاً؛ باعتبار أن واحدة من وظائفهم وهمومهم هي: هداية الناس والرحمة بهم، وهذا يتطلب - بطبيعة الحال - تعليمهم والصبر على أذاهم ومداراتهم؛ لئلا ينفروا عنهم ويبتعدوا عن طريقهم فيهلكوا.

ثم إن الناس في طريقة تعاملهم مع هذا القائد الرباني ليسوا متساويين نتيجة تفاوت درجات إيمانهم ومستوى أخلاقهم وخلفياتهم وطبائعهم، فمثلاً: لا يشك أحد من المسلمين نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وعصمته، لكننا مع هذا نجد الكثير من الشواهد التي يتصرف فيها كثير من المسلمين مع الرسول بطريقة مؤذية، وقد تضمنت كتب المسلمين العديد من تلك الممارسات، بل ونجد مثل ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" الجمعة: ١١.

(حدثنا جابر بن عبد الله قال بينما نحن نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً) ^(٣).

ليس كل من ترك الرسول و انصرف عنه منافق، ولا أن المسلمين فقط هم الاثنا عشر الذين بقوا معه، لكنه واقع حال المسلمين ومستوى إدراكهم لأكرم خلق الله وعصمته وقيمة الصلاة خلفه، والرسول مع هذا يصبر عليهم ويعلمهم ويدارهم رحمة بهم.

نفس الشيء لاحظناه بوضوح فيما حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام من قبل أهل الكوفة، ولوراجعنا فقط ما حصل معه في صفين من اعتراضات أتباعه لكفى، وإذا يلحظ

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ٢ / ٥٢٦.

٢- "عن عمارة بن يحيى بن خالد بن عرفطة قال كنا عند خالد ابن عرفطة يوم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال لنا خالد هذا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي. رواه الطبراني والبخاري رجال الصحيح غير عمارة وعمارة وثقه ابن حبان" مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١٩٤.

٣- صحيح البخاري: ١ / ٢٢٥.

أحد الشدة في كلام الامام عليه السلام معهم؛ فلأن الموقف كان يتطلب ذلك بسبب حجم الخطورة المترتبة على خذلانهم له، فالهدف الذي كان يطمح له معاوية - ويعرفه علي عليه السلام جيداً - هو القضاء على دين محمد صلى الله عليه وآله تماماً، ولكنه عليه السلام مع كل ما صدر منهم لم يعاقب أو يطرد أحداً منهم، أو يبخل عليه بالنصح والإرشاد، أو يمنع حقه من العطاء ونحو ذلك طالما لم يخرج بسلاح.

وأيضاً: نفس سلوك الناس هذا وجدناه صدر مع الإمام الحسن عليه السلام حتى بلغ الحال ببعض أتباعه أن وصفوه بـ "مذل المؤمنين"، وبعضهم طلب من الحسين عليه السلام أن يتصدى لقبول بيعة الناس؛ لأنهم لم يعجبهم تصرف الحسن عليه السلام في الصلح مع معاوية، بالرغم من اعتقادهم بإمامته وعصمته^(١)! والحسن عليه السلام

١- هذه نصوص ذكرها الدينوري في "الأخبار الطوال" وابن قتيبة في "الامامة والسياسة":

- قال الدينوري: (وروي عن علي بن محمد بن بشير الهمداني، قال: خرجت أنا وسفيان ابن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التميمي، وسراج بن مالك الخثعمي، فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: وعليك السلام، اجلس، لست مذل المؤمنين ولكي معزهم. ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجيال والشجر ما كان بد من إفشاء هذا الأمر إليه. قال: ثم خرجنا من عنده ودخلنا على الحسين فأخبرناه بما رد علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حليماً من إحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حياً) الأخبار الطوال: ٢٢١.

- قال الدينوري: (كان أول من لقي الحسن بن علي رضي الله عنه فندمه على ما صنع ودعاه إلى رد الحرب حجر بن عدي، فقال له يا بن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنيا من أنفسنا، وقبلنا الخسيصة التي لم تلق بنا. فاشتد على الحسن رضي الله عنه كلام حجر، فقال له: إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح وكرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحنا بقاءاً على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن).

قال: فخرج من عنده، ودخل على الحسين رضي الله عنه مع عبيدة بن عمرو، فقالا: أبا عبد الله، شريتم الذل بالعز وقبلتم القليل وتركتم الكثير، أطعنا اليوم وأعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولني وصاحبي هذه المقدمة. فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيف. فقال الحسين: أنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا) الأخبار الطوال: ٢٢٠.

- قال ابن قتيبة: (وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام، أتاه سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة. وكان سيد أهل العراق ورأسهم. فدخل على الحسن، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس. لله أبوك، قال: فجلس سليمان، فقال: أما بعد، فإن تعجبنا لا ينقضي من

بالرغم من هذا يقابلهم بسلوك جده وأبيه صلوات الله عليهم، مع أن قراءة موضوعية للأحداث - وقد تقدمت الإشارة لها بإيجاز - تجعلنا ندرك أن خذلان أتباعه له كان هو السبب الذي دعاه للصالح ولا شيء آخر، وإذا كان هناك من يستحق اللوم فهم الأتباع وليس الإمام. ثم إنهم لو صبروا وترووا قليلاً لعلمو أن الإمام لا يتصرف من نفسه وكل ما يصدر منه بعهد معهود^(١).

بيعتك معاوية ومعك مئة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العهد، ولا خطأ من القضية، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت، وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق، كنت كتبت عليك بذلك كتاباً، وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب إن هذا الأمر لك من بعده، كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله، ثم قال: وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت، إني كنت شرطت لقوم شروطاً، ووعدتهم عداً، ومنيتهم أماناً، إرادة إطفاء نار الحرب، ومدارة لهذه الفتنة، إذ جمع الله لنا كلمتنا وألفتنا، فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين، ووالله ما عني بذلك إلا نقض ما بينك وبينه، فأعد للحرب خدعة، واذن لي أشخص إلى الكوفة، فأخرج عامله منها، وأظهر فيها خلعه، وانبد إليه على سواء إن الله لا يهدي كيد الخائنين. ثم سكت. فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقاتله، وكلهم يقول: ابعت سليمان بن صرد، وابعثنا معه، ثم ألحقنا إذا علمت أننا قد أشخصنا عامله، وأظهرنا خلعه. فتكلم الحسن، فحمد الله، ثم قال: أما بعد، فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا، ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم، ولكني أشهد الله وإياكم أنني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمانكم، وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمر الله، والزموا بيوكم، وكفوا أيديكم، حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر، مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سيأتي الأمر، فوالله لو سرننا إليه بالجبال والشجر، ما شككت أنه سيظهر، إن الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وأما قولك: يا مذل المؤمنين، فوالله لأن تذلو وتعاثوا أحب إلي من أن تعزوا وتقتلوا، فإن رد الله علينا حقنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنا رضينا، وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حياً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال: ثم خرج سليمان بن صرد من عنده، فدخل على الحسين، فعرض عليه ما عرض على الحسن، وأخبره بما رد عليه الحسن، فقال الحسين: ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حياً، فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً. فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتهم، ورأينا ورأيتم) الامامة والسياسة: ١ / ١٤١ - ١٤٢.

١- روى العياشي: (عن أبي جعفر عليه السلام، قال: والله الذي صنعه الحسن بن علي عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس، والله لفيه نزلت هذه الآية "ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" إنما هي طاعة الامام فطلبوا القتال، فلما كتب عليهم "مع الحسين عليه السلام" قالوا ربنا لم تكتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب"، وقوله: "ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل" أرادوا تأخير ذلك إلى القوائم عليه السلام) تفسير العياشي: ١ / ٢٥٨.

هذا هو الحال الذي يتكرر مع الأئمة عليهم السلام من قبل أتباعهم ومحبيهم دائماً ولا ينجو منه إلا من رحم الله، ولا يكاد يختلف الحال في زمن الحسين عليه السلام بل وفي أي زمان يأتي بعده ما دمنا في دنيا الامتحان.

ولا يتوهم أحد أنّ سبب الاعتراض والخذلان ما كان ليحصل إلا نتيجة عدم الاعتقاد بعصمة الإمام، وإلا ما اعترضوا عليه ولا خذلوه؟ الحقيقة، إنّ مثل هذا التوهم غير صحيح؛ لعدة أسباب:

١- ينبغي معرفة أنّ الخذلان أوسع من الاعتراض، فالخذلان قد يحصل بالاعتراض وقد يحصل بالفشل في المسيرة والانصراف للعالم وقد يحصل بالجبن والخوف وغير ذلك، ومؤدى الجميع واحد وهو إضعاف جبهة الإمام الحق، وكل مصاديق الخذلان المتقدمة ممكن أن تصدر ممن يعتقد بعصمة الإمام الذي يتبعه، وقد حصل بالفعل كما لاحظنا ما جرى مع الإمام الحسن عليه السلام.

٢- قلت فيما سبق: إنّ طبيعة تعاطي أتباع ومحبي الأئمة مع عصمة الأئمة عليهم السلام متفاوت ومختلف؛ لأسباب منها شخصية تتعلق بمستوى فهم الشخص وإدراكه ودينه، وكما أنّ بعض أتباع الأئمة اليوم يحلو لهم وضع عقائد بحسب تفسيراتهم وفهمهم ففي تلك الأزمنة يوجد الكثير ممن يحلو لهم ذلك أيضاً.

٣- مسألة استحضار العصمة بالمعنى الديني أثناء التعامل مع الإمام دائماً ليست بالأمر السهل إطلاقاً وتحتاج إلى توفيق إلهي عظيم، ولا يطبق ذلك أغلب الناس (المؤمنين) خلال فترة مسيرتهم له، نتيجة شدة تعلق الدنيا بأهلها واختلاف أمزجتهم تجاه ما يصادفونه فيها، ونتيجة اختلاف مستوى وعيهم ومعرفتهم ومدى صبرهم وملازمتهم للإمام، ثم نتيجة خفاء حكمة تصرف الإمام تجاه أحداث معينة خصوصاً في حالات تتطلب الكتمان وعدم الإفشاء.

٤- هذه رواية توضح حال أتباع الإمام الصادق عليه السلام، والمفروض أنّهم قد تعلموا وثقّفوا على يديه وعرفوا معنى العصمة التي يتصف بها إمامهم:

"عن الفضيل بن يسار قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أنا ومحمد بن مسلم فقلنا ما لنا وللناس بكم والله نأتم وعنكم نأخذ ولكم والله نسلم ومن وليتم والله تولينا ومن برئتم منه برئنا منه ومن كففتم عنه كففتنا عنه فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده إلى السماء فقال والله هذا هو الحق المبين" (١).

واضح أنّ الرواية تتضمن تصريح شخيصتين كبيرتين من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وثقاته المعتمدين لديه بعقيدتهما أمام الامام، ولكن قد يبدو هذا غريباً؛ إذ لا معنى أن يدخل عليه ويصرّحاً أمامه بعقيدتهما بهذه الهمة والعزيمة التي تبدو في الرواية بحيث إنهما دخلا عليه معاً ونطقاً بصوت واحد أمامه، وهل الإمام يخفى عليه ذلك؟ هل كان يشك في عقيدتهما وحالهما وهو العارف بأمنهما من خيار أصحابه وخلاصة جهده وتربيته على مدى سنوات عديدة خبرهما فيها جيداً؟ كيف، وهو الذي كان يصف الفضيل بأنه رجل منا أهل البيت (٢)، ويعتبر محمد بن مسلم أحد الأوتاد وأعلام الدين (٣)!

نعم، يكون للرواية معنى معقول وتصلح للاستشهاد في موضوعنا (٤) إذا لاحظنا المحيط والظرف الذي قيلت فيه، فالزمان كان في أيام تداعي وسقوط الدولة الأموية وبداية تشكّل الدولة العباسية، والامام الصادق عليه السلام في ذلك الوقت وجد متسعاً لم يجده سائر أئمة أهل البيت الذين عاشوا في أيام استقرار حكم الطغاة المتسلطين، لذلك توسع مجلسه وكثر عدد الحاضرين فيه وصار شيعته وأتباعه يرتادون مجلسه باستمرار، وبالتأكيد فإنهم كانوا يتداولون أخبار الساحة والوضع السياسي في البلاد وما آلت إليه الأوضاع؛ لا سيما وأنّ العباسيين ابتدأوا مشروعاتهم برفع شعار الرضا من آل محمد وكان كبار رجالهم يرسلون الرسائل إلى الإمام الصادق عليه السلام طلباً لمباركته والاشتراك معهم، والإمام يعرف أنهم كاذبون ولا يختلف حالهم عن الأمويين في نهاية

١- مختصر بصائر الدرجات، ابن سليمان الحلبي: ٧٦.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: "رحم الله الفضيل ابن يسار هو منا أهل البيت" من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤ / ٤٤١.

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: "أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البخري المرادي، ووزارة بن أعين" اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٠٧.

٤- وهذا الأمر عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص كان معه.

المطاف ويريدون أن يتخذوا آل محمد جسراً يعبرون من خلاله إلى تحقيق مأربهم وطموحهم بالتسلط على الناس، وليسوا بصدد إرجاع الحق إلى أهله أصلاً.

بالمقابل فإنّ هذه الصورة لم تكن واضحة لدى أصحابه وشيعته أو ربما لم يكن وضوحها بالمستوى المطلوب فكانوا يطلبون منه أن يجيب على رسائل العباسيين أو يقترح منهم أو يشترك معهم بطريقة ما سواء بنفسه أو من خلال ثقافة يمثلونه ونحو ذلك من اقتراحات وآراء كانوا يكررونها عليه في مجلسه باستمرار، وربما كان أغلبهم أو كثيراً منهم يطرحونها بحسن نية وبقصد التخفيف من أذى ومعاناة الإمام وأصحابه ولم يكونوا يقصدون الاعتراض أو إدخال الأذى عليه، لكن سلوكهم - على كل حال - كان يؤدي للإمام؛ باعتبار أنّ كلامهم واقتراحاتهم ليست لها قيمة حقيقة عند الله أصلاً، والفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم كانا يعرفان ذلك جيداً، لذلك أرادا بدخولهما على مجلس الإمام بهمة وإعلانهما العقيدة الحقّة بصوت واحد أمامه أن يسمعا جميع الحاضرين حتى يكفّوا عن تكرار طرح هذه الاقتراحات والآراء وحتى يعلم الجميع أنّ وظيفة الأتباع هي حسن الانتماء والطاعة والتسليم للإمام وليس تعليمه كيف يؤدي تكليفه!

الحقيقة، إنّ هذه الرواية تسهم مساهمة فاعلة بتوضيح حال أتباع الأئمة عليهم السلام في كل زمان ومنه زمن الحسين عليه السلام، وتضيف - إلى بقية الأسباب التي تقدمت - سبباً آخر يوضح ضعف استجابة الأتباع والمحيين لنداء الحسين عليه السلام بما في ذلك موقف شخصيات كبيرة مثل: ابن عباس وميثم التمار وسليمان بن صرد وأمثالهم؛ لأنهم بالأصل لم يكونوا يتمنّون للإمام أن يسلك مسلماً يكون مصيره فيه القتل المحتوم، ولهذا كان التردد واضحاً في موقفهم وسلوكهم، وبعضهم قد طرح فعلاً على الإمام آراء أخرى غير الذهاب إلى العراق بقصد سلامته ودفع القتل عنه^(١).

١- روى ابن أعمش الكوفي: (قال: وقدم ابن عباس في تلك الأيام إلى مكة، وقد بلغه أن الحسين عليه السلام يريد أن يصير إلى العراق، فأقبل حتى دخل عليه مسلماً، فقال: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله! إنه قد شاع الخبر في الناس وأرجفوا بأنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع! فقال الحسين: نعم، إني أزمعت على ذلك في أيامي هذه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. فقال ابن عباس رحمه الله: أعيذك بالله من ذلك! فإن تصر إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، في مسيرك إليهم لعمرى الرشاد والسداد، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم وعمالهم يجيبون بلادهم، وإنما دعوك إلى الحرب والقتال، وإنك تعلم أنه بلد قد قتل فيه أبوك

علماء، إنّ القادة الربّانيين - ومنهم الحسين عليه السلام - لا يرفضون أي مستوى إيماني يتحلّى به الناس؛ لأنّه - كما قدمت - جزء من امتحانهم في هذه الدنيا ولأنهم باب رحمة الله، فهم يربّون أتباعهم ويأخذون بأيدهم لنيل أعلى الدرجات وإذا اختاروا - أي الأتباع - عدم بلوغها يحاولون صلوات الله عليهم قدر الإمكان تقليل خسارة المؤمنين إلى أقصى حد ممكن ويتربّحون ويتربّضون ويثنون بالفضل على من يتدارك التقصير ولو بعد حين بالرغم من أنّ المقصّر قد فاتته الخير العظيم لو كان قد أتى به في وقته، وهذا من شدة رحمتهم وهم مظاهر رحمة الله.

الخلاصة:

إنّنا إذا ما أردنا أن نجيب على السؤال الذي ابتدأنا به البحث، فبوسعنا أن نقول: إنّ استجابة نداء الحسين غير ممكنة في الشام، وشبه معدومة في الحجاز، إما في العراق فهي وإن كانت ممكنة بل ومرجحة (نظرياً)؛ نتيجة وجود الأتباع الكثيرين، لكن الخشية من أن يكون الخوف قد استولى على غالبيتهم بسبب إجرام الأمويين، وكذلك الخشية من أن يكون التردد في الإقدام قد تمكّن من بعض أعيانهم وكبارهم، وهذا ما حصل بالفعل.

واغتيل فيه أخوك وقتل فيه ابن عمك وبوع يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد في البلد يعطي ويفرض، والناس اليوم إنما هم عبيد الدينار والدرهم، ولا آمن عليك أن تقتل، فاتق الله والزم هذا الحرم. فقال له الحسين: والله أن أقتل بالعراق أحب إلي من أن أقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، وأنا مع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون.

ثم بعد ذلك أقبل عبد الله بن عباس إليه فدخل وقال: يا بن بنت رسول الله! إني قد رأيت رأيين إن قبلت من! فقال الحسين: وما ذلك؟ قال: تخرج إلى بلاد اليمن، فإن فيها حصونا وشعابا وهي أرض عريضة طويلة، وإن لك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك. فقال الحسين: يا بن عمي! إني لأعلم أنك ناصح شفوق، ولكني أزمعت على المسير إلى العراق، ولا بد من ذلك، فأطرق ابن عباس رحمه الله ساعة ثم قال: يا بن بنت رسول الله! إن كنت قد أزمعت ولا بد لك من ذلك فلا تسر بنسائك وأولادك فإني خائف عليك أن تقتل كما قتل عفان وأهله وولده ينظرون إليه ولا يقدرّون له على حيلة، والله يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك عن مكة وتخليتك إياه هذا البلد، وهو اليوم لا ينظر إليه فإذا خرجت نظر إليه الناس بعد ذلك. فقال الحسين رضي الله عنه: إني أستخير الله تعالى في هذا الأمر ماذا يكون. قال: فخرج ابن عباس من عنده وهو يقول: وا حبيباه الفتوح: ٥/ ٥٦ - ٦٦.

(٢)

ما قبل عاشوراء الحسين (ع)

شهر رجب ٦٠ هـ - مطلع محرم سنة ٦١ هـ

الفترة الزمنية بين شهر رجب سنة ٦٠ هـ ومطلع محرم الحرام سنة ٦١ هـ لا تزيد عن الستة أشهر وهو وقت قصير جداً، إلا أنه كان مليئاً بالمتغيرات والأحداث الكبيرة التي طبعت أثرها في جبين خط الرسائل الإلهية والتاريخ الإنساني عموماً، ونحن لا نكتفي بعرض الأحداث في سرد تاريخي معتاد، وإنما نشير إلى الحدث وخلفياته وما يحيط به حتى تتضح الحقائق ويُبان شيء من موقف الإمام الحسين الثائر لدين الله وحاكميته سبحانه.

بيعة يزيد وموقف الحسين (ع) منها:

هلك معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ، وبويع يزيد مكانه في الشام. وبالرغم من أن أحداً من المسلمين لا يشك بعدم لياقته لمنصب القيادة والحكم، لكن الملفت أننا إذا استثنينا صرخة الرفض المدوية التي أطلقها الحسين بن علي لا نرى موقفاً رافضياً أو عملية احتجاج واسعة قام بها المسلمون كردة فعل تناسب خطورة الحدث، وكأنّ القوم مخدّرون قد استسلموا لأمر واقع.

التمهيد لبيعة يزيد:

مهما يكن الأمر، فإنّبيعة يزيد بالملك لم يكن أمراً مفاجئاً للمسلمين؛ لأنّ معاوية كان قد مهدّ لخلافة ابنه يزيد مباشرة بعد أن استتبّ له الأمور عام ٤١ هـ، وبحسب بعض

المصادر^(١) فإنّ المغيرة بن شعبه هو من هيّج الفكرة في بال معاوية، لكن الحقيقة إنّ معاوية لا يحتاج أن ينهيه أحد لفكرة استخلاف ابنه. نعم، ربما كانت محاولة المغيرة - التي أراد التزلّف بها إلى معاوية والظهور بمظهر الناصح لديمومة مشروعه - هي إشارة للبدء والمباشرة بالتمهيد. وفعلاً، باشر معاوية التهيئة وجس نبض جمهور المسلمين الذين كانوا يتوافدون إليه في قصره بالشام، وفي أحد المرات حضروا كبريتزعمه الأحنف بن قيس (أحد زعماء البصرة) فنسق معاوية مع الضحّاك بن قيس أن يتحدث بعده على المنبر بحضور الوفد ويشير إلى الموت الذي لا يسلم منه أحد بما فيهم الأنبياء والخلفاء ويرشح يزيد لولاية العهد من الآن ليكون الخليفة بعده. وطلب من آخرين في حاشيته وبلاطه أن يتحدثوا بعد الضحّاك ويثّنوا على رأيه، منهم: عبد الرحمن بن عثمان الثقفي "ابن أم الحكم أخت معاوية" وعبد الله بن مسعدة وغيرهم ففعلوا جميعاً ما طلب منهم، وبعد أن تمت المهمة التفت معاوية إلى الأحنف وطلب رأيه بالموضوع فأشار في البداية إلى أنّ الخليفة هو الأعرف بصالح أمور رعيته وأضاف أنّ أهل العراق والمدينة لا يقبلون بهذا ما دام الحسن بن علي حياً وذكره بأنه قد أعطاه العهد أن يكون له الأمر من بعده وحذّره من الغدر^(٢)، فأجلّ معاوية مشروعه فترة ريثما تنضج الظروف أكثر.

في سنة ٥٠ هـ عاود معاوية التمهيد لاستخلاف يزيد بعده، ولأهمية الأمر عنده عزم على قصد المدينة بنفسه؛ لأنه يعلم أنّ فيها شخصيات إسلامية لها ثقلها وهي لا تقبل بمشروعه، وبمجرد وصوله إلى المدينة عقد اجتماعاً بحضور العبادلة: (عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر) وعرض عليهم فكرة استخلاف يزيد بعده، فأشار عبد الله بن جعفر أنّ الأولى بها آل الرسول، واكتفى ابن عباس بالقول إنّ التسليم يكون لله ورسوله، وذكر ابن الزبير أنّ هذا الأمر الأولى به قريش وأنّ من بين الحضور من هم أولى - وهو منهم طبعاً - لقرّهم من الرسول^(٣) وأضاف الحسن والحسين في ذيل قائمة من لهم الأولوية. وأما ابن عمر فقال: (أما بعد: فإنّ هذه الخلافة ليست بهرقلية، ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء ولو كان كذلك كنت

١- انظر مثلاً: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/١٤٢.

٢- انظر: المصدر السابق: ١/١٤٣ - ١٤٦.

٣- ابن الزبير يقصد: إنّ ابن عباس ابن عم الرسول، وعبد الله ابن جعفر والده ابن عم الرسول، ووالده هو - أي الزبير - ابن عم الرسول؛ ومعلوم أنّ ابن الزبير كان يطمح أن يكون الأمر له.

القائم بها بعد أبي ... وإنما هي في قريش خاصة، لمن كان لها أهلاً ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم). فتكلم معاوية بعدهم فقال: (قد قلت وقلتم، وإنه ذهبت الآباء وبقيت الأبناء، فابني أحب إلي من أبنائهم، مع أنّ ابني إن قاولتموه وجد مقالاً، وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف لأنهم أهل رسول الله، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة،) ثم رجع إلى الشام ولم يطلب البيعة ليزيد عملياً من أهل المدينة^(١).

واضح أنّ معاوية عرف أنّ حجة المعارضين على استخلاف ابنه تتلخص بفقدانه القرابة للصيقة بالرسول صلى الله عليه وآله بحيث يكون واحداً من أهل بيته (بنو هاشم بن عبد مناف؛ البيت الأرفع قدراً في قريش)، وكان جوابه لهم: أنّ الخلافة طالما خرجت عن هذا البيت بالفعل في زمن أبي بكر وعمر؛ لأنهما من تيم وعدي وهما أقل بطون قريش قدراً قياساً ببني هاشم، فما المانع من أن يتولى ابنه يزيد الملك من بعده وهو قرشي ينحدر من عبد شمس بن عبد مناف (أخو هاشم)، بمعنى أنّ البطن التي ينحدر منها يزيد أرفع قدراً من تيم وعدي! وهذا يعني أنّ من فتح شهية الطلقاء والأدعياء في اعتلاء منصب خلافة المسلمين هو مخرجات سقيفة بني ساعدة وما تلاها من أحداث.

وهو نفس عذر ولده يزيد بعد قتله الحسين عليه السلام، إذ عاتبه عبد الله بن عمر على فعله وقال له: (أما بعد فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة وحدث في الاسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين، فكتب إليه يزيد: أما بعد يا أحمق فإننا جئنا إلى بيوت منجدة وفرش ممهدة ووسائل منضدة، فقاتلنا عنها فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن يكن الحق لغيرنا فأبوك أول من سن هذا وابتزوا ستائر الحق على أهله)^(٢).

عموماً، معاوية في سفره هذا وإن لم يأخذ البيعة لولده يزيد بوصفه ولياً للعهد من الناس عملياً لكن محاولته - على أي حال - تقع ضمن مسار التمهيد وجس نبض الناس ومعرفة عذر المعارضين وحججهم، ولما لاحظ إشارتها بوضوح إلى الحسن بن علي عليه السلام، ولم تغب عن باله كلمات الأحنف بن قيس - المتقدمة - التي تقع ضمن نفس

١- انظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/ ١٤٨ - ١٥٠.

٢- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٦٤٧.

السياق، حرص على التخلص من الإمام الحسن بأقصى سرعة فأرسل سماً إلى زوجته جعدة بنت الأشعث فسمته به ومضى شهيداً إلى ربه سنة ٥٠ هـ، كما تقدم.

من جهة أخرى: كان معاوية قد استشار بعض الأمويين في مشروعه ومنهم زياد بن أبيه قبل موته، وأشار عليه بالتريث خوفاً من ردود الأفعال؛ لما اشتهر به يزيد من العهر والفسق واللهو^(١)، ووجود من هم أكثر فضلاً وشرفاً، بل داخل البيت الأموي نفسه هناك أكثر من شخص يرى نفسه أكفأ من يزيد، ومنهم سعيد بن عثمان بن عفان حيث طلب من معاوية أن يولّيه مكان يزيد، وكان فيما قال له: (إن أبي لم يزل معتنياً بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف، وقد قدّمت ولدك عليّ وأنا خير منه أباً وأماً ونفساً. فقال له: أما ما ذكرت من إحسان أبيك إليّ فإنه أمر لا ينكر، وأما كون أبيك خير من أبيه فحق وأملك قرشية وأمه كلبية فهي خير منها، وأما كونك خيراً منه فوالله لو ملئت إلى الغوطة رجالاً مثلك لكان يزيد أحب إليّ منكم كلكم)^(٢).

وكان يقول في أواخر أيامه: (لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي)^(٣).

١- ابن كثير: (وكتب معاوية إلى زياد يستشير به في ذلك، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد، فبعث إليه من يثني رأيه عن ذلك، وهو عبيد بن كعب بن النميري وكان صاحباً أكيداً لزياد، فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولاً، فكلّمه عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك، فإن تركه خير له من السعي فيه، فأنجز يزيد عما يريد من ذلك واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك في هذا الوقت، فلما مات زياد وكانت هذه السنة -أي: سنة ٥٦ هـ- شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه، وعقد البيعة لولده يزيد، وكتب إلى الأفاق بذلك فبايع له الناس في سائر الأقاليم) البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٨٦.

اليعقوبي: (وكتب معاوية إلى زياد، وهو بالبصرة، أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي، وليس المغيرة بأحقّ بابن أخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة، وخذ عليهم البيعة ليزيد. فلما بلغ زيادا وقرأ الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه، فقال: إني أريد أن أتمنك على ما لم أتمن عليه بطون الصحائف، أيت معاوية فقل له: يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد عليّ بكذا، فما يقول الناس إذا دعواهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروء، ويلبس المصبغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف ...) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٠.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٧٨.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٢٨؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٢٦.

واضح أنّ معاوية ينظر للمسألة من زاوية أنها ملك شخصي صرف، والمالك له الحق في توريث ملكه أو منحه من يحب وتشتهي نفسه، وليس لله ورسوله ودينه في الأمر نصيب في قاموس معاوية ليكون نظره متوجهاً للمرضي عند الله ورسوله! إنها حاكمية الناس بأبشع صورها؛ المنهج الذي يقع بالضد من "حاكمية الله" منهج أنبياء الله ورسله.

وأخيراً في سنة ٥٦ هـ باشر معاوية بأخذ البيعة لولده يزيد بوصفه ولياً للعهد في الشام، ثم طلب من ولاته على الأمصار بأخذ البيعة له من الناس، وطلب من مروان بن الحكم عامله على المدينة أن يجد في ذلك، ولما تهاون عزله ووّلّ سعيد بن العاص بدلاً منه فغضب مروان وذهب لمعاوية بأهله وقومه وأخواله وخطب بمحضره مستنكراً عزله له وتأمير الصبيان - يقصد ولده يزيد^(١) - بلا مشورة من أحد، فامتص معاوية غضبه ومن كان معه ومنحهم أموالاً طائلة كان السهم الأكبر منها لمروان بطبيعة الحال^(٢).

وبالنسبة إلى سعيد بن العاص فقد باشر عمله وطلب من أهل المدينة أن يقدموا بيعتهم ليزيد فتباطؤوا لأنهم غير راغبين بذلك وخصوصاً بنو هاشم، فأبلغ سعيد معاوية بالحال وذكر له أنّ هناك من يتردد على الحسين من أهل العراق، وكانت بينهما مكاتبات وكذلك كانت لمعاوية مكاتبات^(٣) مع مجموعة منهم: ابن عباس وعبد الله بن جعفر وابن الزبير وابن عمرو وهو يهددهم ويتوعددهم بتخلفهم عن بيعة يزيد، وفي إحدى كتبه لواليه سعيد ذكر فيها الحسين عليه السلام، قال له: (وانظر حسيناً خاصة، فلا يناله منك مكروه، فإن له قرابة وحقاً عظيماً لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لا نقوى عليه).

وبخصوص الحسين عليه السلام، جاء في كتاب معاوية له: (أما بعد، فقد انتهت إليّ منك أمور، لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك، في خطرك وشرfk ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله،

١- كان عمر يزيد بن معاوية حينها أقل من ثلاثين سنة، فمولده كان في ٢٦ هـ.

٢- انظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ١٥١ - ١٥٢.

٣- انظر المكاتبات وأجوبتها على سبيل المثال: الإمامة والسياسة: ١ / ١٥٣ - ١٥٥.

ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفك الذين لا يوقنون).

فأجابه الحسين عليه السلام: (أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور، لم تكن تظنني بها، رغبة بي عنها، وإن الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنما رقاها الملاقون، المشاؤون بالنميمة، المفزقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حرباً ولا خلافاً، وإني لأخشي لله في ترك ذلك، منك ومن حزبك، القاسطين المحليين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم.

ألست قاتل حجر، وأصحابه العابدين المختبين، الذين كانوا يستفزعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة، جراءة على الله واستخفافاً بعده! أولست بقاتل عمرو بن الحمق، الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال!

أولست المدعي زياداً في الإسلام، فرعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل، سبحان الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك. أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زيادة أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هودين ابن عمه صلى الله عليه وسلم، الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منة عليكم.

وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنة، وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعَل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعله فاستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى تكديني أكذك، فكديني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقد يما يكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، فكديني ما بدا لك، واتفق الله يا معاوية، وأعلم أن الله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا

أحصاها. واعلم أنّ الله ليس بناس لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك، وأهلك دينك، وأضعت الرعية والسلام^(١).

ثم إنّ معاوية طلب من سعيد بن العاص أن يستدعي جميع المهاجرين والأنصار وأبنائهم في المدينة ويأخذ منهم البيعة ليزيد بغلظة وشدة، ولما تناقلوا أيضاً جاء إلى المدينة بنفسه والتقى الناس وحثهم وتألّفهم بالمال ونحو ذلك لإتمام مشروعه، ومن ضمن من التقاهم عائشة في بيتها فطرح عليها موضوع يزيد، جاء في كلامه لها: (إنّ أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكد الناس بيعتهم في أعناقهم، وأعطوا عهودهم على ذلك ومو ائيقهم، أفترين أن ينقضوا عهودهم ومو ائيقهم؟ فلما سمعت ذلك عائشة علمت أنه سيمضي على أمره)^(٢).

أمر يزيد قضاء من الله والعباد لا يملكون الخيرة تجاهه؟! هذا هو التحريف العمدي لدين الله، هذا نموذج لعقائد دينية أموية جبرية مبتدعة، وقد بينت سابقاً أنّ التحريف الديني أحد الركائز الأساسية التي اعتمدها معاوية في سياسته لتمرير أغراضه الباطلة. وهكذا تمت بيعة أهل المدينة ليزيد ولياً للعهد سنة ٥٦ هـ، ولم يتبقّ فيها غير نفر قليل لا يتجاوزوا أصابع اليد الواحدة لم يبايعوا ولكنهم أيضاً لم يعترضوا.

وبالنسبة للحسين عليه السلام فإنّ موقفه كان واضحاً بالرفض من البداية حتى النهاية، حتى إنه قرّع معاوية في أحد كتبه إليه ووبّخه على تولية يزيد الأمر من بعده ووصفه باللهو وشرب الخمر الموجب لاتصاف صاحبه بالفسق، قال: "ثم وليت ابنك وهو غلام يشرب الشراب ويلهو بالكلاب، فخنّت أمانتك وأخربت رعيّتك، ولم تؤدّ نصيحة ربك، فكيف تولّي على أمة محمد من يشرب المسكر؟ وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب

١- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/ ١٥٤، ١٥٥ - ١٥٧.

٢- المصدر السابق: ١/ ١٥٨.

المسكر من الأشرار. وليس شارب المسكر بأمين على درهم فكيف على الأمة؟ فعن قليل ترد على عملك حين تطوى صحائف الاستغفار" (١).

علماً، أنَّ اشتهار يزيد بالفسق كان معروفاً عند جميع المسلمين، ولم يستطع حتى بعض المؤرخين المتعصبين لبني أمية من إخفاء هذه الحقيقة، يقول ابن كثير: (وقد روي أنَّ يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغنا والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه. وقيل: إن سبب موته أنه حمل قرده وجعل ينقزها فعضته) (٢).

بيعة يزيد بعد موت معاوية وموقف الحسين (ع):

لما دخلت سنة ٦٠ هـ مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فأرسل إلى يزيد وكان حينها لاهياً بالصيد خارج دمشق، فلما أبطأ عليه دعا الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة وأبلغهما وصيته ليزيد، كان منها: (وأعلماه أنني لست أخاف عليه إلا أربعة رجال: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير) (٣) ومات من ساعته، مات معاوية بعد حياة مليئة بالعداء للإسلام وأهله الحقيقيين (٤).

١- دعائم الإسلام، القاضي المغربي: ٢/ ١٣٣.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨/ ٢٥٨.

٣- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٦.

٤- ينقل المغيرة بن شعبه لابنه "مطرف" أنه اختلى يوماً بمعاوية وقال له: (إنك قد بلغت سنّاً فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال: هيأت هيأت ملك أخوتهم ففعل ما فعل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر أبو بكر. ثم ملك أخو بني عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر ثم ملك عثمان فهلك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه وفعل ما فعل وعمل به ما عمل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإن أخا بني هاشم يصاح به في كل يوم خمس مرات "أشهد أن محمداً رسول الله" فأني عمل يبقى بعد هذا لا أم لك، لا والله إلا دفناً دفناً) انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٣٣/ ١٦٩ - ١٧٠.

بعد موته، دعا يزيد الناس في الشام للبيعة، فحضرُوا وبايعوه في الجامع، ولم يكن له همُّ بعد هذا أكبر من أخذ البيعة من الأشخاص الأربعة غير مبالٍ إطلاقاً ببقية الناس وردود أفعالهم إن وجدت ولا وجود لها أساساً. ويبدو أنَّ أحد أهم أسباب ضمان جانب الناس يكمن في أنَّ سياسة معاوية التي انتهجها هو وعمَّاله في حواضر المسلمين بين عامي (٤١ هـ - ٦٠ هـ) قد أسهمت إلى حد كبير في توطيد الأمور وتهيتها لملك يزيد، وكان ولاية أبيه عند موته، هم: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، ويحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية على مكة، والنعمان بن بشير على الكوفة، وعبيد الله بن زياد على البصرة. وأقرهم يزيد بعد موت أبيه.

ولما كان الأربعة - الذين خصَّهم معاوية بالذكر - متواجدين في المدينة، كتب يزيد إلى واليه عليها الوليد بن عتبة على الفور بأخذ البيعة له منهم أخذاً شديداً لا رخصة فيه ومن أبي منهم يقتل^(١). فلما بلغه الكتاب تردد في الأمر ابتداءً وبعث على مروان بن الحكم يستشيرَه، فقال له مروان: (أما عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي بكر فلا تخافن ناحيتهما، فليسا بطلابين شيئاً من هذا الأمر، ولكن عليك بالحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، فابعث إليهما الساعة، فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يعلن الخبر، فيثب كل واحد منهما ناحية، ويظهر الخلاف)^(٢).

يبدو أنَّ خطة يزيد^(٣) كانت تقوم على أخذ البيعة من الحسين عليه السلام وابن الزبير قبل أن يفشو خبر موت معاوية بين الناس، وواضح أنَّ وقت استدعاء والي المدينة للحسين ينبئ بذلك حيث استدعاه ليلاً. كما استدعى ابن الزبير أيضاً. حتى إنَّ ابن الزبير سأل الإمام: "يا أبا عبد الله، إنَّ هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإنِّي قد أنكرت ذلك وبعثته في الساعة إلينا ودعاه إيانا لمثل هذا الوقت، أترى في أيِّ

١- جاء في كتاب يزيد لوالي المدينة: "أما بعد، فخذ الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه" الفتوح، ابن أعثم: ١٠ / ٥.

٢- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٧.

٣- عادة الطغاة والظلمة في حال موت الرؤساء إخفاء الأمر والتعتيم عليه إلى حين اتخاذ كل الإجراءات والتدابير اللازمة لضمان استتباب الأوضاع وعدم انفلاتها.

طلبنا"، فقال له الحسين عليه السلام: "إذا أخبرك أبا بكر، إني أظن بأن معاوية قد مات، وذلك أني رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس ورأيت داره تشتعل ناراً فأولت ذلك في نفسي أنه مات" (١).

وعموماً، لما جاءه الإمام الحسين كان معه نفر من بني هاشم؛ لأنه لم يكن ليأمن غدر الأمويين (٢)، فعرض عليه الوليد بن عتبة كتاب يزيد وطلبه، فأبى استجابة الطلب وعرض تأجيل الأمر للغد بحضور الناس، قال عليه السلام: "إن مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً" (٣)، فوافق الوليد، فقفز حينها مروان قائلاً: "والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه" (٤)، فوثب الحسين عند ذلك، وقال: "أنت يا بن الزرقاء (٥) تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت"، ثم التفت إلى الوليد وقال: "إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينما أحق بالبيعة والخلافة" (٦).

لا شك أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد اتخذ قراراً قطعياً بعدم البيعة ليزيد، وهذا واضح من أقواله وسلوكه ليس بعد موت معاوية فحسب ولكن في حياته أيضاً، وأما

١- الفتوح، ابن أعثم: ١١/٥ - ١٢.

٢- روى المفيد أنّ الحسين عليه السلام قال للهاشميين: "إنّ الوليد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه وهو غير مأمون فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني" الإرشاد: ٢/ ٣٢ - ٣٣.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ١٣/٥؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٨.

٤- موقف مروان الخبيث هذا لا يصح اختزاله فقط برغبته بقتل الحسين عليه السلام بعد أن كان معروفاً عنه بغضه وكرهه لآل محمد عليهم السلام، وإنما قد يهدف - أيضاً - إلى خلق فتنة بالمدينة لا تنحسر نتائجها - في أسوأ الأحوال - بغير عزل الوليد نفسه؛ ثاراً لعزله وتعيين الوليد بدلاً منه في أواخر حياة معاوية.

٥- الزرقاء: هي مارية بنت موهب، جدة مروان لأبيه، وهي من ذوات الرايات في الجاهلية، وكان بني الحكم يُعيّرون ويُذمّون بها، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ١٩٤؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٦/ ٢٥٧.

٦- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٤.

تأجيله الأمر لصباح اليوم التالي عند حضور الناس في قوله لوالي المدينة: "إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم"، فهو لا يعني أنه يسعى لدفع الحرج عن نفسه أمام الوالي، ولا أنه سيغيّر موقفه وبيّاع، بل ربما يعني أنّ الإمام كان يخطط لأن يعلن عن موقفه الرفض للبيعة ويفضح انحراف يزيد وفسقه وفجوره أمام حشود الناس ما قد يتسبّب بدعم جماهيري كبير داعم لموقفه، وهذا أمر تخشاه السلطة بشكل كبير، وقد تكون تنهت لمрад الحسين ولهذا لم تقم بدعوة الناس للبيعة العلنية العامة ما دام الحسين موجوداً في المدينة وأجلّت الأمر إلى ما بعد مغادرته لها.

وأياً يكن الحال، ففي اليوم التالي، حاول مروان أن يظهر نفسه بثوب الناصح الشفيق عند لقائه بالحسين عليه السلام فعرض عليه مجدداً بيعة يزيد وأنّ ذلك فيه سلامته ورشده وخير دينه ودنياه، فأجابه الحسين عليه السلام: "إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الاسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان"، فانصرف مروان مغضباً^(١).

واضح أنّ الحسين عليه السلام بموقفه الرفض والصريح لبيعة يزيد يكون قد أعلن ثورة وصرخة مدوية بوجه طغاة بني أمية وخليفتهم الفاسق الجديد يزيد بن معاوية، وهو موقف لم يسبقه إليه أحد من المسلمين.

من جهته، قام الوليد باطلاع يزيد على موقف الحسين فكتب إليه: "إنه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة"^(٢). فكتب إليه يزيد: "فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذرعيد الله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجومنا ما دام حياً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعتة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام"^(٣).

١- انظر: مثير الأحران، ابن نما الحلي: ١٤ - ١٥؛ العوالم - الإمام الحسين: ١٧٥.

٢- الفتوح، ابن أعتم: ١٣/٥.

٣- المصدر السابق: ١٨/٥.

قوله "فخذ البيعة ثانياً": إشارة إلى وجود بيعة أولى ليزيد بولاية العهد في أيام معاوية كما تقدم بيان ذلك.

وقوله "ذرا بن الزبير": يشير إلى عدم قلق يزيد من ابن الزبير بقدر قلقه من موقف الحسين عليه السلام.

وقوله "وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي": إصدار قرار حكومي أموي صريح بقتل الإمام الحسين عليه السلام^(١).

موقف الثلاثة من بيعة يزيد:

أعني بهم: عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير.

أما عبد الرحمن بن أبي بكر فقد كان رافضاً ببيعة يزيد ولياً للعهد في أيام حياة معاوية، حتى إنه قال لمروان: (جعلتموها والله هرقلية وكسروية - يعني جعلتم ملك الملك لمن بعده من ولده - فقال له مروان: اسكت فإنك أنت الذي أنزل الله فيك: "والذي قال لوالديه أف لكما أتعداني أن أخرج"...)، وحصل نزاع بينهما وصل إلى عائشة^(٢).

والمؤكد أنّ عبد الرحمن مات في ظروف غامضة قبل موت معاوية بقليل، بعد أن رفض محاولات معاوية لشراء موقفه بالمال مقابل بيعته ليزيد، روى الحاكم بسنده: (قال بعث معاوية إلى عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية فردّها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها وقال أبيع ديني بدنياي؟ وخرج إلى مكة حتى مات بها)^(٣). حتى إنّ أخته عائشة كانت تشك في أن يكون موته عملية

١- لم يكن يزيد اللعين أرسل هذا الكتاب فقط لواليه الوليد بن عقبة، وإنما كان هناك أكبر من كتاب، جاء في أحدها: "أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام" تاريخ الطبري: ٤ / ٢٥٠. وفي لفظ آخر: "أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه" الفتوح، ابن أعمش: ٥ / ١٠.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٩٦.

٣- المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٣ / ٤٧٦.

اغتيال وتصفية جسدية حصلت له ^(١)، وهو أمر ليس ببعيد على معاوية الذي قتل أخيه الأصغر منه محمد بن أبي بكر في مصر سنة ٣٨ هـ.

وأما عبد الله بن عمر: فهو وإن كان قد امتنع عن بيعة يزيد في أول الأمر (ولياً للعهد) لكنه بايعه بالنهاية بعد أن أرسل إليه معاوية مبلغاً من المال (عن نافع أن معاوية أراد ابن عمر على أن يبايع ليزيد فأبى وقال لا أبايع لأمرين فأرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم فأخذها ... فلما مات معاوية كتب ابن عمر إلى يزيد ببيعته) ^(٢).

ثم كرّر ابن عمر بيعته ليزيد بعد هلاك معاوية ^(٣)، ولم يكتف بذلك وإنما لم يقبل من أهل المدينة عزمهم على خلع يزيد ونقض بيعته قبل واقعة الحرة الشهيرة سنة ٦٣ هـ محتجاً عليهم بأنهم بايعوا يزيداً على بيعة الله ورسوله ولا يصح لهم خلعهم وترك بيعته واصفاً فعلهم بالغدر، وهذا نص البخاري: (عن نافع قال لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال وإني لا أعلم أحداً منكم خلعهم ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه) ^(٤).

بل ويطبّق قول الرسول صلى الله عليه وآله: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" على بيعة يزيد: (عن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال إني لم آتكم لأجل اتيتكم لأحدثكم حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

١- انظر المصدر السابق.

٢- فتح الباري: ١٣ / ٦٠.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٥٤.

٤- صحيح البخاري: ٨ / ٩٩.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية^(١).

وقد كانت حقيقة ابن عمر واضحة لمعاوية بشكل جيد، ولهذا قال في وصيته لابنه يزيد: "فأما ابن عمر فهو معك فألزمه ولا تدعه"^(٢). ولعل كثرة لقاءاته بالحسين في المدينة ومكة^(٣) ورجائه منه بتقديم البيعة ليزيد والدخول فيما دخل فيه المسلمون وترك المسير إلى العراق، أقول: لعل ذلك كان بتنسيق مع السلطة الأموية بشكل وآخر، إضافة إلى الهدف الأساس من لقاءه بالحسين أعني سعيه للحيلولة عن استمرار الحسين بالثورة والتصعيد بالخطوات؛ لأن ذلك سيجعله - وبقيّة المسلمين - في وضع محرج لا يُحسدون عليه، ويتطلّب منهم جميعاً موقفاً مؤازراً لمن يمثل الرسول صلى الله عليه وآله نسباً وديناً ونهجاً، وابن عمر - كحال غالبية المسلمين - نفسه لا تطاوعه بالنهوض مع الحسين عليه السلام ونصرته؛ لأنه طالب عافية كما هو واضح من سيرته.

وأما عبد الله بن الزبير: فإنه لما أرسل عليه والي المدينة الوليد بن عتبة ليأخذ منه البيعة ليزيد بعد موت معاوية امتنع عن البيعة وخرج إلى مكة متخفياً في نهاية شهر رجب سنة ٦٠ هـ فبعث الوليد رجالاً في طلبه فلم يدركوه. وبقي في مكة وقد أطلق على نفسه لقب "العائد بالله"^(٤) إلى أن قتل الحسين عليه السلام في كربلاء مطلع عام ٦١ هـ فاستفاد كثيراً من حالة التعاطف والحزن الممزوج بشيء من الغضب التي عمّت كثير من المسلمين في الحجاز وخارجها على مقتل ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله فدعا الناس إليه ليبايعوه، وهذا ما كان يطمح إليه منذ البداية، وسيأتي ذكر بعض ما جرى بينه وبين يزيد من معارك في مكة أدت إلى هدم الكعبة وحرقتها ضمن الأحداث التي أعقبت مقتل الحسين عليه السلام وتحديداً أحداث سنة ٦٣ - ٦٤ هـ.

١- صحيح مسلم: ٢٢/٦.

٢- الأمالي، الصدوق: ٢١٥.

٣- إذ نقلت لنا النصوص التاريخية ثلاث لقاءات جرت بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام، تطرقنا لها في طيّات البحوث بحسب المناسبة التي تخصها.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٥٤.

الحسين (ع) الثائر الفاتح:

لماذا ثار الحسين؟

الخمسـة وعشرين عاماً التي سبقت أمير المؤمنين عليه السلام (١١ - ٣٥ هـ) والعشرين عاماً التي تلت مقتله (٤١ - ٦٠ هـ)، كانت كافية لحرف مسار الدين وبالتالي عدم بقائه على نصوعه الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقبة الأولى أيام خلافته فقال: "قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد مغيرين لسنّته ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله..."^(١).

لم يسعف أمير المؤمنين عليه السلام الوقت وحال الناس والظروف التي مرت بها خلافته ليقوم بتعديل مواضع الانحراف وإرجاع الأمور إلى نصابها؛ إذ فترة حكمه كانت خمس سنين غير مكتملة هاج فيها الناكثون والمارقون والقاسطون في ثلاثة حروب طاحنة (الجمال، صفين، النهروان) أنهكت دولته وما استقر لهم قرار إلا وأمير المؤمنين مخضب بدم الشهادة في محراب الكوفة. وليستمر معاوية في حرف الإسلام عن مساره بصورة أكبر وأكثر حدة بعد شهادته عليه السلام، حتى بلغ الانحراف في أواخر أيام معاوية مدئاً لا يمكن السكوت عليه. يكفي أننا عرفنا قبل قليل نظرته لمنصب خلافة المسلمين (بالرغم من أهميته وخطورته) على أساس كونه ملكاً وإراثاً شخصياً له يتصرف به كيف يشاء محتجاً بأسس باطلة ذات طابع قبلي وديني محرّف عن عمد ضارباً العقيدة الحقّة التي قام عليها دين الله وبعث بها جميع الأنبياء والمرسلين بالصميم، أعني: مبدأ "حاكمية الله"^(٢) التي تعني أنّ الله سبحانه اختارولياً من عباده (نبي، رسول، إمام) فنصّبه علماً وهادياً لخلق

١- الكافي، الكليني: ٥٩ / ٨.

٢- آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد هذه الحقيقة، منها قوله تعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" آل عمران: ٢٦.

وأمرهم بطاعته، وبالتأكيد سيكون ذلك الرجل أعلم الخلق بدين الله وأعدلهم وأشرفهم وأطهرهم وأصدقهم وأرحمهم إلى غير ذلك من صفات الكمال والخلق الإنساني والديني الرفيع.

مبدأ حاكمية الله والحسين شيء واحد، ولهذا منذ انطلاقة "لائه" المباركة بوجه الطاغية الفاسق وحتى لحظة استشهاد ما ترك بيان حقه للناس في أنه الوحيد بين أهل زمانه الموصى به من قبل جده محمد صلى الله عليه وآله، وأنّ رضا الله رضاه: "رضا الله رضانا أهل البيت"^(١)، وما وجد فرصة إلا وذكرهم بنصوص الرسول به وبأبويه وأخيه - وهو بقيتهم يومذاك - من أنهم أمان للأمة من الضلال وأنهم ترجمان القرآن وعدله الذي لم ولن يفترق عنه، وهم العالمون بتفسيره وتأويله دون بقية الناس، وقد فعل ذلك حتى في أيام معاوية قبل موته:

(عن موسى بن عقبة، أنه قال: لقد قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام فلو قد أمرته يصعد المنبر فيخطب فإن فيه حصراً وفي لسانه كلاله، فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحننا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين عليه السلام، يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فتخطب. فصعد الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين عليه السلام: نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسول الله صلى الله عليه وآله والأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، ولا يبطئنا تأويله بل نتبع حقائقه. فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" وقال: "ولردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً. وأحذركم الاصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدوميين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: "لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم"،

١- من كلام للحسين عليه السلام في خطبة خطبها لما أراد التوجه إلى العراق، انظر: العوالم - الإمام الحسين: ٢١٧.

فتلقون للسيوف ضرباً وللرمح ورداً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله فقد أبلغت^(١).

واضح أنّ الحسين يدعو الناس إليه بوصفه الإمام والخليفة الحق الذي تجب على الناس طاعته وبيعته هي المرضية عند الله ورسوله، وليس الطلقاء والأدعياء وأبنائهم! ولا شك أنّ دعوة الناس إلى الله ودينه وشرعه (جوهر حاكمية الله) هو المبدأ الحق الذي سار عليه جميع أنبياء الله ورسله، وهو ما فعله الحسين عليه السلام بالضبط.

ثم إننا لو راجعنا كلمات الإمام الحسين عليه السلام التي قالها بعد رفضه البيعة ليزيد لوجدناها تتضمن سبب ثورته الإلهية بوضوح، منها:

قوله: "إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنتهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليهما السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين"^(٢).

قوله "وأسير بسيرة أبي وجدي": فيه إشارة واضحة إلى أنّ دين الله الذي يعرفه الحسين عليه السلام هو السير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة وصيه المنصوص والشرعي والمنصب من الله ورسوله أعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا غير^(٣).

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢٢ / ٢ - ٢٣.

٢- كتب هذه الكلمات في وصيته التي ختمها بختمه وسلّمها لأخيه محمد بن الحنفية لما عزم على ترك المدينة والخروج إلى مكة في أواخر رجب سنة ٦٠ هـ، انظر: العوالم - الإمام الحسين: ١٧٩.

٣- روى بعض المؤرخين نصّاً لكلمة الحسين عليه السلام أعلاه أضاف فيه: "سيرة الخلفاء الراشدين المهديين" إلى "سيرة رسول الله وأمر المؤمنين"، انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٢١. والمقصود - إن صحّت هذه النصوص - الأئمة من آل محمد عليهم السلام وليست سيرة من حكم بعد الرسول مباشرة، التي جعلت علياً رابعاً وأجلسته في داره خمسة وعشرين عاماً، ولما آل له الأمر عانى كثيراً من أجل تصحيح بعض انحرافاتهما وقد تقدم نقل قوله في ذلك، وبالتالي فالحسين عليه السلام لا يقصد هذه السير بالتأكيد؛ لأن فيها الكثير المخالف لسيرة جده وأبيه صلوات

الفساد الذي خيم على الأمة في زمن الحسين وإن طال كل شيء ويستدعي إصلاحاً شاملاً في اتجاهات عديدة، لكن الإصلاح العقائدي بالتأكيد له الأولوية كما هي سنة أولياء الله وخلفائه في أرضه في دعواتهم الإلهية، لذلك كان الحسين عليه السلام يؤكد بالدرجة الأساس على مسألة إصلاح الحكم والحاكم المتسلط على دماء الناس وأموالهم وبيده قرار الحرب والسلم وما شابه من قضايا كبرى؛ لأنها مسألة تتصل بمبدأ "حاكمية الله" الذي حدثتكم عنه قبل قليل، ولذلك كان يقول:

- "وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان" (١).
- "إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينأ أحق بالبيعة والخلافة" (٢).

الحسين يرفض حاكمية الناس التي سار عليها الأمويون ومن سبقهم رفضاً قاطعاً، ويدعو إلى حاكمية الله المتجسدة بشخصه الشريف، وإذا كان المسلمون - أو قسم منهم - لا يستوعبون إمامته ومبدأ حاكمية الله عموماً، بالرغم من وضوحه؛ لأنهم بحسب الفرض يؤمنون بالرسول ومتبعون له، فلا أقل أن إدراك فسق يزيد ليس بعسير عليهم بعد إعلان واشتهاره بالموبقات والمعاصي الكبيرة، وكيف لمن هو معلن بفجوره وفسقه وظلمه وإجرامه أن يتسلط على رقاب المسلمين وتكون له الولاية على دماءهم وأعراضهم وأموالهم وقرار حربهم وسلمهم؟! هذا فضلاً عن الفساد المالي والإداري والأخلاقي والإجرامي الذي أركس حكام وأمراء وولاة بني أمية والمحسوبين عليهم أنفسهم فيه بما ملأ صيته وذكره الخافقين أمام مرأى ومسمع المسلمين جميعاً دون خجل أو حياء من أحد!

الله عليهما، ويكفي أن يكون تسليط الأمويين على رقاب المسلمين بما جر على الإسلام والمسلمين من ويلات كان إحدى نتائج سير التالين للرسول، وما كان هذا ليحصل في دين الرسول ووصيه علي ولا تسمح به سيرتهما إطلاقاً.

١- مثير الأحران، ابن نما الحلي: ١٤ - ١٥: العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٥.

٢- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٤.

ثم أين هم من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طالما كرّره الحسين أثناء ثورته في كلامه مع الناس: "من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غير" (١)!

وقال عليه السلام للفرزدق: "يا فرزدق! إنّ هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمر، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا" (٢).

وقال أيضاً في رسالته لأهل البصرة: "وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنّ السنة قد أميتت وإنّ البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد" (٣).

الحقيقة، إنّ واقع المسلمين، نتيجة سياسة معاوية وعمّاله، التي بيّنا شيئاً منها فيما تقدم، أدّى إلى بلوغهم حالة الموت السريري بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، يكفي أن نعرف أنّ وعاظ السلطة الأموية ملأوا أذهان الناس بمقولات مكذوبة على الرسول مفادها اسمع وأطع الحاكم الذي قدّر الله له أن يملك ولو كان معلناً بفسقه وفجوره وفساده وظلمه، بل وأنّ الخروج عليه خروجاً عن دين محمد وشقاً لعصا الإسلام والمسلمين ومروقاً عن الملة والجماعة والميعة في هذا السبيل ميعة جاهلية، بهذا يُعبأ الشيخ والشاب والمرأة؛ الصغير منهم والكبير، ووجدت هذه التعبئة الخبيثة استجابة لدى عموم المسلمين، فالوضع إذن

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٤.

٢- موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٠٨.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٦.

- والحال هذه - مرشح إلى انغماس أكثر في الظلام ولا يُؤمل معه بقاء الحد الأدنى من الإسلام الحقيقي الذي بُعث به الرسول، فأضحى المسلمون بين أحد أصناف ثلاثة:

- ١- مطبّل للباطل والضلال عن علم وعمد ومستعد أن يقلب الحقائق رأساً على عقب، وهم المنتفعون في كل زمان، وفهم من له ثقل ديني أو اجتماعي.
- ٢- مغرر بهم، وهم ضحايا الموج الهائل للتضليل والتحريف الذي مورس بحقهم.
- ٣- خائف فاشل متكاسل عن القيام بأي ردة فعل ضد الباطل قولاً أو فعلاً.

هذا هو حال جمهور المسلمين وسوادهم الأعظم، ومن نطق منهم بكلمة الحق تمت تصفيته كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وجويرية العبدى وأمثالهم وقبلهم نطق بها أبو ذر الغفاري الذي تم نفيه إلى الربذة ومات فيها غريباً وحيداً وهو صاحب رسول الله المقرب!

ورب قائل يقول: لماذا لم يطالب أمير المؤمنين والحسن بحاكمية الله كما طالب بها الحسين؟ وإجابة أقول: إنّ أمير المؤمنين طالب بحقه بعد وفاة الرسول وكانت معه فاطمة وصارا يدورون على بيوت المهاجرين والأنصار ويذكروهم بنصوص الرسول بحق علي وتنصيبه له وصياً وخليفة له من بعده كحادثة غدیر خم وهي ليست عنهم ببعيد، وبالرغم من إقرارهم بذلك خذلوه، وبعضهم تعذّربأنه بايع ولا يصح منه الرجوع، ولم يف ببيعة علي عليه السلام ويتمسك بها غير نفر قليل لا يقوم بهم حق مستلب، والقضية معروفة ورواها المسلمون بكل طوائفهم^(١)، ولما كان أمير المؤمنين عليه السلام موصى من قبل الرسول بالصبر وعدم استعمال القوة لأخذ حقه؛ نتيجة قلة الناصر، وحفظاً على بيضة الإسلام الذي لا زالت دعوته فتية آنذاك، صبر وترك المسلمين وما اختاروه لأنفسهم وسكن داره فترة خمسة وعشرين عاماً كما هو الثابت في سيرته.

١- انظر على سبيل المثال: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ١٩، قال: (قال: وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما لله حسيهم وطالهم).

وبالنسبة للحسن عليه السلام فقد طالب بحاكمية الله ودعا إلى حقه أيضاً، لكن خذلان أتباعه له - كما تبين لنا سابقاً - اضطره إلى عقد الصلح والهدنة مع معاوية، وكان فعله أيضاً بعهد معهود له من الرسول صلى الله عليه وآله.

أما مطالبة الإمام الحسين بحاكمية الله بالصورة التي استوجبت القيام والثورة، فلأنّ هذا ما كان قد عهد به إليه من قبل جده الرسول الذي لا ينطق عن الهوى، فصحيح أنّ الحسين يعلم بخذلان غالبية الناس له في نهاية المطاف بما فهم جل أتباعه والمؤمنين به، ويعرف جيداً بأنّ من يثبت معه هم ثلة قليلة جداً، لكن الله أراد منه الثورة مهما كلف الأمر، وهو قول الرسول: "شاء الله أن يراك قتيلاً"^(١)؛ لئلا يبلغ الباطل مراده ويتم القضاء على الحق (دين محمد = حاكمية الله) نهائياً، إذ بلغ الباطل والانحراف حدّاً يخشى منه ذهاب الإسلام بالمرة: "على الإسلام السلام"^(٢)، لهذا كان جده يقول: "أنا من حسين"^(٣)، ولهذا - كما قلت سابقاً - كان الحسين مصمّماً على الثورة ولو كان وحده، وهو العارف تماماً بمآله ومصيره الذي أطلعه الله عليه وعهد به جده الرسول إليه؛ إذ كان يقول للملائكة التي عرضت عليه النصر عند خروجه من المدينة: "الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء"^(٤)!

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٦٤.

٢- من كلام الحسين عليه السلام لمروان بن الحكم وقد تقدم.

٣- قول الرسول صلى الله عليه وآله: "حسين مني وأنا من حسين"، أخرجه: الحاكم النيسابوري في المستدرک: ٣ / ١٧٧، وقال: "هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه".

٤- انظر: اللهوف، ابن طاووس: ٤١؛ العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٨٠.

قال الإمام الصادق عليه السلام: "لما سار أبو عبد الله عليه السلام من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومة في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلموا عليه، وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه، إن الله سبحانه أمد جدك بنا في مواطن كثيرة، وإن الله أمدك بنا، فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني، فقالوا: يا حجة الله مرنا نسمع ونطع، فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك؟ فقال: لا سبيل لهم علي ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي..."

وهذا مقطع من كلامه عليه السلام لما أراد التوجه إلى العراق: "لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه وتنجز لهم وعده"^(١).

يوم الحسين - إذن - يوم خط بالقلم الإلهي: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ" القلم: ١، هكذا كانت مشيئة الله ووعدته من أجل حفظ دينه وإدامة خط رسالاته السماوية وبلوغها يوم الإنسانية الأخير على هذه الأرض؛ إتماماً لحجة الله على الخلق وقطع عذرهم: "لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ" النساء: ١٦٥، وبهذا الوعد الإلهي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته وأمته ودراه ولده الحسين دراية تامة وكاملة، ولن تشذ عن الرسول لحمته وريحانته وحسينه في إنفاذ مراد الله وإنجاز وعده بآتم وجه ممكن؛ تعجز عن وصفه الكلمات!

أما لماذا اختار الحسين وقت هلاك معاوية وبداية حكم يزيد ليكون موعد انطلاق ثورته، فالأمر مرتبط بإرادة الله سبحانه كما بيّنت، وأيضاً: لأن أول بنود الصلح الذي كان بين الإمام الحسن ومعاوية - كما عرضناها سابقاً - هو أن يؤول أمر الخلافة بعد معاوية إلى الحسن في حال وجوده وإلا فالحسين، ولا يحق لمعاوية أن يوصي بالخلافة لأحد أبداً، وبالتالي فحتى على هذا المستوى ليس بيد معاوية ويزيد حجة يمكن التحجج بها لتمرير باطلهم وضلالهم على الناس.

هذا إضافة إلى وجود فارق كبير بين شخصية معاوية وابنه يزيد في مسألة الخداع والتضليل والنفاق والتقنّع باسم الدين^(٢)، فما ربما يصعب إدراكه في بيان باطل وضلال معاوية على كثير من الناس المغرّرين بهم يسهل عليهم إدراكه في شخص مثل يزيد المعلن بالفسق والفجور وشرب الخمر والإجرام واللهو والعبث، ومن ثمّ يسهل على الأمة

١- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢١٧.

٢- بل الفرق بين معاوية وابنه يزيد حتى في مسألة التعامل مع شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان معاوية حذراً في التعامل معه: لعلمه بأنّ له مكانة وقدرًا في قلوب الكثير من المسلمين، والتسبّب بأذى له يعني تهديد مملكته وسلطانه بالزوال، ولذلك أوصى ابنه يزيد فقال: "وأما الحسين بن علي فلن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإنّ له رجماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد" الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦/٤.

استيعاب موقف الحسين الرافض لبيعته والقائم بوجهه، والخلاصة: إن توقيت الثورة فيه عملية تسهيل كبير للأمة لنصرة الحسين في ثورته ضد الباطل، ولكنها للأسف لم تستغل الفرصة وضيعت حظها بشكل لا ينفع معه الندم.

الحسين (ع) يغادر مدينة جده ببعض الطالبين:

بعد أن رفض الحسين عليه السلام بيعة يزيد وقال في محضر والي المدينة ما سمعناه قبل قليل، أرسل الوليد بن عتبة كتاباً إلى يزيد يخبره فيه أن الحسين لا يرى له خلافة ولا بيعة، فكتب إليه يزيد: (أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فعجل عليّ بجوابه وبين لي في كتابك كل من في طاعتي، أو خرج عنها، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي. فبلغ ذلك الحسين عليه السلام، فهم بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق)^(١).

قرّر الحسين مغادرة مدينة جده في أواخر شهر رجب سنة ٦٠ هـ؛ والسبب كما هو واضح خلو المدينة من الناصر الذي يوفر له المنعة والحفظ ويحول بينه وبين غدر الأمويين له وقتله؛ الأمر الذي يعني انتهاك حرمة حرم الرسول صلى الله عليه وآله من جهة^(٢)، والإجهاز والقضاء على ثورته وهي لا زالت في مهدها من جهة أخرى، وكلا الأمرين لا يريد الحسين حصولهما بالتأكيد. وربما هذا ما يفسر لنا اختيار الإمام لوقت الخروج من المدينة في ساعات متأخرة من الليل. فصحيح أن الحسين عليه السلام يعلم يقيناً بأنه مقتول في نهاية المطاف، لكنه بالرغم من هذا كان يسعى جاهداً - وهذا جزء من تكليفه الإلهي الذي أخبر به ويحثّ الخطى لإنجازه - في أن يحقق لثورته كافة الظروف (الزمانية والمكانية والإعلامية) التي تسهم ببلوغ أهدافها وغاياتها المديات القصوى، كما ذكرنا.

وعلى أي حال، فأول ما ابتدأ به الحسين عليه السلام بعد اتخاذ قرار الرحيل هو تعاهد قبر جده وزيارته، فانكبّ على القبر قائلاً: "السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين

١- الأمالي، الصدوق: ٢١٦.

٢- مثل هذا الإجراء تكرر من الإمام الحسين عليه السلام فعله في مكة أيضاً، إذ خرج مسرعاً يوم التروية: لعلمه بعزم الأمويين على اغتياله وقتله في موسم الحج، فتهتك بدمه الشريف حرمة البيت ويتم الإجهاز على ثورته قبل أن تبلغ أهدافها المرجوة منها، والإمام لم يكن يرغب بحصول كلا الأمرين في تلك المرحلة من مراحل ثورته.

ابن فاطمة، أنا فرحك وابن فرختك وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك. ثم وثب قائماً وصف قدميه ولم يزل راکعاً وساجداً..... فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم! إن هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى.

قال: ثم جعل الحسين يبكي حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغضى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال: يا بني! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تُروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إنّ أباك وأمك [وأخاك] قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة...^(١).

الحسين يشكو لجده في الرؤيا خذلان الناس له وتضييعهم حقه، والرسول يؤكد له من جديد وعد الله بأنه القاتل ذبحاً وعطشاً فداءً لدين الله وحاكميته؛ الموجب لنيله درجات خاصة لا تُمنح له إلا بالشهادة في سبيل الله. ثم زار قبر أمه وأخيه الحسن عليهما السلام، وقصّ على أهل بيته ما رآه فلم يكن في ذلك اليوم أكثر غمّاً وبكاء منهم.

بالتأكيد، إنّ مغادرة شخصية عظيمة بحجم الحسين بن علي المدينة ليس سهلاً على أهل بيته وبني عمومته أو المحبّين أو من يعينهم أمره بأي شكل من الأشكال^(٢)، لذا حاول

١- الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ١٨/ ٥ - ١٩.

٢- ممّن التقى الحسين عليه السلام وكلمه قبل مسيره إلى العراق سواء في المدينة أو في مكة - من غير الطالبين :- ابن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو واقد الليثي وغيرهم، وجميعهم حاولوا ثنيه عن المسير وحذّروه من القتل، لكن الحسين عليه السلام أبى ولم يلتفت إلى كلامهم بعد أن عرف تكليفه من الله ورسوله. انظر: البداية والنهاية: ٨ / ١٧٥ - ١٧٦.

بعضهم اللقاء به لثنيه عن قراره أو توديعه، ومنهم أم سلمة زوجة الرسول وكانت تحب الحسين كثيراً "فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء، فقال لها: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، واني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي ادفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابي وشيعتي، ... فعند ذلك بكى أم سلمة بكاء شديداً، وسلمت أمره إلى الله، فقال لها: يا أماه قد شاء الله عزوجل أن يراني مقتولاً مذبوهاً ظمأً وعدواناً وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبحين مظلومين مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معيناً" (١).

الحقيقة الواضحة في هذا النص - ونصوص كثيرة سبقت ولا حقة أيضاً - أنّ الحسين عليه السلام يعلم تماماً وبشكل قطعي بالمصير الذي سينتهي إليه، وأنا أؤكد على هذا الأمر لأنه سترتب عليه بعض النتائج المهمة الآتية.

وأيضاً: جئن نساء بني عبد المطلب لوداعه:

عن الإمام الباقر عليه السلام: "لما همّ الحسين عليه السلام بالشخص عن المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة حتى مشى فبين الحسين عليه السلام فقال: أنشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله. قالت نساء بني عبد المطلب: فلمّ نستبقي هذه النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام ورقية وزينب وأم كلثوم، فنشدك الله جعلنا الله فداك من الموت، فيا حبيب الأبرار من أهل القبور" (٢).

وروي: إنّ نساء بني هاشم أقبلن إلى أم هاني عمة الحسين عليه السلام وقلن لها: يا أم هاني أنت جالسة والحسين عليه السلام مع عياله عازم على الخروج؟ فأقبلت أم هاني، فلما رآها الحسين عليه السلام قال: أما هذه عمتي أم هاني؟ قيل: نعم، فقال: يا عمة، ما

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٣١.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٩٦.

الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة؟ فقالت: وكيف لا آتي وقد بلغني أنّ كفيل الأرامل ذاهب عني؟ ثم انتحبت باكية وتمثلت بأبيات أبي طالب عليه السلام:

وأبيض يستقسي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

ثم قالت: سيدي وأنا متطيرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعته البارحة يقول:

وإنّ قتيل الطف من آل هاشم أذلّ رقاباً من قريش فذلّت
حبيب رسول الله لم يكُ فاحشاً أبانت مصيبته الأنوف وجلّت

فقال لها الحسين عليه السلام: يا عمّة لا تقولي من قريش، ولكن قولي: أذلّ رقاب المسلمين فذلّت، ثم قال: يا عمّة، كلّ الذي هو مقدّر فهو كائن لا محالة" (١).

كذلك: جاءه محمد بن الحنفية وأشار عليه بالتنجّي عن يزيد وعن الأمصار واختلاف الناس ما استطاع أو الخروج إلى مكة أو اليمن أو اللّحوق بالرمال وشعوب الجبال، وجاء في مطلع كلامه: "يا أخي أنت أحبّ الخلق إليّ وأعزهم عليّ ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحقّ بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله قد شرفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة". فقال له الحسين: "يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى الحسين عليه السلام معه ساعة ثم قال: يا أخي جزاك الله خيراً، لقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم" (٢). ثم كتب

١- معالي السبطين، الحائري: ١/ ٢١٤ - ٢١٥.

٢- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٨ - ١٧٩.

الحسين عليه السلام وصيته وطواها وختمها بختمه وسلّمها لأخيه محمد، والتي تضمّنت ذكر سبب ثورته "ما خرجت إلا لطلب الإصلاح في أمة جدي" التي تقدم ذكرها.

واضح من النص أنّ محمداً يعتقد بأنّ الحسين إمام واجب الطاعة: "ومن وجبت طاعته في عنقي"، ومع هذا لم يخرج معه ولم يستأذنه في البقاء في المدينة إلى أن بادره الحسين بقوله: "وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون عيناً لي"، والسؤال: كيف يمكن تفسير موقف ابن الحنفية، أو لنقل: ما هو سبب تخلفه عن الحسين مع أنّ نصرة الحسين واجبة على الجميع^(١)؟

قبل أن نجيب، ينبغي أن نعرف أنّ المدينة تضم بيوت الهاشميين (بنو هاشم) وهم: آل أبي طالب وآل العباس، فأما بنو العباس فلم يخرج منهم أحد مع الحسين على الإطلاق. نعم، توجد محاولات قام بها عبد الله بن عباس^(٢) لصرف الحسين عن قراره بالمسير إلى العراق تتضمن طرح آراء تشبه إلى حد كبير ما طرحه ابن الحنفية، وابن عباس لا شك أنه من أتباع أمير المؤمنين وكان يحب الحسين وينزله منزلة عظيمة وممن يعتقد بوجوب طاعته، لكنه مع هذا لم يخرج معه.

وأما آل أبي طالب فمن خرج منهم مع الحسين من الرجال بضعة عشر رجلاً^(٣)، هم: ستة من إخوة الحسين: (العباس وعبد الله وجعفر وعثمان ومحمد الأصغر وأبو بكر)، وأولاده الثلاثة: علي الأكبر وعلي السجاد وعبد الله (طفل رضيع)، وأولاد أخيه الحسن

١ - "عن أنس بن أبي سحيم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن ابني هذا يقتل بأرض العراق، فمن أدركه منكم فليُنصره فحضر أنس مع الحسين كربلاء وقتل معه" بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٢٤٧.

٢ - ولد سنة ٣ قبل الهجرة، لديه أربعة ذكور غير البنات، منهم: علي ومنه ينحدر خلفاء بني العباس.

٣ - كلمات المؤرخين في تحديد من خرج اكتفت بالإجمال، وبعضها يفتقد الدقة. وهذه نماذج منها:
- المفيد: "فخرج الحسين عليه السلام.. متوجهاً نحو مكة ومعه بنوه وأخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية" الإرشاد: ٢ / ٣٤.

- الدينوري: "مضى الحسين رضي الله عنه نحو مكة ومعه أخته أم كلثوم وزينب وولد أخيه وإخوته أبو بكر وجعفر والعباس وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلا أخاه محمد بن الحنفية" الأخبار الطوال: ٢٢٨.

- ابن أعثم: "خرج في جوف الليل يريد مكة بجميع أهله" الفتوح: ٥ / ٢١.

- الطبري: "خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية" تاريخ الطبري: ٤ / ٢٥٣.

أربعة: (القاسم، عبد الله، أبو بكر، الحسن المثنى، وفيهم من لم يبلغ الحلم)، وولدي أخته زينب العقيلة: (عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر)^(١)، وأولاد عمّه عقيل أربعة: (مسلم وجعفر وعبد الرحمن وعبد الله = أبو سعيد)، وأولاد مسلم بن عقيل الأربعة: (عبد الله ومحمد وإبراهيم ومحمد الأصغر، اثنان منهم طفلان)، وهؤلاء الصفوة كلهم قتلوا يوم الطف حتى الأطفال باستثناء الإمام علي بن الحسين، والحسن المثنى، وطفلا مسلم (إبراهيم ومحمد الأصغر) اللذين قتلوا بعد العاشر من المحرم.

واضح أنه لم يخرج مع الحسين جميع الطالبين، مثل إخوته: عمرو وعبيد الله إضافة إلى محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وأبنائهم وهم أكثر^(٢)، باستثناء اثنين من ولد عبد الله بن جعفر (أهمها السيدة زينب بنت علي عليها السلام)^(٣)، وربما يوجد غيرهم من آل أبي طالب. وبالتالي فالسؤال لا ينحصر بمحمد بن الحنفية فقط، هذا من جهة.

١- بعض الروايات التاريخية تؤكد أنّ عون ومحمد ولدا عبد الله بن جعفر التحقا بالحسين عليه السلام بعد خروجه من مكة باتجاه العراق.

٢- محمد بن الحنفية: ولد سنة ١٦ هـ، لديه ٢٤ ولداً ٨ أو ١٤ منهم ذكور، علة تخلّفه عن الحسين مرضه، هكذا قيل. (انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٧٨/٧ - ٧٩: المجدي في أنساب الطالبين، العمري: ٢٢٣).

- عمر بن علي: ولد سنة ١٣ هـ، لديه ثلاثة ذكور غير البنات، توفي وعمره ٨٥ عاماً. (انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ١٠١/٦ - ١٠٢).

- عبيد الله بن علي: أمه ليلى بنت مسعود، التحق بمصعب بن الزبير وقتل معه في حربه ضد المختار في وقعة "المدار" بين البصرة وواسط سنة ٦٧ هـ، (انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ١٨٨/٥).

- عبد الله بن جعفر: ولد سنة ١ هـ في الحبشة، لديه تسعة أولاد غير البنات، وقيل: عشرون ولداً. قتل اثنان منهم في الطف وثالث في صفين. (انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٥٠١/٤ - ٥٠٢).

وبخصوص ابن الحنفية: روي أنه أدرك الحسين بمكة (وأعلمه أنّ الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل. فحبس محمد بن علي ولده فلم يبعث معه أحداً منهم! حتى وجد الحسين في نفسه على محمد، قال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟! فقال محمد: وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم) تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢١١ - ٢١٢. ويصرف النظر عن صحة الرواية فإنها عملياً حدثت بالفعل؛ إذ لم يخرج مع الحسين عليه السلام لا محمد ولا ولداً من أولاده.

٣- روى ابن الأثير والطبري: (لما بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابنه مع الحسين دخل عليه بعض مواله يعزبه والناس يعزونه فقال مولاه هذا ما لقيناه من الحسين فحذفه ابن جعفر بنعله وقال يا بن اللخناء أللحسين تقول هذا، والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه والله إنه لما يسخي بنفسه عنهما ومهون علي المصاب بهما أنهما

من جهة ثانية: اطلعت على بعض الأجوبة التي تتحدث عن سبب عدم خروج بعض الطالبين مع الحسين، مفادها: لا يجوز لأحد أن يتعرض لهم بسوء، فربما أذن لهم الحسين بالبقاء في المدينة لئلا تخلو من آل علي أو آل أبي طالب، وحتى يكون لهم أثر موازي للأمميين، وربما لم يطلب الحسين منهم الخروج معه؛ لحصول الغرض بمن خرج منهم!

أيضاً: بعضهم ذكر أكثر من وجه لتخلف محمد بن الحنفية - بالخصوص - عن الخروج مع الحسين، منها: مرضه، أو إبقائه بالمدينة ليكون عيناً للإمام فيها. وكذلك عللوا تخلف عبد الله بن جعفر بالمرض، وأنه كان يسعى لرفع القرار الأموي الصادر بقتل الحسين. وأما عمر بن علي فقد ردوا بعض الروايات التي رواها المؤرخون برفضه الخروج مع الحسين لما دعاه. وبخصوص عبيد الله اكتفوا بالقول إنهم لم يعثروا على شيء يخصه.

وأيضاً: احتمل البعض - كالعلامة الحلي مثلاً^(١) - أن سبب عدم خروج محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعبيد الله بن علي مع الحسين وغيرهم هو عدم علمهم بما سيجري عليه وأنهم ظنوا أن أهل الكوفة سينصرونه ولا يجري عليه ما جرى!

أقول: بصرف النظر عن الظروف الشخصية التي مربها الأفراد الوارد ذكرهم، لا مانع من أن نشير إلى المسألة من زاوية أخرى بشكل إجمالي وكلّي ينطبق على كل من لم يخرج مع الحسين سواء كان من الطالبين أو العباسيين أو غيرهم ممن كانوا يعتقدون بوجوب طاعته أو لا أقل يكتنون له المحبة والاحترام ويقرون بعظم منزلته وصواب موقفه.

أولاً: إن تناول هذه المسألة بالبحث والتحقيق ليس فيه إساءة لأحد بقدر ما هو بيان للحقيقة التي فيها إنصاف لهم أولاً، وإنصاف للإمام الشهيد المخدول كما وصفه جده،

أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم قال إن لم تكن آست الحسين يدي فقد أساه ولدي) الكامل في التاريخ: ٤ / ٨٩؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٧.

١- وهذا نص كلامه: (مسألة ٣٣: ما يقول سيدنا في محمد بن الحنفية ... هل ذكر أصحابنا له عذر في تخلفه عن الحسين عليه السلام وعدم نصرته له أم لا، وكيف يكون الحال إن كان تخلفه عنه لغير عذر. وكذلك عبد الله بن جعفر وأمثاله. الجواب: ... وأما تخلفه عن نصرته الحسين عليه السلام فقد نقل أنه كان مريضاً. ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع لمولانا الحسين عليه السلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب الغدرة إليه وتوهموا نصرته له) أجوبة المسائل المهنائية: ٣٨ - ٣٩.

وفيه إنصاف أيضاً لمن خرج معه من الطالبين وغيرهم ممن بذلوا مهجهم دونه، إذ ليس من العدل أن يتساوى من جلس في داره ولم يخرج مع الحسين مع آل عقيل - مثلاً - الذي كان رسول الله يحبّه حَيِّينَ وأحد أسباب ذلك نصرة ولده للحسين ^(١)، آل عقيل الذين كان الإمام علي بن الحسين يميل لهم، فقيل له: "ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ قال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي فأرقُّ لهم" ^(٢).

ثانياً: إنّ ما قرأناه في الأجوبة أعلاه مجرد ظنون واحتمالات لا دليل قطعي عليها، فمثلاً: أين هو دليل الإذن في قولهم: "ربما إذن لهم الحسين بالبقاء؟" أو قولهم: "ليكون لهم أثر يوازي أثر الأمويين" أي أثر يقصدون؟ وما الذي فعلوه في المدينة بعد مغادرة الحسين لها؟ وأغرب من ذلك قولهم: "ربما لم يطلب الحسين منهم الخروج معه لحصول الغرض بمن خرج منهم؟" حقيقة لا أعرف هل يقصدون أنّ وظيفة الحسين - وهو الإمام المفروض طاعته على الخلق - هي أن يجوب بيوت إخوته وأبناء عمومته ومعارفه والمدينة عموماً بيتاً بيتاً ويدعو رجالها البالغين للالتحاق به ونصرته؟ وهل موقف الحسين وصرخته بوجه الطغاة خفيت على أحد من أهل المدينة وقد سمع بها حتى النساء في بيوتهن وأنت بعضهن باكيات ناديات يتوسلن به أن لا يخرج وتخلو مدينة جده من وجوده الشريف كما صنعت أم سلمة وعمته أم هاني؟! ثم أي غرض حصل بمن خرج معه وهم صفوة قليلة جداً لم يبلغ عددهم - مع الصبيان والرضع - العشرين شخصاً مقابل ألوف يقودهم طغاة مجرمين؟!!

كذلك: تعليلهم بالمرض لعدم خروج محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، لا دليل قطعي عليه، وأيضاً: ليس كل مرض - إن كان - يوجب الاستثناء من نصرة الإمام الحق.

أما قول العلامة الحلي بأنهم ربما لم يعلموا بما سيجري على الحسين وظنوا أنّ أهل الكوفة ينصرونه؟ فهو أيضاً غير دقيق: إذ شهادة الإمام الحسين كان يعرف بها كثير من

١- روى الصدوق بسنده: (عن ابن عباس قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟ قال: إي والله! إني لأحبّه حَيِّينَ: حبّاً له، وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدفع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكوا تلقى عترتي من بعدي) الأمالي: ١٩١.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢١٤.

المسلمين بعد أن تواتر ذكرها عن الرسول وأمير المؤمنين والحسن وأيضاً الحسين نفسه، وهل يعقل أن أمراً تعرف به أم سلمة وابن عباس وابن عمرو وأبي سعيد الخدري وغيرهم الكثير يخفى على عمرو وعبيد الله ابنا أمير المؤمنين وإخوة الحسين؟ أولم يسمع به عبد الله بن جعفر - زوج السيدة العقيلة - وهو ابن عمّه المعروف بجلالته ووجاهته وحبّه الشديد لآل محمد؟ وبخصوص عمر بن علي فقد ورد أنه كان يعلم بخبر مقتل الحسين وما يجري عليه عن طريق أخيه الحسن عليه السلام كما سيتضح بعد قليل.

حقيقة، لا قيمة لما قرأناه في كلام المعتذرين لمن تخلف عن الحسين عليه السلام؛ لأنه - كما قلت - مجرد ظنون لا دليل قطعي عليها سواء كان روائياً أو تاريخياً، والشيء القطعي الوحيد هو أنهم لم يخرجوا مع الحسين.

ثالثاً: يبدو واضحاً أنّ الموجب لطرح هذه الاحتمالات والتبريرات والبحث عن أعذار شرعية قدر الإمكان، سببه عدم تعقل - أو صعوبة - استيعاب فكرة أن يكون الشخص مؤمناً بإمام زمانه ومعتقداً بوجوب طاعته وبين التخلف عن نصرته، مع أن واقع الرسالات الإلهية منذ انطلاقتها على هذه الأرض - ومنها رسالة الإسلام بالتأكيد - يؤكد وقوع مثل ذلك بكثرة مع خلفاء الله حتى يكاد يكون سنّة بل هو كذلك فعلاً، وأمثلة تخلف مؤمنين عن نصرته إمامهم مع اعتقادهم به وبوجوب طاعته كثيرة جداً، وقد حصل ذلك مع الرسول وأمير المؤمنين والحسن والحجج التالين لهم صلوات الله عليهم، وموجود اليوم في زماننا وسيستمر إلى آخر يوم في دار الامتحان التي نحن فيها، وقد كان موجوداً - بل بنسبة عالية جداً - في زمن الحسين، وهذه بعض الأمثلة من المادة التي تقدمت في البحوث السابقة ليتسنى لي ذكرها هنا باختصار:

- ماذا بوسعنا أن نصف اعتراض كثير من أصحاب أمير المؤمنين عليه في صفين، أو عدم استجابة دعوته لهم لدفع عدوهم في مواقف عديدة؟ وفي بعض المواقف: "لم يجبه أحد؟" وليس بوسعنا أن نجازف ونحكم عليهم كلهم بالنفاق، بل الصحيح أن أغلبيهم كانوا معتقدين به وبوجوب طاعته، ولذلك كان يعاتبهم في خطبه معهم عتاباً مرّاً.

- ماذا بوسعنا أن نصف موقف سليمان بن صرد وحجر بن عدي وغيرهم مع الإمام الحسن، ووصفهم له بـ "مذل المؤمنين" وقول بعضهم: "ليتني مت قبل أن أرى هذا

اليوم"، بل وبعضهم كان يطلب من الإمام الحسين أن يتصدى لقبول البيعة في ظل وجود الإمام الحسن! والسبب هو ما أقدم عليه من الصلح مع معاوية! وأيضاً: ليس بوسعنا اتهام سليمان أو حجر في عقيدته ودينه وهم من خلّص شيعة آل محمد ورؤوس الداعين لهم وماتنا على هذه العقيدة الحقة.

• ماذا بوسعنا أن نصف موقف شيعة الإمام الصادق الذين كانوا يلحّون عليه بالانضمام إلى مشروع العباسيين الرافعين شعار الرضا من آل محمد وإجابة رسائلهم وتلطيف الموقف معهم بدل إهمالهم وهجرانهم: الأمر الذي دعا الفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم أن يدخلاهما عالية على مجلس الإمام بحضور أصحابه وشيعته ويعلننا بصوت واحد أمامه: "إننا والله بكم نأتم وعنكم نأخذ..." وهما يهدفان إسماع الحاضرين ليكفّوا عن طرح الاقتراحات والآراء التي كانت تؤذي إمامهم الذي يعتقدون به وبوجوب طاعته بكل تأكيد!

وليس الأمر مقتصرًا على أتباع آل محمد ومحبيهم فحسب، ولكنه موجود عند أتباع الأنبياء أيضاً، وكمثال: أبناء النبي يعقوب عليه السلام وما فعلوه بأخيهم ووصي أبيهم يوسف بين وجلي، مع أنّ أحداً لا يشك بأنهم أصحاب عقيدة حقة فقد كانوا مؤمنين بنبوة أبيهم ومعتقدين بوجوب طاعته.

الخدلان والتقصير في الأمثلة المتقدمة واضح، لكن لا يتمكن أحد أن يسلب من المقصّرين صفة الإيمان بالمطلق، فهم مؤمنون ومعتقدون بالعقيدة الحقة في زمانهم لكنهم في ذات الوقت قصّروا وخذلوا إمامهم ولم يكونوا لاحقين به.

وكما قلت سابقاً^(١): ليس بالضرورة أن يكون أصحاب المواقف المتقدمة (أو بعضهم حتى أكون أكثر دقة) يتعمّدون الاعتراض على الإمام أو إيدائه أو عدم الاعتقاد بعصمته، بل على العكس قد يتصوّرون أنهم بمواقفهم يريدون الخير للإمام ودفع الظلم والقتل والحيف عنه ففعلوا ما فعلوا واقترحوا ما اقترحوا، ولذلك كان الأئمة عليهم السلام يتعاملون معهم بلطف ولا يعتفّوهم على مواقفهم أو يبعدوهم عن ساحتهم، بل

١- في بحث "كيف تعامل الناس مع الإمام الحق"، فراجع للفائدة أكثر.

الأكثر من هذا أنهم عليهم السلام لما كانوا يعرفون أنّ مثل تلك المواقف التي تصدر من أتباعهم تقلل من درجتهم عند الله وتتسبب بفقدان خير كبير وتفويت توفيق إلهي عظيم، كانوا يحرصون على نصح شيعتهم وأتباعهم ومحبيهم باللحوق بهم من أجل الارتقاء ونيل أعلى الدرجات أو تقليل الخسارة قدر الإمكان في حال أصر المكلّف على عدم اختيار اللّحوق بهم وبلوغ أعلى الدرجات، لكنهم - على أي حال - لا يجبرون أحداً في دنيا الامتحان أو يقهروه على التسليم لهم واللّحوق بهم وإلزامهم بدقة مسايرتهم لهم؛ إذ لا إكراه في الدين، كما أنّ الناس عادة متفاوتون في مستوى إيمانهم وتحملهم وصبرهم وطبائعهم إلى غير ذلك، وهم عليهم السلام لا يرفضون أحداً مهما كانت درجة إيمانه ومستوى تحمّله وطبعه، وهم أبواب رحمة الله.

إذا فهمنا هذا، يمكننا أن نفهم موقف المتخلفين عن الخروج مع الحسين، سواء كان أخاه ابن الحنفية وابن عمه عبد الله بن جعفر وباقي الطالبين، أو كان من غير الطالبين مثل عبد الله بن عباس أو عبد الله بن عمرو أبي سعيد الخدري وغيرهم، بل يمكننا أيضاً فهم مواقف شخصيات الشيعة في الكوفة - التي بحثنا لاحقاً - ذات الوزن الديني أو الاجتماعي الثقيل، مثل: سليمان بن صرد الخزاعي وإبراهيم بن مالك الأشتر وميثم التمار وكميل بن زياد وأمثالهم.

وزيادة في التوضيح أقول:

إنّ من راجع كلام محمد بن الحنفية وابن عباس ^(١) مع الحسين في المدينة ومكة،

١- روى ابن أعثم الكوفي: (قال: وقدم ابن عباس في تلك الأيام إلى مكة، وقد بلغه أن الحسين عليه السلام يريد أن يصير إلى العراق، فأقبل حتى دخل عليه مسلماً، فقال: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله! إنه قد شاع الخبر في الناس وأرجفوا بأنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع! فقال الحسين: نعم، إني أزمعت على ذلك في أيامي هذه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. فقال ابن عباس رحمه الله: أعيذك بالله من ذلك! فإن تصر إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، في مسيرك إليهم لعمرى الرشاد والسداد، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم وعمالهم يجيئون بلادهم، وإنما دعوك إلى الحرب والقتال، وإنك تعلم أنه بلد قد قتل فيه أبوك واغتيل فيه أخوك وقتل فيه ابن عمك وبويع يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد في البلد يعطي ويفرض، والناس اليوم إنما هم عبيد الدينار والدرهم، ولا آمن عليك أن تقتل، فاتق الله والزم هذا الحرم. فقال له الحسين: والله أن أقتل بالعراق أحب إليّ من أن أقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، وأنا مع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون.

وكذلك كلام عمر بن علي مع أخيه الحسين^(١) وأيضاً كلام ابن عمر - الآتي - مع الحسين، يجد أنهم جميعاً يصبّون في مصبٍ واحد، وهو عرض آراء ومقترحات تبعد القتل عن الحسين بأي وسيلة كانت مع اعترافهم بأحقّيته وصواب موقفه، بل وبعضهم (ابن الحنفية، ابن عباس) يصرّح بوجوب طاعته عليه.

وهذه محاولة مهمة جرت بين الحسين وبين ابن عباس وابن عمر عندما عزم على المسير إلى العراق في محاولة أخيرة منهما لثنيه عن قراره وإرجاعه إلى المدينة، دعاهم فيها إلى نصرته، وكلاهما يشهد بسماعه قول الرسول بأنّ الحسين مخذول مقتول ظلماً وعدواناً. وكلاهما يشهد بطهارة الحسين وصواب موقفه، خصوصاً ابن عباس الذي يقر بوجوب نصرة الحسين وأنها فرض واجب عليه كالصلاة والزكاة، لكن في نفس الوقت كلاهما لا تطاوعه نفسه بالمسير مع الحسين ونصرته.

وملخصها: أشهد الحسين ابن عباس على منزلته وأحقّيته ومظلوميته ولما أقر له بذلك قال الحسين: "اللهم اشهد" فعرف ابن عباس أنّ الحسين يقصده ويريد إسماع ابن عمر أيضاً، فقال ابن عباس: "كأنك تريدني إلى نفسك وتريد مني أن أنصرك"، فقاطعه ابن

ثم بعد ذلك أقبل عبد الله بن عباس إليه فدخل وقال: يا بن بنت رسول الله! إني قد رأيت رأيين إن قبلت من! فقال الحسين: وما ذاك؟ قال: تخرج إلى بلاد اليمن، فإن فيها حصونا وشعابا وهي أرض عريضة طويلة، وإن لك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك. فقال الحسين: يا بن علي! إني لأعلم أنك ناصح شفوق، ولكي أزمعت على المسير إلى العراق، ولا بد من ذلك. فأطرق ابن عباس رحمه الله ساعة ثم قال: يا بن بنت رسول الله! إن كنت قد أزمعت ولا بد لك من ذلك فلا تسرينسانك وأولادك فإني خائف عليك أن تقتل كما قتل عفان وأهله وولده ينظرون إليه ولا يقدرّون له على حيلة، والله يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك عن مكة وتخليتك إياه هذا البلد، وهو اليوم لا ينظر إليه فإذا خرجت نظر إليه الناس بعد ذلك. فقال الحسين رضي الله عنه: إني أستخير الله تعالى في هذا الأمر ماذا يكون. قال: فخرج ابن عباس من عنده وهو يقول: وا حبيباه الفتوح: ٥/ ٦٥ - ٦٦.

١- روى ابن طاووس: (محمد بن عمر قال: سمعت أبي عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث أخوالي آل عقيل قال: لما امتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خالياً فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله، حدثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليهما السلام ثم سبقتي الدمعة وعلا شهيق فضممني إليه وقال: حدثك أني مقتول؟ فقلت: حوشيت يا بن رسول الله، فقال: سألتك بحق أبيك بقتلي خيرك؟ فقلت: نعم فلولا ناولت وبإيعت، فقال: حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بقتله وقتلي وأن تربتي تكون بقرب تربته فتظن إنك علمت ما لم أعلمه وإنه لا أعطي الدنيا عن نفسي أبداً ولتلقين فاطمة أباه شاكية ما لقيت ذريتها من أمته ولا يدخل الجنة أحد أذاها في ذريتها) للهبوط: ١٩ - ٢٠.

عمر بقوله: "مهلاً ذرنا من هذا بين عباس" واستمر ابن عمر بكلامه الذي يحاول فيه صرف الحسين عن قراره وهو يأبى ذلك، ثم توجه الحسين إلى ابن عمر وسأله عن صواب موقفه أو خطأه فشهد ابن عمر بصواب موقفه ومحال أن يكون غير ذلك وهو في طهارته وصفوته من الرسول، حينها دعا الحسين ابن عمر صراحة لنصرته وقال: "اتق الله أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي ... يا بن عمر! فإن كان الخروج معي مما يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تترك لي الدعاء في دبر كل صلاة، واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم حتى تعلم إلى ما تؤول الأمور"، هذا وابن عباس يسمع، ولما رأى الحسين ضعف عزم ابن عباس عن نصرته أيضاً قال له: "امض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه ولا يخفى عليّ شيء من أخبارك فأني مستوطن هذا الحرم ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبوني وينصروني" (١).

١- انظر: الفتوح، ابن أعمش: ٢٣/ ٥ - ٢٥. وهذا نص المحاوره بتمامها للفائدة:

(... قال له ابن عمر: أبا عبد الله! رحمك الله اتق الله الذي إليه معادك! فقال عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكن وظلمهم إياكم، وقد ولي الناس هذا الرجل، يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلونك ويهلك فيك بشر كثير، فإني قد سمعت رسول الله وهو يقول: "حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوهم ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة" وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين. فقال له الحسين: أبا عبد الرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أبيه ما قال؟ فقال ابن عباس: صدقت أبا عبد الله! قال النبي في حياته: "ما لي وليزيد لا بارك الله في يزيد! وإنه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين، والذي نفسي بيده! لا يقتل ولدي بين ظهري قوم فلا يمنعونني إلا خالف الله بين قلوبهم وألستهم! ثم بكى ابن عباس وبكى معه الحسين وقال: يا بن عباس! تعلم أي ابن بنت رسول الله: فقال ابن عباس: اللهم نعم نعلم ونعرف أن ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله غيرك، وأن نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى. قال الحسين: يا بن عباس! فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله من داره وقراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة قبره ومولده ومسجده وموضع مهاجرة، فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه وهو لم يشرك بالله شيئاً ولا اتخذ من دونه ولداً، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله والخلفاء من بعده؟ فقال ابن عباس: ما أقول فهم "أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى" "يرأون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً" مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله قلن تجد له سبيلاً" وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت يا بن بنت رسول الله فإنك رأس الفخار برسول الله وابن نظيره البتول، فلا تظن يا بن بنت رسول الله أن الله غافل عما يعمل الظالمون، وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد فما له من خلاق. فقال الحسين: اللهم اشهد! فقال ابن عباس: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله! كأنك تريدني إلى نفسك وتريد مني أن

وما قاله الحسين لابن عباس في آخر الحوار، شبيه بما قاله لأخيه محمد بن الحنفية: "وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون عيناً لي"; لأنه عرف عدم رغبته بالخروج معه بما ذكره له من آراء و اقتراحات تهدف إلى صرفه عن المسير والقتل الذي يلوح - بوضوح تام - في النهاية. ولأن الحسين - كما قلت - لا يجبر أحداً على الخروج معه وبنفس الوقت يرجو أن ينال أتباعه ومحبيه أعلى درجات الارتقاء أولاً أقل تقليل خسارتهم نتيجة التقصير، عرض عليه أن يستغل فترة بقائه بالمدينة ليكون عيناً له فيها ولا يكون بقاءً لأجل طلب السلامة فقط فتعظم الخسارة (فقدان الارتقاء) بنحو أكد وأشد.

أنصرك! والله الذي لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك سيفي هذا حتى انخل جميعاً من كفي لما كنت ممن أوفي من حقلك عشر العشر! وما أنا بين يديك مرني بأمرك. فقال ابن عمر: مهلاً ذرنا من هذا يا بن عباس.

قال: ثم أقبل ابن عمر على الحسين فقال: أبا عبد الله! مهلاً عما قد عزمته عليه وارجع من هنا إلى المدينة وادخل في صلح القوم ولا تغب عن وطنك وحرّم جدك رسول الله، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلق لهم على نفسك حجة وسبباً، وإن أحببت أن لا تباع فأنت متروك حتى ترى برأيك فإن يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلا قليلاً فيكفيك الله أمره. فقال الحسين: أف لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض! أسألك بالله يا عبد الله أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني فإني أخضع وأسمع وأطيع، فقال ابن عمر: اللهم لا ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول على مثل يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة وإن لم تحب أن تباع فلا تباع أبداً واقعد في منزلك. فقال الحسين: هيات يا بن عمر! إن القوم لا يتركوني وإن أصابوني وإن لم يصيبوني فلا يزالون حتى أبايع وأنا كاره أو يقتلوني، أما تعلم يا عبد الله! أن من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أتى برأس يحيى بن زكريا عليه السلام إلى بغية من بغايا بني إسرائيل والرأس ينطق بالحجة عليهم؟ أما تعلم أبا عبد الرحمن! أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشتررون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، اتق الله أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي واذكريني في صلاتك، فوالذي بعث جدي محمداً بشيراً ونذيراً لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني لنصرتني كنصرته جدي وأقام من دوني قيامه بين يدي جدي، يا بن عمر! فإن كان الخروج معي مما يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تترك لي الدعاء في دبر كل صلاة، واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم حتى تعلم إلى ما تؤول الأمور.

قال: ثم أقبل الحسين على عبد الله بن عباس رحمه الله فقال: يا بن عباس! إنك ابن عم والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدي تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه ولا يخفى علي شيء من أخبارك فإني مستوطن هذا الحرم ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل يوم ألقى في النار "حسي الله ونعم الوكيل" فكانت النار عليه برداً وسلاماً. قال: فبكى ابن عباس وابن عمر في ذلك الوقت بكاء شديداً والحسين يبكي معهما ساعة ثم ودعهما، وصار ابن عمر وابن عباس إلى المدينة).

و أيضاً: إنّ من لاحظ كلمات المذكورين ومحاولتهم صرف الحسين عن موقفه الثوري بأي وسيلة كانت ولو بالاختباء بين رمال الصحراء أو كهوف جبال اليمن أو التعلق بأستار الكعبة^(١) أو حتى بالرضوخ والبيعة، يعرف حجم الخوف والرعب الذي هيمن على قلوب الناس عموماً نتيجة قسوة الإرهاب والظلم الأموي وما احتواه تاريخ حكمهم الأسود من قتل وفتك وإجرام لا نظير له. وفي ظل ظروف وأجواء كهذه تخيم على نفوس المسلمين جميعاً بما فهم أتباع ومحيي آل محمد، يمكننا أن نتلمس شيئاً من عظمة الحسين صلوات الله عليه وبأسه وشجاعته وتضحيته لله سبحانه، والله أبوه أيّ نفس أبيّة كان يحمل بين جناحيه في وقت يكاد يأبى حتى الهواء - لو كان له لسان ينطق - عن قول "لا" بوجه فراغته بني أمية وطغاتهم. والله أبوك علي الأكبر وأنت - في ظل هذا الرعب الذي يعيشه الناس بفرسانهم وأبطالهم - تقول لأبيك: "لا نبالي! نموت محقين" لما سمع هاتفاً يقول: "القوم يسرون والمنايا تسري إليهم"^(٢). ويتضح كذلك موقف أنصار الحسين من أهل بيته وصحبه الذين بذلوا مهجهم دونه وهم "يستأنسون بالمنية دونه استئناس الطفل بلبن أمه"^(٣)!

والحقيقة، إنّ قضية إلهية عظيمة بحجم قضية الحسين الثائر لله تحتاج نصرتها إلى توفيق إلهي عظيم ينزله الله على العبد مقابل إخلاص عالٍ يصعد من العبد إليه سبحانه، وتحتاج أيضاً - مضافاً للإخلاص - شجاعة وإقدام بمستوى كبير، وما لم يجتمع هذان الشرطان فلا سبيل لأن تطاوع النفس صاحبها للسير مع قائد إلهي استثنائي يسير باللاحقين به إلى الله ويعبر بهم إلى النور المؤكد بعد شرب كأس القتل المؤكد!

وأخيراً: من تخلف عن الحسين عليه السلام لأي عذروسبب كان، فإنه حتماً لم ولن يدرك الفتح الذي وعد به الحسين اللاحقين به.

١- من هنا نعرف لماذا أطلق ابن الزبير على نفسه لقب "العائد بالله" وأشاعه بين المسلمين، واضح أنّ الهدف منه كسب التعاطف العام من المسلمين ليحتفي خلفه من البطش الأموي.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٨.

٣- انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٩٣.

- الإمام الباقر عليه السلام: "قال: كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام" (١).

- عن حمزة بن حمران، عن الإمام الصادق عليه السلام: "قال: ذكرت خروج الحسين بن علي عليه السلام وتخلّف ابن الحنفية عنه فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمزة إني سأحدثك في هذا الحديث لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا إنّ الحسين بن علي عليه السلام لما مثل متوجّهاً دعا بقرطاس فكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلّف لم يدرك الفتح، والسلام" (٢).

واضح جداً أنّ كلام الحسين يشمل الجميع دون استثناء، والفتح بأي معنى تصوّرناه الآن - وسيتضح معناه بعد قليل - هو جائزة إلهية ودرجة رفيعة خصّها الله سبحانه بالحسين ومن لحق به، وبالتالي فمن لم يلتحق لم ينل هذه الدرجة والجائزة الربّانية، تماماً كما لو أنّ جامعة علمية خصّصت درجة علمية أو مكافئة متميزة لمن حضرة قاعة البحوث فيها وأنجز أمراً ما كإلقاء بحث معيّن مثلاً، ولو افترضنا أنّ أستاذاً أو طالباً تخلّف عن الحضور وأداء المهمة لسبب ما كالمرض أو عدم توفر وسيلة نقل أو حصل معه حادث بالطريق أو طارئ أذى إلى سجنه وغير ذلك من أسباب كثيرة جداً عاقته عن الحضور في الوقت المحدد، وبصرف النظر الآن عن كون الأسباب والأعذار شرعية أو غير شرعية فهو بالنتيجة لم يصل ولم ينل الدرجة العلمية أو المكافئة المتميزة التي خصّصتها الجامعة لمن حضروا وأنجزوا المهمة، وليبقى يعتذر لنفسه أو يعتذر له الآخرون إلى أبد الدهور فإنّ ذلك لا ينفعه شيئاً - بخصوص نيل تلك الدرجة - على الرغم من بقائه أستاذاً أو طالباً.

تنبيه: كل ما تقدم أعلاه تُخاطب به المرأة كما الرجل تماماً، فما وضعه الإسلام عنها حملاً السلاح ليس إلا، وهو يحتل جزءاً من دائرة النصرة الواسعة وليس كل مساحتها، ولا زالت النصرة بالموقف والكلمة والمال وبذل النفس على حالها ومتاحة بأجمعها لها

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

٢- مختصر بصائر الدرجات، ابن سليمان الحلي: ٦.

فلتحرص إذن على لحوق إمام زمانها فيها ولتحذر من خذلانه، بل وربما تفوق المرأة في لحوقها بالحق وبسالتها وإقدامها وكلمتها وموقفها آلاف من زمر الرجال مجتمعين إذا كانت المرأة بحجم زينب بنت علي أو تسعى لأن تقتدي بها! فبنت أبيها العقلية الطالبية لا نجد لها كلمة واحدة تقترح فيها على الحسين أن يهادن أو يسالم أو يبايع أو يتخفى عن الأنظار ونحو ذلك مما سمعناه من كبار الرجال، ولم يكن لديها أدنى لحظة تردد كما حصل مع رجال كبار أيضاً، ولهذا لم يكن عبثاً (وحاشاه) اصطحاب الحسين لها في مسيره إلى كربلاء؛ لعلمه بأن لا أحد - على الإطلاق من أهل بيته وغيرهم - أكفأ منها يسلمه مهمة قيادة الركب إياباً حتى المدينة بعد أن كان الحسين قائده ذهاباً إلى العراق، وما بين الذهاب والإياب أسرار وغايات وحكايات وعبر ومواقف وعطاءات تنتهي الدنيا ولا تنتهي!

الحسين (ع) يودع أم سلمة ودائع الإمامة:

روي: "لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك. فلما قتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاه الحسين عليه السلام" (١).

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة هذا الأمر، وعن سبب اختيار الحسين عليه السلام لأم سلمة لأداء هذا الدور الكبير، وعدم اختيار الرجال من الطالبين أو غيرهم الذين بقوا في المدينة ولم يخرجوا مع الحسين؛ خصوصاً وأن بعض الخطباء يثقفون إلى مسألة أن الحسين هو من أخرج من أراد من الطالبين وأبقى الآخرين لئلا تخلو المدينة منهم مثلاً؟

فأجاب: "الحديث صحيح. أم سلمة مكانتها كبيرة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعند علي والحسن والحسين وآل محمد أجمعين. رسول الله انتمتها على تربة الحسين وكانت عندها في قارورة وعلمت بمقتله قبل أي أحد بعد أن أحمر التراب في القارورة" (٢).

١- الغيبة، الطوسي: ١٩٥، حديث: ١٠٩.

٢- الروايات مستفيضة في ذلك عند جميع المسلمين، وهذا نموذج منها:

فإذا كانت أمينة عند الرسول واثمتها الرسول فمن المؤكد ستكون أمينة عند الحسين
ويأتمتها الحسين؛ خصوصاً أنها كانت من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبة لهم
ومضحية في سبيلهم.

- المفيد: "عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً، ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبراً؟! فقال: "أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فيها في يدي" وبسطها إلي فقال: "خذنها واحتفظي بها" فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعتها في قارورة وسددت رأسها واحتفظت به، فلما خرج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً نحو العراق، كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة فأشمها وأنظر إليها ثم أبكي لمصابه، فلما كان في اليوم العاشر من المحرم - وهو اليوم الذي قتل فيه عليه السلام - أخرجتها في أول النهار وهي بحالها، ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت حتى جاء الناعي ينعاه فحقق ما رأيت" الإرشاد: ١٣٠ / ٢.

- الطوسي: "عن عبد الله بن عباس، قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، و أقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوئين؟ فلم تجبي، و أقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي، فقد والله قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله وربحائته الحسين. فقيل: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم. قالت: فقممت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بترية الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك، وأعطانيها النبي صلى الله عليه وآله، فقال: اجعلي هذه التربة في زجاجة - أو قال: في قارورة - ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين، فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور. قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاء الركبان بخبره، وأنه قتل في ذلك اليوم" الأمالي: ٣١٥.

- المجلسي: "عن عائشة قالت: دخل الحسين على النبي وهو غلام يدرج فقال: أي عائشة ألا أعجبك لقد دخل عليّ أنفاً ملك ما دخل عليّ قط فقال: إن ابنك هذا مقتول، وإن شئت أريتك من تربته التي يقتل بها فتناول تراباً أحمر فأخذته أم سلمة فخرزته في قارورة فأخرجته يوم قتل وهو دم" بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٤٧.

- الطبراني: "عن أم سلمة قالت كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين فيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعية عندك هذه التربة فشمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ويح كرب وبلاء قالت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن مشهور قد قتل قال فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم" المعجم الكبير: ١٠٨ / ٣.

هذا السبب كافٍ، لكن هناك أسباب أخرى:

منها: إنها تسكن بجوار الحسين وزينب عليهما السلام وكانت تعيش معهم تقريباً بمعنى أنها كانت كثيرة الزيارة والتردد عليهم.

ومنها: إنها زوج النبي صلى الله عليه وآله وبالتالي فالمفروض لديها نوع من الحصانة تجاه إجرام الأمويين ومنعهم عن كشف بيتها وما شابه.

أما لماذا لم يأتين الحسين عليه السلام الرجال والطالبين بالخصوص؟

فلبيان أمر مهم وهو: إنّ من بقي من الرجال في المدينة ولم يخرج مع الحسين ولم يلحق الحسين بعد أن دعاه الحسين عليه السلام فهو مقصّر مع إمامه وظالم لنفسه، وإذا كان هذا حاله فأمر سلمة أحق منه بأمانة الحسين عليه السلام.

ومن يدعي أنّ الحسين هو من أخرج من أراد من الطالبين وأبقى الآخرين، فهو كلام بلا دليل. وما فائدة الطالبين الذين أبقاهم؟! هل قاموا بثورة المختار؟! هل قاموا بثورة سليمان بن صرد؟!

عموماً، نحن نقول: طالما أنّ الحسين أعطاهم الإذن بالبقاء فهم كغيرهم ممن اعتذر عن نصرته وإذن له الحسين عليه السلام وهم آلاف، ولكنهم جميعاً مقصّرون مع إمامهم وظالمون لأنفسهم وخسروا مقاماً عظيماً خطفه منهم أمثال الحرين يزيد الرياحي مع أنه كان قائداً في الجيش الأموي.

أما هؤلاء الخطباء فربما يحاولون التماس العذر للطالبين من باب قرابتهم للحسين عليه السلام، لكنه بالحقيقة اتباع للهوى فالكلام بدون دليل بيّن وواضح لا قيمة له فما بالك والدليل قائم على عكسه!" انتهى^(١).

لماذا اصطحب الحسين (ع) أسرته معه؟

خرج الحسين عليه السلام من المدينة برحله وعياله سالكاً الطريق الأعظم "الرئيس" الرابط بين المدينة ومكة، ولم يموّه بسلوك درب فرعي كما فعل ابن الزبير عند خروجه منها، حتى إنّ بعض أهل بيته سألوه أن يتنكب الطريق مخافة أن يلحق به الظلمة، فقال لهم: "لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ" (١).

أسرة الحسين أو عائلته: أقصد بهم عموم من خرج معه من النساء والأطفال؛ سواء أخواته أو بناته أو زوجاته وأطفالهن، أو نساء وأطفال إخوته وبني عمومته من الرجال الذين عرفنا أسماءهم في البحث السابق. وبالرغم من أنه لا توجد إحصائية دقيقة للعدد، لكن إنصافاً لنساء الركب الحسيني سأذكر بعض من ورد اسمها في الروايات:

أخوات الحسين: زينب بنت علي، أم كلثوم بنت علي، فاطمة بنت علي (زوجة عبد الله بن عقيل)، خديجة بنت علي (زوجة عبد الرحمن بن عقيل)، رقية بنت علي (زوجة مسلم بن عقيل)، وبنات الحسين: سكينة ورقية، وزوجته: الرباب بنت امرئ القيس (أم سكينة وعبد الله الرضيع)، وأم عبد الله أو عبید الله بن الحسن السبط، وفاطمة بنت الحسن (زوجة علي بن الحسين)، وحميذة بنت مسلم بن عقيل. وأكد أنّ هناك نساء وأطفال غير من ذكرت كانوا ضمن ركب الحسين عليه السلام.

ومهما يكن الحال، فإنّ الأمر المسلّم والثابت قطعاً هو اصطحاب الحسين لعائلته (النساء والأطفال) في مسيره إلى العراق، والسؤال: لماذا اصطحبهم معه وهو يعلم أنه مقتول لا محال: "ما أراني إلا مقتولاً" (٢)؟

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٥. وفي بعض الروايات أنّ مسلم بن عقيل هو من سأله، فقال له الحسين عليه السلام: "لا والله يا ابن عمي، لا فارقت هذا الطريق أبداً أو أنظر إلى أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى" انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٢٢.

٢- انظر: كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧، والروايات في علم الحسين عليه السلام بمقتله كثيرة، وقد استعرضت فيما تقدم ما فيه الكفاية، وهذه إحداها.

بالتأكيد أنّ لدى الحسين حكم وغايات بعيدة، ولدى الأوصياء من ذريته أجوبة في ذلك^(١)، لكن هذا لا يمنع - بالاستعانة بما تقدم - أن نلتمس الإجابة في أمرين:

الأول: حفظاً لهم من القتل؛ إذ عرفنا سابقاً أنّ سياسة الأمويين تقوم بالأساس على عداء آل محمد (أمير المؤمنين وولده الأوصياء) والسعي لاستئصالهم نهائياً بمجرد أن تسنح لهم الفرصة، وأعتقد لم يغيب عنا شعار معاوية الذي أعلنه للمغيرة بن شعبه لما عرض عليه أن يخفف من بغضه وحقده على آل محمد وقد بلغ مراده بالملك فأبى وقال: "لا والله، إلا دفناً دفناً"، وآخر أفعالهم قرار القتل الصادر بحق الحسين.

قيام الحسين ضد يزيد - والحال هذه - يعني إمكانية استعمال عيال الحسين ورقة ضغط ضده، وهو أسلوب متعارف لدى الطغاة منذ القدم حتى يوم الناس هذا، خصوصاً وأنّ الأمويين لديهم سوابق في سلوك هذا المنحى الواطئ، وقد رأينا أنهم استخدموه مع الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي الذي فرّ من أعين السلطة الأموية في الكوفة سنتين، وللضغط عليه من أجل تسليم نفسه اعتقل زياد بن أبيه زوجته وأرسلها إلى معاوية في الشام فحبسها، ولما أمسكوا به وقتلوه أمر معاوية ببعث رأسه إليها وهي في السجن، وقد تقدمت قصته رحمه الله.

الثاني: استجابة للمشينة الإلهية والتخطيط الرباني، إذ مرّ بنا جواب الحسين لأخيه محمد بن الحنفية لما سأله عن سبب اصطحابه النساء، فقال: "إنّ الله قد شاء أن يراهن سبائاً"^(٢). ونحن يمكننا أن ندرك شيئاً من أسرار هذه المشينة الإلهية بملاحظة ما يلي:

١- المرأة والرجل كلاهما مكلفان بنصرة الحق وإعلاء كلمة الله كما ذكرنا، بل هناك أدوار مهمة في النصرة يمكن للمرأة أن تؤديها بجدارة وتصل بها إلى نتائج كبيرة لا يتمكن الرجل من بلوغها لأسباب كثيرة؛ خصوصاً إذا كانت المرأة بمستوى زينب بنت علي، فمثلاً: خطبها في الكوفة والشام لفضح يزيد وعبيد الله بن زياد بحضور الناس لو كان المتكلم رجلاً - كالإمام علي بن الحسين مثلاً - لتم قتله بلا تردد، هذا إضافة إلى أنّ طبيعة الناس -

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٢٣.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٦٤.

خصوصاً في المجتمع الشرقي - تتفاعل مع المتحدث إذا كان امرأة أكثر من الرجل وإن كانت امرأة عادية فما بالك إذا كانت هي زينب بنت علي وفاطمة، وقد سبقتهما أمها فاطمة عليها السلام لأداء مثل هذا الدور لنصرة أمير المؤمنين والمطالبة بحقه الشرعي المغتصب.

ثورة الكلمة وتفعيل الجانب الإعلامي لنصرة الحق وفضح الباطل وبيان عظم الجريمة التي ارتكبت بحق الحسين، هو عنوان الفصل الثاني من ثورة الحسين، إذ كان مقدّر لقتل الحسين وإراقة دمه الطاهر أن يكون سبباً لإحياء دين الله وتنبيه الناس إلى عمق الانحراف الذي أوقعوا أنفسهم فيه بخضوعهم للباطل، والأمة كانت بحاجة إلى صعقة تنبهها من غفلتها وتبعث في رجالها ونساءها روح المقاومة والنهوض ونفض غبار الذل والخوف، وهذا يتطلب دوراً إعلامياً جبّاراً لا يخشى القائم به جبروت السلطة، وبهذا تؤتي ثورة الحسين ثمارها المرجوة والمقدر لها إلهياً، وقد أدّت زينب عليها السلام هذه المهمة بجدارة فائقة.

٢- الحسين يعرف حال الأمة جيداً ويعرف بأنه بالنهاية مخذول من عموم الناس بما فيهم أتباعه ومحبيه (عدا الثلة التي اختارت للحقوق به) وأنّ وعد الله متحقق لا محال، وقدر كربلاء الحسين وفق المخطط الإلهي أن تكون مشعل هدى ونور للأجيال كلها أبد الدهور وليس لأهل زمانه أو القريب عهداً به فقط؛ الأمر الذي يقتضي وجود "جهة" على درجة عالية من الأمانة تتحمل المسؤولية الكاملة وتوضح عطاء الثورة الحقيقي وتبيّنه للناس وفي نفس الوقت تبيّن إجرام وباطل من سفك دم الحسين الطاهر حتى لا يذهب سدى! بدون ذلك ستعتمد السلطة - كعادة كل الطغاة - إلى التعتيم على الجريمة وتحريف الحقائق وتضليل الناس وتميرير الحادثة ولا كأن شيئاً قد حصل؛ لا سيما وأنّ حال الأمة يسعف السلطة كثيراً في بلوغ هذه النتيجة، ولك أن تتصور الحال لو أنّ الحسين خرج برجاله فقط إلى أرض الطف وتم القضاء عليه مع رجاله في عملية إبادة جماعية خلال وقت قصير ثم أخفت السلطة معالم الجريمة والناس لاهين بين بائع وشارٍ في الأسواق، ووعاظ السلاطين يهتفون في جوامعهم ونواديهم ليل نهار بحفظ خليفة المسلمين وأميرهم المخمور في مجالس الرقص والطرب حتى الصباح، وأما من يدعي اتباع الحسين ومحبيه فهو في أحسن الأحوال تدمع عينه لذكره عندما تعرض له حاجة ويرجو قضاءها، أو ربما يقيم على روحه مأدبة لما يسمع بخبر مقتله لاحقاً، وينتهي كل شيء!!؟

لكن: مَنْ يحمل على راحتيه الدم المسفوك ظلماً ويصرخ بوجه من سفكه ويزلزل عرشه الذي يجلس عليه؟! مَنْ يبين عظم الجريمة التي وقعت والتي أبكت سيد المرسلين بكاءً مرّاً وملانكة الله المقربين وأورثت أوليائه الصالحين حزناً وغماً لا يكاد ينتهي؟! مَنْ يصرخ بوجه يزيد وعبيد الله بن زياد ويفضحهم على رؤوس الأشهاد ويتسبب بإحراجهم وتهيج نقمة الناس عليهم؟! مَنْ يقرّع ضمير من كاتب الحسين وخذله ويؤنب من يدعون اتباعه وحبّه عسى أن يتداركوا حالهم وما ارتكبوه من خذلان فظيع قبل الهلاك والخسران المبين؟! من، ومن، هل تعتقدون أنّ الرجال الذين كانوا ينصحون الحسين بالاختباء أو الفرار بالصحاري والجبال أو الرضوخ والبيعة ليزيد الفاجر المعلن بفسقه أو الجالسين في دورهم ومخابئهم وهم يرتعبون خوفاً وينتظرون خبر مقتل الحسين من دون أن يحركوا ساكناً سيقومون بهذا الدور مثلاً؟! ثم: من سيشهد كربلاء ويحكي قصتها وحقيقتها وعطاءها؟!!

الحقيقة، إنّ الحسين كان بحاجة إلى "جهة" أمينة لترجمة عطاء ثورته وتضحيته، ولا بد أن تكون بمواصفات استثنائية؛ لأنها - من جانب - لا بد أن تعيش أحداث كربلاء وتكتوي بنارها لتشهد مجرياتها عن قرب، بل تشاهد - بالتفصيل - ما يجري فيها من عطاء لله على شكل فجيرة لا نظير لها وتهزلها الجبال الرواسي، ومن جانب آخر: لا بد لها أن تتعالى على عظم الجراح بصمود لا يلين ورباطة جأش وثبات لا يعرف التزعزع والتردد له سبيلاً ولو بمقدار رأس شعرة! "جهة" لها القابلية أن تشهد بثقة تامة ويقين راسخ أمام الطغاة والجبابرة والخلق أجمعين بأنّ كل ما رأته - وستراه في حلقات فصل الثورة الثاني من ألم ووجع - جميل؛ لأنه بعين الله، فتفشل بذلك خطة إبليس ويؤي هو وجنده من الإنس والجن الدبر مخزيين مرعوبين من مشاهدة هذه الاستقامة والثبات العظيم؟!!

وقبل هذا كله: "جهة" شجاعة وسخية بالجود بالنفس إذا تطلب دين الله ذلك حتى يتمكن الحسين من أن يستأمنها على حفظ ولده الوصي من بعده، وتكون درعاً لسلامته ونجاته من القتل؛ لنلا تخلو الأرض من حجة ويبطل دين الله! تعالى علواً كبيراً.

أقولها وبثقة تامة: لو لم تكن زينب ابنة علي وفاطمة موجودة يوم الحسين فلا يتمكن أحد غيرها من القيام بكل تلك المهام الجسام؟!!

٣- حتى تنجح خطة الحسين وتؤدي زينب العقيلة ما أنيط بها من دور، كان اصطحاب بقية العيال في الركب الإلهي مهماً أيضاً لضمان سلامة زينب نفسها وإتمام ما اصطفت لأجله؛ إذ لو كانت وحدها مع الحسين بالطف لما تورّع الأمويون عن قتلها مع أخيها بلاتردد، ولكن أن تكون محاطة بهذا الركب المقدس بما فيه من نساء وأطفال هو أقصى خيار متاح ومتوفر بيد الحسين المظلوم المخذول لإنجاح خطته بالحفاظ عليها ومن ثمّ الحفاظ على حياة الامام زين العابدين وأداء بقية المهام المناطة بها، وصولاً إلى ضمان بقاء دين الله واستمرار مبدأ حاكمية الله؛ أسّ الدين الإلهي وركنه الركين، ولهذا ربط الحسين عليه السلام خروج النساء معه بمشيئة الله، والله سبحانه بالغ أمره لا محال.

توضيح بخصوص الحفاظ على حياة وصي الحسين (ع):

من طالع روايات التمهيد بداية البحث يعرف أنّ الحسين كان استثنائياً بكل شيء تقريباً، حتى في ولادته، فالناس عادة لما يلد لها مولود تفرح وتُسّر بمقدمه وتستعد لاستقبال التهاني من المحيّين، إلا الحسين، فمنذ ساعة ولادته ودموع الرسول وعلي وفاطمة لا تكاد تفارقهم حزناً على ما سيجري عليه، بل حتى قبل مولده، فقد مربنا حديث هبوط جبرئيل على الرسول يبشّره بولادة ولد لفاطمة تقتله أمته، وبمجرد أن علم الرسول وفاطمة أنّ ولداهم القتل له علاقة بدين الله ودوام حاكمية الله "جاعل الوصية في عقبه" قبلاً وسلماً لمراد الله (١).

"جاعل الوصية في عقبه": يعني أنّ الإمامة والوصاية الإلهية تكون في ولد الحسين، وهو يعلم أنه مقتول في كربلاء لا محال، ويعرف أنّ الوصي من بعده ولده علي، وهذا الولد مطلوب من الحسين الحفاظ عليه بكل ما أوتي من قوة؛ لأنّ أمره لله وليس للحسين (٢) طالما أنه حامل أمر الإمامة والوصاية الإلهية، وقتله - لا قدر الله - يعني خلو الأرض من حجة إلهي بعد الحسين، وهذا الفرض يُبطل دين الله من الأساس ويجعل الله تعالى (وحاشاه) محجوجاً بخلقه وبإمكانهم الاعتذار لضلالهم وانحرافهم يوم القيامة بعدم

١- انظر تمام الرواية في التمهيد، موضوع: الحسين الثائر المصمم على ملاقاته الوعد.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: "أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟ لا والله ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل حتى ينتهي الامر إلى صاحبه" الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٨.

وجود الهادي المرسل منه ليخلصهم مما هم فيه، وهو سبحانه وعد أنّ هذا لا يحصل أي إنّ الحجة لله على خلقه دائماً وأبداً، قال تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء: ٦٥. ولهذا قال أمير المؤمنين: "لا تخلو الأرض من حجة لله على عباده"^(١).

ينبغي أن نعرف أيضاً: أنّ الله شاء أن تجري الأمور بأسبابها وهي سيرة جميع الأنبياء والرسل، وهذا يعني أنّ الحسين مأمور وممتحن بحفظ ولده الوصي (علي) بالأسباب العادية التي تتطلب سعياً وجهداً وليس الحال كما يتصوره البعض من أن الأوصياء ينثرون المعاجز على أنفسهم والناس في البيوت والطرق، وإلا لما بخل بها عن أهله وصحبه ونفسه يوم عاشوراء، بل ما كان هناك داعٍ أصلاً لثورته من الأساس، بل وليس هناك حاجة إلى أن يتكبد الأنبياء والرسل كل هذه المعاناة التي جابههم بها أقوامهم وكان يكفهم لتحقيق ما يصبون إليه معجزة واحدة لسحق الباطل وانتصار الحق؟! ثم أين عدالة الله وحكمته والدنيا دار بلاء واختبار حتى يمتاز طيهم عن خبيثهم ومؤمنهم عن منكرهم إذا كان الحال كما يتصوره البعض؟! ونحن بهذا لا نريد أن ننكر تحقق بعض المعاجز أحياناً في مسيرة حجج الله بقدر ما نريد بيان أنّ الأصل هو السير بالتكليف وفق الأسباب المعروفة وأما المعجزة فأمرها طارئ واستثنائي إن تحققت، كما أنّ قرار جريانها بيد الله وفق حكمة وغاية معينة وليس كيفما كان.

ونحن إذا استوعبنا هذين الأمرين نعرف مدى ثقل المهمة الملقاة على عاتق الإمام الحسين: فهو - من جهة - أعلن ثورته بوجه الطاغية يزيد وبدأ يخطط بالمسير إلى مصيره الموعود به من الله ورسوله، ومن جهة أخرى: هو ممتحن بحفظ ولده الوصي وسلامته؛ ليحمل أعباء الوصاية والإمامة من بعده، وحقيقةً لم يجد الحسين سبيلاً يحقق به حفظ دين الله واستمرار حاكمية الله بولده إلا باصطحابه معه بمعية الأسرة التي تضم أخته زينب وبقية النساء والأطفال كما تبين. ولهذا وجدنا السيدة زينب سخية في التضحية بنفسها دفاعاً عن ابن أخيها الوصي، وقد تكرر ذلك منها في كل المواقف التي تعرض فيها الإمام علي بن الحسين إلى خطر وتهديد بالقتل.

روى ابن الجوزي ما جرى على الحسين بعد قتله: (... وجاء سنان حتى وقف على فسطاط عمر بن سعد، ثم نادى:

أوقركابي فضّة وذهباً فقد قتلت السيد المحجّباً
قتلت خير الناس أمّا وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال له عمر: يا مجنون، تتكلم بهذا الكلام؟ ثم قال عمر: من يوطئ فرسه الحسين؟ فانتدب أقوام بخيولهم حتى رضّوا ظهره، وأمر بقتل علي بن الحسين، فوقعت عليه زنب وقالت: والله لا يقتل حتى أقتل. فرق لها وكفّ عنه^(١).

ما تقدم يكشف بوضوح وجلاء أنّ كل أغراض ومقاصد الحسين في جميع أفعاله وتصرفاته هدفها نصره دين الله وإنفاذ مراده وإعلاء ذكره وحاكميته بأيّ ثمن كان، هذا هو المهم بنظره ولا يهمه بعد هذا أن يقدم نفسه وأهل بيته للقتل أو يعرض عياله للسي طالما أنه السبيل لإنجاز وإنفاذ المراد الإلهي في حفظ دينه وإتمام حجه وتبليغ رسالته.

أعتقد أنّ هذا كافٍ لرد بعض الشبهات، التي تضيف ظلماً إلى سجل الظلم والخذلان الذي عانى منه الحسين حيّاً وقتيلاً، التي يزعم أصحابها أنّ اصطحاب الحسين لأسرته وعياله ما كان يصح منه؛ لأنه تعريض لهم للقتل أو انتحارهم وما كان ينبغي له الإقدام على ذلك! وأكد أنّ أهل الدنيا ومن لا يفقه غير البطن والفرج فيها لا عتب عليه لما يفكر بهذه الطريقة؛ إذ لا شيء في خاتمة إدراكه اسمه العطاء لله وفداء دين الله وإنفاذ مراد الله ولو من خلال الجود بالنفس والأهل والعيال؛ قتلاً وسبيّاً، فضلاً عن أن يدرك ويستوعب: أنّ الحسين - وهو في ذروة العطاء لله بكل ما يملك من نفس وأهل وعيال وصحب - يعتبر نفسه غير موفٍ لحق الله وأنّ الله سبحانه متفضل عليه أن اصطفاه لمهمة إنقاذ دينه ورسالته وما قدّمه في هذا السبيل شيء قليل بنظره!

ويضيف المجيبون على هذه الشبهة وأمثالها ظلماً آخر للحسين بقولهم إنه إنما أخرجهم معه لظنّه بالسلامة بعد ورود المؤشرات بنصرته من قبل آلاف الناس، وليس

١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤١.

بالضرورة أنه كان يعلم بمقتله على وجه اليقين^(١)! والحال إننا عرضنا روايات متواترة عن الرسول وأهل بيته وكلها تفيد بأنّ الحسين كان يعلم بمصيره ومنتقن من ذلك، ولذلك كان يسير بخطى ثابتة وتخطيط دقيق وعزم شديد لنصرة دين الله وحفظ حاكمية الله، وكان يحسب لكل تصرفاته وحركته حساباً يضمن معه تحقيق هذا الهدف العظيم.

بهذا نكون قد انتهينا إلى أنّ الأمة هي السبب في بلوغ الحسين حد التضحية بعياله (نساؤه وأطفاله) وتعريضهم للسبي وكل ما جرى عليهم؛ لأنه - كما بينت - مأمور بنصرة وحفظ دين الله، ولا سبيل متاح أمامه لبلوغ هذا الهدف غير الإتيان بعياله بعد خذلان الأمة له، وشاء الله أن يكون هذا الاصطحاب بما فيه من ألم ووجع سبباً لنصرة وحفظ دين الله وجني ثمار الثورة الإلهية! هذه هي الحقيقة شاءت الأمة قبولها أو لم تشأ.

من لم يلحق بالحسين (ع) لم يدرك الفتح:

كلمة قالها الإمام الحسين لما أراد مغادرة المدينة والمسير إلى العراق بأهل بيته وشيعته الذين اختاروا الخروج معه، هي قوله لأخيه ابن الحنفية وبني هاشم عموماً: "أما بعد، فإنّ من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام"^(٢).

ولا شك، إنّ كلمته صلوات الله عليه عامة وتشمل الجميع رجالاً ونساءً، وهي جارية على رجال ونساء كل زمان إلى يوم القيامة كما سنعرف الآن. وحتى يتضح لنا معنى الكلمة، ينبغي أن نعرف المقصود بالأمور الثلاثة الواردة فيها، أعني: (اللحوق، الشهادة، الفتح)، وقد أبان السيد أحمد الحسن معنى الكلمة بشكل كامل في كتابه "المتشابهات" وهذا ملخص بيانه:

١- معنى المفردات الثلاث:

- اللّحوق: الالتصاق بالشيء أو الوصول إليه ومسايرته.

١- انظر: المسائل العكبرية، المفيد: ٧١؛ تنزيه الأنبياء، المرتضى: ٢٢٧ - ٢٢٨.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

- الشهادة: الأصل في معناها الإخبار عن الحقيقة بالقول أو الفعل، ومنه سمي المقتول في سبيل الله شهيداً؛ لأنه شهد بدمه لإعلاء كلمة الله. وكل من له موقف يشهد فيه يوم القيامة على أمة أو جماعة فهو من الشهداء كالأنبياء والمرسلين والزهراء وزينب ومريم وغيرهم، وكلُّ بحسبه.
- الفتح: إزالة المانع عند الولوج في الشيء أو النظر إليه أو فيه سواء من خلال رؤيته بالعين (البصر) أو انكشافه للقلب (البصيرة).

٢- ماذا أراد الحسين بكلمته؟

- "لحق بي": أي سار على نهج ومبدأ الحسين، ولأن لكل زمان حسين (وصي من ذرية الحسين يمثله ويقوم مقامه)، فمن لحق بحسين زمانه لحق بالحسين عليه السلام ومن تخلف عنه تخلف عن الحسين عليه السلام.
- "استشهد": أي قتل في سبيل الله؛ سواء بقتل البدن أو قتل الشخصية (التسقيط الذي يتعرض له من يقف مع الحق)، وهو أعظم من قتل البدن.
- "الفتح": معرفة الحقائق في العوالم العلوية وأعلائها الفتح المبين ومعرفة الله؛ كلُّ بحسبه.

٣- النتيجة:

- من لم يلحق الحسين ونهجه ويتبع حسين زمانه لا يستشهد، أي: لا يقتل في سبيل الله ولا يكون شاهداً بالحق، وأيضاً: لا يدرك الفتح أي: لا يعرف الفتح ولا يحصل شيئاً من معرفة الحقائق العلوية.
- ومن لحق الحسين استشهد قطعاً؛ سواء بقتل بدنه أو قتل شخصيته، وبالتالي سيشهد لله إما بدمه أو بموقفه. وأيضاً: أدرك شيئاً من الفتح وانكشف الحقائق العلوية بحسب مقامه ولزومه للحسين.
- الحسين باقٍ ما بقيت السماوات والأرض؛ لأنه حق وكلمة ومبدأ، فكل من خالف الحق الذي دعا له الحسين ولم يبين أفكاره ومواقفه على مبدأ الحسين فقد خذل الحسين وإن أظهر البكاء على الحسين أو ادّعى محبته، فقد قاتل الحسين

قوم يدعون أنهم يحبون الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسيقاتل القائم قوم يدعون أنهم يحبون الحسين ويبكون عليه ^(١).

ثم إنَّ الفتح بمعنى انكشاف حقائق العوالم العلوية كنتيجة يحصل عليها اللاحق بالحسين هو أحد معاني الفتح، ولدينا فتح بمعانٍ أخرى:

يقول السيد أحمد الحسن: (لدينا فتح في العوالم العلوية، وفتح بمعنى فتح القلوب في الدنيا ودوام الذكر فيها إلى يوم القيامة ^(٢)، وأيضاً: فتح مع إمام وحجة كل زمان بمرافقته ونصرته، فالإنسان إذا آمن بإمام زمانه فإنه يحتاج لتوفيق مستمر حتى يرافقه وينصره، وهذه المرافقة والنصرة درجات؛ لكل درجة إخلاص ولحوق وفتح يناسبها، فاللحوق بحد ذاته هو فتح واللحوق نفسه ليس بمستوى واحد وبالتالي الفتح يكون بحسبه).

وكما أنَّ الشهادة (نتيجة اللحوق الأولى) تحصل لمن يلحق وهو في الدنيا فيُقتل إما بدنياً أو تُقتل شخصيته بسبب نصرة إمام زمانه ومسايرته له، فكَذلك الفتح (نتيجة اللحوق الثانية) يحصلها اللاحق وهو في الدنيا أيضاً، فتتكشف له الحقائق العلوية من خلال الرؤى والكشوفات؛ باعتبار أنَّ كشف الحقائق العلوية (الفتح) لا يتيسر في هذا العالم إلا من خلال هذا السبيل (الرؤى والكشف) ^(٣)، وأكد أنَّ اللاحقين بحسين زمانهم متفاوتون في درجة الفتح التي تحصل لكل واحد منهم؛ لأنَّ الأمر يرتبط بدرجة لحوق كل منهم ومدى دقة مسايرته لإمام زمانه.

وأضاف أيضاً: (لا يوجد زمن أو فترة معينة تقيّد اللحوق أو الاتباع، كذا يلحق به النتائج كالشهادة والفتح. فالالتحاق بالحسين مثلاً متاح إلى يوم القيامة ويتبعه النتيجة: الشهادة والفتح. فالملتحق بالحسين لابد له من الشهادة ولا بد أن تكون نتيجة سعيه

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٤.

٢- لهذا: ليس غريباً أن نلاحظ وفود الملايين وكأنهم مجبرون على زيارة الحسين عليه السلام وخدمة زائريه؛ فهو جزء من الوعد الإلهي للحسين عليه السلام.

٣- لهذا نجد أنَّ المؤمنين بإمام زمانهم تكثر بينهم الرؤى والكشوفات؛ لأنه ثمرة من ثمرات اللحوق التي وعد بها الإمام الحسين، ولا خلف لوعده. وبالطبع يتفاوت مستوى الانكشاف بحسب دقة المسيرة كما تبين.

ارتقاء وفتح، ومن لم يهتم للالتحاق بالحسين فلن يصل ولن يرتقي ولن يدرك الفتح وإن سعى بكل جهده، بل لن يزيده السعي إلا بعداً. والحسين مستمر بمن يخلفونه وهم حراس ثورته والعارفون بحدودها، ومن يدعي أنه قيّم على ثورة الحسين أو قائم بها أو ممثل لها من غيرهم فهو مجرد قاطع طريق الله ولو مات بسيف ظالم طاغٍ ملعون) انتهى^(١).

وهذا يعني أنّ اللّحوق بالحسين عليه السلام متاح لكل أحد في كل زمان من خلال الإيمان بإمام زمانه (حسين زمانه) ونصرته ومسايرته، وبالتالي ينال ثمرة ونتيجة تلك المسايرة وهي: الشهادة والفتح الذي يناسب دقة مسايرته.

الحسين^(ع) في مكة وشهادة مسلم في الكوفة:

الزمان: (٣ شعبان - ٨ ذي الحجة سنة ٦٠ هـ)

خرج الحسين عليه السلام من المدينة آخر شهر رجب بأهل بيته وعياله، ووصل مكة يوم الجمعة في الثالث من شعبان سنة ٦٠ هـ، فدخلها وهو يقرأ قوله تعالى: "وَمَا تَوْجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ" القصص: ٢٢. وقيل: إنه لما قدم مكة قال: "اللهم خّر لي وأهدني سواء السبيل"^(٢)، ونزل في شعب علي^(٣). وفور وصوله أقبل المسلمون في مكة عليه يزورونه ويقصدون مجلسه ويسألونه^(٤)، وبالتأكيد فإنّ الحفاوة التي حظي بها الإمام الحسين عليه السلام لم تكن برغبة من السلطة الأموية الحاكمة في مكة وعموم الحجاز آنذاك.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٢٦.

٣- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٩. وصرح بعض المؤرخين أنه نزل في دار العباس، انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ٧، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ١٨٢.

٤- ذكر استقبال أهل مكة للحسين عليه السلام والحفاوة به كثير من المؤرخين، منهم: المفيد في: الإرشاد: ٢ / ٣٦، وابن أعثم في: الفتوح: ٥ / ٢٦، وابن كثير في: البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣، لكن يبعد أن تكون الحفاوة حصلت من قبل عموم المكيين: للسبب الآتي ذكره بعد قليل.

من جهة أخرى: ابن الزبير كان في مكة أيضاً، وبالرغم من مجيئه إلى الحسين أحياناً فيمن يأتيه من الناس إلا أنه كان يعتبره أثقل خلق الله عليه؛ لعلمه بأن أهل الحجاز لا يقبلون ببيعته ما دام الحسين في بلدهم لمكانته وجلالة قدره ^(١).

لماذا اختار الحسين (ع) مكة محطة أولى؟

ابتداءً، ينبغي أن نعرف أن مكة لا تضم قاعدة شعبية للإمام الحسين عليه السلام ولا لأبيه أمير المؤمنين وأخيه عليهما السلام قبله؛ لسبب واضح أن أغلب بطون قريش التي تسكنها كانت قد أوترت في معارك الإسلام الأولى كيدروأحد، ولا شك أن أمير المؤمنين كانت له اليد الطولى فيها دفاعاً عند دين الله ورسوله ^(٢)، وهذا الأمر ترك أثره بوضوح في نفوس وسلوك الأبناء والأحفاد ^(٣)، ولهذا لا نجد أحداً من المكيين (من غير الحجاج والمعتمرين الوافدين) التحق بالحسين عليه السلام ونصره! وهذا يعني أن الحسين عليه السلام أبداً

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦١.

٢- يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: "كيف تنسى قريش علياً وقد أورد أولها النار وقلد آخرها العار" انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٢٩ / ٤٨٢. وكمثال: هذا مشهد من صنع أمير المؤمنين وفقى الإسلام يوم أحد:

(كانت راية قريش مع طلحة العبدري من بني عبد الدار، فبرزونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيا فكم إلى النار ونجهزكم بأسيا فإنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلى، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام... ضربه أمير المؤمنين على فخذه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره وسقطت الراية، ... ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض، فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام وسقطت إلى الأرض، فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام وسقطت إلى الأرض، فأخذها عزيز بن عثمان فقتله علي عليه السلام وسقطت إلى الأرض، فأخذها عبد الله بن جميلة بن زهير فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض. فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار وهو أوطاة بن شرحبيل مبارزة وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعهما وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعهما فسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال: يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض) انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٢٠ / ٥٠ - ٥١.

٣- قال علي بن الحسين عليه السلام: "ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا" الغارات، الثقفى: ٣٩٣.

لم يكن يخطر في باله أن يتخذ مكة مقراً دائماً له، وإنما أرادها محطة مؤقتة قبل إكمال مسيره إلى العراق، وأكد أن هناك أسباباً دعت له لذلك، منها:

١- إن مكة حرم آمن ولها مكانة وقدسيتها خاصة في نفوس جميع المسلمين مهما كان توجههم والتزامهم الديني، وبعد صدور القرار الأموي بقتل الحسين عليه السلام واضطراره لمغادرة المدينة ليس هناك مأوى آمن - نوعاً ما - ومناسب لظرفه يأويه مؤقتاً ومنه ينطلق لإتمام ثورته ورسالته أفضل من مكة.

٢- انطلاق الحسين عليه السلام بثورته على يزيد التي بدأت أولى خطواتها برفض البيعة تتطلب - بطبيعة الحال - نصرة وتأييد ليتمكن من مواصلة ثورته، وهذا يحتاج إلى تبليغ وعمل إعلامي كبير لاطلاع الناس وشرح أسباب الثورة وأهدافها لهم، ولا شك أن مكة هي أفضل مكان لإنجاح هذه المهمة بأفضل حدود ممكنة في ذلك الوقت؛ باعتبار أن الناس يقصدونها من مختلف الأفاق للحج والاعتماد، وبالتالي فما يحصل فيها يجري تناقله وتداوله في مختلف أمصار المسلمين.

٣- الحسين عليه السلام يعرف بالنتيجة أن الأمويين سوف لن يبقوا ساكتين عليه، وأن قرار القتل الصادر بحقه في المدينة سيتكرر معه في مكة أيضاً؛ لأنهم قوم لا يعيرون لتعاليم الإسلام أدنى حرمة، لكن لن يكون ذلك قبل حلول موسم حج عام ٦٠ هـ؛ باعتبار أن السلطة الأموية كانت تعتمد سنوياً إلى تنصيب أمير خاص يمثلها في موسم الحج، أموي بطبيعة الحال سواء نسباً أو نهجاً أو الإثنين معاً، وبالتالي ففي ظل زحمة الحج وجود الأمير وقواته يكون بالإمكان القضاء على الحسين وإزهاق دمه، ومثل هذا القرار صدر بالفعل كما سيتضح. ما أريد قوله الآن: إن الحسين الذي وصل مكة مطلع شعبان يعلم بخطة الأمويين هذه وأن الوقت المتاح أمامه هو أربعة أشهر (شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة)، وهي أكبر فترة زمنية متاحة أمامه - ما كانت لتتوفر له في أي مدينة أخرى - لإسماع أكبر قدر ممكن من الناس بمشروعه الإلهي ليلتحقوا به ويفوزوا أو يقطع عذرا المتخلفين أمام الله ولا يترك لهم حجة كحد أدنى.

وهذا ما تحقق فعلاً بفضل حكمة الحسين؛ إذ تمكّن من إبلاغ عدد كبير من الناس سواء في مكة أو خارجها حتى ذاع صيت ثورته وتداولت أمصار المسلمين خبره بكثرة. وأيضاً:

اتصل عليه السلام خلال فترة تواجده في مكة بكثير من وجوه وزعماء القبائل ودعاهم إلى نصرته ووجّه لهم رسائل، منها رسالته إلى رؤساء الأخماس في البصرة^(١)، منهم:

- الأحنف بن قيس^(٢).
- مسعود بن عمرو الأزدي^(٣).
- قيس بن الهيثم السلمي^(٤).
- المنذر بن الجارود العبدي^(٥).
- يزيد بن مسعود النهشلي^(٦).

حيث دعاهم إلى نصرته، وسيأتي نص الرسالة بعد قليل. ويبدو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يقيم الحجّة على عموم أهل البصرة من خلاله الكتابة إلى وجهاء الناس وأشرافهم؛ لأن المجتمعات القبلية - عادة - لا تعدّ رأي زعمائها ووجهائها، والملاحظ أنّ

١- قسّم زياد بن أبيه البصرة في أيام ولايته عليها إلى خمسة أخماس لغرض تقسيم الجند والعطاء، لكل خمس رئيس؛ الأول: العالية، والثاني: بكر بن وائل، والثالث: تميم، والرابع: عبد القيس، والخامس: الأزدي. وبقيت على نفس التقسيم في وقت الحسين عليه السلام.

٢- بصري تميمي، كان يميل إلى علي عليه السلام، شهد معه صفين، وفي الجمل قال له: "إن شئت أتيتك في ماني فارس فكنت معك، وإن شئت اعتزلت ببني سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف، فاختر عليه السلام اعتزاله" انظر: الغارات، الثقفى: ٢ / ٧٥٤، لكنه لم يستجب إلى نصرته الحسين حين دعاه إلى نصرته، فلم يرد الجواب وقال: "قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إيالة للملك ولا جمعاً للمال ولا مكيدة في الحرب" عيون الأخبار، ابن قتيبة: ١ / ٣١١. وهو الذي ساعد مصعب بن الزبير على قتل المختار، انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ٩٥.

٣- أحد قادة الأزدي في معركة الجمل في جيش عائشة وطلحة والزبير، وهو الذي أجاز ابن زياد لما نابذه الناس بعد موت يزيد إلى أن خرج إلى الشام، انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٥٠٥، ٥٢٥.

٤- كان والياً لعثمان على خراسان، ويحث الناس على نصرته قبل مقتله، ولي شرطة البصرة لعبد الله بن عامر في زمن معاوية. وكان على خمس العالية مع مصعب بن الزبير لمقاتلة المختار سنة ٦٧ هـ، انظر: وقعة الطف، هادي اليوسفي: ١٠٦.

٥- يُحسب على أتباع علي عليه السلام، ولّاه أمير المؤمنين فارس فاحتاز مالاً من الخراج فحبسه فشفع فيه صعبعة وخلصه، وهو الذي سلّم رسالة الحسين عليه السلام ورسوله "سليمان" إلى ابن زياد فقتله. كانت بنته بحرية زوجة لعبيد الله بن زياد. ولّاه ابن زياد السند وتوفي فيها سنة ٦٢ هـ. انظر: الغارات، الثقفى: ٥٢٢؛ قاموس الرجال، التستري: ١٠ / ٢٤٢، الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٥٦١.

٦- من أشرف أهل البصرة الذين كتب لهم الإمام الحسين عليه السلام فقام بدعوة قومه وحثهم على نصرته الإمام وأجاب رسالته، لكنه تأخّر في الخروج وبلغه مقتل الإمام أثناء تجهّزه للمسير.

هؤلاء الزعماء لم تكن ميولهم واحدة ولا متسقة باتجاه واحد، وهذا يؤكد إرادة إقامة الحجة على الجميع.

كتب أهل العراق إلى الحسين (ع):

أما بالنسبة إلى البصرة: فقد كتب الحسين عليه السلام أيام تواجدته في مكة إلى جماعة من أشرف أهلها ووجوهها كتاباً واحداً، أرسله بيد مولاة سليمان (أبا رزين)، يدعوهم فيه إلى نصرته، منهم: مسعود النهشلي والمنذر بن الجارود العبدى وقيس بن الهيثم والأحنف بن قيس ومالك بن مسمع البكري وغيرهم، جاء فيه: "أما بعد ... وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله" (١).

فجمع ابن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وخطب فيهم، وبعد أن ذكر لهم موت معاوية واستخلاف يزيد المعروف بالفجور وشرب الخمر المنصّب بغير رضا المسلمين، أخبرهم بكتاب الحسين وحثهم على نصرته مذكراً إياهم بحسبه وشرفه وفضله وعلمه وقرابته وكرام خصاله. فأجابوه إلى طلبه، فكتب إلى الحسين عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الاخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله عليه خلقه ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها، وأنتم فرعها، فأقدم سعادت بأسعد طائر، فقد ذلت لك أعناق بني تميم، وتركتم أشد تتابعا في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها [وكضها]، وقد ذلت لك رقاب بني سعد وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع).

فبلغ كتابه إلى الحسين، فقال: "مالك، آمنك الله يوم الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر" ^(١). لكنه تأخر في الخروج وبلغه مقتل الإمام أثناء تجهزه للمسير.

وأما الكوفة: فلم تكن كتب أهلها التي أرسلوها للحسين عليه السلام بعد وصوله إلى مكة هي الأولى من نوعها، وإنما سبق لهم أن راسلوه بعد موت الإمام الحسن سنة ٥٠ هـ ومعاوية لا زال حياً، إذ كتب له جعدة بن هبيرة (كوفي معروف بحبه لآل محمد عليهم السلام) بلسان حال محبيه: (أما بعد، فإن من قبلنا من شيعتك متطلعة أنفسهم إليك، لا يعدلون بك أحداً، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأوليانك، والغلظة على أعدائك، والشدة في أمر الله، فإن كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فأقدم علينا، فقد وطننا أنفسنا على الموت معك).

فكتب لهم الحسين عليه السلام: "أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فألصقوا رحمكم الله بالأرض، واكنموا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً، فلن يحدث الله به حدثاً وأنا حي، كتبت إليكم برأيي والسلام" ^(٢).

لكن المستجد في سنة ٦٠ هـ أنّ كتبهم كانت بعد هلاك معاوية، وامتناع الحسين عليه السلام عنبيعة يزيد وخروجه من مدينة جده باتجاه مكة، فالمتوقع - والحال هذه - أن تتوارد كتب أهل الكوفة عليه بشكل كبير. وهذا ما حدث بالفعل. إذ لما علموا بموت معاوية وامتناع الحسين عنبيعة يزيد وخروجه إلى مكة، اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فقام فيهم خطيباً وقال: (إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد نقض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه، فاكتبوا إليه [وأعلموه]، فإن خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه قالوا: لا، بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، [قال:] فاكتبوا إليه. فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليهما السلام من سليمان بن

١- انظر: اللهوف، ابن طاووس: ١٩؛ مثير الأحرار، ابن نما: ١٨.

٢- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢١-٢٢٢.

صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد البجلي، وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد:

فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه، حتى نلحقه بالشام إن شاء الله^(١).

وأيضاً: بعث شبت بن ربي وحجار بن أبجرويزيد بن الحارث بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن حجاج الزبيدي ومحمد بن عمرو التيمي كتاباً للحسين جاء فيه: (أما بعد: فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة والسلام عليك وعلى أبيك من قبلك ورحمة الله وبركاته)^(٢).

ولم يلبثوا كثيراً، أرسلوا له هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله الحنفي بكتاب جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم إلى الحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أما بعد فحيملاً فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، والسلام)^(٣). وهكذا استمرت الكتب والرسائل بالتوارد على الحسين عليه السلام، حتى بلغت العشرات وأكثر وبعضها صحف موقعة من الرجل والاثنتين والأربعة، حملها قيس بن مسهر الصيداعي وجماعة آخرين.

وقد بدأت كتب أهل الكوفة بالتوارد على الإمام الحسين في العشر الأول من شهر رمضان سنة ٦٠ هـ، وزاد عدد الكتب والرسائل بمرور الأيام، لكن الحسين عليه السلام لم يتعجل بالرد على كتبه أو يجيب طلبهم ويذهب لهم مباشرة، بل فضّل التريث والتأني ربما

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦١ - ٢٦٢.

٢- نفس المصدر: ٤ / ٢٦٢.

٣- نفس المصدر.

لمنحهم فرصة لمراجعة موقفهم؛ لأنه يعلم تماماً أنه مُقَدِّم على أمر لا تثبت فيه قلوب الرجال إلا بتوفيق من الله، لكنه بالنتيجة لابد أن يجيب طلبهم ويرد على كتبهم ورسائلهم:

- لابد أن يجيب طالما أنها بلغت حدّاً يُوهم إقامة الحجّة عليه ولو ظاهراً، ومحال أن يحاجّ الحسين وهو الإمام المعصوم (أو: هو الطاهر المطهر، حبيب الله وحبيب رسوله وأمان أمته من الضلال الذي لا يفترق عن القرآن، ... إلخ).
- ولا بد أن يجيب؛ لأن حجج الله مكلفون بالعمل بالأسباب الممكنة قدر المستطاع، فكما هو مكلف بالمسير إلى ملاقاته وعده المحتوم، هو مكلف أيضاً بعدم ترك العمل بأي سبب متاح أمامه يسهم بإنجاح مشروعه الإلهي.
- وكذلك لابد أن يجيب؛ لأنه مأمور بمعاملة الناس بحسب ظاهرهم، فهو مع علمه بحالهم لكنه يجيبهم ولا يترك لهم عذراً عليه ولو كان العذر للتاريخ^(١).

ولهذا، لما قال له ابن عباس: "يا ابن العمّ! بلغني أنك تريد العراق وأنهم أهل غدر، وإنّما يدعونك للحرب فلا تعجل فأقم بمكة، قال الحسين عليه السلام: لأن أُقتل والله بمكان كذا أحبّ إليّ من أن أُستحل بمكة، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلمهم وقد وجب عليّ إجابتهم وقام لهم العذر عليّ عند الله سبحانه"^(٢).

وعلى أي حال، بعد أن تلاقى رسل أهل الكوفة عند الحسين عليه السلام في مكة وكان آخرها ما قدم به هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكان قد وصل قبلهما عبد الله بن مسمع وعبد الله بن وال، قال الإمام الحسين لهاني وسعيد: "خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب معكما إليّ! فقالا: اجتمع عليه شعث بن ربيعة وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن عمير بن عطارد. قال: فعندها قام الحسين فتطهر وصلى ركعتين بين الركن والمقام، ثم

١- تصوّروا أنّ الإمام الحسين أهمل كل كتب أهل الكوفة، وذهب مباشرة إلى تنفيذ مراد الله الذي يعلم أنه حاصل بالنهاية في كربلاء، ماذا سيقول الناس في زمانه والأجيال التي ستأتي بعدهم؟ بالتأكيد أول سؤال يطرحوه: لماذا ترك الحسين آلاف الناس التي بايعته وأرسلت بكتبتها إليه وذهب لملاقاة الوعد بسبعين من أهل بيته وصحبه فقط؟! ولذلك لما انتهت حجّتهم عليه بعد مقتل مسلم بن عقيل وخذلانهم له توجه إلى كربلاء حيث الوعد الإلهي الذي يعلم أنه متحقق لا محال.

٢- موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٨٩.

انفتل من صلاته وسأل ربه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة، ثم جمع الرسل فقال لهم: إني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي وقد أمرني بأمر وأنا ماض لأمره، فعزم الله لي بالخير، إنه ولي ذلك والقادر على إن شاء الله تعالى" (١).

إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة:

بعد أن قام الحسين عليه السلام بقراءة كتب أهل الكوفة واستعلام حال أهلها قرّر إرسال ابن عمّه وثقته مسلم بن عقيل، فدعاه وأوصاه بتقوى الله وكتمان أمره (٢) واللفظ وأن يكتب إليه إذا رأى اجتماع الناس عليه وكان حالهم كما بلغه في كتبهم، فتوجّه مسلم إلى الكوفة برفقة قيس بن مسهر الصيدائي وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرحمن ابني شداد الأرحبي (٣)، كان ذلك في منتصف شهر رمضان سنة ٦٠ هـ.

وروي أنّ الحسين عليه السلام قال له: "إني موجّهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادع الناس إلى طاعتي وأخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى" (٤).

واضح من الرواية أنّ الإمام الحسين أشعر رسوله مسلم بن عقيل بعاقبة أمره التي تلتقي بالتأكيد مع عاقبة ومآل الحسين نفسه (٥)، وهو جزء من الإعداد الذي مارسه

١- الفتوح، ابن أعمش: ٣٠ / ٥.

٢- لعل المقصود بالكتمان هنا هو كتمان بعض الأمور المهمة والحساسة في عمله ومكان إقامته ونحو ذلك، وليس كتمان أمره بالمطلق؛ لأنه غير ممكن بعد أن كان مبعوثاً لأخذ البيعة من عموم الموالين في الكوفة وهو أمر لا يمكن إخفاؤه أو كتمانه حتماً.

٣- انظر: الإرشاد، المفيد: ٣٩ / ٢.

٤- الفتوح، ابن أعمش: ٣١ / ٥.

٥- أخبر الرسول صلى الله عليه وآله عليه وآله علياً عليه السلام بما يجري على مسلم: روى الصدوق: "قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟ قال: إي والله إني لأحبه حين: حباً له، وحباً لحب

الحسين عليه السلام مع أنصاره الحقيقيين والمخلصين منذ لحظة انطلاقته بثورته وحتى ليلة العاشر من محرم.

ثم إنَّ الحسين بعث مع مسلم ومرافقيه كتاباً لأهل الكوفة، جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملائكة المؤمنين والمسلمين، أما بعد فإنَّ هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكنا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم، أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملائكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك لله، والسلام" (١).

وفي رواية ابن أعثم: "فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوهم، فلعمري ليس الإمام..." (٢). وهذا يعني أنَّ مهمة مسلم لا تقتصر على كونه رسولاً لجس نبض الشارع الكوفي ورؤية حقيقة حال المبايعين والباعثين بالكتب للحسين عليه السلام، بل كانت تتعدى ذلك إلى التمهيد لقدوم الحسين والقيام بثورة ضد الحكم الأموي بالكوفة.

يبدو واضحاً - من التعريف أعلاه - أنَّ مسلم بن عقيل كان يحظى بتقدير كبير عند الإمام الحسين، ومؤهل بجدارة لأداء المهمة المنوطة به، وهذا كافٍ لنفي ما ذكره بعض المؤرخين من أنَّ مسلماً - بعد أن ضلَّ الدليلان اللذان استأجرهما للطريق وماتا عطشاً - تطير سوءاً من سفره وكتب إلى الحسين أن يعفيه من المسير إلى الكوفة، فبعث الحسين

أبي طالب له، وإنَّ ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي" الأمالي: ١٩١.

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٢.

٢- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٣٠ - ٣١.

في جواب كتابه: "أما بعد، فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إليّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام"^(١).

أقول: هذا الأمر - بالصورة التي ينقلها بعض المؤرخين - غير صحيح؛ وينقضه كلام الحسين عليه السلام في وصف مسلم بن عقيل في كتابه لأهل الكوفة، وكذلك ينقضه سيرة مسلم وشجاعته المعهودة^(٢)، وكذلك: علمه بمصيره الذي أبلغه به الحسين قبل مسيره إلى الكوفة - كما رأينا - بدون أن ينطق مسلم بكلمة كتعقيب على ما أخبره به الحسين عليه السلام، فالقصة مختلقة أو محرّفة بكل تأكيد؛ لأجل الطعن برجالات الثورة الحسينية المباركة.

وقد سألت السيد أحمد الحسن عن مسألة التطيّر التي ينسبها بعض المؤرخين إلى مسلم بن عقيل وطلبه من الحسين عليه السلام أن يعفيه من المهمة ثم كتاب الحسين (المتقدم) لمسلم الذي ذكر فيه "الجبن"؟

فقال: "التطيّر بمعنى أنّ هناك أمراً سيئاً يحدث يستدل عليه الناس من حركة الطائر وما شابه، ثم تأثير هذا على عمل الإنسان بمعنى أنه يترك العمل أو ما شابه. أما التوسّم في الأحداث ورؤية ما سيحدث من خلال آيات وعلامات فليس تطيّرًا، فعلي عليه السلام رأى في صياح الأوز وجهه علامة على قرب شهادته، ورأى أنّ انحلال مئزره بعد أن شدّه علامة على قرب شهادته. هناك أمور كثيرة ممكن أن يقرأ منها أولياء الله ما سيحدث، فهي علامات من الله وكلام الله معهم بالموجودات.

أما مسألة مسلم بن عقيل بالخصوص: فلا إشكال أن يسأل الحسين عليه السلام بعد أن رأى ما حدث على أنه علامة على ما سيحصل مستقبلاً. أما أنه طلب أن يعفيه الحسين من مهمة الإرسال إلى الكوفة فلا. أما الكتاب المنسوب إلى الحسين "فقد خشيت

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٣ - ٢٦٤؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٤٠.

٢- يقول الدينوري: (وخرج ولد عقيل مع الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فقتل منهم تسعة نفر. وكان مسلم بن عقيل أشجعهم. وكان على مقدّمة الحسين فقتله عبيد الله بن زياد صبراً) المعارف: ٢٠٤. وذكر ابن أعثم الكوفي أنّ ابن زياد أرسل إلى مسلم ثلاثمائة رجل بقيادة محمد بن الأشعث فسمع مسلم حوافر الخيل فتبسّم وقال: "يا نفس أخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا عنه محيد" الفتوح: ٥ / ٥٣.

ألا يكون حملك ... " ففيه تحريف. نعم، كانت هناك مراسلات بين الحسين ومسلم لكنها لم تصل صحيحة" انتهى^(١).

عموماً، وصل مسلم إلى الكوفة في أوائل شهر شوال سنة ٦٠ هـ^(٢)، فنزل أول الأمر في دارالمختار بن أبي عبيدة الثقفي وأقبلت عليه الناس (الشيعة) تباعه بعد أن يقرأ لهم كلام الحسين عليه السلام وهم يبكون^(٣)، حتى بلغ عدد المبايعين له ثمانية عشر ألفاً، فكتب إلى الحسين يخبره بما حصل معه ويطلب منه القدوم^(٤). جاء في كتابه إلى الحسين عليه السلام: "إنَّ الرائد لا يكذب أهله، وإنَّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين تقرأ كتابي، والسلام"^(٥). أرسل مسلم الكتاب إلى الإمام الحسين (الذي كان لا يزال في مكة) وبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي برفقة عابس بن شبيب الشاكري ومولاه شوذب^(٦).

من جهته، علم النعمان بن بشير (والي الكوفة) بما جرى مع مسلم وبيعة الناس له، فصعد المنبر خطيباً وحذّر الناس من الفتنة وأنه لا يأخذ الناس بالظنة ولا يقاتل من لا يقاتله وختم خطبته بوعيد لمن ينكث البيعة. ولعل ضعف الإجراءات^(٧) من قبل النعمان يعود إلى أنه كان من عمال معاوية والمقرّبين إليه لسنين طويلة وكان متأثراً بدهائه

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٥٥ / ٣.

٣- بالرغم من تقديم المواليين بيعتهم لمسلم لكن التاريخ يحدثنا أنهم لم يكونوا بمستوى إيماني يؤهلهم للإقدام والتضحية، حتى إنَّ اللقاء الأول لمسلم بهم، الذي قرأ فيه مسلم كتاب الحسين لهم، لم يشهد غير قيام ثلاثة منهم للتصريح باستعدادهم للامتثال لأمره والتضحية معه وهم: حبيب بن مظاهر وعابس بن شبيب وسعيد بن عبيد الله الحنفي. وبعد أن نقل الطبري ذلك عن محمد بن بشر الهمداني الذي كان حاضراً الاجتماع الأول للشيعة مع مسلم، قال: (قال الحجاج بن علي فقلت لمحمد بن بشر: فهل كان منك أنت قول؟ فقال: إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر وما كنت لأحب أن أقتل وكرهت أن أكذب) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٤. وكان حال أكثر أهل الكوفة هو حال محمد بن بشر، وقد أثبتت أيام ثورة الحسين ذلك بوضوح تام.

٤- انظر: الإرشاد، المفيد: ٤١ / ٢.

٥- انظر: مثير الأحزان، ابن نما: ٣٢؛ تاريخ الطبري: ٣ / ٢٩٠؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٣.

٦- انظر: إِبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ١١٢.

٧- طبعاً، الضعف إنما هو بنظر المتعصّبين لبني أمية.

وشيطنته، وبخصوص الحسين فقد كان معاوية لا يفضل اللجوء إلى المواجهة العلنية معه بعكس السياسة المتهورة التي انتهجها ولده يزيد وعامله ابن زياد.

بالتأكيد عدم شدة النعمان لم ترق لبعض شيعة الأمويين في الكوفة، فاعتبروه ضعفاً من الوالي وليناً لا ينسجم مع المتغير الخطير الذي يحصل في الكوفة، فكتبوا بأجمعهم إلى يزيد يخبروه بقدوم مسلم بن عقيل وأخذه البيعة من الناس للحسين وينذروه بزوال الكوفة عن ملكه وأن الوالي فيه ضعف أو تضاعف^(١)!

ولما بلغ يزيد الخبر استشار سرجون الرومي (مستشار معاوية ومستودع أسرارهِ) فأشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة^(٢) والسير إليها فوراً من البصرة (التي كان ابن زياد والياً عليها منذ أيام معاوية)، فقبل يزيد مشورة سرجون على مضض^(٣) ودعا مسلم بن عمرو الباهلي^(٤) وأرسل بيده قرار تعيين عبيد الله بن زياد وكتاباً جاء فيه: (أما بعد: فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة ويخبروني أنّ ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٥، في رواية الطبري أنّ من كتب إلى يزيد هم: عبد الله بن مسلم الحضرمي (أحد الشهود على حجرين عدي وتسبب بمقتله) وعمارة بن عقبة (أخو الوليد بن عقبة بن أبي معيط) وعمر بن سعد بن أبي وقاص. أما البلاذري فقد ذكر في روايته: عمر بن سعد ومحمد بن الأشعث الكندي، انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٢ / ٧٧ - ٧٨.

٢- زعم سرجون أنّ هذا كان رأي معاوية قبل موته، إذ قال ليزيد: "أرأيت معاوية لو نشر لك حياً أما كنت أخذاً برأيه؟ قال: نعم. قال: فأخرج سرجون عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب" تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٤٢. وهذا - إن صح من سرجون - يعني أنّ معاوية كان يتوقع حصول التمرد الكوفي واستيق بوضع المعالجات والحلول له.

٣- إذ كان يزيد ناقماً على ابن زياد بسبب موقف أبيه زياد الرافض لإمارة يزيد وتعيينه ولياً للعهد في أيام معاوية كما تقدم، ولقد همّ يزيد بعزله عن البصرة لولا أحداث ثورة الحسين، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٥٢.

٤- أحد وجهاء قبيلة باهلة في البصرة، وكان مع زياد بن أبيه أيام ولايته عليها لمعاوية، معروف بولائه للأمويين وبغضه لعلي وأبنائه عليهم السلام، أحد عيون الأمويين بالكوفة وهو الذي امتنع أن يسقي مسلم بن عقيل شربة من الماء لما أتى به أسيراً إلى ابن زياد.

الخزرة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام^(١). وروي أنه كتب إليه: "إن كان لك جناحان فطرا إلى الكوفة"^(٢).

وهم ودفع:

ربما يتوهم أحد - وقد توهم البعض فعلاً - فيقول: إنَّ مسلم بن عقيل تعجّل في الكتابة إلى الحسين عليه السلام وطلب القدوم منه قبل استعلام حال الناس بشكل دقيق، لكن الحق أنَّ الرجل كان ثقة الحسين وناصحاً له بصدق في نقل ما رآه فعلاً من حال الناس الذي حكته كتبهم الكثيرة ووقف عليه بنفسه، ولم يكن الأمر ليحتمل التأخير والانتظار للتحقق وكشف نوايا الناس عملياً؛ الأمر الذي يستغرق - بالتأكيد - وقتاً طويلاً نسبياً كما هو معلوم؛ إذ كان المؤكد أنَّ السلطات الأموية ستبادر بردة فعل سريعة عند علمها بالمستجدات الحاصلة في الكوفة التي كانت تغلي وتعيش لحظات حاسمة ومصيرية، وهو ما حصل بالضبط لما استبدل يزيد واليه على الكوفة (النعمان بن بشير) بعبيد الله بن زياد المعروف بخبثه وبطشه وبغضه لآل محمد عليهم السلام.

ومن جانب آخر: إنَّ الإمام الحسين طلب من مسلم التعجيل بإرسال خبر الكوفة له: "فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجّل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك"، والسبب - كما هو واضح - أنه كان يعلم بأنَّ الأمويين ستكون لهم ردود أفعال سريعة على تحركاته فأراد مباغتتهم وتقويت الفرصة عليهم. والنتيجة: لا ملامة على مسلم بن عقيل في مسألة الكتابة للإمام الحسين وطلب المجيء منه؛ لأنه امتثل قول إمامه وسيده وأرسل له كتاباً دَوّن فيه ما رآه بعينه ووقف عليه بنفسه بصدق وأمانة.

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٥.

٢- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢٠١.

خذلان في البصرة والكوفة:

أما البصرة: استلم ابن زياد كتاب تعيينه والياً على الكوفة إضافة إلى البصرة، وقبل أن يسير إلى الكوفة علم بتحرك الإمام الحسين من المدينة إلى مكة كما علم بوجود مراسلات بينه وبين بعض وجوه أهل العراق في البصرة والكوفة، فعمد إلى وضع الحرس والعيون على الطرق داخل المدينة وخارجها، وكان أتباع آل محمد وشيعتهم يجتمعون في بعض البيوت في البصرة لتدارس مسألة نصرة الحسين عليه السلام والالتحاق به، لكن الخوف من بطش عبيد الله بن زياد حال بينهم وبين نصرة الإمام، ولم يلتحق به منهم سوى نفر قليل جداً^(١)، والمؤسف أن يزيد بن مسعود النهشلي - الذي كتب إلى الإمام الحسين بالنصرة ومعه جمع كبير من المحبين والأتباع كما رأينا سابقاً - تأخر هو ومن معه في الخروج للحسين عليه السلام أيضاً؛ إذ بلغه خبر مقتله أثناء تجهزه وقبل المسير إليه!

والسؤال المهم هنا: ما هو سبب تأخر ابن مسعود كل هذه الفترة عن الالتحاق بركب الحسين مع أن الفاصل الزمني بين مكاتبة الحسين له وبين شهادته تبلغ ثلاثة شهور تقريباً، وهي فترة أكثر من كافية للوصول إلى كربلاء أو حتى ملاقة الحسين في أحد منازل الطريق (مكة - كربلاء) الذي سلكه قبل بلوغه كربلاء؟ وسؤال آخر مهم أيضاً: أين اختفت جموع المحبين المؤيدين لابن مسعود الذين قرأنا تأييدهم وولائهم الواضح في الكتاب المرسل إلى الحسين عليه السلام؟!

ربما معرفة ما فعله المنذر بن الجارود يكفي في إجابة هذه الأسئلة، فإنه سلّم كتاب الإمام الحسين ورسوله (أبا رزين) إلى عبيد الله بن زياد^(٢)، فصار فعله سبباً في قتله؛ إذ أمر ابن زياد اللعين بصلبه أو ضرب عنقه، ثم اعتلى منبر البصرة فهذد وتوعد أهلها وحذّره من أي فعل أو حركة تصبّ في صالح نصرة الحسين، ومما قال لهم: (يا أهل

١- سيأتي ذكر أسماء من التحق به في البحوث اللاحقة.

٢- أوضح المؤرخون أكثر من سبب لتصرف المنذر بن الجارود؛ منها: إنه زعم بأن فعله كان بسبب ظنه أن الأمر دسيسة من ابن زياد لاختبار ولائه وميوله، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٦، الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٣٧. ومنها: إن ابنته (بحرية أو هند) كانت زوجة لابن زياد، وبالتالي فما فعله جزء من تملّقه للحاكم، انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣١، وقد يكون الأمر خيانة أصلاً، لذلك وجدنا أن ابن زياد كافئه وولّاه السند سنة ٦١ هـ ومات فيها، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٥٦١؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ٦٠ / ٢٨٥.

البصرة إن يزيد قد ولّاني مع البصرة الكوفة وأنا سائر إليها، وقد خلّفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فإياكم والخلاف والإرجاف، فوالله الذي إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خالف أو أرجف لأقتلنه ووليه ولأخذن الأدنى بالأقصى والبريء بالسقيم حتى تستقيموا، وقد أعذر من أنذر^(١).

تهديد ووعيد بسفك الدم على الظنّة، بل وأخذ الأدنى بالأقصى والبريء بالسقيم، وفعلاً قد أتى هذا التخويف أكله، ونجحت خطة ابن زياد إلى حد كبير في صرف الناس عن نصرة الإمام الحسين في البصرة بما بثّه في قلوب أهلها من رعب وخوف، وهو نفسه الموقف الذي سينجح في الكوفة لاحقاً.

ومهما يكن، فإنّ ابن زياد اصطحب معه في مسيره إلى الكوفة بعض رؤوس الشيعة في البصرة كشريك بن الأعور^(٢) وعبد الله بن الحارث بن نوفل وآخرين، وأقصى ما أمكنهم فعله أنهم صاروا يتساقون في الطريق بحجة الإعياء والتعب لعل ابن زياد يتأخّر في سيره من أجلهم ويسبقه الحسين عليه السلام بالوصول إلى الكوفة^(٣)!

وأما الكوفة: فقد توجه لها عبيد الله بن زياد، واختار أن يدخلها ليلاً ملثماً من جهة النجف؛ تمويهاً على أهلها الذين كانوا يترقبون قدوم الحسين عليه السلام. وكعادة الناس التي تنتشر بينها الأخبار والاشاعات وتقوم بالترويج لها بدون دقة وتمييز؛ خصوصاً في ظرف غليان شعبي كانت تعيشه الكوفة، وحتى بدون ذلك كما هو الملحوظ في سائر المجتمعات البشرية، يكفي أن يظن بعض من يرى موكب ابن زياد من أهل الكوفة ويعتقد خطأ أنّ المثلث هو الحسين عليه السلام فيخبر آخرين وهكذا انتشروا بين الناس خبر وصول الحسين عليه السلام، فتجمعوا على الموكب وتصايحوا وأخذوا يسلمون على ابن زياد قائلين: "مرحباً بك بين رسول الله قدمتم خير مقدم"، وابن زياد مستاء جداً مما يراه، إلى أن تبين

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٢.

٢- شريك: أبوه هو الحارث الأعور الهمداني من خواص الإمام علي عليه السلام والذي قال له: "يا حارهمدان من يمت يرني ..."، وكان شريك معروفاً بتشيعه وولائه لآل محمد عليهم السلام.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٧.

لهم أنه ابن زياد بعد أن دخل موكب قصر الإمارة وغلّق باب القصر بوجوههم، فانفضوا وقد علموا أنه والي الكوفة الجديد^(١).

جمع ابن زياد الناس في صبيحة يومه الأول بالكوفة، وأبلغ الجموع المحتشدة أنّ يزيد نصّبهم والياً عليهم ومثّى المطيعين والراضين به وبسياسة دولته بالأمان العريضة، كما توعّد المعارضين والمخالفين بالقتل، إذ ختم كلامه معهم بقوله: (سوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليتنق امرؤ على نفسه، الصديق ينبي عنك لا الوعيد)^(٢). هذا، (والناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون: ما لنا وامتناع السلطان، فنقضوا بيعة الحسين وبايعوا ابن زياد)^(٣).

ولأن طابع المجتمع الكوفي عموماً قبلي، تحتل العرافة فيه قيمة كبيرة؛ باعتبار أنّ العريف هو القيّم على أمر القبيلة والرابط بينها وبين الوالي، وأيضاً: من خلاله يتم وصول العطاء الذي تخصصه السلطة للناس. لذلك كان الاجراء الأول الذي اتخذه ابن زياد في الكوفة هو تهديد عرفاء القبائل، إذ قال: (اكتبوا إليّ العرفاء، ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين - يعني يزيد -، ومن فيكم من أهل الحرية، وأهل الرب الذين شأنهم الخلاف والنفاق والشقاق، فمن يجئ لنا بهم فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا من في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ. فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء)^(٤).

وقد أثبت هذا الإجراء فعاليته، وكان من أهم أسباب القضاء على ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة هو قيام العرفاء بتخذيل الناس عنه، وكذلك كان لهم دور في تحشيد

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٦.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٦.

٣- ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٥٦.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٧.

الجموع وإخراجهم لحرب الحسين. وعموماً، فإنّ الإجراءات التي قام بها ابن زياد كانت تتسم بالشدّة والقسوة كما هو المعهود منه، وهي نفسها أساليب الطغاة دائماً:

- تقريب المواليين وإغداق المزايا عليهم.
- تجنيد الجواسيس وبثهم بين الناس.
- جرد المعارضين للحكم وتبعيةهم ومطاردتهم.
- بث الرعب والخوف بين الناس لضمان طاعتهم ورضاهم بالحال.
- عقوبات تصل إلى حدّ السجن أو الفصل من الوظيفة، وقطع المخصصات المالية عمّن لم يثبت ولاؤه، إضافة إلى استباحة دماء وأموال من ثبتت مخالفته للحاكم أو عدم السير في ركبه... إلخ.

وأيضاً: خطب فيهم في يومه الثاني فقال: (أما بعد، فإنه لا يصلح هذا الأمر إلا في شدة فمن غير عنف، ولين في غير ضعف، وأن آخذ منكم البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والولي بالولي. قال: فقام إليه رجل من أهل الكوفة يقال له أسد بن عبد الله المري فقال: أيها الأمير! إن الله تبارك وتعالى يقول: "ولا تزرزرة وزر أخرى" وإنما المرء بجده، والسيف بجده، والفرس بشدة، وعليك أن تقول وعلينا أن نسمع، فلا تقدم فينا السيئة قبل الحسنة. قال: فسكت عبيد الله بن زياد ونزل عن المنبر فدخل قصر الإمارة^(١).

ومن الأعمال التي قام بها ابن زياد في الكوفة أنه استمال أشرفها بالمال، وقد أخبر مجمع بن عبد الله العامري الإمام الحسين - عندما التحق به أثناء مسيره إلى العراق - بهذه الحقيقة وقد سأله عن أهل الكوفة، فقال: (أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم يُستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم ألب واحد عليك وأما سائر الناس بعد فان أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك)^(٢).

بطبيعة الحال، فإنّ مسلم بن عقيل الذي كان يقيم في دار المختار الثقفي وتتوافد عليه الناس (المحبون لآل محمد) لتقديم الولاء والبيعة للحسين، اختلف وضعه الآن بعد

١- الفتوح، ابن أعثم: ٣٩ / ٥ - ٤٠.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٣٠٦ / ٤؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤٩ / ٤؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ١٨٨ / ٨.

سماعه بالإجراءات المتخذة من قبل ابن زياد، فتحول إلى دار هاني بن عروة ليلاً، وصارت بعض وجوه الشيعة تختلف إليه بالسر لمعرفة الأمور ومستجدات الأحداث.

وكان شريك بن الأعور الهمداني (الذي جاء به ابن زياد من البصرة) نزل في بيت هاني بن عروة أيضاً؛ وكان يحث هاني على القيام بأمر مسلم^(١)، وجلس في نفس الحجرة التي كان مسلم فيها، فقال له شريك: (إنّ هذا الفاجر عائدي العشيّة فإذا جلس فاقتله ثم اقعد في القصر وليس أحد يحول بينك وبينه فإن أنا برأت من وجعي من أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها فلما كان العشي أقبل ابن زياد لعيادة شريك بن الأعور فقال لمسلم: لا يفوتك الرجل إذا جلس فقام إليه هاني فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري كأنه استقبح ذلك، فجاءه عبيد الله بن زياد فدخل وجلس وسأل شريكاً: ما الذي تجد ومتى اشتكيت؟ فلما طال سؤاله إياه ورأى أنّ أحداً لا يخرج خشي أن يفوته فأقبل يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحيها حيوا سليبي وحيوا من يحيها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها

لله أبوك! إسقمها وإن كانت فيها نفسي. قال ذلك مرتين أو ثلاثة، فقال عبيد الله - وهو لا يفطن -: ما شأنه أترونه بهجر؟ فقال له هاني: نعم - أصلحك الله - ما زال هكذا قبل غيابت الشمس إلى ساعتك هذه. ثم قام وانصرف. فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان، أما إحداها فكراهية هاني أن يقتل في داره وأما الأخرى فحديث حدثنيّه الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: "إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن" فقال له شريك: أما والله لو قتلت لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً^(٢).

واضح أنّ هانئاً لم يكن يرغب في قتل ابن زياد في داره، وبالتأكيد فإنّ أخلاق مسلم بن عقيل لا تسمح له بتجاوز حدود أدب الضيافة، أو يكون سبباً في إدخال الحرج أو الأذى على صاحب الدار الذي يراه متفضلاً عليه. وقبل هذا كله ذلك فإنّ مسلماً لم يكن يمثل نفسه - بالرغم من سمو شخصه وخلقه - وإنما يسعى أن يتصرف بوصفه رسولاً للحسين

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٣.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٦٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٠ - ٢٧١.

عليه السلام؛ الإمام المعصوم، ولم يكن قد استأذنه بالإقدام على فعل كهذا. علماً، إنّ مسلماً وقف على عدم رضا هاني مرتين؛ الأولى: عند مرض شريك، والثانية: عند مرض هاني بعد نزول مسلم في داره، فلما بلغ هاني عزم ابن زياد المجيء لعيادته، قال له عمارة بن عبد السلولي: (إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، وقد أمكنك الله، فاقتله. فقال هاني: ما أحب أن يقتل في داري. وجاء ابن زياد فجلس عنده، ثم خرج) (١).

وأيضاً: بحسب بعض المؤرخين، فإنّ هانئاً توسّل بمسلم أن لا يقدم على قتل ابن زياد في داره قائلاً: (يا سيدي ناشدتك الله لا تفعل ذلك، ولا تحدث في منزلنا حادثة، فإنّ فيه نسوة ضعافاً وأطفالاً صغاراً فأخاف عليهم. فقال مسلم: معاذ الله أن يصاب أحد من أجلنا بمكروه، فنكون قد تقلدنا إثمهم. وقبل قول هاني وأطاع أمره وبقي على حاله) (٢).

بلا شك، باستثناء خاصة أولياء الله، لا يمكن لأحدنا أن يلوم هاني الشهيد على مسألة خوفه على عياله من ردة فعل طغاة بني أمية وجلاوزتهم - الذين لا يتورعون عن فعل أي منكر - بعد أن جاد هو بنفسه لنصرة الحسين عليه السلام، وليس كل قلب يحتمل تقديم العيال قرايين لله لو خيّر في ذلك وإن كان مؤمناً صلباً ومستعداً لأن يوجد هو بنفسه. ومن جهة أخرى: لست أستغرب رحمة مسلم البادية في قوله: "معاذ الله أن يُصاب أحد من أجلنا بمكروه"، فمن تتبع سيرة آل محمد يجد أنهم مشاريع عطاء وفداء لدين الله من أجل هداية الخلق وإنقاذهم، وبالرغم من أنهم السبب في هدى المهتدي إلا أنهم يعتبرون أنفسهم السبب في الأذى الذي قد يطال بعض أتباعهم من قبل الظالمين ويتألمون عليهم أيما ألم، ومسلم بن عقيل تلميذ هذا النهج الأصيل والخلق الإنساني الرفيع.

وبهذا يتضح بطلان القول بأنّ امتناع مسلم عن قتل ابن زياد في بيت هاني سببه الوهن والضعف الذي يتصف به مسلم، وحاشاه.

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٣ / ٣٦١.

٢- مصرع الحسين، مخطوط؛ عنه: موسوعة كربلاء، ليبب بيضون: ١ / ٤٧١ - ٤٧٢.

مقتل مسلم بن عقيل:

هذه قصة مقتل مسلم باختصار مشفوعة بتسلسل أهم الأحداث وفق رواية الطبري وابن الأثير متممة برواية الدينوري وابن أعثم والمسعودي وغيرهم أحياناً.

الكشف عن مكان مسلم:

سعى ابن زياد جاهداً للعثور على مكان مسلم بن عقيل ومعرفة من يتردد عليه وما يجري فيه من لقاءات وتعليمات، وفي محاولة منه لاختراق صف المبايعين دعا مولاه "معقل" وأعطاه مبلغاً من المال لينتحل صفة الشامي الغريب المحب لآل محمد وأنه يريد البيعة واتباع داعية الحسين ومعه مال يريد تسليمه إلى مسلم ليستعين به على أمره، وفعلاً تمكّن خلال بضعة أيام من الوصول إلى مسلم بن عوسجة لما عرف أنه من الوجوه التي بايعت الحسين وربما يتمكن بواسطته من بلوغ مراده، وبعد كثرة ترده على دار ابن عوسجة واطمئنان الأخير إليه استحصل له الإذن بالوصول إلى مسلم بن عقيل والدخول عليه وهو في بيت هاني بن عروة، وكثر ترده على بيت هاني، وهو في نفس الوقت يقوم بنقل كل ما يراه ويسمعه من الأخبار لمولاه ابن زياد أولاً بأول^(١)، وبذلك اطلع ابن زياد على أسرار خطيرة تخص حركة مسلم، منها: موضع استقراره، ومنها: معرفة العناصر الفعالة في حركته، وعلى رأسهم هاني بن عروة المرادي زعيم مذحج.

إلقاء القبض على هاني وخذلان مذحج لزعيمها:

لم يكن من السهل على ابن زياد إلقاء القبض على هاني، لذلك قرّر دعوته إلى القصر فأرسل له جماعة من وجوه الكوفة منهم: محمد بن الأشعث زعيم كندة، وأسماء بن خارجة زعيم فزارة، وعمرو بن الحجاج (أبوزوجة هاني)^(٢)، فجاء هاني معهم؛ لأنه وثق بهم

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٠.

٢- من تراجع الروايات التاريخية في هذا الأمر يلاحظ أنّ عمرو بن الحجاج لم يبقَ في المجلس ولم ينتظر ليشاهد ما فعله ابن زياد بهاني، ربما لدفع الحرج عن نفسه، وأيضاً ليقود جموع مذحج التي ستفرغ لإنقاذ أميرها بالتاكيد، ويتدخل بالسيطرة على ردود أفعالهم وصرفهم عن تطويق القصر بخطة وتنسيق مع ابن زياد كما يبدو.

ولم يكن يتوقع أن الأمر مكيدة، فدخل على ابن زياد وكان شريح القاضي حاضراً عنده، فسأله عن مسلم فأجابه بأنه لا يدري عنه، فأمر موله معقل بالخروج فلما رآه هاني عرف أنه كان عيناً لابن زياد بينهم، فقال ابن زياد: "انتني به"، فقال هاني: "والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه"، فقال: "أدنوه إلي" فأدني فضربه على وجهه وقال: "قد أحل الله دمك"، فأمر به فحبس في جانب القصر. فبلغ مذحج خبر مقتل هاني فإذا هم على باب القصر بقيادة الانتهازي عمرو بن الحجاج (الذي جاء بهاني إلى القصر قبل وقت قصير) فقال بخنوع وتودد للسلطة: "أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة"، فلم يعبأ ابن زياد بكلامه وطلب من شريح أن يخرج لهم ويُعلمهم بأن هانئاً حي وأنه عنده لأجل المساءلة، فأخبرهم بذلك، فقال ابن الحجاج: "إذا لم يقتل فالحمد لله"، ففترقوا^(١).

ملاحظة: لا يبعد أن يكون انصراف مذحج بهذه السرعة قبل التأكد من سلامة زعيمها كان باتفاق بين الطاغية ابن زياد وعمرو بن الحجاج أو بعض رجالات مذحج نفسها؛ إذ من الصعب جداً اعتبار ما جرى أمراً عادياً في ظل مجتمع معروف بقبليته الشديدة. علماً، إن اعتقال هاني كان له الأثر الكبير في بث الرعب والخوف بين الناس وفترقهم عن مسلم بن عقيل.

ثورة مسلم بن عقيل وخذلان جيشه له:

لما سمع مسلم بن عقيل بخبر هاني خرج ومعه أربعة آلاف ممن بايعوه وهم ينادون "يا منصور"، فسار بهم نحو قصر الإمارة بعد أن قسمهم إلى: مقدمة وميمنة وميسرة وسار هو

١- هذا من رواية الطبري وابن الأثير، وفي رواية المسعودي: (ووضع ابن زياد الرّصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث ابن قيس إلى هاني فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هاني: إن لزياد أبليك عندي بلاء حسناً، وأنا أحبُّ مكافأته به، .. تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقل وحق صاحبك، فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر أنفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هاني بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هاني بالباب: قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بيت إلى جانب مجلسه، وأخرج إليهم ابن زياد شريحاً القاضي، فشهد عندهم أنه حي لم يقتل، فانصرفوا) مروج الذهب: ٣ / ٥٧.

في قلب الجيش، فتحصن ابن زياد في القصر وأغلق أبوابه ومعه جمع من أعوانه وشرطه الذين كانوا يحاولون منع جيش مسلم من الاقتراب نحو القصر، وكان ابن زياد قد دعا بعض وجوه أهل الكوفة عنده منهم: كثير بن شهاب وشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وآخرين، فطلب من بعضهم أن يشرفوا من القصر على أبناء عشائهم ومعارفهم الذين كانوا مع مسلم ويكلمونهم ويردونهم ويخوفونهم ففعلوا وتنادوا: "يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم وجربتم شوكتهم!" فجعل بعضهم يقول لبعض: "ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نقيم في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم" (١).

وفعلًا، بدأ كثير من أنصار مسلم ينسحبون منه، وكان الرجل يأتي ابنه وأخاه وابن عمه ويطلب منه أن ينصرف، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخوها فتتعلق به حتى يرجع معها، فصلى مسلم العشاء في المسجد وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً، فلما انصرف وسار ماشياً نحو كندة لم يرَ معه أحداً، وقد فرّ الجميع عنه بما فهم قادة جيشه (٢)؛ وقد طلب ابن زياد ممن كان معه أن يتأكدوا من خلو المسجد من الثوار فأشرفوا على ظلال المسجد وأشعلوا النار في القصب والقوه في صحن المسجد فلم يروا أحداً، فتأكدوا من انهزام جيش مسلم.

١- انظر: الفتوح، ابن أعمش: ٨٧/ ٥.

٢- ذكر بعض الكتاب، تعليقاً على روايات المؤرخين التي صوّرت تناقص جيش مسلم بن عقيل حتى بلغ ثلاثين رجلاً ثم عشرة وهكذا حتى لم يجد معه أحداً، أنّ قادة الألوية الأربعة في جيشه وهم: (مسلم بن عوسجة، أبو ثمامة الصائدي، عبد الله بن عزيز الكندي، عباس بن جعدة الجدلي) وأمثالهم الذين بقوا مع مسلم حتى آخر المطاف، إنما تفرقوا عنه بطلب من مسلم نفسه ليتمكنوا من الاختفاء بعد أن يكونوا فرادى ثم يتسللوا لاحقاً ويلتحقوا بالحسين عليه السلام؛ إذ لا يعقل أنهم انسحبوا عنه أيضاً، مع أنّ الصائدي وابن عوسجة استشهدا مع الحسين في كربلاء، والآخرين قتلها ابن زياد بعد حبسهما. انظر: مع الركب الحسيني: ٣/ ١٤٠ - ١٤٣.

أقول: ما ذكر مجرد احتمال ليس عليه دليل، وأيضاً: كيف يطلب مسلم من الجميع الانصراف عنه ويبقى هو وحيداً لا يجد من يدلّه الطريق في ظلمة الليل، ولا أقل كان أبقى معه شخصاً أو شخصين من أهل الكوفة ليستعين بهم. نعم، ممكن أن يكون قد حصل معهم - أو بعضهم - حدث حال دون بقائهم مع مسلم لكن النتيجة القطعية أنّ مسلماً لم يبقَ معه أحد كما أجمع المؤرخون على ذلك.

وروى ابن نما: أنَّ مسلماً أحس بالخذلان قبل مهاجمته القصر حيث: "رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيد الله" ^(١). وروى الطبري عن عباس الجدلي أحد قادة جيش مسلم قال: (خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلاثمائة) ^(٢). ولعل مسألة انكسار مذبح وانسحابها من القصر وفشلها في تحرير أميرها ساهمت في نمو ظاهرة الخذلان لدى أتباع مسلم خلال وقت قصير وقياسي.

إرهاب وقطع رواتب واعتقالات ورفع راية الأمان:

طلب ابن زياد من بعض أتباعه أن يسيروا في طرقات الكوفة ويخذلوا الناس عن مسلم ويبثون بينهم خبر مجيء جيش الشام ^(٣) ويخوفونهم من الحرب وغضب السلطة ونقمتها وعقوبتها والتهديد بقطع العطاء (المخصصات المالية) عنهم. وأيضاً: طلب من محمد بن الأشعث وشمر بن ذي الجوشن وحجار بن أبجر وعمرو بن حريث وغيرهم أن يرفعوا راية أمان لمن جاءهم من الناس المبايعين لمسلم والعفو عنهم مقابل تركهم له، فسارع الناس للانضمام لها لنفي التهمة عن أنفسهم وإظهار ولائهم للحاكم.

ابن زياد يخصص جائزة لمن ألقى القبض على مسلم:

أيقن ابن زياد بفشل ثورة مسلم وخذلان أنصاره له، فصعد منبر الكوفة وقال: (أيها الناس! إن مسلم بن عقيل أتى هذا البلاد وأظهر العناد وشق العصا وقد برئت الذمة من رجل أصبناه في داره، ومن جاء به فله ديته، اتقوا الله عباد الله وألزموا طاعتكم وبيعتهكم،

١- مثير الأحزان، ابن نما: ٣٤.

٢- تاريخ الطبري: ٣ / ٢٨٧.

٣- يتعامل بعض المؤرخين والباحثين مع هذا الأمر بحدود كونه إشاعة بثّها رجال ابن زياد بين صفوف الكوفيين لتخويفهم وتفريقهم عن مسلم، ولكن الصحيح أنَّ يزيد فعلاً هيئاً جيشاً جرّاراً لإرساله إلى العراق من أجل السيطرة على الأوضاع المنفلتة في الكوفة تحديداً، وقد تقدم أنَّ بعض شيعته كاتبوه وأطلعوه على الوضع الخطير وضعف إجراءات الوالي (النعمان بن بشير) ومنهم عمر بن سعد، فالأحداث في الكوفة كانت تغلي وتندربذهاها من يد بني أمية بالفعل ما لم يتم علاج الأوضاع بأقصى سرعة، وسيأتي مزيد من التحقيق في الأمر.

ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله في كل يوم حاجة مقضية^(١).

مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة:

بالنسبة لمسلم، فإنه لما فرّ عنه أنصاره، خرج من المسجد ليلاً باتجاه كندة، ولأنه غريب ولا يعرف طرق الكوفة وأزقتها جاء فوقف على باب امرأة "طوعة" فاستسقاها ماء فسقته ثم دخلت وبعد مدة خرجت فوجدته على الباب وأخبرها بحاله وشخصه فأوته وكان لديها ابن "بلال" من أتباع محمد بن الأشعث الكندي فأوشى به إلى ابن زياد، فأرسل عمرو بن حريث (صاحب شرطته) ومحمد بن الأشعث ومعهم عشرات الرجال^(٢) وأحاطوا بدار طوعة التي يتواجد فيها مسلم واقتحموها عليه، فقاتلهم مسلم وحيداً وأخرجهم من الدار واشتد القتال في الطريق فأشرفوا عليه من فوق البيوت يرمونه بالحجارة والقصب الملهب ناراً إضافة إلى الجمع الذي كان يقاتله وجهاً لوجه، فتضاربا هو وبكير بن حمران فضربه على شفته العليا وأثخنه الجراح^(٣) وأعطاه محمد بن الأشعث الكندي الأمان فتمكنوا منه، ولما آيس من نفسه دمعت عيناه وقال: "هذا أول الغدر"، فقال له أحدهم: "إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك قال إني والله ما لنفسني أبكي ولا لها من القتل أرثي ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي أبكي لحسين وآل حسين".

وجيء بمسلم أسيراً إلى قصر الإمارة تحفّ به الشرطة، فرأى ماء فقال: "اسقوني من هذا الماء"، فقال اللئيم مسلم بن عمرو الباهلي: "أتراها ما أبردها؟ والله لا تذوق منها قطرة

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٥٢. برئت الذمة: يعني إصدار حكم إعدام بحق من عثر على مسلم في داره.

وفي رواية المفيد: (يا حصين بن نمير، ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكك الكوفة، أخرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكك، وأصبح غدا فاستبر الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل. وكان الحصين بن نمير على شرطه وهو من بني تميم) الإرشاد: ٢ / ٥٧؛ وقريب منها رواية الدينوري، انظر: الأخبار الطوال: ٢٤٠.

٢- في رواية الدينوري: (أن عبيد الله بن زياد أمر ابن حريث أن يبعث معه مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث غير قريش خوفاً من العصية أن تقع) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

٣- روى ابن أعثم: (قطع من ورائه طعنة فسقط إلى الأرض فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه، وتقدم رجل من بني سليمان يقال له عبيد الله بن العباس فأخذ عمامته) الفتوح: ٥ / ٥٤ - ٥٥.

حتى تذوق الحميم في نار جهنم"، وقدموا به على ابن زياد فأدخلوه ولم يسلم عليه فقال له: "لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول" فقال مسلم: "إن قتلتي فقد قتل من هو شرمك من كان خيراً مني". ثم قال مسلم: "إن كنت مزماً على قتلي، فدعني أوصي إلى بعض من هاهنا من قومي. قال له: أوص بما شئت. فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: أخل معي في طرف هذا البيت حتى أوصي إليك، فليس في القوم أقرب إلي ولا أولى بي منك. فتنحى معه ناحية، فقال له: أتقبل وصيتي؟ قال: نعم. قال مسلم: إن علي هاهنا ديناً، مقدار ألف درهم فاقض عني، وإذا أنا قتلت فاستوهب من ابن زياد جثتي لئلا يمثل بها، وابعث إلى الحسين بن علي رسلاً قاصداً من قبلك يعلمه حالي وما صرت إليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنهم شيعته، وأخبره بما كان من نكثهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل لينصرف إلى حرم الله فيقيم به ولا يغتر بأهل الكوفة. وقد كان مسلم كتب إلى الحسين أن يقدم ولا يلبث" (١).

ثم إن ابن زياد قال: "إيه يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على بعض، قال: كلا لست أتيت ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب، قال: وما أنت وذاك يا فاسق أولم تكن تعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر، قال: أنا أشرب الخمر؟ والله إن الله ليعلم إنك غير صادق وإنك قلت بغير علم وإني لست كما ذكرت وإن أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً، فقال له ابن زياد: يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله، قال: فمن أهله يا ابن زياد، قال: أمير المؤمنين يزيد، فقال: الحمد لله على كل حال رضيينا بالله حكماً بيننا وبينكم، قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً، قال: والله ما هو بالظن

١- في رواية ابن أعثم: (فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا بن عقيل! فقال مسلم رحمه الله: حاجتي إليك أن تشتري فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم، وأن تستوهب جثتي إذا قتلتني هذا وتواريني في التراب، وأن تكتب إلى الحسين بن علي أن لا يقدم فيتل به ما نزل بي) الفتوح: ٥ / ٥٧. ولم ينفذ ابن سعد شيئاً من وصية مسلم له، بل خانه في نفس الساعة وأخبر ابن زياد بما طلبه منه مسلم، فقال ابن زياد: "لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن" انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦١.

ولكنه اليقين، قال: قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام، قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك، وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً". ثم صعدوا بمسلم أعلى القصر وهو يذكر الله ويسبحه ويقول: "اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا"^(١)، وأمر ابن زياد بضرب عنقه وإلقاء جثته من أعلى القصر وأمر بهائي فسحب إلى السوق وضربت عنقه، وبعث برأسيهما إلى يزيد، فكتب إليه يزيد: "أما بعد فإنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم... وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة". وكان مقتل مسلم بن عقيل في الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ^(٢).

١- الفتوح، ابن أعثم: ١٠٣/٥.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٧٢ - ٢٨٦: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٧ - ٢٤٢: الكامل في التاريخ: ٣/ ٢٧١.

وهذه رواية ابن طاووس: "فلما أدخل على عبيد الله لم يسلم عليه فقال له الحرس: سلم على الأمير فقال له: أسكت ويحك والله ما هو لي بأمر فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني وبعد فإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لا أحد أولى بها منك، فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا بن زياد! إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد وأما الفتنة فإنما ألحقها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بن عجل من ثقيف وأنا أرجو أن يرزقي الله الشهادة على يدي شربريته فقال ابن زياد: منتك نفسك أمرا حال الله دونه وجعله لأهله، فقال له مسلم: ومن يا ابن مرجانة؟ فقال أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكما بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: أتظن أن لك في الأمر شيئا. فقال له مسلم: والله ما هو الظن ولكنه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشئت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم، فقال مسلم: ما لهذا أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتأمروا على الناس بغير رضى منهم وحملتهم على غير ما أمركم الله به وعملت فيهم بأعمال كسرى وقصير فأتيناهم لنأمرهم بالمعروف وننهي عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك فجعل زياد يشتمه ويشتم عليا والحسن والحسين عليه السلام. فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة، فاقض ما أنت وأبوك أحق بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض يا عدو الله فأمر ابن زياد بكبرين حرمان أن يصعد به إلى أعلى القصر فيقتله فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضرب عنقه... ثم أمر بهائي بن عروة فجعل يقول وا منجهاه وأين منى مذبح وا عشيرته وأين منى عشيرتي، فقال له: مد عنقك، فقال لهم: والله ما أنا بها سخي، وما كنت لأعينك على نفسي، فضربه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد فقتله "اللاهوف في قتلى الطفوف: ٣٥ - ٣٧.

وبعد مقتل مسلم بن عقيل صلوات الله عليه انبرى اللعين محمد بن الأشعث الكندي إلى سلب سيفه ودرعه^(١). وروي: أن ابن زياد أمر:

- بسحل جثة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة في الطرق والأسواق^(٢)، ثم أمر بصلبهما منكوسين^(٣).
- بعث برأسيهما إلى يزيد مع هاني الوداعي الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي^(٤)، وهما كوفيان، وكتب إلى يزيد يخبره فيه ما صنع، فكتب إليه يزيد: (أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت فاستوص بهما خيرا)^(٥).

ولا شك أن من يطلع على الأسماء التي اعتمد عليها ابن زياد في تنفيذ سياسته الإجرامية، وكذلك في تخذيل أهل الكوفة عن نصرة مسلم والقضاء عليه وعلى ثورته، يلاحظ بوضوح أنهم كانوا كوفيين، مثل:

- كثير بن شهاب المذحجي الحارثي^(٦).
- القعقاع بن شور الذهلي^(٧).
- محمد بن الأشعث الكندي^(٨).

-
- ١- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٨/ ٣.
 - ٢- انظر: مقتل الحسين، الخوارزمي: ١/ ٢١٥.
 - ٣- انظر: الفتوح، ابن أعمش: ٥/ ٦١ - ٦٢؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢/ ٢١٢.
 - ٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٨٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢/ ٦٥.
 - ٥- تاريخ الطبري: ٤/ ٢٨٥ - ٢٨٦.
 - ٦- أحد سادات مذحج في الكوفة، كان من حاشية ابن زياد ويخذل الناس عن نصرة مسلم بن عقيل بأمر ابن زياد، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦/ ١٤٩؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٦/ ٢٩٨ - ٢٩٩.
 - ٧- تابعي كوفي، من أتباع ابن زياد، كان يخذل الناس عن نصرة مسلم بن عقيل، انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٩/ ٣٥١؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٦/ ٢٨٠.
 - ٨- تقدم ذكره ضمن عائلة الأشعث بن قيس الكندي، فراجع.

- عمرو بن حريث المخزومي^(١).
- الحصين بن تميم الحميري^(٢).
- أسماء بن خارجة الفزاري^(٣).
- شبيب بن ربيعي التميمي^(٤).
- حجار بن أبجر العجلي^(٥).
- عمرو بن الحجاج المذحجي الزبيدي^(٦).

والملفت أنّ بعض هؤلاء كانوا محسوبين على أتباع علي عليه السلام، وبعضهم (الثلاثة الآخرين بالذات) كانوا ممّن كاتب الحسين بالقدوم إلى الكوفة، وبالتأكيد فإنّ فيهم أيضاً رجال غير كوفيين مثل مسلم بن عمرو الباهلي؛ باعتبار أنّ الكوفة - كما ذكرنا

١- نزيل الكوفة، كان زياد بن أبيه إذا خرج إلى البصرة استخلفه عليها، مات سنة ٨٥ هـ أيام عبد الملك بن مروان، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٢٣/٦. قال العلامة الحلي وابن داود عنه: "من أصحاب علي عليه السلام عدو الله ملعون" خلاصة الأقوال: ٣٧٧؛ رجال ابن داود: ٣٠٣.

٢- كوفي، ذكره نصر بن مزاحم في جملة من أصيب في صفين في أتباع علي عليه السلام، انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١٩٢/٦.

٣- قال ابن نما: (وكان أسماء بن خارجة الفزاري ممن سعى في قتل مسلم بن عقيل رحمه الله، فقال المختار: أما ورب السماء ورب الضياء والظلماء، لتزلن نار من السماء، دهماء، حمراء، سحماء، تحرق دار أسماء. فبلغ كلامه إليه، فقال: سجع أبو إسحاق، وليس هاهنا مقام بعد هذا، وخرج من داره هارباً إلى البادية، فهدم داره ودور بني عمه) ذوب النضار: ١٢٤.

٤- كوفي، كان تابعاً لعلي عليه السلام وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج وخرج عليه بحروراء، بايع مع جرير بن عبد الله والأشعث وعمرو بن حريث وغيرهم الضب، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: "ليبعنكم الله يوم القيامة مع إمامكم الضب الذي بايعتم"، كان ممّن كاتب الحسين عليه السلام من أهل الكوفة ثم خرج مع ابن سعد لحربه، كان مع ابن سعد ممن أحاط بدار المختار لإخراجه وحبسه، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤/١٩٦ - ١٩٨.

٥- كوفي، ممّن كاتب الحسين، ثم خرج مع ابن سعد لحربه. ثم لما قام المختار انضم إلى مصعب بن الزبير ضد المختار الثقفي، ثم في قتاله ضد عبد الملك بن مروان مقابل منحه ولاية أصفهان، انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٩؛ الفتوح، ابن أعثم: ٢٣٥/٦؛ تاريخ الطبري: ١٥٦/٦.

٦- كوفي، زوج أخت هاني بن عروة، قال النمازي: "من رؤساء جند بني أمية. كان على ميمنة جند عمر بن سعد، وممّن كتب إلى مولانا الحسين عليه السلام من أهل الكوفة، أرسله ابن زياد مع محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة للإتيان بهاني بن عروة إليه، وكان في كربلاء من قبل عمر بن سعد موكلًا على شريعة فوات" مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٣١/٦ - ٣٢.

سابقاً - كانت مقراً لتدريب وعسكرة الجيش الإسلامي، وهذا يعني أنّ الكوفة يتواجد فيها على الدوام قوات عسكرية جاهزة ومدربة موالية للحاكم بطبيعة الحال.

وأيضاً: ظاهرة الخذلان الفظيع الذي ابتلي به أتباع ومحبو أهل البيت في الكوفة كانت متوقعة بعد معرفتنا بطبيعة وخصائص المجتمع الكوفي التي عرضناها سابقاً، ففي الوقت الذي رأيناهم قد كتبوا للحسين وطلبوا منه القدوم وبايعوا رسوله إليهم حتى إنّ ديوان مسلم أحصى ثمانية عشر ألف مبايع وأكثر، ها هم يتركون مسلماً يُقتل بين ظهرانهم وحيداً غريباً لا يجد من يدلّه الطريق أو يأويه وينصره! والسبب - كما عرفنا - هو الجبن والخوف من السلطة وما يورثه من التطبّع بقالب الغدروا والتقلّب في المواقف.

إنّ ثقافة الخوف والخذلان (النكوص عن نصره الحق) لم تكن لتطراً فجأة على المجتمع الكوفي، والأمر ليس وليد الصدفة، بل هو نتيجة سلسلة من الإجراءات التي اتبعتها السلطة الأموية في عموم الأمصار الواقعة تحت سيطرتها خصوصاً في الكوفة والبصرة اللتين يكثر فيهما عدد المحبين لأهل البيت كما عرفنا سابقاً. وبالتأكيد، عند الله وأوليائه لا يمكن بحال التعلل عن نصره الحق ببطش الظالمين والخوف منهم، لكن هذا هو حال الناس (أغليهم) فهم يمتنون أنفسهم السلامة والتمتع بالدنيا ظناً منهم أنهم باقون لها وهي باقية لهم، ولا يروق لهم تحمّل مشقة نصره الحق وتذوّق مرارة طريق ذات الشوكة في ظروف أقل كلفة من قضية الحسين بكثير، فما بالك بثقل الطريق الذي اختطه الحسين لنفسه وتحمل عبء الهوض به!

تقصير واضح في موقف وجوه الكوفة:

من يطّلع على ما جرى مع مسلم بن عقيل ومقتله بالصورة التي حدثت، لا يمكنه أن يعلل ذلك إلا بالخوف الذي هيمن على نفوس وقلوب من بايعه من أتباع ومحبي أهل البيت عليهم السلام في الكوفة، وبالنسبة إلى الوجوه والزعامات المعروف عنها الولاء فواضح عليهم التردد والفرقة، ولذا لم نلحظ في مواقفهم التي أعقبت مكاتبتهم للحسين

عليه السلام ^(١) الجرأة والقوة كالتفكير بالقيام بثورة - مثلاً - على والي الكوفة وانتزاعها من يد الأمويين وهم ألوف كثيرة، ولا بعد وصول مسلم بن عقيل إليهم، بل لم نلاحظ منهم مساندة حقيقة له عند قيامه وخروجه على ابن زياد بعد اعتقال هاني فقد تركوه وحيداً يلاقي مصيره كما رأينا في قصة مقتله صلوات الله عليه، مع أنّ مسألة التمهيد للحسين من خلال السيطرة على مقاليد الكوفة قبل قدومه لها ليست بالأمر الذي يصعب إدراكه، وكان في الكوفة رجال ذووا فطنة وتجربة يبعد معها أن لا يكونوا قد فكروا بذلك، علماً أنّ هذا الأمر كان قد طرحه على الحسين بعض الرافضين لمسيره إلى العراق، مثل: ابن عباس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي وعمرو بن لوذان والإمام لم يُخطئ قولهم ^(٢). ولا سبب منطقي ومعقول منعهم عن الإقدام على ذلك غير الخوف والتردد والتشتت والفرقة التي كانوا عليها. وكانت تعبتهم وإعدادهم يحتاج إلى وقت، وهي إحدى مهام مسلم بن عقيل الرئيسية بطبيعة الحال، لذلك لم يكن يرغب بمواجهة السلطة الأموية قبل إتمام مسألة الإعداد والتعبئة الصحيحة، لكنه اضطر لها بعد وصول ابن زياد إلى الكوفة.

وأيضاً: روي أنّ مسلم بن عقيل لما خرج على ابن زياد كان قد أرسل إلى قواته الموجودة في أطراف الكوفة يدعوها للمجيء على وجه السرعة؛ حتى يتمكن - بعد وصولها له - من اقتحام القصر على ابن زياد وإنقاذ هاني بل والإطاحة به والسيطرة على الكوفة؛ لأنه لم تكن معه قوات كبيرة داخل القصر كما عرفنا، والقوات التي استدعاها مسلم كانت عبارة عن لواءين؛ أحدهما: بقيادة المختار الثقفي، وثانيهما: بقيادة عبد الله بن الحارث، لكنهما تأخرا في الوصول إليه، إذ وصلا داخل الكوفة بعد تفرق الناس عن مسلم

١- بل نفس عدد الكتب والرسائل التي بعث بها الكوفيون إلى الحسين عليه السلام يكشف عن حالة التشتت والتشرذم الذي كان يعيشه المجتمع الكوفي (أتباع ومحبو آل محمد)، وإلا لاكتفوا بكتاب كبيرهم أو عميدهم أو بضعة كتب قليلة كحد أقصى وليس مئات أو آلاف الكتب كما روى المؤرخون!

٢- مثل: قول ابن عباس: "فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم" تاريخ الطبري: ٣ / ٢٩٥. وقول عمر بن عبد الرحمن المخزومي: "إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره" تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٤. وأقول عمرو بن لوذان: "إن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً" الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٦.

وانتهاء حصار القصر، بل بعد مقتل مسلم وهاني رضوان الله عليهما، فاضطر المختاران أن يدعي أنه جاء لحماية عمرو بن حريث!

(وكان المختار عند خروج مسلم في قرية له تدعى "خطوانية" فجاء بمواليه يحمل راية خضراء، ويحمل عبد الله بن الحارث راية حمراء، وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث وقال: أردت أن أمنع عمراً، ووضح لهما قتل مسلم وهاني وأشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا، وشهد لهما ابن حريث باجتماعهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشرع عينه وبقيا في السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام)^(١).

ومن الطبيعي - بعد هذا - أن نرى ابن زياد بعد قتله مسلم بن عقيل وهاني بن عروة أن يقوم بحملة اعتقالات واسعة طالت الكثير من وجوه الشيعة بالكوفة، مثل: المختار الثقفي وسليمان بن صرد وإبراهيم بن مالك الأشتر وعبد الله بن الحارث والأصبغ بن نباتة والحارث الأعور والهمداني وغيرهم^(٢)، وأضاف البعض ميثم التمار أيضاً^(٣) الذي سجن مع المختار ونال الشهادة قبل وصول الإمام الحسين إلى كربلاء^(٤)، وهناك غيرهم أيضاً وسيوضح ذلك أكثر لاحقاً.

١- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٢١٥؛ مقتل الحسين، المقرّم: ١٥٧ - ١٥٨.

روى الطبري: (أن المختارين أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم خرج المختار براية خضراء وخرج عبد الله براية حمراء وعليه ثياب حمراء وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث وقال إنما خرجت لأمنع عمراً وأن الأشعث والقعقاع بن شورو شيب بن ربيعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتلاً شديداً وأن شيباً جعل يقول انتظروا بهم الليل يتفرقوا فقال له القعقاع إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم فافرج لهم ينسربوا وأن عبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً فأتي بهما فحبسا) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٦. وجعل فيهما جعلاً: أي خصّص مبلغاً مالياً لمن يلقي القبض عليهما.

٢- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣١٤؛ تنقيح المقال، المامقاني: ٢ / ٦٣.

٣- انظر: الإرشاد، المفيد: ١ / ٣٢٤.

٤- قال المفيد: (وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين بن علي عليهما السلام بعشرة أيام) الإرشاد: ١ / ٣٢٥.

وهذه قصة شهادته: (٨٤٩٣- ميثم التمار الأسدي: نزل الكوفة وله بها ذرية ذكره المؤيد بن النعمان الرافضي في مناقب علي رضي الله تعالى عنه وقال كان ميثم التمار عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه علي منها وأعتقه وقال له ما اسمك قال سالم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اسمك الذي سمّاك به أبواك في العجم ميثم

لا شك أنّ موقف وجوه الكوفة وزعاماتها - المعروفين بالولاء والاتباع - مع الإمام الحسين عليه السلام الذي يحكيه موقفهم مع رسوله إليهم (مسلم بن عقيل) كان فيه تقصير واضح لا يستطيع أحد رفضه والتنگرله.

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة ما قيل عن شهادة ميثم التمارضوان الله عليه؛ هل كانت فعلاً قبل قدوم الحسين إلى كربلاء بعشرة أيام؟ وكذلك عن موقف بقية وجوه الشيعة في الكوفة مع الإمام الحسين الذي يعكسه موقفهم مع مسلم؟

فأجاب: (استشهد ميثم التمارض قبل العاشر من المحرم، ولكنه كغيره في مسألة التباطؤ في نصرته الحسين عليه السلام. يعني ممكن تسميها تباطؤ، تردد، سمها ما تشاء.

ثورة الحسين عليه السلام لم تكن فقط يوم العاشر من المحرم، هي بدأت عندما قال "لا" لبيعة يزيد، على الأقل هذه بداية قطعية وحجة على كل مسلم، فعدم النهوض المباشر وعدم الالتصاق المباشر وعدم الحقوق المباشر كلها تعدّ تقصيراً بقدر ما. ولم يكن ميثم

قال صدق الله ورسوله وأمير المؤمنين والله إنه لاسي قال فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع سالماً فرجع ميثم واكتنى بأبي سالم فقال علي ذات يوم إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة فإذا جاء اليوم الثالث ابتدر منخراك وفوك دماً فتخضب لحيتك وتصلب على باب عمرو بن حريث عاشر عشرة وأنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة وامضي حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها فأراه إياها وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها ويقول بوركت من نخلة لك خلقت ولي غديت فلم يزل يتعاهدها حتى قطعت ثم كان يلقي عمرو بن حريث فيقول له إني مجاورك فأحسن جواري فيقول له عمرو أتريد أن تشتري دارين مسعود أو دارين حكيم وهو لا يعلم ما يريد. ثم حج في السنة التي قتل فيها فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقال له هذا كان أثر الناس عند علي قال ويحكم هذا الأعجمي فقيل له نعم فقال له أين ربك قال بالمرصاد للظلمة وأنت منهم قال إنك على أعجميتك لتبلغ الذي تريد أخبرني ما الذي أخبرك صاحبك أنني فاعل بك قال أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة قال لنخالفنه قال كيف تخالفه والله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن الله ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه وأني أول خلق الله ألجم في الاسلام فحبسه وحبس معه المختار بن عبيد فقال ميثم للمختار إنك ستقتل وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك فلما أراد عبيد الله أن يقتل المختار وصل بريد من يزيد يأمره بتخليه سبيله فخلّاه وأمر بميثم أن يصلب فلما رفع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث قال عمرو قد كان والله يقول لي إني مجاورك فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم فقيل لابن زياد قد فضحك هذا العبد قال أجموه فكان أول من أجم في الاسلام فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن بالحربة فكبر ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً وكان ذلك قبل مقدم الحسين العراق بعشرة أيام) الإصابة، ابن حجر: ٦ / ٢٤٩ - ٢٥٠.

منفرداً بالتقصير، بل حتى المختار وسليمان بن صرد وإبراهيم بن مالك الأشتر وغيرهم كانوا مقصّرين.

حتى يخرج المؤمن عن دائرة التقصير كان واجبه الوقوف على باب الحسين مشهراً سيفه مباشرة بعد إعلانه الثورة؛ سواء طلب الحسين منه ذلك أو لم يطلب، وبالطبع فإن باب الحسين يسري أيضاً على باب مسلم بن عقيل وكل من خوّله الحسين.

تذكّر قولي هذا دائماً: "من لم يقاتل دفاعاً عن الحسين عليه السلام في كربلاء فبتقصير منه".

نعم، هم شيعة، وربما أولياء الله، ولكن من قتلوا مع الحسين عليه السلام أفضل منهم؛ لأنهم خسروا مقام الشهادة بين يدي الحسين، خسروا هذا المقام، وهل هناك من يستطيع قول "لا" لم يخسروا؟ كيف لم يخسروا وهم بالفعل خسروا هذا الأمر، ولم يتمكّنوا من حضور كربلاء ولم يدافعوا عن الحسين ولم يستشهدوا معه؟! وحتى لو كانوا في السجن فالنتيجة واحدة وهي أنهم لم يوفّقوا لهذا الأمر العظيم.

علماً، إنّ المسألة ليست طعنًا بهم، والطعن مرفوض قطعاً، فنحن نقول: إنهم شيعة وبعضهم أولياء الله سبحانه، ومنهم من حقّق أمراً عظيماً كالمختار الثقفي وإبراهيم بن مالك الأشتر، ولكن قولنا بـ "تقصيرهم بقدر ما" إنما هو لبيان الإنصاف والحقيقة والاعتدال، فلا من يطعن بهم محق ولا من ينزّههم من التقصير مئة بالمئة محق، والحق إنهم قصّروا بقدر ما وهذا هو حال البشر، بل حتى من استشهدوا بين يدي الحسين عليه السلام ليسوا بمقام واحد فبعضهم مقارنة ببعض مقصّر بالرغم من أنّ جميعهم استشهدوا بين يدي الامام عليه السلام) انتهى^(١).

الحسين (ع) يغادر مكة إلى العراق:

خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً نحو العراق في اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ بعد أن بقي فيها أربعة أشهر تقريباً. وكان قد أحرم للحج فجعله عمرة مفردة ثم حلَّ إحرامه وترك مكة مسرعاً نحو العراق.

أثار موضوع حل الإمام الحسين إحرامه جدلاً بين من اعتبره إحراماً لعمرة التمتع للحج^(١)، وبين من اعتبره إحراماً للعمرة المفردة من البداية^(٢)؛ بحجة عدم جواز العدول من عمرة التمتع؛ لأنها مرتبطة بالحج والتحلل منها عند الاضطرار لا يكون بالعدول وإنما بالهدي. وحسماً لهذا الجدل، سألت السيد أحمد الحسن عن ذلك، فقال:

"عمرة الحسين عليه السلام كانت عمرة التمتع للحج، وعدل بها إلى مفردة عندما علم أنّ الأمويين يريدون قتله في الحج ثم خرج يوم التروية، ويجوز العدول طالما أنه فيها وخصوصاً للمضطر. وأيضاً: الإمام الحسين إمام ومشروع وفعله تشريع. أيضاً: حجّه مستحب وليس واجباً وعمرته مستحبة وليست واجبة" انتهى^(٣).

الحسين (ع) يقرر المغادرة ومحاولات فاشلة لثنيه عن قراره:

بعد وصول الإمام الحسين إلى مكة، قام يزيد بعزل واليه على المدينة الوليد بن عتبة بسبب تأخره في تنفيذ أمره بقتل الحسين وعيّن مكانه عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) المعروف ببغضه لآل محمد، وجعله أميراً لموسم الحج^(٤)، وأوصاه بالقبض على

١- وهو المروي تاريخياً، انظر مثلاً: الإرشاد، المفيد: ٦٧ / ٢.

٢- تبين هذا القول مجموعة من الفقهاء، منهم: السيد محسن الحكيم في مستمسك العروة الوثقى: ١١ / ١٩٢؛ والسيد الخوئي في معتمد العروة الوثقى: ٢ / ٢٣٦؛ والسيد السبزواري في مذهب الأحكام: ١٢ / ٣٤٩، وغيرهم.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠١.

الحسين سرّاً وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة، فلما كان يوم التروية قدم عمرو بن سعيد إلى مكة في جند كثيف فلما علم الحسين بذلك عزم على التوجه إلى العراق^(١).

وأيضاً: (دسّ مع الحجاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية وأمرهم بقتل الحسين على كل حال اتفق فلما علم الحسين عليه السلام بذلك، حل من إحرام الحج، وجعلها عمرة مفردة)^(٢).

لم يكن الإمام الحسين يرغب بأن يتسبّب بانتهاك حرمة الحرم، وهذا مقطع من رسالة ابن عباس إلى يزيد يؤكد ذلك، قال: (.... وما أنس من الأشياء، فلست بناسٍ أطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعز أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لوتبوا بها مقاماً واستحل بها قتلاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله فأكبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم... فلما رأى سوء رأيك شخص إلى العراق، ولم يبتغك ضرباً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً)^(٣).

وأيضاً: بهذا أجاب الإمام الحسين ابن الحنفية، روى ابن طاووس: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال: يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالي يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة

١- انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١/ ٥٩٣. وروى ابن طاووس: (.. فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى مكة في جند كثيف قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هونا جرحه أو يقاتله إن قدر عليه. فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية) اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٩، والظاهر أن المراد عمرو بن سعيد (والي يزيد على المدينة وأمير موسم الحج) وليس عمر بن سعد.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٩٩: ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٥٩.

٣- تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٤٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٢٨ وفيه: "فما أنس من الأشياء فلست بناسٍ أطرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرم الله وتسييرك الخيول إليه فما زلت بذلك حتى أشخصته إلى العراق فخرج خائفاً يترقب".

هذا البيت، ...^(١) وفي رواية أنه قال له: "يا أخي لو كنت في بطن صخرة لاستخرجوني منها فيقتلونني"^(٢).

وأجاب ابن الزبير لما قال له: "يا أبا عبد الله قد حضر الحج وتدعه وتأتي العراق؟ فقال: يا بن الزبير لأن أدفن بشاطئ الفرات أحب إليّ من أن أدفن بفناء الكعبة"^(٣).

وأجاب الفرزدق لما سأله: "يا بن رسول الله ما الذي أعجلك عن الحج؟ فقال عليه السلام: يا عبد الله لو لم أعجل لأخذت"^(٤). أي: لقتلت.

وأجاب عمرو بن لوزان، إذ قال له: "والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم"^(٥).

وأيضاً: ما كان الحسين يرغب بأن يتم الإجهاز على شخصه - وثورته تبعاً له بالطبع - داخل مكة وبطريقة تفقد فيها الثورة الأهداف والنتائج المرجوة منها في حفظ دين الله واستمرار حاكميته وفضح باطل الأمويين وزيفهم وتعريضهم أمام الناس جميعاً؛ خصوصاً وأنّ الحزب الأموي ماهر في استخدام الحيل والخداع والتمويه على الناس، وليس يبعد أنهم لو تسنى لهم الظفر بالحسين عليه السلام واغتياله في مكة يعمدون إلى إخفاء معالم الجريمة أو اتهام جهة مجهولة بقتله أو حتى مطالبتهم بدمه إن تطلب ديمومة ملكهم ذلك!

وقبل هذا كله، فإنّ العراق - وكربلاء تحديداً - هي الموعد والمنتهى الذي أُبلغ به الحسين عليه السلام من قبل جده وأبيه صلوات الله عليهما، وإرادة الله سبحانه نافذة وماضية، لكنه بالرغم من علمه بمآله ومصيره يسعى إلى العمل بالأسباب قدر المستطاع ويحدد سلوكه في المنعطفات التي تمر بها ثورته المباركة على ضوء تلك الأسباب بقدر قريرها من إنفاذ مراد الله وعدم بعدها عن تحقيق الغاية والهدف الإلهي المأمول من الثورة،

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤٠.

٢- ينابيع المودة، القندوزي: ٦٠ / ٣.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٢.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٠: الإرشاد، المفيد: ٦٧ / ٢.

٥- الإرشاد، المفيد: ٧٦ / ٢: تاريخ الطبري: ٢٩٦ / ٤، وفيه: "حتى يكونوا أذل من فرم الأمة".

لذلك نراه يسير إلى العراق ويرفض السير إلى اليمن أو مناطق أخرى يعلم أنّ السير لها لا يحقق الهدف من ثورته.

ومهما يكن، فقد حاول بعض المسلمين منعه عن ترك مكة والسير إلى العراق لكنه عليه السلام رفض: روي عن الإمام الصادق في تنمة الرواية المتقدمة في مجيء ابن الحنفية إلى الحسين ونصحه له بالبقاء في مكة أو الذهاب إلى اليمن، قال عليه السلام:

" فلما كان السحرا رتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها. فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج (إلى العراق) فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال فقال له: قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى" (١).

وقد تقدم في البحوث السابقة بيان بعض وجوه المشيئة الإلهية في قتل الحسين وسبي عياله، فراجع.

"قال: وجاء عبد الله بن العباس و عبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمر وأنا ماضٍ فيه، قال: فخرج ابن العباس وهو يقول: وا حسينا، ثم جاء عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال وحذّره من القتل والقتال، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أما علمت أن من هوان الدنيا على الله تعالى أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام، اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدع نصرتي" (٢).

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤٠: العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢١٤.

٢- المصدر السابق.

عن بشر بن غالب قال: لقي عبد الله بن الزبير الحسين بن علي رضوان الله عليه [حين كان] يتوجه إلى العراق فقال: أين تريد؟ قال: العراق. قال: إنك تأتي قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك ولا أراهم إلا قاتليك. قال [الحسين]: وأنا أرى ذلك" (١).

وروى ابن الأثير: (قيل: لما أراد الحسين المسير إلى الكوفة بكتب أهل العراق إليه أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكة فقال له: ... قد بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأؤه ومعهم بيوت الأموال وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا بن عم فقد علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من أمري كن أخذت برأيك أو تركته فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح.

قال: وأتاه عبد الله بن عباس فقال له: قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبين لي ما أنت صانع فقال له: قد أجمعت السير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك خبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجي بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين: فإني استخير الله وأنظر ما يكون. فخرج ابن عباس وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وقد كففنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولادة هذا الأمر دونهم خبرني ما تريد أن تصنع فقال الحسين: لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتبت إلى شيعتي بها وأشرف الناس وأستخير بالله فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ثم خشي أن يتهمة فقال له: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمرها هنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحننا لك فقال له الحسين: إن أبي حدثني أن لها كبشاً به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش قال: فأقم إن شئت وتولياني أنا الأمر فططاع ولا تعصى قال: ولا أريد هذا أيضاً ثم إنهما أخفيا كلامهما [دوننا]، فالتفت الحسين إلى من هناك وقال: أتدرون ما يقول قالوا: لا ندري جعلنا الله

فداءك قال: إنه يقول أقم في المسجد أجمع لك الناس ثم قال له الحسين: والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل فيها ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل فيها ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشبر وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت فقام ابن الزبير فخرج من عنده. فقال الحسين: إن هذا ليس شيء من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز وقد علم أن الناس لا يعدلونه بي فود أني خرجت حتى يخلوه.

قال: فلما كان من العشي أو من الغد أتاه ابن عباس فقال: يا بن عم إني أتصبر ولا أصبر إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربهم أقم في هذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم أقدم عليهم فإن أبييت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعائك فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية. فقال له الحسين: يا بن عم إني لأعلم أنك ناصح مشفق وقد أزمعت وأجمعت المسير. فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسرب بنسائك وصبيتك فإني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه ثم قال له ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أني إن أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتني فأقمت لفعلت ذلك. ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال: قرت عينك يا بن الزبير ثم أنشد قائلاً: "يا لك من قنبرة بمعمر* خلالك الجوفبيضي واصفري* ونقري ما شئت أن تنقري" هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز^(١).

وأيضاً: جاءه الأوزاعي، قال: "بلغني خروج الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى العراق، فقصدت مكة فصادفته بها، فلما رأيته رحت بي وقال: مرحباً بك يا

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٣٧ - ٣٩: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٩.

أوزاعي، جئت تنهاني عن المسير، وأبى الله عزوجل إلا ذلك، إنَّ من ها هنا إلى يوم الاثنين منيتي فجهدت في عد الأيام، فكان كما قال" (١).

أقول: لو أنَّ الأوزاعي كلف نفسه بالتفكير في نصرة الإمام الحسين بدل إجهادها في عد الأيام لكان خيراً له، وكذلك الحال بالنسبة إلى الآخرين الذين أجهدوا أنفسهم بطرح الاقتراحات فلو أنهم نصرروا ربحانة رسول الله بدل عرض الاقتراحات وطرح الحلول التي هي بالضد من إرادة الله لكانوا قد سجّلوا اسمهم في سجل الحياة الأبدية مع الحسين صلوات الله عليه ونالوا الشهادة والفتح معه كما نالها أصحابه الحقيقيون.

وأيضاً: لما بلغ أهل المدينة خبر عزم الحسين عليه السلام على المسير إلى العراق كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين كتاباً يطلب منه عدم المسير وأنه بصدد أخذ الأمان له من يزيد وبني أمية (٢)، وفعلاً جاء عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق (والي يزيد على المدينة) وطلب منه أن يكتب كتاباً إلى الحسين يجعل فيه الأمان ليتمكن من العودة إلى المدينة بعياله، وأن يبعثه بيد أخيه يحيى بن سعيد، ولما وصل الحسين "ذات عرق" (٣) وافاه عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد وطلباً منه الرجوع إلى المدينة وعرضاً عليه كتاب الوالي، فامتنع وقال لهما: "إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت فيها بأمرنا ماضٍ له" (٤).

١- دلائل الإمامة، الطبري: ١٨٤.

٢- كتب عبد الله بن جعفر: "أما بعد! أنشدك الله أن لا تخرج عن مكة، فإني خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنك إن قتلت أخاف أن يطفئ نور الأرض، وأنت روح الهدى وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق فإني أخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أمية على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسلام". فكتب إليه الحسين بن علي: "أما بعد! فإن كتابك ورد علي فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي فخيرني بأمر وأنا ماض له، لي كان أو علي، والله يا بن عمي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني [و] يقتلونني، والله يا بن عمي ليعدين علي كما عدت اليهود على السبت، والسلام" الفتوح، ابن أعثم: ٦٧ / ٥.

٣- منزل على طريق الحج يبعد عن مكة ١١٠ كم تقريباً.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩١ - ٢٩٢.

جاء في كتاب عمرو بن سعيد: (أما بعد فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك وأن يهديك لما يرشدك بلغني أنك قد توجهت إلى العراق وإني أعيدك بالله من الشقاق فإني أخاف عليك فيه الهلاك وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر

وبمعرفة ما تقدم لا سبيل قطعاً لقبول التفاهات التي ينقلها بعض المؤرخين من أنّ الإمام الحسين إنما سار إلى العراق بسبب دفع ابن الزبير له للسير إليه^(١).

ثم إنّه لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً، فقال: "الحمد لله وما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقية، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى"^(٢).

هذه الخطبة - كما نرى - خطبها الإمام الحسين عليه السلام في ليلة الثامن من ذي الحجة أمام الناس، وكان خروج الحسين من مكة يوم التروية الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ فجراً^(٣)، وهذا التاريخ هو الوارد في رسالته الثانية لأهل الكوفة التي بعثها بيد قيس

ويحيى بن سعيد فأقبل إليّ معهما فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبروحسن الجوارلك الله على بذلك شهيد وكفيل ومراع ووكيل والسلام عليك). وكتب إليه الحسين عليه السلام: (أما بعد فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة فإن كنت نويت بالكتاب صلي وبري فعجزت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام).

١- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٠٧ - ٢٠٨، إذا نقل قول المسور بن مخرمة: "عجل أبو عبد الله وابن الزبير الآن يلقيه وبزجيه إلى العراق ليخلو بمكة"، وقول أبو سلمة بن عبد الرحمن: "قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم ولكنه شجعه على ذلك ابن الزبير!"

٢- مثير الأحزان، ابن نما: ٢٩. العوالم - الامام الحسين، عبد الله البحراني: ٢١٦ - ٢١٧.

مخط القلادة: يعني موضع القلادة. ما أولهني: ما أشدّ شوقي. خير لي مصرع: اختاره الله لي. عسلان الفلوات: الذناب، النواويس: قرية أو مقبرة للنصارى قرب كربلاء. أكراشاً جوفاً: جمع جوفاء أي واسعة، أجربة سغباً: بطون جائعة. لن تشذ: لن تنفرد وتتفرق. لحمته: القرابة. انظر: إبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ٤٢ - ٤٣.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٣٠١: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦٦.

بن مسهر الصيدراوي، إذ جاء في خاتمتها: "وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية"^(١).

وروي: أنّ قوات عمرو بن سعيد بن العاص (والي المدينة وأمير موسم الحج) بقيادة أخيه يحيى بن سعيد اعترضت موكب الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة، لكنه أبى وامتنع ومضى بعد أن تدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط، فنادوه: يا حسين، ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة، فقال: "لي عملي ولكم عملكم أنتم بريؤون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون"^(٢).

وهذا يعني أنّ خروج الإمام الحسين من مكة كان علنياً وأمام أنظار السلطة الأموية ولم يكن سراً. وأيضاً: بحسب بعض المؤرخين، فإنّ عدد من كان في ركب الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة هو نيف وثمانين من أهل بيته وشيعته^(٣)، أو ستين شيخاً من أهل الكوفة عدا أهل بيته^(٤).

أقول: لا شك أنّ العددين المذكورين متقاربان؛ إذ إضافة أهل بيت الحسين إلى الستين يجعل المجموع ثمانين أو يزيد عليه بقليل، لكن الإشكال في حصر الملتحقين بالحسين بأهل الكوفة فقط؛ إذ سيتضح أنّ من التحق بالحسين أيام تواجده في مكة مجموعة من أنصاره المخلصين الذين لازموا واستشهدوا معه في كربلاء وقد وردوا عليه من الكوفة والبصرة والمدينة وإن كان حصّة الكوفة هي الأكثر قياساً بغيرها.

وأيضاً: كان قد انضم إلى الحسين في مكة جمع كبير من الناس قبل أن يغربلهم ويتساقط أكثرهم خلال منازل الطريق بين مكة والعراق ولم يبقَ منهم سوى الأنصار الحقيقيين والصفوة التي انتجها الله وفضّلت أن تواسيه بالنفس.

١- تاريخ الطبري: ٣/ ٣٠١.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٩؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٤. وفيه: أن المعتز لموكب الحسين هو قائد شرطة عمرو بن سعيد وجماعة من جنده: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢ / ٥٤٧.

٣- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٠؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٢٢٠.

٤- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢١٢.

لماذا العراق؟

لم يكن تواصل الإمام الحسين عليه السلام مع أهل العراق ليبدأ بعد رفض بيعة يزيد وخروجه إلى مكة، وإنما كان موجوداً منذ أيام معاوية، ولكثرة تردد بعضهم عليه في المدينة وشى به والي المدينة لمعاوية وكانت هناك كتب بين معاوية والإمام عليه السلام نقلت إحداها سابقاً. وعموماً، كان الإمام يوصي أتباعه ومحبيه في العراق ممن كانوا يتواصلون معه بالصبر والترقب ما دام معاوية حياً. وبعد هلاك معاوية ورفضه بيعة يزيد كان عازماً منذ البداية على قصد العراق، وما كان مروره بمكة مؤقتاً إلا لأسباب تتعلق بنضج مشروعه الثوري الإلهي وتهيئة ظروف نجاحه بصورة أكبر، وقد تقدم بيان بعضها.

والملفت أن الإمام الحسين مع علمه بأنه مقتول لا محالة كما أكدته الكثير من بياناته المباركة، إضافة إلى ما سبقها من أحاديث الرسول وأهل بيته، ويعلم أيضاً بأن كتب ورسائل أهل الكوفة التي وردته وهو في مكة مصبرها التلاشي ومصير أهلها الخذلان: "هذه كتب أهل الكوفة إليّ، ولا أراهم إلا قاتلي" ^(١) عدا أفراد قليلين جداً وفوا بوعودهم المسطورة في الكتب والرسائل، إلا أنه بالرغم من هذا بقي عازماً على السير إلى العراق!

ونحن يمكننا أن نفهم بعض وجوه هذا الإصرار في إطار ما يلي:

أولاً: عرفنا بما تقدم أن الحسين عليه السلام إمام معصوم وظاهر مقدس لا يعدو في كل أفعاله إرادة الله وإنفاذ أمره، ولا شك أنه يعلم بأن العراق هو الموعد وكربلاء هي الأرض والتربة التي اختيرت لأن تضم جسده الطاهر، وقد مرّت أحاديث - رواها جميع المسلمين - تفيد بأن جبرئيل أتى بعينة من تربتها إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وفي بعضها أنه طلب من أم سلمة رضوان الله عليها أن تحتفظ بها في قارورة، إذن الأمر - كما نرى - يتعلّق بمشيئة الله سبحانه. وكمثال: روى عبد الله بن عباس قال: "لقيت الحسين بن علي وهو يخرج إلى العراق فقلت له: يا بن رسول الله، لا تخرج! قال فقال لي: يا ابن عباس، أما

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٣٠٥، ٣٠٦.

علمت أنّ منيتي من هناك وأنّ مصارع أصحابي هناك؟! فقلت له: فأنتي لك ذلك؟ قال: بسّرْ سُرِّي وعلم أعطيته" (١).

وثانياً: كمحاولة لفهم أحد وجوه تلك المشيئة الإلهية، أقول: إنّ العراق بالرغم من أنّ تكلفة خذلان أهله للحسين ستكون كبيرة جداً، فبعد الرسائل الكثيرة التي كاتب أهل الكوفة فيها إمامهم وطلبوا منه القدوم تركوه (بالعموم) في نهاية الأمر ولم ينهضوا معه وخذلوه عدا أفراد قليلين كما ذكرت، لكن - على أي حال - يبقى العراق الحاضنة الأكبر لفكر ونهج آل محمد عليهم السلام، وإذا كان أهله كاتبوا الإمام ولم يفهم منهم سوى قلة فغيرهم لم يكتب ولا يرى نفسه معنياً بأمر الحسين أصلاً، بل ومن يطالع قائمة أنصار الحسين الذين حضروا معه كربلاء ونال شرف الشهادة معه - وسيأتي بيانها - يجد أنّ غالبيتهم من أهل العراق. وبالتالي، فإن كان مقدّر لثورة الحسين أن تكون سبباً في إنقاذ دين الله وعباد الله وتصحيح الانحراف الذي سبّبه تسلط الأمويين وزعزعة عروشهم من الأساس، وهي كذلك حتماً، فالعراق بكل تأكيد أنسب بيئة لإنجاح هذا المخطط الإلهي وتحقيق أهداف القيام الحسيني المقدس. وفعلاً، بالرغم من الخذلان سرعان ما هزم قتل الحسين وجدان أتباع ومحيي آل محمد خصوصاً في الكوفة وقرعوا أنفسهم على تقصيرهم وخذلانهم له فكانت ثورة التّوّابين بقيادة سليمان صرد الخزاعي، وهي وإن لم تكن قد حققت هدفها بالكامل ولم تقتص من قتلة الحسين الكبار لكنها أذت الحكم الأموي كثيراً، ثم أعقبتها ثورة المختار الثقفي التي كانت تهدف إلى الثأر لدم الحسين وقتل كل من ساهم بقتله من رجال وأعوان السلطة الأموية الظالمة، وقد حققت هدفها بوضوح، بل واستمر الدم المراق في الطّف يشعل في نفوس أهل العراق (أتباع ومحبو أهل البيت) الثورة بوجه طغاة بني أمية حتى زوال الحكم الأموي من الوجود تماماً.

وثالثاً: لا شك أنّ ثورة الإمام الحسين حتى تؤتي أكلها وتحقق ثمارها المرجوة لا بد من دور إعلامي كبير يتناسب وحجم الثورة نفسها بقائدها ورجالها وأهدافها، كما هو شأن كل الأحداث الهامة والكبرى الواقعة في عالمنا قديماً وحديثاً، وبدون ذلك سيكون الحدث حبيس البقعة المحصورة أو المجتمع الضيق الذي وقع ضمن حدوده، وهكذا حالة لا تصب بصالح ثورة الحسين بالتأكيد. ما أريد قوله بإيجاز: إنّ بيئة الحجاز - سواء في المدينة أو

مكة - لم تكن مؤاتية لتغطية حدث كبير بحجم قيام الحسين نتيجة التعقيم والتثقيف الذي فرضته السلطات الأموية على أهل الحرمين لسنين طويلة، وأيضاً: لأسباب أخرى تقدم ذكر بعضها في بحث "حواضر المسلمين"، بخلاف بيئة العراق التي تتصف على الدوام بالسخونة والحيوية ورفض الحكام والولاة، فالمتوقع - والحال هذه - لحدث كبير كقيام الحسين أن يبلغ صداه مديات أوسع داخل العراق وخارجه ويكون حديث الساعة بين عموم الناس وهي طبيعة يتميز بها أهله حتى يوم الناس هذا.

وربما واحدة من أسباب طلب الحسين عليه السلام مهلة ليلة العاشر من جيش عمر بن سعد وتأجيل الحرب لصباح يوم العاشر أنه عليه السلام - إضافة إلى رغبته بقضاءها بالعبادة وقراءة القرآن وأداء بعض الأعمال - كان يهدف أيضاً إلى انقضاء سواد الليل وشروق شمس عاشوراء وانكشاف النهار وتميز الرؤية للناظرين؛ لأنه كان يعرف أنّ هناك من سير اقب الأحداث ويدون ما يشاهد وينقل لمن لم يحضر... إلخ، وهذا كله يصب في صالح الإعلان والنشر والتبليغ بالقيام الحسيني المقدس لتأتي الثورة ثمارها بالنهاية.

وهكذا يتضح أنّ الحسين عليه السلام بالرغم من كل الخذلان الذي واجهته به الأمة عموماً كان حريصاً على أن يقدم ثورته الإلهية في إطار أفضل الظروف الزمانية والمكانية المتاحة له، ولم يدخر شيئاً في بلوغ أهدافها إلى أقصى مدى ممكن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فكانت كما شاء الله سبحانه وخطط لها قائدوها العظيم.

أضف إلى ذلك: إننا لا يمكن أن نفهم بشكل دقيق الهدف من ثورة الحسين واختيار العراق بمعزل عن فهم الخطة الإلهية المعدة سلفاً لاستمرار مبدأ حاكمية الله على هذه الأرض إلى يوم الإنسانية الأخير، إذ قدر الله سبحانه في علمه أنّ قيادة العالم في آخر الزمان ستكون من العراق وأنّ دولة العدل الإلهي - بقيادة الإمام المهدي والاثني عشر مهدياً من ولده صلوات الله عليهم - ستكون عاصمتها العراق. والارتباط بين قيام الحسين وقيام المهدي من ولده وثيق جداً، كما سيتضح ذلك في قادم البحوث، وبالتالي فاختيار الحسين عليه السلام للعراق نوع من التمهيد لقيام دولة العدل الإلهي الموعود بها في آخر الزمان.

لعلّ هذه الوجوه التي ذكرتها كافية لفهم إصرار الإمام الحسين على المسير إلى العراق ونيل الشهادة في كربلاء، لهذا كان يقول: "لابد من العراق" ^(١) أو "العراق وشيعتي" ^(٢).

والخلاصة: إنّ ثقل التشيّع المتمثل بفكر ونهج آل محمد عليهم السلام موجود في العراق ومتأصل فيه، وبالرغم من تقلّب حال أهله صعوداً ونزولاً على الدوام لكن المعول بالنهاية في نصرة مشروع آل محمد على رجال منهم، وكما فهم الأشرار الذين لا يدانهم في الشر أحد ففهم الأخيار الذين لا يوزنون بثمن، وينتهي الزمان ولا تكاد قصة العراق (أرض الرسالات) تنتهي!

الحسين (ع) يكلم الناس بحسب حالهم:

قلت سابقاً: إنّ الإمام الحسين مصمّم على ملاقاته الوعد الإلهي وإنجاز تكليفه المطلوب منه لنصرة دين الله وضمّان استمرار حاكميته سبحانه، وكان يعلم بمصيره وأنه مقتول لا محال، وقد تقدم استعراض العديد من الروايات والحقائق التي تؤكد ذلك. أما الحوارات التي جرت بينه وبين بعض المسلمين (مثل: ابن الحنفية وابن عباس وابن الزبير وابن مطيع وابن مخزومة وغيرهم) الذين طلبوا منه عدم التوجّه إلى العراق وحدّروه من انقلاب أهل الكوفة عليه كما فعلوا مع أبيه وأخيه فواضح أنه عليه السلام كان يأخذ ويعطي معهم بالحديث؛ رأفة بهم - أو ببعضهم - وكان يكلمهم بحسب حالهم ولم يحملهم على ما عنده من حق. نعم، ربما كان يذكّر بعضهم بما هو موعود به من قبل جده الرسول صلى الله عليه وآله.

وهذه بعض أقواله في المدينة ومكة:

- قوله لعبد الله بن مطيع عندما سأله: جعلت فداك أين تريد؟ قال: "أما الآن فأني أريد مكة وأما بعدها فأني أستخير الله" ^(٣).

١- قال ذلك لابن الحنفية، انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٠٦.

٢- قال ذلك لابن عباس، انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٠٨؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ٨.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦١.

- قوله لعمر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي: "جزاك الله خيراً يا ابن عم فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من أمري كن أخذت برأيك أو تركته فأنت عندي أحمد مشيرو أنصح ناصح" (١).
- قوله لعبد الله بن عباس: "وإني أستخير الله وأنظر ما يكون" (٢).
- قوله لابن الزبير: "والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها وأستخير الله" (٣).
- قوله للمسور بن مخرمة: "أستخير الله في ذلك" (٤).
- قوله لابن عباس: "يا بن عم، سأنظر فيما قلت" (٥).
- قوله لابن الحنفية: "يا أخي، سأنظر فيما قلت" (٦).

"أستخير الله": ليس معناه أخذ استخارة بأحد الطرق المروية عن الرسول وآله صلوات الله عليهم كالأستخارة بالقرآن الكريم مثلاً، وإنما يعني الرجوع إلى الله ودعائه بأن يجعل الخير والتوفيق في السعي واتخاذ القرار.

بالتأكيد، فإنّ حال السائل له دخل في تحديد طبيعة جواب الإمام، فمثلاً: لاحظنا أنّ الحسين في جواب سؤال عبد الله بن مطيع "أين تريد" لم يزد أكثر من بيان وجهته الآن ثم استخارة الله بعد ذلك؛ باعتبار أنّ ابن مطيع لا يهيمه شيء غير طلب العافية والمنفعة، بل بحسب رواية بعض المؤرخين لهذا اللقاء أنه قال للحسين: "متّعنا بنفسك ولا تسر إليهم" ثم قال للحسين: "إنّ بئري هذه قد رشحتها وهذا اليوم أو ان ما خرج إلينا في الدلو من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة"، ففعل الإمام وأعذب ماؤها (٧)!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٦ - ٢٨٧.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٧.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٨.

٤- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٠٨ - ٢٠٩.

٥- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٣.

٦- ينابيع المودة، القندوزي: ٦٠ / ٣.

٧- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ١٨٢.

واضح أنّ الرجل مشغول بماء بئر أكثر من التفكير بنصرة الحسين وقضايا الإسلام، ولذا لم يبين الإمام له شيئاً من أهداف ثورته أو يذكر له أيّ تفاصيل ربما ذكرها لغيره^(١).

وأيضاً: كلام الإمام الحسين الذي يؤكد أنه مخذول من قبل الأمة ومقتول لا محال وأنّ مشيئة الله اقتضت ذلك ونحوها، لا يعني أنه مسلوب الاختيار ومجبور على السير إلى كربلاء ونيل الشهادة؛ إذ من المعلوم أنّ الله سبحانه لم يرد أن يطاع جبراً وقهراً في دنيا الامتحان "لا إكراه في الدين"، بل أراد من الإنسان أن يطيعه باختياره، والحسين كان مختاراً: "خير لي مصرع أنا لاقيه"، لكنه كان يعلم - بإعلام من الله ورسوله - أنّ مآله وخاتمته ستكون الشهادة وأنّ نصرة دين الله تتم من خلال الفداء بدمه الشريف.

وهذه بعض كلماته مع من عرض عليه اللجوء إلى أماكن أو خيارات أخرى غير الذهاب إلى العراق ومواجهة الأمويين:

- "يا عبد الله إنه ليس يخفى عليّ الرأي ما رأيت ولكن الله لا يغلب على أمره"^(٢).
- "فلا بد لي إذن من مصرعي"^(٣).
- "كل الذي هو مقدّر فهو كائن"^(٤).
- "يأبى الله إلا ذلك"^(٥).

فتحصل مما تقدم: إننا حتى نفهم موقف الإمام الحسين وتتضح لنا حقيقة ومعنى بعض كلامه ينبغي أن يؤخذ كل كلامه بعين الاعتبار بمعية الظروف المحيطة به، بما في ذلك حال السائل أو المتحدث مع الإمام، وكذلك ينبغي أن يفهم كلامه في سياق العقيدة

١- الملفت: أنّ عبد الله هذا انضم إلى ابن الزبير لاحقاً وصار عاملاً له على الكوفة: "وجعل يطلب الشيعة ويخيفهم" انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٨. وأعلن في أول خطبة له أنه يريد أن يسير بهم بسيرة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٢ - ٢١٣، بل واستعان بقتلة الحسين أمثال شمر وشبث وغيرهم في مواجهة ثورة المختار الثقفي، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٦ - ٢١٧.

٢- من كلامه لعمر بن لوذان، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠١: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٦.

٣- من كلامه عليه السلام لعمرة بنت عبد الرحمن، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢٩٦ - ٢٩٧.

٤- من كلامه عليه السلام لأخته زينب عليها السلام، انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٦٠.

٥- من كلامه عليه السلام للأوزاعي، انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٩٥.

الحقة التي يدين بها آل محمد صلوات الله عليهم، وليس صحيحاً اقتطاع جزء من كلامه وفهمه بمعزل عن البقية أو بمعزل عن العقيدة الحقة.

أقوال مكذوبة أو محرّفة:

نقل بعض المؤرخين ^(١) أقوال نسبوها إلى بعض الصحابة أو التابعين تخص الحسين عليه السلام سواء أثناء حوارهم معه، أو بعد مسيره وغيبته عنهم، مثل:

- قول ابن عباس: "إني لكاره لوجهك هذا (المسير إلى العراق) تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملة لهم أذكرك الله أن تغرّربنفسك".
- قول أبي سعيد الخدري: "غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له اتق الله في نفسك والزم بيتك فلا تخرج على إمامك".
- قول جابر بن عبد الله الأنصاري: "كلمت حسيناً فقلت اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني".
- قول ابن عمر: "لا تخرج فإن رسول الله خير الله بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة وإنك بضعة منه ولا تنالها يعني الدنيا".

وهناك غيرها أيضاً ^(٢). وهنا أسجل ملاحظتين:

- ١- ابتداءً، ينبغي عدم إغفال أنّ هناك مؤرخين ومحدثين كانوا يميلون لبني أمية، وقد نقلوا في كتبهم أقوالاً نسبوها للصحابة أو التابعين؛ الغرض منها الطعن في ثورة الحسين عليه السلام التي سبّبت لبني أمية وأنصارهم مأزقاً وإحراجاً دائماً، وبالتالي فنقل مثل هذه الأقوال يخفف - بطبيعة الحال - من وطأة الجريمة المرتكبة التي لا تبقي من إسلام صاحبها ومن يميل له شيئاً يذكر.

١- انظر مثلاً: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ١٤ / ٢٠٨ - ٢٠٩؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٧٥ - ١٧٦.

٢- ذكرها ابن عساکر وابن كثير مرسلتين ونسبها بلا إسناد إلى مجموعة، منهم: أبي واقد الليثي وسعيد بن المسيب والمسور بن مخرمة وعمرة بنت عبد الرحمن، انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ١٤ / ٢٠٨ - ٢٠٩؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٧٥ - ١٧٦.

٢- إنها مجرد أقوال مرسلة وبدون إسناد أصلاً، ومضامينها لا تصح عمّن نُسبت إليه، وبالتالي فالنقاش فيها يكون من ناحية السند والدلالة على حد سواء. أما النقاش السندي لأجل الإرسال فواضح، وأما النقاش الدلالي فهذا تعقيب السيد أحمد الحسن على المضامين أعلاه:

يقول: (ما نسب إلى ابن عباس من قول: "إني لكاره ... تخرج إلى قوم قتلوا أباك ...") غير صحيح؛ فهل قتل أهل العراق علياً عليه السلام؟! أهل العراق نصروا علياً، ومن قتله هو عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بتحريض من الخوارج، فابن عباس لا يقول هذا الكلام عن أهل العراق.

ما نسب إلى أبي سعيد الخدري: "غلبني فلا تخرج على إمامك"، غير صحيح؛ لأن أبا سعيد كان من شيعة الإمام علي عليه السلام فكيف يقول للإمام الحسين إن يزيد إمامك؟! هذا كذب صريح. لقد عذّب جيش يزيد لعنه الله أبا سعيد ومنتفوا لحبته في واقعة الحرة، بل تعمّدوا إهانته والانتقام منه بسبب نصرته لعلي والحسن والحسين عليهم السلام. نعم، ليس بالضرورة أن تكون النصرة كاملة مكتملة، وهذا الأمر ناقشناه سابقاً^(١)، فقد تكون نصرة بحسب مقام وحال الشخص: بيده، بلسانه، بقلبه، وكلها نصرة فمن يشايح علياً ويؤمن به بقلبه ولكنه لا يجرؤ على نصرته بلسانه أو يده هل يستطيع أحد أن يسلبه صفة الإيمان؟ بالطبع لا، يبقى مؤمناً ولكن المؤمن القوي الذي ينصر إمامه بقلبه ولسانه خير منه.

ومنه يتضح عدم صحة ما نسب إلى جابر بن عبد الله الأنصاري أيضاً.

ما نسب إلى عبد الله بن عمر من قول: "لا تخرج ولا تنالها يعني الدنيا" غير صحيح أو محرّف، فهو لا يجرأ على أن يقول مثل هذا الكلام للحسين عليه السلام، فعبد الله بن عمر وغيره - رغم كل شيء - كانوا يجلسون للحسين ومهابونه، ولا يجرأ ابن عمر - فضلاً عن الآخرين الذين هم أقل شأناً منه - على أن يقول للحسين: "إنك طالب للدنيا"! بل كلمة

١- نقلت كلام وأجوبة السيد أحمد الحسن في مواضيع ذات صلة بموضوعنا هذا فيما تقدم، فراجع.

"نصيحة" لا يجرؤون على التلفظ بها أمام الحسين عليه السلام؛ خصوصاً الأسماء المذكورة أعني: ابن عباس، ابن عمر، أبو سعيد الخدري، جابر الانصاري!

هؤلاء سواء آمنوا بإمامة الحسين عليه السلام أو لم يؤمنوا فهم يروون عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ الحسين سيد شباب أهل الجنة، وأنه إمام قام أوقعد، ... إلخ.

نعم، هم بغالبيتهم ترجّوا من الحسين عليه السلام عدم الخروج للعراق؛ لأنه كان يصحّ أنه سيخرج للعراق ويُقتل هناك، وهم سمعوا أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله بخروجه ومقتله في العراق. فأقصى ما كانوا يفعلونه لتبرير تخاذلهم هو زيارة الحسين والتوسل إليه بعدم الخروج والمسير إلى العراق) انتهى^(١).

وأيضاً: نقل ابن عساكر والذهبي قولاً - مرسلأً أيضاً - نسباه إلى عمرة بنت عبد الرحمن^(٢)، قالوا: (وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع وتأمّره بالطاعة ولزوم الجماعة وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه وتقول أشهد لحدثني عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل حسين بأرض بابل فلما قرأ كتابها قال فلا بد لي إذا من مصرعي ومضى)^(٣).

قال السيد أحمد الحسن تعقيباً على نقل قولها:

("تأمّره بالطاعة ولزوم الجماعة": مَنْ هذا الذي يجرؤ أو هذه التي تجرؤ أن يأمر أو تأمر الحسين؟! واضح أنه كلام تافه وذوق مبغضي أهل البيت عليهم السلام، وينسبوه إلى الرعيل الأول للطعن بالحسين عليه السلام. لا يوجد من يجرؤ على قول إنَّ كلامه "نصيحة" للحسين فضلاً عن "يأمره"؟ ثم يأمر من؟ الحسين بن علي، مَنْ جده رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة!!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، تابعية ولدت سنة ٢٩ هـ بالمدينة، يزعم بعض علماء أهل السنة أنها فقيهة تربّت في حجر عائشة بحسب وصفهم لها.

٣- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٠٩؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢٩٦ - ٢٩٧.

الرعيّل الأول أو من عاشوا تلك الفترة في مكة والمدينة وغيرها كانوا ثلاثة أصناف: مبغض لآل محمد، محب ومشايخ بقدر ما، عامة الناس. فهل من نقل هؤلاء المؤرخون أقوالهم هم من عامة الناس الذين لا يعرفون مَنْ هو الحسين، أو لا يعلمون مقامه؟ هل هم مشهرون بغضهم للحسين عليه السلام؟ الاثنان لا، إذن الكلام مفتري عليهم لغاية واضحة هي الاحتجاج بهم على ما فعله الحسين عليه السلام وتصحيح فعل يزيد لعنه الله - لدى بعض السنة بالطبع - أو على الأقل تخفيف وطأة ما حصل وعدم تحميل معاوية ومن سبقه جريرة وتبعات ما حصل.

"تأمره بالطاعة ولزوم الجماعة": نفس تعليل وحجة بعض فقهاء السنة، لزوم الجماعة بمعنى طاعة الحاكم، لكن: مَنْ فهم أنّ طاعة الحاكم غير المعصوم واجبة؟ هل عبد الله بن الزبير فهم هذا؟ إذن لماذا خرج؟ هل الصحابة الذين كانوا في الحجاز أيام وقعة الحرة فهموا هذا؟ إذن لماذا طعنوا بالحاكم؟ من ثاروا على عثمان وبعضهم صحابة - ومنهم عائشة - هل فهموا هذا؟ وقد نقلوا كلام عائشة وطعنها بعثمان^(١)؟ هل فهم كل هؤلاء هذه العقيدة (وجوب طاعة الحاكم غير المعصوم) وأمنوا بها؟! أكيد لا.

الحقيقة، إنّ محاولة تحميل الرعيّل الأول لعقائد فقهاء جاءوا بعدهم بعشرات ومئات السنين مجرد محاولة لتمرير أقوال هؤلاء الفقهاء، فقيه أموي مبغض وحاقد يحاول تمرير قوله بكل غث وسمين بحجة أنّ هذا ما قاله ابن عمر للحسين، وهذا ما قاله

١- روى المؤرخون قولها: "اقتلوا نعتلاً فقد كفر" انظر: تاريخ الطبري: ٣/ ٤٧٧؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣/ ١٢ - هامش؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣/ ٢٠٦. وأيضاً: هذا نص للبلاذري يوضح نقمة بعض المسلمين على عثمان وطعنهم به بما فهم عائشة، يقول: (قال الزهري: وكان في الخزان سفط فيه حلي فأخذ منه عثمان فحلى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه، وبلغه ذلك فخطب فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم، وأطلعت عائشة شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعله وثياباً من ثيابه، فيما يحسب وهب، ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، ...) أنساب الأشراف: ٥ / ٥٨٠ - ٥٨١. وبخصوص الصحابة: فقد كتب مجموعة منهم كتاباً لعثمان ذكروا فيه ما خالف فيه سنة الرسول وسنة أبي بكر وعمر؛ منها: هبته خمس أفريقاً لمروان بن الحكم وفيه حق الله ورسوله وقد بنى بها مروان القصور بالمدينة، بناء الأبنية المرتفعة لأهله وبناته، تعيينه الولاة من بني عمومته الأمويين وفيهم غلمان وأحداث صغار ممن لا صحبة لهم ولا سابقة ولا دراية بالأمور، صلاة الوليد (والله على الكوفة) بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران وقوله لهم: إن شئتم زدكم وتعطيل إقامة الحد عليه، اختصاص خاصته بالأقطاع والاعطيات دون سائر المسلمين، ... إلى غير ذلك. انظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٣٥.

ابن عباس للحسين، وهذا ما قاله أبو سعيد للحسين، إلخ. حتى قاضي الكوفة شريح - وأمثاله - لم يقل بإمامة يزيد وحرمة الخروج عليه كما يروجون، ولو أنه أفق بهذا هو أو غيره فقطعاً ليس برضاه وبقناعته، وإنما كان السيف على رقابهم، وهم يطلبون العافية لا أكثر، فصدر منهم ما صدر.

أيضاً: لعظمة شخصية الحسين وعلو مقامه، نجد أنّ أغليهم بما فهم من قاتلوا الحسين عليه السلام، ومنهم عمر بن سعد، وبالرغم من سماعهم ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله بحق الحسين ومقتله، لكنهم لم يكونوا يتصورون أن تصل الأمور إلى قتل الحسين، كانوا يتصورون أنّ الحسين سيستسلم وينتهي الأمر بالصلح، ولهذا مباشرة بعد أن قُتل الحسين تجد عمر بن سعد يبكي؛ لأنه عرف في أي بئر مظلم لا نهاية له قد وقع، كان ابن سعد يتصور أنّ الحسين سيقبل التفاوض معه على صلح ما ولم يجُل في مخيلته أنه سيصل الأمر به إلى قتل الحسين، بل حتى بعد بداية المعركة كانوا يرجون قتل بعض أصحاب الحسين فينكسر جيشه ويستسلم، لكن شيئاً من هذا لم يحصل. بالنتيجة، استدرجهم الأمويون وإبليس إلى جهنم، لعنهم الله جميعاً انتهى^(١).

إجراءات أموية فور تحرك الحسين (ع) نحو الكوفة:

خروج الإمام الحسين من مكة يعني تخليص ثورته المباركة من طوق الحصار الذي سعت السلطات الأموية إلى فرضه عليها في المدينة ولم تفلح، ثم في مكة وها هو الحسين يكسره ويخرج بمن معه - علناً - متوجهاً إلى العراق. ولهذا، انتاب الأمويين وسيدهم الفاسق يزيد بن معاوية القلق من هذا المسير، وبمجرد أن بلغه خبر مسير الحسين إلى العراق كتب إلى ابن زياد: (قد بلغني أنّ حسيناً قد توجه إلى العراق فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنة واقتل على التهمة، واكتب إليّ فيما يحدث)^(٢).

وبعض المؤرخين روى كتاب يزيد بالنحو التالي: (قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم وقد بلي به بلدك من

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٦؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦٦.

البلدان وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد فاحذراً أن يفوتك (١).

من جهته، فإن ابن زياد بعد أن قضى على حركة مسلم بن عقيل في الكوفة وقام بقتله مع هاني بن عروة، وحبس العديد من وجوه الكوفة المؤيدين له، عمد - أيضاً - إلى تجميد حركة بعض الجيوش التي كان من المقرر تسييرها نحو الديلم وغيرها، وكان سبب صرفها عن مهمتها هو تهيتها وإعدادها للزج بها في الحرب ضد الحسين عليه السلام.

روى ابن عساكر بسنده: (شهاب بن خراش عن رجل من قومه قال: كنت في الجيش الذي بعثهم عبيد الله بن زياد إلى حسين بن علي وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم فصرفهم عبيد الله بن زياد إلى حسين بن علي) (٢).

وأيضاً: (بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية، ونظم الخيل بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقطانة. وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق) (٣). (وكان عبيد الله بن زياد أمراً فآخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج) (٤).

وقال الدينوري: (ثم إن ابن زياد وجه بالحصين بن نمير - وكان على شرطه - في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، وأمره أن يقيم بالقادسية إلى القطقطانة، فيمنع من أراد

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٢. قوله: "والارجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد" يقصد به ما أشرنا له سابقاً من أن زياد ولد على فراش عبيد الثقفي زوج البغية سمية، وأن أبا سفيان لما ذهب للطائف طلب بغية فأتى له بسمية فزنى بها، ووضعت ولدها الفاجر زياد بعد فترة تناسب لحوقه بأبي سفيان ولكنها لا زالت على ذمة زوجها عبيد، ولاحقاً قام معاوية باستلحاقه به ونسبه لأبي سفيان واعتبره أحاً له.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢١٥.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦٩ - ٧٠. القادسية: موضع في العراق على أطراف الكوفة، انظر: معجم البلدان، الحموي: ٤ / ٢٩١. خفان: موضع في العراق قرب القادسية، انظر: معجم البلدان: ٢ / ٣٧٩. القطقطانة: موضع قرب الكوفة، كان به سجن النعمان بن المنذر، انظر: معجم البلدان: ٤ / ٣٧٤.

وهذه المواضع كلها تقع على طريق الحج بين مكة والكوفة.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٥: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٢ - ٧٠. واقصة: هي موضع في طريق مكة إلى العراق، انظر: معجم البلدان: ٥ / ٣٥٤.

النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز إلا من كان حاجاً أو معتمراً ومن لا يتهم بممالة الحسين (١).

واضح أنّ السلطة الأموية بالكوفة دخلت حالة الإنذار القصوى - فإضافة إلى تأمين داخل الكوفة - نشرت قطعاتها الأمنية على أطراف الكوفة وفي الطرق الرئيسية والفرعية المؤدية من وإلى الكوفة، وكذلك: تمركز قسم منها في المنازل التي يمر بها المسافرون بين مكة والحجاز، فصار من الصعب اجتياز كل هذه الخطوط الأمنية والوصول إلى الكوفة أو الخروج منها، ولذلك - كما سيتضح - تمكّنت هذه القوات من إلقاء القبض على عبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوي (رسولا الحسين إلى أهل الكوفة) بالرغم من أنّ الصيداوي أسدي كوفي، وأكد أنه على علم ودراية بجغرافية الكوفة والمناطق المحيطة بها، لكنه مع هذا لم يتمكن من اجتياز تلك الخطوط الأمنية.

كانت هذه - باختصار - الإجراءات الأمنية، ويظهر فيها قرار قتل الإمام الحسين واضح للعيان متمثلاً بمرسوم اللعين يزيد الذي أرسله إلى واليه الخبيث ابن زياد، ومعضوداً بما كتبه واليه على مكة والمدينة: عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق أيضاً، فقد كتب إلى ابن زياد كتاباً يشبه في مضمونه ما ذكره يزيد، جاء فيه: (أما بعد، فقد توجه إليك الحسين وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترق كما تسترق العبيد) (٢).

وإذا عرفنا هذا، فلا قيمة لما ينقله بعض المؤرخين من أنّ بعض الأمويين - مروان بن الحكم تحديداً - كتب كتاباً لابن زياد يحذّره فيه من قتل الحسين، إذ روى: (كتب مروان إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الحسين بن علي قد توجه إليك وهو الحسين بن فاطمة وفاطمة بنت رسول الله وبالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين فأياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره والسلام) (٣).

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٣. ممالة: أي مساعدة ومسايرة.

٢- تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢١٢: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٧٨: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٤.

٣- المصادر السابقة.

ونحن بإحاطتنا بالمباحث المتقدمة يمكننا الحكم على مثل هذه الروايات بالكذب؛ وسبب قطعنا بكذبها هو أنّ مروان ليس فقط ما أحب الحسين يوماً، بل لأنه يرى أنّ قتله قد تأخر كثيراً؛ فقد اقترح على والي المدينة السابق (الوليد بن عتبة) أن يقتله في نفس مجلس رفضه البيعة ليزيد ولا يمهل إطلاقاً كما تقدمت الإشارة لذلك، ولا شك أنّ الهدف من هذا الاختلاق والكذب هو محاولة تلميع صورة الأمويين القدرة والتخفيف من وطأة جريمتهم التي أقدموا عليها؛ والتي لا يبقى من إسلام الراضي بها ذرة ولا من دينه قيد شعرة؛ فضلاً عمّن كان سبباً أو مشاركاً فيها!

نعم، روي أنّ الوليد بن عتبة أرسل كتاباً إلى ابن زياد جاء فيه: (أما بعد! فإن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة ابنة رسول الله، فاحذريا بن زياد أن تبعث إليه رسولا فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاص والعام، والسلام) ^(١).

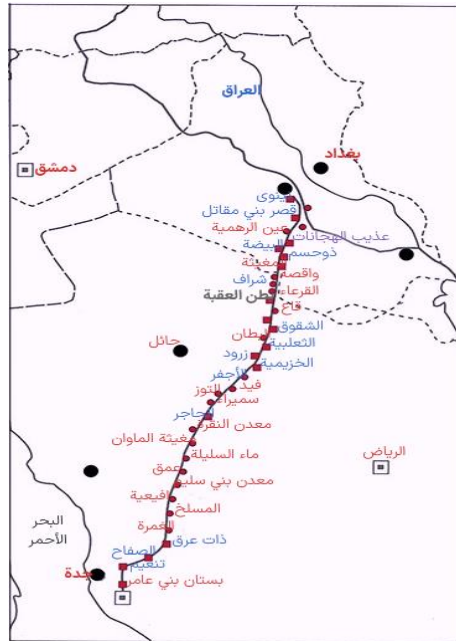
أقول: إن ثبت هذا الأمر تاريخياً فمن الممكن تصور صدوره من الوليد بن عتبة، ليس لحبه بالحسين واحترامه للرسول وابتنته فاطمة صلوات الله عليهم، بل من أجل الحفاظ على ملك بني أمية وعدم زواله، ولذلك رأيناه يحذر ابن زياد من تهيج الخاص والعام ولم يكن نظره منصباً على عذاب الله والآخرة أصلاً، وقد قلت سابقاً: إنّ تيارين كان يتجاذبان الأمويين في كيفية التعامل مع الحسين، يتبنّى الأول منهما رفض المواجهة العلنية معه؛ خشية من تأليب الأمة على بني أمية وضياع مملكتهم بالنهاية، وهو رأي معاوية وبعض ولاته مثل: ابن أخيه الوليد بن عتبة والنعمان بن بشير كما لاحظنا، لكن بعد موت معاوية رجحت كفة التيار الثاني الذي يرى ضرورة التخلص من الحسين مهما كلف الأمر ولو من خلال مواجهة وإبادة جماعية علنية، وهو رأي يزيد ومروان بن الحكم وسعيد بن عمرو بن العاص وابن زياد.

مسيرة الركب الحسيني من مكة إلى كربلاء:

الزمان: ٨ ذو الحجة سنة ٦٠ هـ – ٢ محرم سنة ٦١ هـ

الفترة التي قضاها الركب الحسيني في مسيره من مكة إلى كربلاء كانت ٢٤ يوماً تقريباً (٨ ذو الحجة – ٢ محرم) طوى فيها المنازل (محطات استراحة المسافرين) الواقعة على الطريق، وقد صادف الإمام الحسين خلال هذه المسيرة عدة أحداث، منها:

- لقاء الإمام الحسين بالعديد من الناس.
- تفرق أغلب من بايعه في مكة أو في مسيره إلى العراق عنه خلال مراحل الطريق.
- التحاق كثير من أنصاره الحقيقيين به.
- أحداث وقضايا مهمة حصلت في الطريق.
- وسنحاول أن نجعل ترتيب الأحداث بحسب منازل الطريق كما في الخريطة أدناه.



خريطة مسير الإمام الحسين (مكة – كربلاء) والمنازل التي مر بها

فئات صادفها الحسين (ع) في المسير:

صادف الحسين عليه السلام عيّنة من الناس التي تحسب على أتباعه ومحبيه سواء كانوا ممن كاتبه أو لم يكاتبه لكنهم خذلوه ولم ينصروه، وصادف - أيضاً - عيّنة كبيرة تقدر بالآلاف الناس التي بايعته ثم انصرف أغلبها عنه بعد علمهم بأنه مقتول لا محال، وصادف - ثالثاً - عيّنة من عموم الناس الآخرين الذين كانوا يعيشون في الكوفة ويعملون في سلك السلطة الأمني كالحرب بن يزيد الرياحي وجيشه الذين اعترضوه وجعجعوا به وعياله وأنزلوه في كربلاء، وصادف - كذلك - أنصاره الحقيقيين الذين التحقوا به في مواطن عديدة، وسأستعرض الآن الفئتين الأوليين و أفرد الحديث لاحقاً عن الفئتين الآخرين:

فئة المحبّين الخاذلين:

هذه بعض أمثلتها:

١- الفرزدق "همام بن غالب التميمي البصري" الذي التقاه الإمام في "الصفاح".

روى الطبري عنه: (قال: حججت بأمي فأنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج وذلك في سنة ٦٠ إذ لقيت الحسين بن علي خارجاً من مكة معه أسيافه وتراسه فقلت: لمن هذا القطار؟ فقل: للحسين بن علي فأتيته فقلت: بأبي وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج فقال: لو لم أعجل لأخذت قال: ثم سألتني ممن أنت فقلت: له امرؤ من العراق.. فقال: أخبرني عن الناس خلفك قال فقلت له: القلوب معك والسيوف مع بني أمية والقضاء بيد الله قال فقال لي: صدقت ^(١) ... قال: ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم وهيئته حسنة فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص فسألني فأخبرته بلقاء الحسين بن علي فقال لي: ويلك فهلا اتبعته فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح

١- وفي رواية الشيخ المفيد: "قال: صدقت، لله الأمر، وكل يوم ربنا هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريره، فقلت له: أجل، بلغك الله ما تحب وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من ندور ومناسك فأخبرني بها، وحرك راحلته وقال: السلام عليك ثم افترقنا" الإرشاد: ٢ / ٦٧ - ٦٨.

فيه ولا في أصحابه قال: فهمت والله أن ألحق به ووقع في قلبي مقالته ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصددني ذلك عن اللحاق بهم فقدمت على أهلي بعسفان قال: فوالله إني لعندهم إذ أقبلت عير قد امتارت من الكوفة فلما سمعت بهم خرجت في آثارهم حتى إذا أسمعهم الصوت وعجلت عن إتيانهم صرخت بهم ألا ما فعل الحسين بن علي قال فردوا عليّ ألا قد قتل قال فانصرفت وأنا ألعن عبد الله بن عمرو بن العاص^(١).

وما فعله الفرزدق من عدم نصرة الحسين بسبب الخوف كان هو النهج السائد بين أغلب الأتباع والمحبين في العراق وخارجه.

قول الإمام: "صدقت" تعقيباً على قول الفرزدق: "القلوب معك والسيوف مع بني أمية" يؤكد علمه بالمصير والمآل وخذلان أهل الكوفة له.

٢- بشر بن غالب الأسدي، التقاه الإمام الحسين عليه السلام في "ذات عرق"^(٢)، فقال له الحسين: ممن الرجل؟ قال: رجل من بني أسد، قال: فمن أين أقبلت يا أخا بني أسد؟ قال: من العراق، فقال: كيف خلّفت أهل العراق؟ قال: يا بن بنت رسول خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية! فقال له الحسين: صدقت يا أخا العرب! إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال له الأسدي: يا بن بنت رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: "يوم ندعو كل أناس بإمامهم". فقال الحسين: نعم يا أخا بني أسد! هم إمامان: إمام هدى دعا إلى هدى، وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة. فهدى من أجابه إلى الجنة، ومن أجابه إلى الضلالة دخل النار^(٣).

أقول: قول الإمام: "صدقت" تعقيباً على قول بشر بن غالب: "القلوب معك والسيوف مع بني أمية" يؤكد - أيضاً - علمه بخذلان أهل الكوفة له والمصير الذي سينتهي إليه صلوات الله عليه. وبالنسبة إلى بشر بن غالب، فهو بالرغم من اعتقاده بأهل البيت

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٠ - ٢٩١. وممن روى لقاء الفرزدق بالحسين عليه السلام في الصفاح: البلاذري في أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧٦؛ والدينوري في الأخبار الطوال: ٢٤٥؛ وابن الأثير في الكامل في التاريخ: ٣ / ٤٠٢.

٢- أحد المنازل على طريق الحج، يبعد عن مكة ٩٢ كم تقريباً.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٦٩ - ٧٠.

عليهم السلام وروايته عنهم روایات عديدة في إمامتهم وحيّهم وقائهم وغير ذلك إلا أنه لم ينصر الحسين وتركه وانصرف عنه^(١).

٣- عبد الله بن مطيع العدوي، التقاه الحسين عليه السلام بـ "بطن الرمة"^(٢) وهو منصرف من العراق، (فسلم على الحسين، وقال له: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، ما أخرجك من حرم الله وحرم جدك؟ فقال: إن أهل الكوفة كتبوا إلي يسألوني أن أقدم عليهم لما رجوا من إحياء معالم الحق، وإماتة البدع. قال له ابن مطيع: أنشدك الله أن تأتي الكوفة، فوالله لن أتيتها لتقتلن. فقال الحسين عليه السلام: "لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا". ثم ودعه ومضى)^(٣).

وفي رواية المفيد والطبري وابن الأثير أن ابن مطيع قال: (أذكرك الله يا بن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض نفسك لبني أمية. فأبى الحسين عليه السلام إلا أن يمضي)^(٤).

واضح أن ابن مطيع رجل قومي (بالتعبير السياسي الحديث)، لذا كان يهّمه جداً سمعة العرب وقريش وحرمة الإسلام العربي القرشي أكثر من سفك دم الحسين نفسه! مع ملاحظة أن ابن مطيع كان قد التقى الإمام عند خروجه من المدينة باتجاه مكة ورأينا في ذلك اللقاء أن همة كان عذوبة ماء بئر ومنفعته الشخصية لا أكثر، وسيوضح حاله أكثر في البحوث القادمة؛ باعتبار أنه التحق بابن الزبير وولاه الكوفة وواجه حركة المختار الثقفي مستيعناً بقتلة الحسين عليه السلام أمثال الشمروشبث بن ربعي وغيرهم!

١- هذا مثال لما رواه بشر بن غالب، قال: "حدثني الحسين بن علي عليهما السلام، قال: قال لي: يا بشر بن غالب، من أحبنا لا يحبنا الله جننا نحن وهوكهاتين، وقدرين سبائتيه، ومن أحبنا لا يحبنا إلا للدنيا فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر" المحاسن، البرقي: ٦١ / ١.

٢- منزل لأهل الكوفة والبصرة إذا ساروا إلى مكة، يقع في عالية نجد.

٣- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٦.

٤- تاريخ الطبري: ٣ / ٣٠١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٤١.

٤- عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الأسديان الكوفيان، كان قد قدما إلى الحج وبعد إتمام مناسكهما أسرعاً بالرجوع لكي يلحقا الحسين وينظرا ماذا يصنع، فلحقاه قرب "زروذ"^(١)، وكانا قد صادفا في طريقهما رجل أسدي كوفي أيضاً اسمه بكير بن المثعبة، عدل عن الطريق لما رأى الحسين حتى إن الإمام وقف ليسأله لكنه تركه ومضى لما رآه عدل عنه. عموماً، أوقفنا الأسديان هذا الرجل وتعرفا عليه وعلمنا منه بمقتل مسلم وهاني في الكوفة، ثم استمرا بمسيرة الحسين حتى نزل "الثعلبية"، فأتيا إليه وأخبراه بمقتل مسلم وهاني، (فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما فردد ذلك مراراً فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصرو ولا شيعة بل نتخوف أن تكون عليك قالوا: فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير قالوا فقلنا: خار الله لك فقال: رحمكما الله)^(٢).

لا شك أن سلامة الحسين تهمهما: "ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت" بل نتخوف أن تكون - أي: الكوفة - عليك"، ومع هذا فإنهما تركا نصرته وانصرفا؛ تماماً كانصرف الكوفي الثالث الذي عدل عن الحسين خوفاً؛ لئلا يحسب عليه أو تجنباً عن أن يدعوه الإمام لنصرته!

٥- أبو هرة الأزدي - أو الأسدي - الكوفي، التقاه الإمام الحسين في "الثعلبية"^(٣)، (فسلم عليه ثم قال يا ابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم جدك محمد صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: ويحك يا أبا هرة إن بني أمية أخذوا مالي وشتمو عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيافاً قاطعاً وليسلمن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سباً إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم)^(٤).

١- موضع في الطريق بين مكة والكوفة، يقع شرق مدينة حائل السعودية.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٩ - ٣٠٠: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٣ - ٧٥.

٣- منزل يقع على طريق (مكة - كوفة)، يقع إلى الشرق من مدينة حائل السعودية.

٤- مثير الأحزان، ابن نما: ٣٣.

٦- بحير بن شداد الأسدي وأخوه، قال: (مر بنا الحسين بالثعلبية فخرجت إليه مع أخي فإذا عليه جبة خضراء لها جيب في صدرها فقال له أخي: إني أخاف عليك ف ضرب بالسوط على عيبة قد حقبها خلفه وقال: هذه كتب وجوه أهل المصر) (١).

٧- عن الحكم بن عتيبة قال: (لقي رجل الحسين بن علي بالثعلبية وهو يريد كربلاء فدخل عليه فسلم عليه فقال له الحسين عليه السلام: من أي البلدان أنت فقال: من أهل الكوفة قال: يا أبا أهل الكوفة أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا ونزوله على جدي بالوحي، يا أبا أهل الكوفة مستقى العلم من عندنا أفعلموا وجهلنا هذا ما لا يكون) (٢).

٨- عمرو بن لوذان (شيخ من بني عكرمة)، التقاه الإمام الحسين بـ "بطن العقبة" (٣) فسأل الحسين: (أين تريد؟ فقال له الحسين: "الكوفة" فقال الشيخ: أنشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنّة وحد السيوف، وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل. فقال له: يا عبد الله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره، ثم قال: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم) (٤).

٩- روي أنّ رجلاً من بني عكرمة أيضاً لقي الحسين في "بطن العقيق" (٥) فسلم عليه وأخبره بأنّ ابن زياد نشر الخيل والرجال ما بين (القادسية إلى العذيب) (٦) رصداً له. ثمّ قال له: (انصرف بنفسني أنت فوالله ما تسير إلا إلى الأسنّة والسيوف، ولا تتكلنّ على الذين

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢١٦.

٢- بصائر الدرجات، الصفار: ٣٢.

٣- أحد المنازل الواقعة على طريق (مكة - كوفة)، يقع على مقربة من الحدود العراقية السعودية حالياً.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٦.

٥- موضع على طريق (مكة - كوفة) يقع بالقرب من "ذات عرق": الموقع الذي يحرم منه أهل العراق للحج.

٦- القادسية: قرية على مقربة من الكوفة من جهة البرية بينها وبين العذيب عدة أميال.

كتبوا لك، فإن أولئك أول الناس مبادرة إلى حريك. فقال له الحسين عليه السلام: "قد ناصحت وبالغت فجزيت خيراً". ثم سلم عليه ومضى^(١).

١٠- عن يزيد الرشك قال: (حدثني من شافه الحسين قال: رأيت أبنية مضروبة للحسين، فأتيت فإذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه، فقلت: بأبي وأمي يا ابن رسول الله! ما أنزلك هذه البلاد والفلاة؟ فقال: هذه كتب أهل الكوفة إليّ، ولا أراهم إلا قاتلي، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا الله حرمة إلا انتهكوها، فيسلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة يعني مقنعتها)^(٢).

١١- عبيد الله بن الحر الجعفي، التقاه الإمام الحسين في "قصر بني مقاتل أو القطقطانة"^(٣)، إذ (نظر إلى فسطاط مضروب، فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال: أيها الرجل، إنك مذهب خاطئ^(٤) وإن الله عزوجل أخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه، فتنصرني ويكون جدي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى. فقال: يا بن رسول الله، والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك، فوالله ما ركبته قط وأنا أروم شيئاً إلا بلغت، ولا أراذني أحد إلا نجوت عليه، فدونك فخذ. فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه، ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنت متخذ المضلين عضداً، ولكن فر، فلاننا ولا علينا، فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبننا، كبه الله على وجهه في نار جهنم)^(٥).

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٨.

٢- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٥ - ٣٠٦.

٣- قصر بني مقاتل والقطقطانة مواضع قريبة من الكوفة تقع على طريق الحج.

٤- روي أنّ عبيد الله بن الحر كان عثمان العقيدة، ولذلك حارب علياً عليه السلام في صفين، وروى الطبري أنه كان يقطع الطرق وينهب الأموال، انظر: مقتل الحسين، المقرم: ١٨٨.

٥- الأمالي، الصدوق: ٢١٩؛ الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٧٤؛ وفيه: أنّ ابن الحر قال: "والله يا بن بنت رسول الله! لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشدهم على عدوك، ولكني رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سيوفهم". الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥١، وفيه: أن ابن الحر قال: "والله إني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة ولكن ما عسى أن أغني عنك!"

١٢- عن عمرو بن قيس المشرقي قال: (دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل فسلمنا عليه فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك فقال: خضاب والشيب إلينا بني هاشم يجعل ثم أقبل علينا فقال: جئتما لنصرتي؟ فقلت: إني رجل كبير السن كثير الدين كثير العيال وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون وأكره أن أضيع أمانتي وقال له ابن عمي مثل ذلك قال لنا: فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا ترياً لي سواداً فإنه من سمع واعينا أوراى سوادنا فلم يجبنا ولم يعنّا كان حقاً على الله عزوجل أن يكبّه على منخرية في النار) (١).

١٣- عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي قال: (قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه فردّ علينا ورحّب بنا وسألنا عمّا جئنا له فقلنا: جئنا لنسلم عليك وندعو الله لك بالعافية ونحدث بك عهداً ونخبرك خبر الناس وإنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حريك فررأيك فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل قال: فتذمّمنا وسلمنا عليه ودعونا الله له قال: فما يمنعكما من نصرتي فقال مالك بن النضر: عليّ دين ولي عيال فقلت له: إنّ عليّ ديناً وإنّ لي لعيالاً ولكنك إن جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً قال: قال فأنت في حل فأقمت معه) (٢).

أقول: هذه الحادثة وإن كانت قد حصلت بعد نزول الحسين عليه السلام في كربلاء وتحديدًا في ليلة العاشر من المحرم بعد أن طلب الإمام من ابن سعد وجيشه أن يمهّلوه لصباح يوم عاشوراء، لكنني ألحقتها هنا؛ لأنّ فيها خذلان أيضاً، فأما مالك بن النضر فخذلانه واضح، وأما الضحّاك بن قيس فهو اشترط على الإمام أن ينصره ما دام في نصرته فائدة وإلا انصرف عنه، والإمام قبل شرطه رحمة به، وفعلاً التحق بالإمام وقاتل معه صباح يوم عاشوراء وصلى خلف الإمام صلاة الظهر ثم انصرف عن القتال بعد ذلك، وستأتي قصته لاحقاً.

١- ثواب الأعمال، الصدوق: ٢٦٠.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٧ - ٣١٨.

فئة العاشرين الدنيويين المنصرفين:

أعني بهم: من التحق بالحسين عليه السلام؛ سواء أيام تواجده في مكة أو أثناء مسيره منها إلى العراق، لكنه انصرف عنه ولم يبقَ معه إلى يوم عاشوراء، وهم كثيرون بلغوا ألوفاً لكنهم تفرّقوا عنه لما رأوه ينعى نفسه وعلموا بأنه مقتول ولا دنيا وراءه كانوا يتأملونها من خروجهم معه!

روى الطبري بسنده: (عن بكر بن مصعب المزني قال: كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه) ^(١).

وروى أيضاً: إنّ الإمام الحسين لما بلغ "زبالة" ^(٢) (أخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطروقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فليانصرف ليس عليه منا ذمام قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الاعراب لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه) ^(٣).

وقال الدينوري: (وقد كان صحبه قوم من منازل الطريق، فلما سمعوا خبر مسلم، وقد كانوا ظنوا أنه يقدم على أنصار وعضد تفرّقوا عنه، ولم يبق معه إلا خاصته) ^(٤).

وروى القندوزي خطبة للإمام الحسين في "زبالة" بالنحو التالي: (ثم سار حتى أتى موضعاً يقال له "زبالة" فنزل وخطب وقال: "أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٠.

٢- موضع على طريق الحج بين مكة والكوفة، تقع بالقرب من الثعلبية ومدينة رفحاء السعودية حالياً.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٠ - ٣٠١.

٤- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٨.

السيف وطعن الأسنة فليقم معنا وإلا فلينصرف عنا" فجعل القوم يتفرقون، فلم يبق إلا أهل بيته ومواليه، وهم نيف وسبعون رجلاً، وهم الذين خرجوا معه من مكة^(١).

واضح أنّ الإمام الحسين يغربل من التحقق به حتى لا يبقى إلا من كان صادقاً وطالباً نصرة دين الله حقيقة؛ ولأنه يعلم تماماً أنّ مقام "نصرة الحسين" لا يستحقه كل أحد، وأنّ الشهادة والفتح (ثمرتا الحقوق بالحسين كما جاء في كلامه) لا ينالهما إلا ذو حظ وتوفيق إلهي عظيم.

وأيضاً: كان الحسين عليه السلام يريد أصحاباً وأنصاراً يعلمون جيداً على ماذا يُقدّمون، ولهذا قال في خطبته في آخر ليلة في مكة: "من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا"^(٢)، وقال في خطبته في زبالة: "فمن كان منكم يصبر على حد السيف وطعن الأسنة فليقم معنا وإلا فلينصرف عنا".

وأيضاً: كان الإمام الحسين ينعى نفسه في مواطن عديدة أمام جموع الملتحقين به، وهذه وسيلة أخرى للتمييز والغربة، فمثلاً: قال في خطبته المكية الشهيرة: "كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً".

وأيضاً: عن الإمام الصادق قال: "لما صعد الحسين بن علي عليهما السلام عقبة البطن قال لأصحابه: ما أراني إلا مقتولاً، قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله، قال: رؤيا رأيته في المنام، قالوا: وما هي قال: رأيت كلاباً تنهشني أشدها عليّ كلب أبقع"^(٣).

عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: "خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل"^(٤).

١- ينابيع المودة، القندوزي: ٦٢/٣.

٢- مثير الأحزان، ابن نما: ٢٩. العوالم - الامام الحسين، عبد الله البحراني: ٢١٦ - ٢١٧.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

٤- الإرشاد، المفيد: ١٣٢/٢.

وبالتأكيد، فإنّ هذا الكلام الذي ينمى به الحسين نفسه له أثر كبير في تمييز أنصار الدين والآخرة عن أنصار الدنيا والملذات، ويكون نفس كلام الإمام سبباً في صرف الملتحقين الدنيويين وسبباً أيضاً في إعداد الملتحقين الأخريين (أهل الآخرة) لنيل الشهادة والفتح الإلهي الموعود. والحقيقة، فإنّ جميع الخاذلين للحسين عليه السلام سواء هؤلاء المنصرفين أو الفئة التي سبقتهم لا يستحقون مقام "نصرة الحسين" ونيل الشهادة والفتح، فهو مقام إلهي عظيم ولا يناله إلا ذو حظ وتوفيق إلهي عظيم.

اللاحقون بالحسين (أنصار الحسين):

من حظي بشرف نصرة الحسين ونيل الشهادة والفتح معه؛ سواء من أهل بيته أو غيرهم، صفوة قليلة مختارة. وبالنسبة لأهل بيته فكلهم التحقوا به بالمدينة عدا عون ومحمد ولدا عبد الله بن جعفر فروي أنهما التحقا به بعد خروجه من مكة. وأما سواهم من سائر الأنصار فمنهم: من التحق به في المدينة وأطرافها، ومنهم: من التحق به في مكة، ومنهم: من التحق به أثناء مسيره إلى كربلاء، ومنهم: من التحق به بعد نزوله في كربلاء، ومنهم: من التحق به يوم عاشوراء. وقد اعتمدت الإحصاء الذي ذكره الشيخ محمد طاهر السماوي رحمه الله (ت: ١٩٥٠ م) صاحب كتاب "إبصار العين في أنصار الحسين": رافداً كل اسم بترجمة مختصرة له في الهامش لغرض الفائدة.

من التحق بالحسين (ع) من أهل بيته:

- ١- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١).
- ٢- عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢).

١- يلقب بالأكبر؛ لأنه أكبر ولد الحسين، يكتى أبا الحسن، ولد في أوائل خلافة عثمان، وقيل: سنة ٣٣ هـ، وأمه ليلي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان، ولذلك كان معاوية يقول: "أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين جده رسول الله، وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أمية وزهو ثقيف". وصفه أبوه الحسين بأنه أشبه الناس برسول الله خلقاً وخلقاً ومنطقاً وقال بعد مقتله: "على الدنيا بعدك العفا"، وكان أول من قُتل بالطف من بني هاشم بعد أنصار الحسين. انظر: إبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ٤٩ - ٥٢.

٢- المعروف بعبد الله الرضيع، ولد في المدينة، وأمه الرباب بنت امرئ القيس أم سكينه بنت الحسين.

- ٣- العباس بن علي بن أبي طالب (١).
- ٤- عبد الله بن علي بن أبي طالب (٢).
- ٥- عثمان بن علي بن أبي طالب (٣).
- ٦- جعفر بن علي بن أبي طالب (٤).
- ٧- أبو بكر محمد بن علي بن أبي طالب (٥).
- ٨- أبو بكر بن الحسن بن علي (٦).
- ٩- القاسم بن الحسن بن علي (٧).

١- ولد سنة ٢٦ هـ، وأمه أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية التي ولدته أولاً ثم بعده عبد الله ثم جعفر ثم عثمان. يلقب بقمر بني هاشم ويكنى أبا الفضل، عاش مع أبيه أربع عشرة سنة وحضر معه بعض حروبه، ثم مع أخيه الحسن أربعاً وعشرين سنة، ومع أخيه الحسين أربعاً وثلاثين سنة وهي مدة عمره. كان شجاعاً فارساً وسيماً جسيماً، يقول الإمام الصادق في وصفه: "كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً". وقال الإمام علي بن الحسين: "رحم الله العباس فلقد أثرو أبلي، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده، فأبدله الله عز وجل منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب. وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة". كان يلقب بالسقاء، وهو حامل لواء الحسين يوم عاشوراء. انظر: إِبصار العين: ٥٦ - ٦١. ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين المواسي أخاه بنفسه، الأخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يده، لعن الله قاتليه يزيد بن الرقاد الحيتي وحكيم بن الطفيل الطائي" انظر: إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٤.

٢- ولد سنة ٣٤ هـ، وأمه أم البنين؛ فاطمة بنت حزام، بقي مع أبيه ست سنين ومع أخيه الحسن ست عشرة سنة ومع الحسين خمساً وعشرين سنة مدة عمره، قتله هاني بن ثابت الحضرمي. انظر: إِبصار العين: ٦٧ - ٦٨.

٣- ولد سنة ٣٦ هـ، وأمه أم البنين؛ فاطمة بنت حزام. بقي مع أبيه نحو أربع سنين ومع أخيه الحسن أربع عشرة سنة ومع الحسين ثلاث وعشرين سنة مدة عمره. روي عن علي عليه السلام: "إنما سميت عثمان بعثمان بن مظعون أخي"، رماه خولي بن يزيد الأصبجي بسهم، ثم جاءه رجل من بني أبان بن دارم فقتله. انظر: إِبصار العين: ٦٨.

٤- ولد سنة ٣٨ هـ، وأمه أم البنين؛ فاطمة بنت حزام، في مع أبيه نحو سنتين ومع أخيه الحسن نحو اثنتي عشرة سنة ومع الحسين إحدى وعشرين سنة مدة عمره، وروي أن علياً عليه السلام سمّاه باسم أخيه جعفر، قتله خولي بن يزيد الأصبجي. انظر: إِبصار العين: ٦٩ - ٧٠.

٥- اسمه محمد الأصغر أو عبد الله، أمه ليلي بنت مسعود، قيل: قتله زجر بن بدر النخعي. انظر: إِبصار العين: ٧٠.

٦- أمه أم ولد يقال اسمها رملة، قتله عبد الله بن عقبة الغنوي. انظر: إِبصار العين: ٧١.

٧- أخو أبو بكر، أمه رملة، قتله عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي. انظر: إِبصار العين: ٧٢.

- ١٠- عبد الله بن الحسن بن علي (١).
- ١١- عون بن عبد الله بن جعفر (٢).
- ١٢- محمد بن عبد الله بن جعفر (٣).
- ١٣- مسلم بن عقيل بن أبي طالب (٤).
- ١٤- عبد الله بن مسلم بن عقيل (٥).
- ١٥- محمد بن مسلم بن عقيل (٦).
- ١٦- محمد بن أبي سعيد بن عقيل (٧).
- ١٧- عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب (٨).
- ١٨- جعفر بن عقيل بن أبي طالب (٩).

-
- ١- أمه بنت الشليل بن عبد الله البجلي، وهو الطفل الذي جاء إلى عمه الحسين في آخر المعركة بعد أن سقط وأحاط به الأعداء، وأرادت عمته زينب حبسه فأبى وامتنع وقال: "والله لا أفارق عمي"، قتله حرمله بن كاهل الأسدي. انظر: إِبصار العين، السماوي: ٧٣ - ٧٤.
 - ٢- أمه العقيلة زينب بنت علي، بعثه أبوه عبد الله بن جعفر مع أخيه محمد فلحقا بالحسين عليه السلام في وادي العقيق بعد خروجه من مكة إلى العراق، قتله عبد الله بن قطنه الطائي. انظر: إِبصار العين: ٧٥ - ٧٦.
 - ٣- أمه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف، قتله عامر بن نهشل التميمي. انظر: إِبصار العين: ٧٧.
 - ٤- أمه أم ولد اسمها عليّة، ثقة الحسين عليه السلام ورسوله إلى أهل الكوفة، وقد مضى ذكر مقتله صلوات الله عليه، فراجع.
 - ٥- أمه رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام، حمل على القوم ثلاث حملات وقتل منهم ثمانية وتسعين رجلاً، ثم رماه عمرو بن صبيح فقتله. انظر: إِبصار العين: ٨٩ - ٩٠.
 - ٦- أمه أم ولد، قتله أبو مرهم الأزدي ولقيط بن أياس الجهمي. انظر: إِبصار العين: ٩٠ - ٩١.
 - ٧- أمه أم ولد، غلام صغير قتل بعد مصرع الحسين، فلما تصارخ العيال خرج مذعوراً بباب الخيمة ممسكاً بعمودها وجعل يتلفت، فقتله لقيط بن أياس الجهمي أو هاني بن ثبيت الحضرمي. انظر: إِبصار العين: ٩١، ٢٢٢.
 - ٨- أمه أم ولد، قتل سبعة عشر فارساً ثم قتله عثمان بن خالد بن أشيم الجهمي وبشر بن حوط الهمداني. انظر: إِبصار العين: ٩١ - ٩٢.
 - ٩- أمه الحوصاء بنت عمرو، قتل خمسة عشر رجلاً من القوم ثم قتله بشر بن حوط قاتل أخيه عبد الرحمن. انظر: إِبصار العين: ٩٢.

من التحقق بالحسين (ع) في المدينة:

- ١٩- عبد الله بن يقطر الحميري (١).
- ٢٠- سليمان بن رزين، مولى الحسين بن علي (٢).
- ٢١- أسلم بن عمرو، مولى الحسين بن علي (٣).
- ٢٢- قارب بن عبد الله الدثلي، مولى الحسين بن علي (٤).
- ٢٣- منجج بن سهم، مولى الحسن بن علي (٥).
- ٢٤- سعد بن الحرث، مولى علي بن أبي طالب (٦).
- ٢٥- نصر بن أبي نيزر، مولى علي بن أبي طالب (٧).
- ٢٦- الحرث بن نهمان، مولى حمزة بن عبد المطلب (٨).

-
- ١- أخو الإمام الحسين بالرضاعة، التحق بالإمام وخرج معه من المدينة، أرسله الإمام إلى مسلم بن عقيل بالكوفة قبل خروجه من مكة بعد أن بلغه كتاب مسلم بالقدوم إلى الكوفة وبيعة أهلها له، فقبض عليه الحصين بن تميم وأرسله إلى ابن زياد فأمر به فرمي من أعلى القصر. انظر: إِبصار العين، السماوي: ٩٣.
 - ٢- التحق بالحسين وخرج معه من المدينة، أول شهداء الثورة الحسينية، أرسله الحسين أيام تواجده في مكة إلى أشراف أهل البصرة بكتاب يحثهم فيه على نصرته، وكان المنذر بن الجارود أحدهم، وكانت ابنته "بحرية" تحت عبيد الله بن زياد، فأخبر ابن زياد بالأمر فألقى عليه القبض وأمر بقتله وكان ذلك قبل مسير ابن زياد إلى الكوفة. انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٢٨٠.
 - ٣- كان أبوه تركياً، لازم الحسين من المدينة حتى كربلاء وقاتل معه ولما صرع كان به رمق فجاءه الحسين واعتنقه ووضع خده على خده فتبسم وقال: من مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي ثم فاضت نفسه الطاهرة. انظر: إِبصار العين: ٩٥ - ٩٦.
 - ٤- خرج مع الحسين من المدينة إلى كربلاء واستشهد معه قبل ظهر عاشوراء. انظر: إِبصار العين: ٩٦.
 - ٥- خرج من المدينة مع ولد الحسن، واستشهد من الحسين في كربلاء. انظر: إِبصار العين: ٩٦.
 - ٦- كان مولى لأُمير المؤمنين ثم انضم للحسن ثم الحسين عليهم السلام، خرج معه من المدينة إلى مكة ثم كربلاء واستشهد في الحملة الأولى. انظر: إِبصار العين: ٩٦.
 - ٧- أبوه من أولاد ملوك العجم، أهدى إلى الرسول ثم صار إلى أمير المؤمنين، ثم بعد الحسن انضم نصر إلى الحسين وخرج معه من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء واستشهد في الحملة الأولى. انظر: إِبصار العين: ٩٧.
 - ٨- كان نهمان مولى لحمزة، ثم انضم ابنه "الحرث" إلى الحسين بعد أمير المؤمنين، خرج معه من المدينة إلى كربلاء واستشهد معه في الحملة الأولى. انظر: إِبصار العين: ٩٨.

٢٧- جون بن حوي، مولى أبي ذر الغفاري (١).

٢٨- عقبة بن سمعان (٢).

أما من التحق بالحسين عليه السلام بعد سيره من المدينة باتجاه مكة، فهم:

٢٩- مجمع بن زياد بن عمرو الجهمي (٣).

٣٠- عباد بن مهاجر الجهمي (٤).

٣١- عقبة بن الصلت الجهمي (٥).

من التحق بالحسين (ع) في مكة:

٣٢- عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي (٦).

٣٣- عمار بن حسان بن شريح الطائي (٧).

١- انتقل بعد أبي ذر إلى الحسن ثم الحسين، خرج مع الحسين من المدينة. جاءه يوم العاشر يستأذنه في القتال فقال له: يا جون أنت في إذن مني فإنما تبعنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقتنا، فقال: يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قضاكم وفي الشدة أخذكم! إن ربحي لنتن وإن حسي للنيم وإن لوني لأسود فتنفس علي في الجنة ليطيب ربحي ويشرف حسي ويبيض لوني، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمانكم، فأذن له الحسين واستشهد معه في الطف. انظر: إِبصار العين، السماوي: ١٧٦ - ١٧٧.

٢- مولى الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين، التحق بالإمام في المدينة، ولازمه حتى كربلاء، واسمه مذكور في زيارة الشهداء. انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٥ / ٢٤٨؛ إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٣٤٤.

٣- صحابي شهد مع الرسول بديراً وأحداً، يسكن قرب المدينة. التحق بالحسين قبل وصوله إلى مكة واستشهد معه في كربلاء. انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٦ / ٣٥٠؛ وسيلة الدارين في أنصار الحسين، الزنجاني: ١٩٣.

٤- يسكن قرب المدينة، التحق بالحسين قبل وصوله إلى مكة، واستشهد معه في كربلاء. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٣٣٨؛ شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ٢٤٨.

٥- يسكن قرب المدينة، التحق بالحسين قبل وصوله إلى مكة واستشهد معه في كربلاء. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٣٣٨؛ شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ٢٤٨.

٦- من صحابة الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، التحق بالحسين في مكة وصحبه حتى كربلاء واستشهد معه. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٠٤.

٧- عمار - أوعامر - بن حسان، صحب الحسين في مكة ولازمه حتى استشهد معه في كربلاء. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٦ / ٥؛ وسيلة الدارين في أنصار الحسين، الزنجاني: ١٦١.

٣٤- جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي (١).

٣٥- عمرو بن جنادة بن الحرث الخزرجي.

٣٦- بربر بن خضير الهمداني المشرقي (٢).

٣٧- سعيد بن عبد الله الحنفي (٣).

٣٨- قيس بن مسهر الصيداوي (٤).

٣٩- عابس بن شبيب الهمداني الشاكري (٥).

٤٠- شوذب بن عبد الله الهمداني الشاكري (٦).

٤١- الحجاج بن مسروق المذحجي الجعفي (٧).

١- صحب الحسين عليه السلام هو وعياله في مكة وجاءوا معه إلى كربلاء، واستشهد معه بالطف مع ابنه عمر بن جنادة، انظر: إبصار العين، السماوي: ١٥٨ - ١٥٩.

٢- تابعي ناسك قارئ للقرآن، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أشرف أهل الكوفة، سار من الكوفة إلى مكة فاجتمع بالحسين عليه السلام ورافقه حتى استشهد في كربلاء. انظر: إبصار العين: ١٢١.

٣- من وجوه الشيعة بالكوفة، شجاع عابد، كان آخر من أوفده أهل الكوفة برسائلهم إلى الحسين عليه السلام في مكة برفقة هاني بن هاني، ثم عادا إلى الكوفة برسالة من الحسين إلى أهلها، نصر مسلم في الكوفة وبعث معه رسالة إلى الحسين فبقي معه وجاء معه إلى كربلاء واستشهد بالطف. انظر: إبصار العين: ٢١٦ - ٢١٨.

ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على سعد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو أعلم أني أقتل ثم أحيا ثم أحرقت ثم أذرى، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك، حتىلقى حماي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي موتة أو قتلة واحدة، ثم هي بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً، فقد لقيت حمامك، وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين" إقبال الأعمال: ٣/ ٧٧.

٤- قيس بن مسهر بن خالد الأسدي الصيداوي، كان شجاعاً شريفاً مخلصاً في محبة أهل البيت عليهم السلام، رسول أهل الكوفة إلى الحسين، كما أنه الرسول بين الحسين ومسلم بين عقيل، آخر كتاب بعثه الحسين بيده لما كان في بطن الرمة فقبض عليه الحصين بن تميم (بعد مقتل مسلم) وبعثه إلى ابن زياد، فأمر به ابن زياد فأصعد القصور ورمي به من أعلاه فتقطع ومات" انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٩٧ - ٢٩٨؛ إبصار العين: ١١٢ - ١١٣.

٥- شجاع ناسك خطيب مخلص في ولانه لأمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه، نصر مسلم بن عقيل بعد قدومه إلى الكوفة، وبعث بيده كتاباً إلى الحسين "الرائد لا يكذب أهله" ويطلب منه القدوم، فبقي معه حتى جاء إلى كربلاء واستشهد مع الحسين. انظر: إبصار العين: ١٢٦ - ١٣٠.

٦- من رجال الشيعة ووجهها، كان حافظاً للحديث ومتحملاً له عن أمير المؤمنين عليه السلام، صحب مولاه عابس في الالتحاق بالحسين وهو في مكة وقدموا معه إلى كربلاء واستشهدا معه. انظر: إبصار العين: ١٢٩.

٧- شيعي كوفي صحب أمير المؤمنين عليه السلام، ولما خرج الحسين إلى مكة لحقه وصحبه وجاء معه إلى كربلاء واستشهد يوم عاشوراء. انظر: إبصار العين: ١٥١ - ١٥٣.

- ٤٢- يزيد بن مغفل المذحجي الجعفي^(١).
- ٤٣- عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني الأرحبي^(٢).
- ٤٤- الحجاج بن بدر التميمي السعدي^(٣).
- ٤٥- قعنب بن عمر النمري^(٤).
- ٤٦- يزيد بن ثبيط العبدي^(٥).
- ٤٧- عبد الله بن يزيد بن ثبيط.
- ٤٨- عبيد الله بن يزيد بن ثبيط.
- ٤٩- الأدهم بن أمية العبدي^(٦).
- ٥٠- سيف بن مالك العبدي^(٧).
- ٥١- عامر بن مسلم العبدي^(٨).
- ٥٢- سالم مولى عامر بن مسلم.

-
- ١- تابعي شيعي شاعر شجاع، من أصحاب أمير المؤمنين، شهد معه صفين وحرب الخوارج، لحق بالحسين في مكة وجاء معه واستشهد في كربلاء. انظر: إِبصار العين، السماوي: ١٥٣.
 - ٢- أوفده أهل الكوفة إلى الحسين مع قيس بن مسهر الصيداوي، ولما أرسل مسلماً إلى الكوفة أرسلهما معه، ثم عاد إلى الحسين فكان من جملة من استشهد معه في كربلاء. انظر: إِبصار العين: ١٣١ - ١٣٢.
 - ٣- بصري تميمي، جاء بكتاب يزيد بن مسعود إلى الحسين في مكة وبقي معه، واستشهد معه في كربلاء، انظر: إِبصار العين: ٢١٣.
 - ٤- من شيعة البصرة، جاء مع الحجاج السعدي إلى الحسين في مكة وانضموا إليه، وحضر الطف واستشهدا معه. انظر: إِبصار العين: ٢١٥.
 - ٥- كان شريفاً في قومه، عزم على المسير من البصرة إلى مكة للالتحاق بالحسين (فانتدب معه ابنان له عبد الله وعبيد الله فقال لأصحابه: إني قد أزمعت على الخروج وأنا خارج فقالوا له: انا نخاف عليك أصحاب ابن زياد فقال: إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لهان علي طلب من طلبني قال ثم خرج ففوى في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام فدخل في رحله بالأبطح وبلغ الحسين مجيئه فجعل يطلبه وجاء الرجل إلى رحل الحسين فقيل له قد خرج إلى منزلك فأقبل في أثره ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره وجاء البصري فوجده في رحله جالسا فقال بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال: فسلم عليه وجلس إليه فخره الذي جاء له فدعا له بخير ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه فقتل معه هو وابناه) تاريخ الطبري: ٣/ ٢٧٨؛ إِبصار العين: ١٨٩ - ١٩٠.
 - ٦- من شيعة البصرة، وفد على الحسين في مكة برفقة يزيد بن ثبيط واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٩٢.
 - ٧- من شيعة البصرة، وفد على الحسين في مكة برفقة يزيد بن ثبيط واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٩٢.
 - ٨- من شيعة البصرة، خرج مع مولاة سالم برفقة يزيد بن ثبيط وو افوا الحسين عليه السلام في مكة وقتلا معه في الطف. انظر: إِبصار العين: ١٩١.

٥٣- زاهر بن عمرو الكندي^(١).

وألحقت بهذه الفئة: من قتل مع مسلم بن عقيل بالكوفة، وهم:

٥٤- هاني بن عروة المرادي المذحجي^(٢).

٥٥- عبد الأعلى بن يزيد الكلبي^(٣).

٥٦- عمارة بن صلخب الأزدي^(٤).

من التحقق بالحسين^(٥) خلال مسيره إلى كربلاء:

كان مسير الحسين عليه السلام من مكة إلى كربلاء في الفترة الواقعة بين (٨ ذو الحجة - ٢ محرم سنة ٦١ هـ)، والملتحقون به من أنصاره في هذه الفترة، هم:

٥٧- زهير بن القين بن قيس البجلي^(٥).

١- محب لآل محمد عليهم السلام، وممن قام على زياد بن أبيه في الكوفة مع عمرو بن الحمق، حج سنة ٦٠ هـ، التقى بالحسين في مكة وصحبه وحضر معه إلى كربلاء واستشهد في الحملة الأولى، انظر: إِبصار العين: ١٧٣.

٢- صحابي معمر هو وأبوه من وجوه الشيعة، شيخ مراد وزعيمها، حضر مع أمير المؤمنين حروبه، موقفه مع مسلم بن عقيل في الكوفة معروف وقد تقدم ذكره، كان عمره يوم قتل قارب على التسعين عاماً. انظر: تنقيح المقال، المامقاني: ٢٨٨ / ٣؛ إِبصار العين: ١٣٩ فما بعد.

٣- من شيعة الكوفة، خرج مع مسلم بن عقيل، فلما تخاذل الناس عن مسلم قبض عليه وسلموه لابن زياد فحبسه، وبعد مقتل مسلم أخرجه ابن زياد إلى جبانة السبيع فقتله، انظر: إِبصار العين: ١٨٢.

٤- كوفي شيعي، ممن بايع مسلم بن عقيل وخرج معه، فلما قتل مسلم جيء به لابن زياد فأمر بقتله. انظر: إِبصار العين: ١٨٧ - ١٨٨.

٥- كوفي شجاع شريف في قومه، وافق الحسين في الطريق قرب "زروود، موضع يقع على طريق الحج يقع إلى الشرق من مدينة حائل السعودية"، والتحق به. روى ابن طاووس: إن زهير قال لزوجته: (وقد عذمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي، ثم أعطاه مالها وسلّمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودّعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام) اللهوف في قتلى الطفوف: ٣١. ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على زهيرين القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟ لا أراي الله ذلك اليوم" إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٧٨ / ٣.

- ٥٨- سلمان بن مضارب بن قيس البجلي^(١).
- ٥٩- نافع بن هلال المذحجي الجملي^(٢).
- ٦٠- أبو ثمامة الصائدي الهمداني^(٣).
- ٦١- عمرو بن خالد الأسدي الصيداوي^(٤).
- ٦٢- سعد، مولى عمرو بن خالد الصيداوي.
- ٦٣- جنادة بن الحارث المذحجي السلماني^(٥).
- ٦٤- واضح التركي مولى جنادة بن الحارث.
- ٦٥- مجمع بن عبد الله المذحجي العائذي^(٦).
- ٦٦- عائذ بن مجمع بن عبد الله العائذي.

١- ابن عم زهير بن القين، كان حاضراً معه في مكة للحج، ولما مال زهير في الطريق إلى الحسين مال معه واستشهد في الطف معه. انظر: إِبصار العين، السماوي: ١٦٩.

٢- كان سيداً شريفاً شجاعاً قارناً، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحضر حروبه، خرج إلى الحسين ولقيه في الطريق قبل مقتل مسلم بن عقيل. حضر الطف واستشهد مع الحسين. انظر: إِبصار العين: ١٤٧.

٣- عمرو بن عبد الله بن كعب الهمداني الصائدي، تابعي من وجوه الشيعة وفرسان العرب، صحب أمير المؤمنين وشهده معه مشاهده، ثم صحب الحسين. ممن كاتب الحسين ووفى له، قام مع مسلم بن عقيل لما ورد الكوفة واشترى له الأسلحة، وكان معه لما حاصر قصر ابن زياد، اختفى بعد أن خذل الناس مسلماً، خرج إلى الحسين مع نافع بن هلال الجملي فلقياه في الطريق وحضرا الطف واستشهدا معه. انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٤٦: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٨.

٤- كان شريفاً في الكوفة، مخلص الولاء لآل محمد عليهم السلام، قام مع مسلم بن عقيل، ثم اختفى بعد أن خانه أهلها فلما سمع بمقتل قيس بن مسهر خرج إلى ملاقاته الحسين مع مولاه سعد ومجمع العائذي وابنه وجنادة بن الحرث السلماني مع دليلهم الطرماح فوصلوا إلى الحسين في "عذيب الهجانات". انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥ - ٣٠٦: إِبصار العين: ١١٤ - ١١٥. وبالنسبة لمولاه سعد: فقد استشهد أيضاً.

٥- من مشاهير الشيعة ومن أصحاب أمير المؤمنين، خرج مع مسلم بن عقيل فلما رأى الخذلان اختفى ثم خرج إلى الحسين مع عمرو بن خالد الصيداوي وجماعة فمانعهم الحر الرياحي لكن الحسين أخذهم، حضر الطف واستشهد مع الحسين ومعه مولاه واضح. انظر: إِبصار العين: ١٤٤ - ١٤٥.

٦- تابعي من أصحاب أمير المؤمنين، جاء هو وابنه عائذ مع عمرو بن خالد الصيداوي والتحقوا بالحسين في "عذيب الهجانات". واستشهدوا مع الحسين في كربلاء. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥ - ٣٠٦: إِبصار العين: ١٤٥ - ١٤٦.

- ٦٧- أبو الشعثاء الكندي^(١).
 ٦٨- جندب بن حجر الكندي الخولاني^(٢).
 ٦٩- الحباب بن عامر بن كعب التيمي^(٣).

من التحقق بالحسين^(ع) بعد نزوله بكرلاء:

كان نزول الحسين عليه السلام في كربلاء في الثاني من محرم سنة ٦١ هـ، ومن التحقق به في الفترة الواقعة بين: (٢ - ٩ محرم) هم:

- ٧٠- أنس بن الحارث الأسدي الكاهلي^(٤).
 ٧١- حبيب بن مظاهر الأسدي^(٥).
 ٧٢- مسلم بن عوسجة الأسدي^(٦).

١- يزيد بن زياد بن مهاصر الكندي الهذلي، كان شريفاً شجاعاً رامياً، خرج إلى الحسين من الكوفة ولحق به قبل أن يعترضه الحر بن يزيد الرياحي، دعا له الحسين يوم عاشوراء وقال: "اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة"، استشهد مع الحسين. انظر: إِبصار العين، السماوي: ١٧١ - ١٧٢.

٢- من وجوه الشيعة وأصحاب أمير المؤمنين في الكوفة، خرج إلى الحسين وو افاه قبل اعتراض الحر الرياحي له، وجاء برفقته إلى كربلاء واستشهد معه، انظر: إِبصار العين: ١٧٤.

٣- شيعي كوفي، بايع مسلماً وخرج إلى الحسين بعد التخاذل عن مسلم، والتحق به في الطريق قبل نزوله كربلاء، فلزمه واستشهد معه، انظر: إِبصار العين: ١٩٥.

٤- صحابي كوفي كبير رأى النبي وسمع حديثه، روى عنه العامة والخاصة أنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول والحسين بن علي في حجره: إن ابني هذا يقتل بأرض من أرض العراق ألا فمن شهده فلينصره" انظر: اسد الغابة، ابن الاثير: ١/ ١٢٣؛ الإصابة، ابن حجر: ١/ ٦٨.

٥- صحابي كوفي رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحب علياً عليه السلام في حروبه كلها، كان ممن كاتب الحسين ووفى له، ولما ورد مسلم بن عقيل ناصره وأخذ من الناس البيعة للحسين، وبعد دخول ابن زياد الكوفة وقتله مسلماً وفرار أنصاره حبسته عشيرته، خرج إلى كربلاء بعد وصول الحسين لها فكان يسير بالليل ويكمن في النهار. انظر: إِبصار العين: ١٠١ - ١٠٢.

٦- صحابي رأى النبي وروى عنه، كان فارساً شريفاً عابداً، ممن كاتب الحسين ووفى له، وممن أخذ البيعة له من أهل الكوفة بعد مجيء مسلم بن عقيل، اختفى مدة بعد مقتل مسام وهاني، ثم خرج إلى الحسين لما بلغه خبر وصوله إلى كربلاء. انظر: إِبصار العين: ١٠٧ - ١٠٨.

ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القاتل للحسين وقد أذن له في الانصراف: نحن نخلي عنك، وبم نعتذر عند الله من أداء حقك، لا والله. حتى أكسرفي صدورهم رمحي هذا،

- ٧٣- حنظلة بن أسعد الهمداني الشبامي^(١).
 ٧٤- سيف بن الحرث بن سريع الهمداني الجابري.
 ٧٥- مالك بن عبد الله بن سريع الهمداني الجابري^(٢).
 ٧٦- شبيب مولى سيف ومالك الجابريان.
 ٧٧- عمار بن أبي سلامة الهمداني الدلاني^(٣).
 ٧٨- حبشي بن قيس الهمداني النهي^(٤).
 ٧٩- زياد بن عريب أبو عمرة الهمداني الصائدي^(٥).
 ٨٠- جبلة بن علي الشيباني^(٦).
 ٨١- عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي^(٧).
 ٨٢- نعيم بن العجلان الأنصاري الخزرجي^(٨).

وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتم بالحجارة، ولم أفارقك حتى أموت معك، وكنت أول من شرى نفسه، وأول شهيد شهد الله وقضى نحبه، برب الكعبة، شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك، إذا مشى إليك وأنت صريع، فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة، وقرأ: (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظروا ما بدلوا تبديلاً)، لعن الله المشتركين في قتلك: عبد الله الضبابي، وعبد الله بن خشكارة البجلي "إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٦ - ٧٧.

١- وجه من وجوه الشيعة في الكوفة، ذو لسان وفصاحة وشجاعة، التحق بالحسين بعد وصوله إلى كربلاء واستشهد معه. انظر: إِبصار العين، السماوي: ١٣٠.

٢- سيف ومالك ابنا عم وأخوين لأم، خلصا من الكوفة والتحقا بالحسين بالطف ومعهما مولاها شبيب واستشهدوا مع الحسين. انظر: إِبصار العين: ١٣٢ - ١٣٣.

٣- كان صحابياً ومن أصحاب أمير المؤمنين وشهد معه حروبه، أتى إلى الحسين بالطف واستشهد معه. انظر: الإصابة، ابن حجر: ٥ / ١١٣.

٤- صحابي حضر الطف مع الحسين واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٣٤.

٥- صحابي ناسك شجاع معروفاً بالعبادة، حضر مع الحسين بالطف واستشهد معه. انظر: تنقيح المقال، المامقاني: ١ / ٤٥٦: إِبصار العين: ١٣٥ - ١٣٤.

٦- من شجعان الكوفة، قام مع مسلم بن عقيل، ثم لحق بالحسين في الطف واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ٢١٥.

٧- كان أبوه صحابياً ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وولاه فارس، وكان عمرو أشهر أولاده، التحق بالحسين بعد نزوله كربلاء واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٥٥.

٨- كان نعيم وأخوته (النضر والنعمان) من أصحاب أمير المؤمنين في الكوفة وحضروا معه صفين، وبعد موت إخوته بقي نعيم إلى حين سماعه بنزول الحسين في كربلاء فخرج إليه واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٥٨.

- ٨٣- بشر بن عمرو بن الأحذوث الكندي^(١).
 ٨٤- عمرو بن عبد الله الهمداني الجندعي^(٢).
 ٨٥- سوار بن منعم بن حابس الهمداني النهدي^(٣).
 ٨٦- الموقع بن ثمامة الأسدي الصيداوي^(٤).
 ٨٧- عبد الله بن عروة بن حراق الغفاري.
 ٨٨- عبد الرحمن بن عروة بن حراق الغفاري^(٥).
 ٨٩- عبد الله بن عمير بن عباس الكلبي^(٦).
 ٩٠- وهب بن وهب (ابن الحباب) الكلبي^(٧).

- ١- لحق بالحسين بعد نزوله في كربلاء، وبلغه أنَّ ابنه عمرو أسرى في ثغر الري فسمع الحسين بذلك فقال له: "رحمك الله أنت في حل من بيعتي فاذهب واعمل في فكاك ابنك، فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك يا أبا عبد الله"، ثم أعطاه الإمام أئواب بقيمة ألف دينار أرسلها لابنه محمد لفكاك أخيه. انظر: إِبصار العين: ١٧٣ - ١٧٤.
- ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على بشر بن عمرو الحضرمي، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الانصراف: أكلتني إذن السباع حياً إن فارقتك وأسأل عنك الركبان، وأخذلك مع قلة الأعوان، لا يكون هذا أبداً" إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٧.
- ٢- جاء إلى الحسين في كربلاء وقاتل معه فجرح بضربة على رأسه، فاحتمله قومه وبقي مريضاً ومات إثر الضربة بعد سنة. انظر: إِبصار العين: ١٣٦.
- ٣- جاء إلى الحسين في كربلاء وقاتل معه وجرح وأخذ أسيراً وأراد عمر بن سعد قتله فشفع فيه قومه وبقي عندهم جريحاً ومات بعد ستة أشهر. انظر: إِبصار العين: ١٣٥ - ١٣٦.
- ٤- خلص إلى الحسين بالطف بعد أن خرج من الكوفة ليلاً. قاتل مع الحسين واستنقذه قومه وجاءوا به إلى الكوفة وأخفوه، وبلغ ابن زياد خبره فبعث عليه ليقتله فشفع فيه جماعة من بني أسد فلم يقتله لكن كبَّله بالحديد ونفاه إلى الزارة. انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٣٣٥؛ إِبصار العين: ١١٧.
- ٥- الغفاريان: عبد الله وعبد الرحمن، من أشرف الكوفة وذوي الولاء لآل محمد عليهم السلام، التحقا بالحسين بعد نزوله كربلاء واستشهدا معه يوم العاشر، انظر: إِبصار العين: ١٧٥.
- ٦- أبو وهب، شجاع شريف نزل الكوفة، رأى القوم بالنخيلة يُعرضون ليسرَّحون إلى قتال الحسين، فقرر السير إلى الحسين ونصرته وأخبر زوجته فخرجت معه، استشهد معه في كربلاء وحملت امرأته عموداً لتقاتل به الأعداء فردها الحسين مع النساء وقال: "جزيتم من أهل بيت خيراً"، انظر: إِبصار العين: ١٧٩ - ١٨١.
- ٧- كان نصرانياً، أسلم على يد الحسين هو وأمه و أتبعوه إلى كربلاء، قاتل معه في الطف وتم أسرهما من سعد بقتله وقطع رأسه ورمي به إلى عسكر الحسين فأخذت أمه سيفه وبرزت فردها الحسين وقال: "يا أم وهب، وضع الله الجهاد عن النساء، إنك وابنك مع جدي محمد في الجنة" انظر: الأمالي، الصدوق: ١٣٧؛ وسيلة الدارين، الزنجاني: ٢٠٢. ملاحظة: الشيخ السماوي لم يذكر وهب الكلبي ضمن أنصار الحسين في كتابه "إِبصار العين"، ربما لأنه يرى اتحاده مع عبد الله بن عمير الكلبي السابق ذكره برقم (٨٩).

- ٩١- سالم بن عمرو الكلبي^(١).
- ٩٢- مسلم بن كثير الأعرج الأزدي^(٢).
- ٩٣- رافع بن عبد الله، مولى مسلم الأزدي.
- ٩٤- القاسم بن حبيب بن أبي بشر الأزدي^(٣).
- ٩٥- زهير بن سليم الأزدي^(٤).
- ٩٦- النعمان بن عمرو الأزدي.
- ٩٧- الحلاس بن عمرو الأزدي^(٥).
- ٩٨- أمية بن سعد الطائي^(٦).
- ٩٩- جابر بن الحجاج التيمي^(٧).
- ١٠٠- مسعود بن الحجاج التيمي^(٨).
- ١٠١- عبد الرحمن بن مسعود بن الحجاج التيمي.
- ١٠٢- كنانة بن عتيق التغلبي^(٩).
- ١٠٣- قاسط بن زهير بن الحرث التغلبي.

-
- ١- مولى لبني المدينة (بطن من كلب)، كوفي شيعي، التحق بالحسين بعد نزوله كربلاء واستشهد معه يوم عاشوراء، انظر: إِبصار العين: ١٨٢ - ١٨٣.
 - ٢- عدّه الطوسي ضمن أصحاب الحسين، انظر: رجال الشيخ الطوسي: ١٠٥ - رقم ١٠٤٥. تابعي كوفي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وأصيب رجله في بعض حروبه معه، التحق بالحسين مع مولاه رافع واستشهدا مع الحسين يوم العاشر، انظر: إِبصار العين: ١٨٥.
 - ٣- عدّه الطوسي من أصحاب الحسين، انظر: رجال الشيخ الطوسي: ١٠٤ - رقم ١٠٣٠. شيعي كوفي، التحق بالحسين بعد نزوله كربلاء، واستشهد معه يوم العاشر، انظر: إِبصار العين: ١٨٦.
 - ٤- التحق بالحسين ليلة العاشر من محرم واستشهد معه يوم العاشر، انظر: إِبصار العين: ١٨٦.
 - ٥- النعمان وأخوه الحلاس الأزديان الراسبيان من أهل الكوفة، وكانا من أصحاب أمير المؤمنين، وكان الحلاس على شرطته بالكوفة. خرجا مع ابن سعد ثم مالا إلى الحسين واستشهدا بين يديه، انظر: إِبصار العين: ١٨٧.
 - ٦- تابعي كوفي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، التحق بالحسين بعد نزوله كربلاء، واستشهد معه، انظر: إِبصار العين: ١٩٨.
 - ٧- التحق بالحسين بعد نزوله كربلاء واستشهد معه، انظر: إِبصار العين: ١٩٢.
 - ٨- كان مسعود وابنه من الشيعة الكوفيين، خرجا مع ابن سعد، ثم مالا إلى الحسين يسلمان عليه وبقيتا معه واستشهدا معه، انظر: إِبصار العين، السماوي: ١٩٣ - ١٩٤.
 - ٩- كوفي شجاع عابد قارئ للقرآن، التحق بالحسين بعد نزوله بكربلاء، واستشهد معه، انظر: إِبصار العين: ١٩٩.

- ١٠٤- كردوس بن زهير بن الحرث التغلي.
- ١٠٥- مقسط بن زهير بن الحرث التغلي (١).
- ١٠٦- عبد الله بن بشر بن ربيعة الخثعي (٢).
- ١٠٧- سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعي (٣).
- ١٠٨- الحارث بن امرئ القيس الكندي (٤).
- ١٠٩- جوين بن مالك بن قيس التيمي (٥).
- ١١٠- الضرغام بن مالك التغلي (٦).
- ١١١- عمر بن ضبيعة الضبي التيمي (٧).

من التحق بالحسين (ع) يوم العاشر من محرم:

- ١١٢- الحارث بن يزيد التيمي الرياحي (٨).

-
- ١- كان الإخوة الثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشهدوا معه حروبه ويقوا في الكوفة، التحقوا بالحسين بعد نزوله بكرلاء، واستشهدوا معه، انظر: إِبصار العين: ٢٠٠.
 - ٢- خرج مع عسكر عمر بن سعد، ثم صار إلى الحسين قبل يوم العاشر واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٧٠.
 - ٣- شيخ شريف عابد شجاع مجرب في الحروب، لحق بالحسين في كربلاء، قاتل حتى أُنخِن بالجراح فأُغِي عليه، ولما قتل الحسين أفاق وسمعهم يقولون: قتل الحسين، وكانوا أخذوا سيفه ومعه سكين خبأها فقاتلهم بها ثم عطفوا عليه وقتله عروة التغلي وزير الجي. انظر: إِبصار العين: ١٦٩ - ١٧٠.
 - ٤- كوفي، خرج مع عسكر ابن سعد، ثم مال مع الحسين واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٧٣ - ١٧٤.
 - ٥- شيعي، خرج مع تيم إلى حرب الحسين، ثم مال إليه قبل العاشر واستشهد معه. انظر: إِبصار العين: ١٩٤.
 - ٦- شيعي كوفي، بايع مسلماً فلما خذل خرج مع ابن سعد فيمن خرج، ثم مال إلى الحسين واستشهد بين يديه يوم العاشر، انظر: إِبصار العين: ١٩٩.
 - ٧- كان فارساً مقداماً، خرج مع ابن سعد ثم دخل في أنصار الحسين فيمن دخل، استشهد في الحملة الأولى. انظر: إِبصار العين: ١٩٤.
 - ٨- كان فارساً نديه ابن زياد لمعارضة الحسين في الطريق، كان يحدث نفسه بسبب سماعه هاتفاً يقول: "ابشريا حر بالجنة"، وهو الذي جعجع بالحسين وعياله حتى نزلوا كربلاء، لحق بالحسين يوم عاشوراء قبل بدء القتال وقبل الإمام توبته واستشهد معه يوم عاشوراء، فوقف الحسين على مصرعه وقال: "أنت الحر كما سمتك أمك؛ حر في الدنيا وسعيد في الآخرة". انظر: إِبصار العين، السماوي: ٢٠٣. فما بعد.

- ١١٣- بكر بن حي بن تيم الله التيمي^(١).
 ١١٤- سعد بن الحرث الأنصاري العجلاني.
 ١١٥- أبو الحتوف بن الحرث الأنصاري العجلاني^(٢).

ملاحظات:

١- من قتل قبل العاشر من محرم من أنصار الحسين سبعة أشخاص، وهم بحسب أسبقية تاريخ الشهادة: سليمان بن رزين، عبد الله بن يقطر، مسلم بن عقيل، هاني بن عروة، عبد الأعلى بن يزيد الكلبي، عمارة بن صلخب الأزد، قيس بن مسهر^(٣). كما أنّ اثنين من أنصار الحسين ماتا بعد واقعة الطف من أثر الجراح، هما: سوار بن منعم، والموقع بن ثمامة الصيدائي^(٤)، وهذا يعني أنّ تسعة من أنصار الحسين كانت شهادتهم خارج كربلاء.

٢- قتل مع الحسين عليه السلام يوم الطف خمسة صبيان لم يبلغوا الحلم، هم: عبد الله الرضيع، عبد الله بن الحسن، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل، والقاسم بن الحسن، عمرو بن جنادة^(٥).

٣- كان مع الحسين عليه السلام في الطف ثلاثة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، هم: أنس بن الحرث الكاهلي، حبيب بن مظاهر الأسدي، مسلم بن عوسجة الأسدي،

١- خرج مع ابن سعد لحرب الحسين، ثم بعد اشتداد القتال مال معه واستشهد بعد الحملة الأولى، انظر: إبصار العين: ١٩٤.

٢- أبو الحتوف وأخوه سعد كانا من أهل الكوفة ومن المحكمة وخرجا مع عمر بن سعد، ولما سمعا الحسين ينادي يوم العاشر: "ألا من ناصر فينصرنا" وتصارخ النساء والأطفال، فمالا على أعداء الحسين واستشهدا معه. انظر: إبصار العين: ١٥٩.

٣- تقدم ذكرهم في الأرقام: ٢٠، ١٩، ١٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٣٨.

٤- تقدم ذكرهم في الأرقام: ٨٥، ٨٦.

٥- تقدم ذكرهم في الأرقام: ٢، ٩، ١٠، ١٦، ٣٥.

وخارج الطف اثنان، هما: هاني بن عروة المرادي، عبد الله بن يقطر الحميري، فالمجموع خمسة^(١). ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أربعة وعشرون شخصاً.

٤- عدد الموالى المقتولين مع الحسين بالطف بلغ ستة عشر شخصاً^(٢).

٥- ستة من أنصار الحسين قتلوا مع أبناءهم، وهم: يزيد بن ثبيط وابناه عبد الله وعبيد الله، جنادة بن الحارث وابنه عمرو، مجمع بن عبد الله المذحجي وابنه عائذ، مسعود بن الحجاج وابنه عبد الرحمن. وأما عمار بن حسان فهو قتل بالطف مع الحسين وأبوه حسان قتل في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام.

٦- مجموعة من أنصار الحسين عليه السلام - كما رأينا في تراجمهم - خرجوا ابتداء مع عسكريين سعد ثم تسلّلوا من عسكريه والتحقوا بالحسين قبل يوم العاشر بل بعضهم في يوم العاشر، ويبدو أنها كانت وسيلة سلكها بعض أتباع ومحيي أهل البيت للحقوق بالحسين نتيجة شدة الإجراءات الأمنية المتخذة من قبل سلطة ابن زياد في الكوفة.

عدد أنصار الحسين (ع):

ورد أكثر من تحديد لأنصار الحسين، والسبب في الاختلاف ربما يعود لأمر، منها:

- إنّ الروايات الواردة في ذلك بُنيت على تقديرات شهود العيان الذين كانوا يعتمدون الرؤية البصرية والتخمين وليس الإحصاء الدقيق.

١- انظر: إِبصار العين، السماوي: ٢٢١.

٢- هذه أسماؤهم مع أرقام تراجمهم المتقدمة: سليمان وأسلم وقارب موالى الحسين (٢٠، ٢١، ٢٢)، منجج مولى الحسن (٢٣)، نصر وسعد مولى علي (٢٤، ٢٥)، الحرث مولى حمزة (٢٦)، جون مولى أبي ذر (٢٧)، عقبة مولى الرباب (٢٨)، شاذب مولى شاكر (٤٠)، سالم مولى عامر العبدى (٥٢)، سعد مولى عمرو الصيداوى (٦٢)، واضح مولى الحرث السلماني (٦٤)، شبيب مولى الحرث الجابري (٧٦)، سالم مولى بني المدينة (٩٠)، رافع مولى مسلم الأزدي (٩٢).

- إنَّ عدد من التحق بالحسين وصحبه لم يكن ثابتاً، بل كان متغيراً على الدوام بحسب طبيعة الأحداث والمهام بين خارج من الصف وداخل إليه، وهذه الحركة بقت مستمرة حتى يوم العاشر من محرم.

وعموماً، هذه بعض الملاحظات المهمة في المسألة:

١- ورد ذكر أسماء أنصار الحسين عليه السلام في زيارتين مرويَّتين؛ أحدهما: زيارة الناحية المقدسة ^(١)، وثانيهما: الزيارة المعروفة بالرجبية ^(٢)، ففي زيارة الناحية ورد سلام الإمام على سبعة عشر شخصاً من أهل بيت الحسين وعلى ثلاثة وستين شخصاً من سائر أنصاره، فمجموع من سلَّم عليهم الإمام في الزيارة ٨٠ شخصاً. أما الزيارة الرجبية فورد فيها سلام الإمام على خمسة عشر شخصاً من أهل بيت الحسين ^(٣) وعلى أربعة وسبعين شخصاً من سائر أنصاره (بما في ذلك بعض من استشهد خارج الطف مثل قيس بن مسهر وعبد الله بن يقطر)، فمجموع من سلَّم عليهم الإمام ٨٩ شخصاً.

ومهما يكن، فمن قرأ الزيارتين لا يجد بينهما اختلافاً معتداً به بالنسبة إلى أنصار الحسين من أهل بيته، إنما الاختلاف في عدد سائر أنصاره، وكنت قد سألت السيد أحمد الحسن عن تضمّن الزيارتين لجميع أنصار الحسين، فأجاب: "أكيد لا" ^(٤). فمثلاً: لم يرد في كلا الزيارتين ذكر مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، كما لم يرد ذكر عبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر (رسولا الحسين إلى الكوفة) في زيارة الناحية وورد ذكرهما في الزيارة الرجبية، أما رسول الحسين إلى البصرة (أعني سليمان) فقد ورد ذكره في زيارة الناحية دون الرجبية. وهكذا يتضح أنَّ كلا الزيارتين لم يتضمّنَا ذكر جميع أنصار الحسين.

٢- الروايات التاريخية في المسألة أربعة:

١- انظر: إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٦ - ٨٠.

٢- انظر المصدر السابق: ٣ / ٣٤١ - ٣٤٦.

٣- إذ لم يرد فيها ذكر عبد الله الرضيع، ولا عبيد الله بن مسلم بن عقيل الذي ذكرته زيارة الناحية.

٤- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الأولى: رواية أبي مخنف عن الضحاك بن عبد الله المشرقي (شاهد عيان) ^(١)، وقد حددت عدد الأنصار بـ ٧٢ شخصاً، وهو التحديد المشهور بين المؤرخين، قال الضحاك: (فلما صلى عمر بن سعد الغداة وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء، خرج فيمن معه من الناس وعبأ الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً) ^(٢). وقد اعتمد العدد المذكور - إضافة للطبري - مؤرخون آخرون؛ منهم: الدينوري واليعقوبي والمفيد وغيرهم ^(٣).

وهناك تقديرات أخرى لم تبلغ المائة أيضاً، مثل: (٧٨، ٨٢، ٨٧) ^(٤).

الثانية: رواية أخرى للطبري عن سعد بن عبيدة (شاهد عيان من جيش ابن سعد)، حددت العدد بما يقرب من ١٠٠ شخص، قال سعد: (وإني لأنظر إليهم وإنهم لقريب من مائة رجل فيهم لصلب علي بن أبي طالب خمسة ومن بني هاشم ستة عشر) ^(٥).

الثالثة: رواية المسعودي، قال: (فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي فعدل إلى كربلاء، وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه، ونحو مائة راجل) ^(٦). وهي مخالفة للروايات الأخرى والزيارات الواردة، والأقرب أنها ربما كانت ناظرة إلى العدد بعد خروج الحسين عليه السلام من مكة وقبل إخباره لجموع الملتحقين به بمقتل مسلم وهانئ وابن يقطرونعيه نفسه الذي أدى إلى انصراف الكثيرين منهم كما عرفنا في البحوث السابقة.

١- كان أحد أنصار الحسين، لكنه اشترط على الإمام أن يكون في حل من أمره إن لم يكن لنصرته فائدة.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٠. وروى أيضاً: (فقتل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٨.

٣- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٦؛ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٣٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٥.

٤- أما قول ٧٨: (١٨ من أهل بيت الحسين + ٦٠ من سائر الأنصار)، فقد نقله الطبري عن زحر بن قيس؛ مبعوث ابن زياد بالرفوس إلى الشام، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥١. وأما قول ٨٢: فقد ذكره المجلسي في البحار: ٤٥ / ٤، وأما قول ٨٧: فقد ذكره المسعودي في مروج الذهب: ٣ / ٦١.

٥- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٥.

٦- مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٦١.

الرابعة: رواية عمار الدهني عن الإمام الباقر، رواها الطبري أيضاً، جاء فيها: (حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحربين يزيد التميمي ... فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء ... فتزل وضرب أبييته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل) (١).

٣- أقدم مصدر وصلنا فيه ذكر أسماء من استشهد مع الحسين عليه السلام هو رسالة بعنوان "تسمية من قتل مع الحسين" تأليف: الفضيل بن الزبير الكوفي الأسدي، كان معاصراً للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وروى عنهما، أحصى فيها ١٠٦ شخص؛ منهم تسعة عشر طالبياً (٢)، والباقي من سائر الأنصار بما في ذلك هاني بن عروة ورسل الحسين الأربعة (سليمان ومسلم بن عقيل وعبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر)، وخمستهم استشهدوا قبل واقعة كربلاء كما هو معلوم، وإذا استثنيناهم مع الرضيع يكون مجموع من ذكره من أنصار - طالبين وغير طالبين - في طف كربلاء هو: ١٠٠ شخص. وبذلك يلتقي قول الفضيل الأسدي مع رواية المائة.

٤- من الممكن أن تلقي معرفتنا بعدد الرؤوس التي حُملت إلى ابن زياد لعنه الله في الكوفة ثم منها إلى الشام الضوء على عدد أنصار الحسين في الطف ولوبصورة تقريبية، وقد ذكر بعض المؤرخين أنَّ عددها كان ٧٢ رأساً (٣)، وذكر بعضهم أنَّ العدد ٧٨ رأساً (٤).

ثم إنَّ قطع الرؤوس وحملها على الأستة من قبل القبائل المشتركة في الحرب كان لأجل المفارقة وإثبات الولاء للحاكم؛ طمعاً بجوائزه ودنياه، ولهذا كانت القبائل الكوفية تتقاسم حمل الرؤوس إلى الكوفة (٥)، ولما كان قطع رؤوس الأطفال والموالي لا شيء فيه

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٢، ونفس هذا العدد ذكره ابن نما الحلي وابن طاووس لكنهما وقتاه عند تعبئة الإمام الحسين جيشه في يوم العاشر من محرم وليس عند نزوله بكربلاء في اليوم الثاني من محرم، انظر: مثير الأحزان، ابن نما: ٣٤؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤٢.

٢- بعد ضمِّ مسلم بن عقيل إلى الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم بأرقام: (١ - ١٨).

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٩؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٣.

٤- على سبيل المثال: نقل المجلسي: "إن رؤوس أصحاب الحسين وأهل بيته كانت ثمانية وسبعين رأساً" بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٦٢.

٥- قال الدينوري: (وحملت الرؤوس على أطراف الرماح، وكانت اثنين وسبعين رأساً، جاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأساً، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً مع الحصين بن نمير، وجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً مع قيس بن

يدعو للمفاخرة والتباهي فمن البعيد جداً أن تكون رؤوسهم قد قطعت وحملت مع رؤوس الطالبين وبقية الأنصار، ويكون العدد الذي ذكره المؤرخون غير شامل للأطفال والموالي؛ وعددهم كما عرفنا يبلغ ٢٠ شخصاً، وإذا أضفنا لهم الشهداء التسعة من الأنصار الذين قتلوا خارج أرض كربلاء، إضافة إلى الحربين يزيد الرياحي الذي لم يسمح قومه بقطع رأسه، يكون المجموع ثلاثين شخصاً، وعند إضافتهم إلى العدد المذكور (٧٢ أو ٧٨) يصبح المجموع مائة ونيف، وهو يؤيد رواية المائة أيضاً.

لهذا اعتمدنا الإحصاء الذي ذكره الشيخ السماوي في كتابه "إبصار العين"؛ لأنه قد يكون الأقرب إلى الواقع وطبيعة الأحداث والله أعلم، وهذا يعني أن الروايات التي تذكر السبعين إما أنها لا تشمل الأنصار الطالبين، أو تشملهم لكنها لا تشمل الأطفال والموالي ومن قتل خارج الطف، كرواية حمران عن الإمام الباقر عليه السلام:

(قال: قلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله زعم ولد الحسن عليه السلام أن القائم منهم وأنهم أصحاب الأمر، ويزعم ولد ابن الحنفية مثل ذلك، فقال: رحم الله عبي الحسن عليه السلام لقد غمد الحسن عليه السلام أربعين ألف سيف حين أصيب أمير المؤمنين عليه السلام وأسلمها إلى معاوية، ومحمد بن علي سبعين ألف سيف قاتله، لو خطر عليهم خطر ما خرجوا منها حتى يموتوا جميعاً، وخرج الحسين صلوات الله عليه فعرض نفسه على الله في سبعين رجلاً من أحق بدمه منّا، نحن والله أصحاب الأمر، وفيما القائم، ومنا السفاح والمنصور، وقد قال الله: "ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً" نحن أولياء الحسين بن علي عليهما السلام وعلى دينه) (١).

٥- يطرح البعض في الفترة الأخيرة آراء تبيّن أن عدد أنصار الحسين عليه السلام أكثر بكثير من العدد المتداول والمعروف، وحجتهم في ذلك: إن الإنسان العادي (وبعضهم يضرب مثلاً بنفسه) لو أراد أن يحشّم ويجمع الناس معه لأمر ما لاستطاع أن يجمع معه ألفاً وربما

الأشعث، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزد بخمس رؤوس مع عيمّة بن زهير، وجاءت ثقيف باثني عشر رأساً مع الوليد بن عمرو) الأخبار الطوال: ٢٥٩.

آلاف الناس، فكيف لم يتمكن الحسين - بالرغم من عظمة شخصيته - من أن يجمع أكثر من هذا العدد المعروف (٧٠ - ١٠٠)، وهو عدد بسيط جداً وربما غير معقول؟!!!

أقول: لا شك أنّ ما يطرحه هؤلاء لا قيمة علمية حقيقية له؛ لأنه بالأساس فاقد للدليل وقائم على مجموعة من الظنون والتخرّصات والاستحسانات التي لا تصلح لأن تكون دليلاً علمياً في المسائل الدينية كالمسألة التي نحن بصدددها.

ومن جهة أخرى: نحن لا نتحدث عن جمع الناس كيفما اتفق ليتبرع هؤلاء وبقيسوا حالهم بالحسين عليه السلام، فصحيح أنّ صاحب أي مشروع دنيوي قد يتمكن من جمع آلاف الناس حوله بل ملايين البشر ربما، بل رأينا في حياتنا من لا يستحق أن يُسرّح بمعزتين قد نصّب نفسه أو اختاره الناس قائداً ويتبعه الآلاف وربما الملايين، ورأينا كذلك متحدثين وخطباء لا يُحسنون حرفين في دين الله يستمع لهم ويمجد بهم آلاف الناس، كل هذا صحيح ونراه في دنيا الامتحان دائماً، لكننا لا نتحدث عن مثل هؤلاء، وإنما نتحدث عن (إمام، حق، وتر، فذ) بقيمة الحسين بن علي وقيمة مشروعه الإلهي الخالد الذي شاء الله سبحانه أن يجعله سبباً في حفظ دينه واستمرار حاكميته وخط رسالاته وجهود خلفائه حتى يوم الامتحان الأخير على هذه الأرض، وأيضاً: نتحدث عن منزلة عظيمة خصّ الله بها أنصار الحسين؛ نتحدث عن الشهادة والفتح الإلهي العظيم الذي يحتاج نواله والظفر به إلى درجة عالية من الإخلاص الذي يكون سبباً في نزول توفيق إلهي خاص، إضافة إلى التحلي بدرجة كبيرة من الشجاعة والإقدام والتضحية، وبالتأكيد فإنّ توفر هاتين الخصيصتين (الإخلاص + الشجاعة) ليس متاحاً لكل أحد، بل لا يلقي نصرة الحسين - والحال هذه - إلا ذو حظ وتوفيق إلهي عظيم.

وللإنصاف أقول: إنّ صفتي الإخلاص والشجاعة كانتا كفيلتين في غربة وتمحيص الناس بدرجة موثوق بها تماماً لا مجال فيها للاشتباه ولو بمقدار ضئيل جداً، وتلك هي عدالة الله وحكمته وشؤونه التي يبلغ بها أمره ومراده سبحانه، فسقط أكثر الناس في الغريال وعامت سفن أنصار الحسين (وحدها) طافية مبحرة فوق أمواج الطوفان الهادر الذي أحدثته "لا" الحسين الرافضة لحاكمية الناس!

هل كان زهير بن القين عثمانياً؟

تقدم في ترجمة زهير بن القين رضوان الله عليه أنه التقى بالحسين في "زرد" ^(١) أثناء رجوعه من الحج، والتحق بالإمام بعد لقائه به وقام بإرسال زوجته إلى أهلها ليتفرغ هو إلى نصرة الحسين. لكن بعض المؤرخين ذكروا أنّ زهيراً - ابتداءً - كان لا يرغب بلقاء الحسين أو النزول معه في منزل واحد أثناء المسير، أو أنه تلكأ في استجابة دعوة الحسين حتى حثته زوجته على الذهاب إليه ^(٢).

وأيضاً: بعضهم أضاف إلى ذلك أنه كان عثمانياً الهوى ^(٣).

ولأجل بيان الحق في المسألة، هذه بعض الملاحظات:

١- بالنسبة إلى مسابقة الركبين (ركب الحسين، وركب زهير) عند الخروج من مكة فهو أمر لا يمكن تعقله؛ إذ لا شك أنّ الإمام الحسين خرج من مكة يوم التروية (قبل الحج بيوم)، وأنّ زهير ومن معه - ومنهم زوجته - رجعوا من مكة بعد أداء الحج، فكيف حدثت

١- موضع على طريق الحج بين مكة والعراق.

٢- روى الطبري: (عن رجل من بني فزارة ... قال: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين وإذا نزل الحسين تقدم زهير حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب فبينما نحن جلوس نتغدى من طعام لنا إذا أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير ... فحدثني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت فقلت له: أبيعك إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه سبحانه الله لو أتيتك فسمعت من كلامه ثم انصرفت قالت: فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين ثم قال لامرأته: أنت طالق الحقي بأهلك فاني لا أحب أن يصيبك من سبي إلا خير ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد إني سأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان الباهلي (الفارسي، انظر: الإرشاد: ٢ / ٧٣): أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغنم فقلنا: نعم فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم فأما أنا فإني أستودعكم الله قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٨ - ٢٩٩. وفي رواية الدينوري: (فأبى أن يلقاه) الأخبار الطوال: ٢٤٦.

٣- قال البلاذري: "قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكة، وكان عثمانياً، فانصرف من مكة متعجلاً فضمه الطريق وحسيناً فكان يسايره ولا ينازله، أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧٨ - ٣٧٩.

المزامنة في المسير من مكة بين الركبين مع أنّ الفارق بينهما عدة أيام (خمسة أيام تقريباً)؟! علماً، إنّ الركب الحسيني كان يحثُّ السير باتجاه العراق ولم يحدثنا التاريخ أنه تأخر في منزل قرب مكة لنحتمل أنّ زهيراً أسرع بالعودة بعد الحج ولحق بركب الحسين قرب مكة! نعم، من الممكن تصور تزامن الركبين أثناء الطريق؛ نتيجة طول الطريق من جهة، ومن جهة ثانية: أنّ ركب الحسين عليه السلام أكثر عدداً من ركب زهير وفيه نساء وأطفال، وبالتالي فممكّن أن يكون ركب زهير لحق بركب الحسين عليه السلام؛ خصوصاً إذا افترضنا - كما هو الظاهر - أنّ زهيراً تعجّل بالرجوع إلى العراق بعد الحج مباشرة.

٢- من تتبع تهمة "العثمانية"، التي ألصقها البعض بزهير، يرى أنّ أصلها يعود إلى قول عزرة بن قيس الكوفي لزهير يوم عاشوراء ردّاً على كلام زهير الذي قال فيه: "اتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلّال على قتل النفوس الزكية"، فقال له عزرة: "يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً"، فقال زهير: "أفلم تستدل بموقفي هذا أنني منهم؟ أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسواً قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله" (١).

ومن لاحظ جواب زهير لعزرة لا يجد فيه إقرار بأنه كان عثمانياً، فلم يقل له مثلاً: "نعم"، ولم يذكر أي كلمة تؤيد تهمة عزرة، لكن في نفس الوقت لم يذكر في جوابه أيضاً أنه كان من شيعة آل محمد، وإنما اكتفى بالقول: "أفلم تستدل بموقفي هذا أنني منهم" أي من شيعة أهل البيت الآن، وواضح أنّ زهيراً أراد استغلال الوقت والتحدث بالمفيد "نصرة الحسين" في يوم العاشر، وليس الانشغال ببيان حاله فيما مضى، علماً أنّ الواصل لنا من سيرة زهير ليس فيها أي قول أو فعل يكشف عن كونه عثمانياً كما هو المعهود عن العثمانيين في العراق ومصر والشام.

٣- هناك نصوص تاريخية أكدت أنّ الحسين عليه السلام بعث على زهير ليدعوه إلى نصرته عند اجتماع الركبين في "زرود"، ومسألة أنّ زهير كان لا يرغب بلقاء الحسين والالتحاق به أحدثت جدلاً بين المؤرخين والباحثين، بين مثبت لها اعتماداً على أقوال بعض المؤرخين كما رأيناه في نص الطبري مثلاً، وبين من يعتبر ذلك إساءة بحق زهير ومن ثمّ ينبغي تنزيه ساحته عنها! وبالتالي فالأمر - كما نرى - غير محسوم. وكذلك: من الأمور التي تحتاج إلى بيان وحسم أيضاً:

- لماذا طلق زوجته؟ كما ورد في نص الطبري المتقدم.
- ما هو حال زهير السابق، هل كان فعلاً عثمانياً، أم شيعياً، أم غير ذلك وأنّ لقاءه بالحسين هو الذي غيّرهُ؟

ولأجل حسم الأمر سألت السيد أحمد الحسن عن الأسئلة المعلقة أعلاه التي تخص زهير بن القين، فأجاب: (زهير بن القين لم يكن معروفاً عنه أنه من شيعة آل محمد عليهم السلام في الكوفة. ومسألة هل كان راغباً بلقاء الحسين أم لا فلا إشكال في أنه لم يلتحق بالحسين عليه السلام حتى دعاه الحسين إلى نصرته عند اللقاء به. أما مسألة طلاق زوجته فهي غير دقيقة. نعم، هو أرسلها لأهلها لما قرّر الالتحاق بركب الحسين عليه السلام.

وأيضاً: لا إشكال في أن يكون حال زهير سابقاً مدهناً للسلطة في أيام حكم معاوية، ثم غيّر موقفه بعد أن التقى بالحسين عليه السلام ورآه وسمع كلامه فأصبح من الشيعة المخلصين، فالحر الرياحي لم يكن من شيعة الحسين عليه السلام بل كان قائداً عسكرياً في جيش السلطة وغيّر موقفه، وبالتالي فلا إشكال أن يكون زهير قد قرّر نصرته الحسين بعد لقائه بالحسين وغيّر موقفه بعد رؤية الحسين وسماع كلامه. فليس بالضرورة أن يكون زهير عثمانياً أو أموياً أو مالياً مخلصاً للسلطة الأموية، وكذا ليس بالضرورة أن يكون مالياً لآل محمد عليهم السلام، فالحق أن نرى الأمور كما هي في الواقع، ولا إشكال - كما قلت - إن لم يكن زهير من شيعة آل محمد ومحبيهم وتغيّر موقفه بعد لقاء الحسين عليه السلام) انتهى^(١).

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

علم الحسين (ع) بمقتل رسله:

مسلم بن عقيل:

بالنسبة إلى مسلم بن عقيل، فقد تبين أن الإمام الحسين أرسله إلى الكوفة في منتصف شهر رمضان سنة ٦٠ هـ ووصل إليها مطلع شوال، وبقي فيها إلى يوم شهادته في الثامن من ذي الحجة كما تقدم، وهو نفس اليوم الذي تحرك فيه الحسين من مكة باتجاه العراق، ولم يكن يعلم بما جرى على مسلم. وأما متى بلغ الحسين خبر مقتل مسلم؟

روى المؤرخون أنه عليه السلام بلغه مقتل مسلم وهاني في "الثعلبية" عن طريق عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديان الكوفيان، إذ قال له: (يرحمك الله إنَّ عندنا خبراً فإن شئت حدثنا علانية وإن شئت سرّاً قال فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سرفقلنا له: أرايت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس قال نعم وقد أردت مسألته فقلنا قد استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته وهو ابن امرئ من أسد منّا ذورأي وصدق وفضل وعقل إنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وحتى رأهما يجزان في السوق بأرجلهما فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما فردد ذلك مراراً فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصرولاً شيعة بل نتخوف أن تكون عليك قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب قالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو ندوق ما ذاق أخونا قالوا: فنظر إلينا الحسين فقال لا خير في العيش بعد هؤلاء قالوا: فعلمنا أنه قد عزم له رأي على المسير قالوا فقلنا: خار الله لك فقال: رحمكما الله^(١).

وروى ابن طاووس أن الإمام الحسين علم بمقتل مسلم بن عقيل في "زبالة"، قال: (فعرف بذلك جماعة ممّن تبعه فترّق عنه أهل الأطماع والارتباب وبقي معه أهله وخيار

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٩ - ٣٠٠: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٣ - ٧٥.

الأصحاب. قال لراوي: وارتج الموضوع بالبكاء والعيول لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع كل مسيل^(١).

هل كان بنو عقيل سبباً في إتمام الحسين^(ع) مسيره إلى العراق؟

لاحظنا في الرواية التاريخية المتقدمة أنّ الأسديين لما أبلغا الإمام الحسين بمقتل مسلم بن عقيل وناشده الانصراف والرجوع، قال بنو عقيل بن أبي طالب: "لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا".

ورواها ابن قتيبة بهذا الشكل، قال: (وذكروا أنّ عبيد الله بن زياد بعث جيشاً عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء الحسين الخبر فهم أن يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له: أترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما ننق به، فقال لبعض أصحابه: والله ما لي عن هؤلاء من صبر)^(٢).

وبعض المؤرخين روى الحادثة بالنحو التالي: (ابن سعد، عن الواقدي، وغيره، بإسنادهم، أن عمر بن سعد بن أبي وقاص أرسل رجلاً على ناقة إلى الحسين، يخبره بقتل مسلم بن عقيل، وكان قد بعثه الحسين إلى الكوفة كما مرفي سنة ستين، فقال للحسين ولده علي الأكبر: يا أبه ارجع، فإنهم أهل العراق وغدرهم، وقلة وفائهم، ولا لك بشيء، فقالت بنو عقيل: ليس هذا حين رجوع، وحرصوه على المضي)^(٣).

وعموماً، فإنّ هذا النقل التاريخي صار سبباً في أن يتوهم البعض بأنّ الإمام الحسين همّ بالانصراف والرجوع بعد بلوغه خبر مقتل مسلم وتبيّن خذلان أهل الكوفة له، لكن إصرار بني عقيل على الثأر لدم مسلم كان هو السبب في أن يتم مسيره إلى العراق!

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٢. زبالة: موضع على طريق الحج بين مكة والكوفة تقع قرب مدينة رفحاء السعودية.

٢- الإمامة والسياسة: ٢ / ٥.

٣- تاريخ الإسلام، الذهبي: ١١ / ٥.

الحقيقة، إنّ هذا التوهم غير صحيح ولا قيمة له؛ لعدة أسباب:

أولاً: الإمام الحسين هو قائد الثورة والناطق الرسمي بها، وبالتالي فمن أراد أن يعرف حقيقة معينة أو حادثة معينة عليه أن يراجع مواقف الإمام الحسين وكلامه في مجمل ما صدر منه منذ لحظة إعلان رفض البيعة ليزيد إلى لحظة شهادته، ونحن لدينا عشرات النصوص، وقد تقدم الكثير منها، التي تؤكد أنه عليه السلام كان يعلم بمصيره ويسير بخطى ثابتة لإنجاز مراد الله وتكليفه الملقى على عاتقه في نصرة دين الله وضمان استمرار حاكميته، وبالتالي فلا يصح أن يُفهم موقف أو نص معين من كلامه بمعزل عن مجموع ما صدر منه. ولا أقل فإنّ كلامه في الخطبة المكية الشهيرة واضح وجلي إذ يقول: "وخير لي مصرع أنا لاقية، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلأ، فيملأن مني أكرأشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم"، وكان يقول: "شاء الله أن يراني قتيلاً"، إلى غير ذلك ممّا مر ذكره. وهذا يعني أنّ الحسين يسير ويتصرف وفق مخطط إلهي واضح ومرسوم أمامه، ولم تكن أفعاله وتصرفاته تصدر عنه كردود أفعال آنية كما يريد المتوهم تصويره.

ثانياً: كثيرة هي النصائح والاقتراحات التي عرضها بعض المسلمين على الحسين عليه السلام لثنيه عن المسير إلى العراق في المدينة ومكة، قبل حادثة إخباره بمقتل مسلم في الثعلبية وبعدها أيضاً، ولم يكن في واحدة من أجوبته وحواراته مع المقترحين أنه يريد يسير إلى العراق طلباً للثأر لأحد، بل دائماً ما يربط الأمر بإرادة الله سبحانه ونصرة دينه، ونحن في المباحث السابقة لاحظنا بوضوح أنّ الحسين منذ لحظة الرفض المدوية التي أطلقها في المدينة قرّر قصد العراق، وهذا واضح في كلامه مع أم سلمة وغيرها، وما كان مروره بمكة إلا مؤقتاً لأسباب تقدم ذكر بعضها.

ثالثاً: في النص التاريخي (الذي رواه الطبري) الذي يحكي حادثة الثعلبية وكلام بني عقيل، لا يوجد شيء صدر من الإمام الحسين يؤكد أنّ سيره وعزمه على إتمام المسير إلى العراق كان بسبب كلام آل عقيل، بل مفردة "عزم" جاءت ضمن سياق كلام الأسديين: "قالا: فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير"، وما ذكره الإمام بعد سماعه كلام الأسديين وبعد سماعه كلام بني عقيل هو أن قال: "لا خير في العيش بعد هؤلاء" وقد قاله - كما هو واضح - على سبيل المواساة لهم بمصيبتهم بأخيمهم مسلم لا أكثر، لكن المواساة شيء وأن

يكون موقفهم وطلب الثأر هو السبب في إتمام المسير إلى العراق فهذا شيء آخر لا دليل عليه بل الدليل قائم على خلافه.

وأما رواية ابن قتيبة فلا يُعلم قائلها (قال: وذكروا)، وأيضاً: متنها لا يصح؛ إذ إنّ عمرو بن سعيد والي مكة والمدينة وابن زياد والي الكوفة والبصرة ولا سلطة له على عمرو بن سعيد، ومن بعثه ابن زياد هو عمر بن سعد وكان بعثه إلى كربلاء وليس إلى الثعلبية.

رابعاً: بخصوص رواية (ابن سعد)، فإنها باطلة أو محرّفة قطعاً؛ من جهتين:

الأولى: إنّ عمر بن سعد - كما أشرنا سابقاً - لم ينقذ شيئاً من وصايا مسلم بن عقيل الثلاث له في قصر ابن زياد، بل خانه في نفس المجلس وأخبر ابن زياد بما طلبه منه مسلم، حتى إنّ ابن زياد لأمه على فعله: (فقال عمر لابن زياد: أتدري أيها الأمير ما قال لي؟ إنه ذكر كذا وكذا، فقال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن) ^(١).

الثانية: الثابت القطعي أنّ علي الأكبر قال لأبيه: "لا نبالي أن نموت محقين"، ومن كانت هذه شجاعته وهمتّه في نصرته الحق لا يمكن أن يقترح على أبيه الرجوع!

روى المؤرخون أنّ الإمام الحسين لما ارتحل عن "قصر بني مقاتل" (خفق وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إني خفقت خفقة فعنّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا فقال له: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد قال: فإننا إذاً لا نبالي أن نموت محقين، فقال له الحسين: جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده) ^(٢).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٢؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦١؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٣٥.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٨؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٥١. وروى ابن طاووس أنّ الحادثة حصلت في "الثعلبية" وأنّ علي الأكبر قال: "يا أبة، إذن لا نبالي بالموت" اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٠. وروى الصدوق أنها حصلت في "عذيب الهجانات"، انظر: الأمالي: ١٣١. الثعلبية وعذيب الهجانات: مواضع في الطريق.

وهذا يتضح بطلان ما توهمه البعض من أنّ الحسين همّ بالانصراف لما بلغه مقتل مسلم^(١). والحقيقة، ليس في فكر الحسين شيء اسمه الانصراف والعودة أصلاً، وسيأتي أنه استمر في مسيره بعد ورود نبأ مقتل رسوله قيس بن مسهر، واستمر في مسيره بعد أن اعترضه الحربن يزيد الرياحي وجيشه ومنعوه من الاقتراب من الكوفة، واستمر في مسيره رافضاً العرض الذي تقدم به الطرماح بن عدي للسيرة إلى مكان آمن ومنيع، وهكذا فقد رفض كل العروض التي قدّمت له ولم يقبل إلا أن ينيخ ركابه في كربلاء؛ أرض الميعاد!

ثم إنه روي: بعد بلوغ نبأ مقتل مسلم بن عقيل للحسين عليه السلام قال لحميذة بنت مسلم: "يا ابنتي! أنا أبوك وبناتي أخواتك"^(٢). وأيضاً: روي أنّ إياس بن العثّل الطائي (رسول ابن الأشعث) لقي الحسين في "زبالة" وأخبره بمقتل مسلم، فقال: "كل ما حمّ نازل وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا"^(٣).

وروي ابن طاووس: (ثم إنّ الحسين عليه السلام سار قاصداً لما دعاه الله فلقية الفرزدق الشاعر فسلم عليه وقال: يا ابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته. قال: فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً ثم قال: رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه أما إنه قد قضى ما

وما سمعه الإمام الحسين عليه السلام شبيه بما حصل مع أخته السيدة زينب عليها السلام في "الخرزمية": إذ أقبلت إليه وقصّت عليه ما رآته فقالت: خرجت في بعض الليل فسمعت هاتفاً يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدٍ ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدارٍ إلى إنجازٍ وعدٍ

فقال لها الحسين: "يا أختاه المقضي هو كائن" انظر: الفتوح، ابن أعمش: ١٢٢/٥. والخرزمية: موضع على طريق الحج، يقع قبل "زرد" وقرب "الثعلبية" في الحجاز.

١- قال السيد المرتضى: (وقد همّ سيدنا أبو عبد الله عليه السلام لما عرف بقتل مسلم بن عقيل، وأشير عليه بالعود فوثب إليه بنو عقيل وقالوا والله لا ننصرف حتى ندرك ثأرنا أو ندوق ما ذاق أبونا. فقال عليه السلام: لا خير في العيش بعد هؤلاء) تنزيه الأنبياء: ٢٣٠.

٢- موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٢٥.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١ / الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٣٣، وفيه: "كل ما قدّر نازل عند الله نحتسب..."

عليه وبقي ما علينا^(١). أقول: هذا اللقاء إن صح فهو الثاني بعد لقاء الفرزدق الأول بالإمام يوم التروية عند خروجه عليه السلام بركبه من مكة كما تقدم.

عبد الله بن يقطر الحميري:

المشهورين المؤرخين أنّ الإمام الحسين أرسل عبد الله بن يقطر إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة، حاملاً له جواب كتابه الذي كان قد وصل للحسين ويخبره فيه باجتماع الناس على بيعته ويسأله القدوم إلى الكوفة، فقبض عليه الحصين بن تميم في القادسية (القريبة من الكوفة)، وبعثه إلى ابن زياد فطلب منه أن يصعد أعلى القصر ويلعن الحسين وأباه عليهما السلام، فصعد القصر ولما أشرف على الناس قال: "أيها الناس، أنا رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله إليكم لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة وابن سمية الدعي بن الدعي، فأمر به عبید الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه وبقي به رمق، فأناه عبد الملك بن عمير (قاضي الكوفة وفقهها) فذبحه بمديّة، فلما عيب عليه قال: أردت أن أريحه"^(٢). بناءً على هذا فإنّ شهادته تكون قبل شهادة مسلم بن عقيل. وذكر بعضهم: أنّ عبد الله قتل في اليوم الأول من وصول ابن زياد إلى الكوفة^(٣).

وعموماً، فقد تقدم أنّ الإمام الحسين علم بمقتل مسلم وهاني في منطقة "الثعلبية" عن طريق الرجلين الأسديين، ولما بلغ "زبالة" القريبة منها بلغه خبر مقتل عبد الله بن يقطر، وكان معه أنصار كثيرون التحقوا به في مكة وأثناء الطريق، ف (أخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الاعراب

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤٥.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٠.

٣- انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد: ٦٥، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي.

لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه^(١).

فائدة بخصوص إخوة عبد الله بن يقطر للحسين^(ع) من الرضاعة:

سألت السيد أحمد الحسن عن إخوة عبد الله بن يقطر للحسين من الرضاعة؛ هل هي ثابتة وصحيحة؟ فأجاب: (نعم، ثابتة وصحيحة. هم ينكرونها بدون دليل مثلاً يقولون: لا يصح أن الحسين رضع من غير فاطمة^(٢)؟ طيب، لماذا لا يصح؟ رسول الله رضع من حليلة، فقولهم مجرد كلام بلا دليل وتخرص واستحسان واتباع للهوى.

الثابت أن ميمونة كانت تخدم في بيت علي عليه السلام، وأن زوجها كان ملازماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنها ولدت عبد الله لتسعة أشهر قبل ولادة الحسين بثلاثة أيام، وأن فاطمة عليها السلام ولدت الحسين لستة أشهر، فمن الطبيعي أن لا تتمكن من رضاعة الحسين على الأقل في الأيام الأولى، ولهذا روي أنه كان يجوع وكان يصبره رسول الله بإبهامه. فما الإشكال أن ترضع ميمونة الحسين عليه السلام وهو أمر سائد وطبيعي في بيئتهم) انتهى^(٣).

وبخصوص رضاع الحسين روي في كتاب "الكافي" ما يلي: "عن أبي عبد الله عليه السلام: لم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيها اليومين والثلاث، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله ودمه... وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله كان يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه فيمصه فيجزئ به ولم يرتضع من أنثى"^(٤).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٠ - ٣٠١. وفي رواية الخوارزمي: "وإنما أراد أن لا يصحبه إنسان إلا على بصيرة" مقتل الحسين: ١ / ٣٢٨.

٢- انظر مثلاً: إِبْصَارُ الْعَيْنِ فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ، السماوي: ٩٣؛ مع الركب الحسيني، علي الشاوي: ١ / ٤٠٦.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٤٦٥.

سألت السيد أحمد الحسن عن هذا الحديث، فقال:

(لا أعتقد أنّ الحديث مناسباً، إذا كنت تريد الكلام مع الناس عموماً فهكذا أحاديث بغض النظر عن صحتها أو تحريفها أو مبالغة بعض الغلاة بها فهي غير مناسبة.

ثانياً: كيف لم يرضع الحسين من فاطمة؟ شرف للحسين أنه ابن فاطمة وأنّ فاطمة أرضعته. صيغة الحديث تنتقص من فاطمة: "لم يرضع من أنثى الخ"، وما بها الأنثى أصلاً فضلاً عن أن تكون فاطمة؟!)

أما نبت لحمه من لحم رسول الله كعبارة فلا إشكال فيها. وأما شبعه من إبهام رسول الله في بعض الأحيان التي لم يكن لفاطمة حليب ترضعه فلا إشكال فيه. كلاهما يصح) انتهى^(١).

قيس بن مسهر الصيداوي:

لما وصل الإمام الحسين في مسيره إلى الحاجر من "بطن الرّمة"^(٢) أرسل قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة وبعث معه كتاباً إليهم جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الاجر وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدّوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)^(٣).

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- بطن الرمة: منزل يجمع طريق البصرة والكوفة إلى المدينة المنورة، انظر: مراصد الاطلاع، صفي الدين البغدادي: ٦٣٤ / ٢. وهو عبارة عن وادي يقع في شرق السعودية.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧.

فسار الصيداوي حتى إذا بلغ القادسية (قرية على أطراف الكوفة) ألقى القبض عليه من قبل الحصين بن تميم (قائد الشرطة) وبعثه إلى ابن زياد فطلب منه أن يصعد المنبر ويسب الحسين وأباه، فصعد وقال: (أيها الناس، إنَّ الحسين بن علي خير خلق الله، وابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقت بالحاجر فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، وصلى على أمير المؤمنين، فأمر به ابن زياد فأصعد القصرورمي به من أعلاه فتقطع ومات) ^(١). وكان ذلك بعد مقتل مسلم بن عقيل.

وروى ابن طاووس: (كتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وجماعة من الشيعة بالكوفة، وبعث به مع قيس بن مسهر الصيداوي، فلما قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير صاحب عبيد الله بن زياد لعنه الله ليفتشه فأخرج قيس الكتاب ومزقه، فحمله الحصين بن نمير إلى عبيد الله، فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه، قال: فلماذا خرقت الكتاب؟ قال: لثلاث تعلم ما فيه، قال: وممن الكتاب وإلى من؟ قال: من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم، فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه وإلا قطعتك إرباً إرباً، فقال قيس: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم وأما لعن الحسين وأبيه وأخيه فأفعل، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وأكثر من الترحم على علي والحسن والحسين صلوات الله عليهم ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم، ثم قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين إليكم وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه، فأخبر ابن زياد بذلك فأمر بإلقائه من أعالي القصر فألقي من هناك فمات، فبلغ الحسين عليه السلام موته فاستعبر بالبكاء ثم قال: "اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك إنك على كل شيء قدير" ^(٢).

ملاحظة: واضح من خلال استعراض الروايات التاريخية أنَّ قصة مقتل عبد الله بن يقطروقيس بن مسهر متشابهة، بل وقع الخلط بين الشخصيتين في كلمات بعض المؤرخين

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٥: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٣٧٨.

٢- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٢ - ٣٣: وانظر أيضاً: مثير الأحران، ابن نما: ٤٢.

كما لا يخفى على المتابع ^(١). وبحسب ما انتهينا إليه في تسلسل أحداث شهادة رسل الحسين عليه السلام: كانت شهادة مسلم بن عقيل في: ٨ ذو الحجة ٦٠ هـ، وشهادة عبد الله بن يقطر قبل هذا التاريخ، وأما شهادة قيس بن مسهر فكانت بعد هذا التاريخ لكنها قبل دخول محرم ووصول الركب الحسيني إلى كربلاء في اليوم الثاني منه تحديداً.

أما متى علم الحسين عليه السلام بمقتله؟ فالظاهر - بحسب النقل التاريخي - أنه علم به لما بلغ "عذيب الهجانات" ^(٢) إذ التقى بمجموعة من أنصاره منهم نافع بن هلال ومجمع بن عبد الله العائذي وآخرين وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر الصيداوي، فقالوا: (أخذة الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدمك فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر، فبكى الحسين عليه السلام وقال: "منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظرونا بدلاً، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك" ^(٣).

رؤى الحسين (ع):

من بين الأمور التي توضحّت بشكل جيد فيما تقدم هي علم الإمام الحسين عليه السلام بمصيره، وليس وضوح الأمر عنده يعود إلى إخبار جده وأبيه صلوات الله عليهما بحسب، ولكن المسألة لها علاقة أيضاً بما كان يراه الحسين صلوات الله عليه من رؤى

١- بحسب روايات بعض المؤرخين فإن الإمام الحسين أرسل عبد الله بن يقطر بعد خروجه من مكة بدون تحديد اسم المكان، في حين ورد بحق قيس بن مسهر أنه أرسله من بطن الرمة، وهناك من يرى أن الإمام أرسل عبد الله بن يقطر مع مسلم بن عقيل إلى الكوفة ولما رأى مسلم الخذلان بعثه إلى الحسين ليخبره بالأمر فألقي القبض عليه بعد خروجه من الكوفة، انظر: إِبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ٩٤.

٢- موضع في العراق يقع على طريق الحج بين (كوفة - مكة)، يبعد ٣٠ كم عن ناحية الزهيمية (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، ويبعد عذيب الهجانات عن الكوفة ٨٠ كم تقريباً.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥ - ٣٠٦: تجارب الأمم، الرازي: ٦٥ / ٢.

صادقة، ولا شك أنّ الرؤيا وحي إلهي وجزء من النبوة وكلام الله عند عبده ^(١)؛ خصوصاً إذا كان الرائي إماماً معصوماً.

الإمام الحسين لم تكد تفارقه الرؤى خلال ثورته المباركة، فمنذ أن أطلق "لاءه" بوجه طغاة بني أمية في المدينة وعزم على تركها كان قد رأى جده الرسول صلى الله عليه وآله وأخبره في الرؤيا بما سيلاقيه:

روى ابن أعثم: (قال: وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرخك و ابن فرختك وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك - صلى الله عليك وسلم -. ثم وثب قائماً وصف قدميه ولم يزل راکعاً وساجداً..... فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم! إنّ هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هولك رضى.

قال: ثم جعل الحسين يبكي حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغضى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في ككببة من الملائكة عن يمينه وعن

١- المسألة متواترة في روايات المسلمين عموماً، وهذه نماذج منها:

- روى الصدوق بسنده: "عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال ... ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتني، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة" الأمالي: ١٢١.

- روى البخاري بسنده: "عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" صحيح البخاري: ٦٩ / ٨.

- روى أحمد بن حنبل بسنده عن: "أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس قال قال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا الرجل وهي جزء من أجزاء النبوة" مسند أحمد: ٣ / ٢٦٧.

شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه وقال: يا بني! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك [وأخاك] قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. قال: فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم ويسمع كلامه وهو يقول: يا جده! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبداً فخذني إليك واجعلي معك إلى منزلك. قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا حسين! إنه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فإنك وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة.

قال: فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً فقص رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشد غمّاً من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا أكثر منه باكياً وباكية^(١).

وفي أيام تواجده في مكة رأى الحسين عليه السلام الرسول صلى الله عليه وآله مرة أخرى وأمره بالمسير إلى العراق:

روى ابن طاووس: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالي يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت فقال له: ابن الحنفية فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمانع الناس به ولا يقدر عليك أحد فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها. فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما

فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال فقال له: قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى^(١).

وروي: (جاء عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمر وأنا ماضٍ فيه، قال: فخرج ابن العباس وهو يقول: وا حسينا، ...) ^(٢). والإمساك: أي عدم المسير إلى العراق.

وفي طريقه إلى العراق رأى الإمام الحسين رؤيا أولها بما سيجري عليه، قال الإمام الصادق عليه السلام: "لما صعد الحسين بن علي عليهما السلام عقبة البطن قال لأصحابه: ما أراني إلا مقتولاً، قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله؟ قال: رؤيا رأيتهما في المنام، قالوا: وما هي؟ قال: رأيت كلاباً تنهشني أشدها عليّ كلباً أبقع" ^(٣).

وروى المؤرخون أنّ الإمام الحسين لما ارتحل عن "قصر بني مقاتل" (خفق وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إني خفقت خفقة فعنّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا فقال له: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد قال: فإننا إذاً لا نبالي أن نموت محقين، فقال له الحسين: جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده) ^(٤).

وبعد ظهر يوم التاسع من المحرم، رأى الإمام الحسين رؤيا بجده رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، وتحديداً عندما استنفر عمر بن سعد لعنه الله جيشه للهجوم وزحف

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٩ - ٤٠.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٦٤.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٨؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٥١. وروى ابن طاووس أنّ الحادثة حصلت في "الثعلبية" وأنّ علي الأكبر قال: "يا أبة، إذن لا نبالي بالموت" اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٠. وروى الصدوق أنها حصلت في "عذيب الهجانات"، انظر: الأمالي: ١٣١. الثعلبية وعذيب الهجانات: مواضع في الطريق.

نحو مخيم الحسين بعد صلاة العصر والإمام الحسين كان جالساً أمام خيمته مستنداً إلى سيفه: (إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته زينب الصبيحة فدنّت من أخيها فقالت يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت قال فرفع الحسين رأسه فقال إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي إنك تروح إلينا) ^(١).

وأيضاً: روى بعض المؤرخين رؤيا للحسين عليه السلام كانت في فجر يوم عاشوراء، منهم الخوارزمي قال: (فلما كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: فما رأيت يا بن رسول الله؟ فقال: رأيت كلاباً قد شدّت عليّ تناشبني لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيت كلباً عليّ، وأظن الذي يتولّى قتلي رجلاً أبرص من بين هؤلاء القوم، ثم إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بني! أنت شهيد آل محمد! وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل ولا تتأخر! فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت وقد أظف الأمر و اقترب الرحيل من هذه الدنيا) ^(٢).

كانت هذه بعض الرؤى التي رآها الإمام الحسين عليه السلام أثناء ثورته المباركة.

اعتراض الحر الرياحي للحسين (ع):

يمكننا أن نعتبر الحر بن يزيد الرياحي وجيشه (وهم كوفيون كما سيتضح) يمثلون الفئة التي ليس لدى أفرادها موقف عقائدي معين، وكل همهم العيش بصرف النظر عن هوية الحاكم من يكون، فلا هم يُحسبون (عقائدياً) على أتباع علي عليه السلام ولا يُحسبون على أتباع بني أمية. نعم، هم موظفون في الجيش أو الشرطة ويأتمرون بأمر الوالي الأموي (ابن زياد) لكنهم - من الناحية العقائدية كما قلت - ليسوا بتابعين للأمويين،

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣١٥: الإرشاد، المفيد: ٨٩ - ٩٠.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ١/ ٣٥٦: وانظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥/ ٩٩ - ١٠٠.

ولذلك - كما سنرى - فإنهم صلّوا جماعة خلف الإمام وائتموا به، كما أنّ قائدهم الحرّ التحق يوم العاشر بالإمام الحسين عليه السلام واستشهد معه.

روى المؤرخون ^(١) أنّ الحسين عليه السلام لما اقترب بركبه من "ذو حُسم" ^(٢) رأوا هوادي الخيل، فسأل الإمام الرجلين الأسديين اللذين كانا يسيرانه (عبد الله بن سليم، والمذري بن المشمعل): "أما لنا ملجأً نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد"، فأشارا عليه بالذهاب إلى "ذو حسم" إذ كان قريباً منهم، فعدلوا عن الطريق واتجهوا إليه، فأمر الحسين عليه السلام بنصب الخيام فيه.

وفي حر الظهيرة اقترب الحرومعه ألف فارس من خيام الحسين عليه السلام، إذ كانوا قد ساروا لاعتراضه من القادسية (قرية تقع على أطراف الكوفة) بأمر من الحصين بن تميم (قائد شرطة ابن زياد)، فسألهم الإمام عن حالهم واسم قائدهم فأجابوه أنهم أصحاب عبيد الله بن زياد، فنادى على الحروقال له: "ويحك يا ابن يزيد، ألنا أم علينا؟ فقال الحر: بل عليك يا أبا عبد الله! فطلب الحسين من فتيلانه أن يسقوهم مع خيولهم الماء. ثم حضرت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وقال: "أيها الناس، إني لم أتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم" فسكتوا عنه ولم يتكلم أحد منهم بكلمة. فقال للمؤذن: "أقم" فأقام الصلاة فقال للحر: "أتريد أن تصلي بأصحابك؟" قال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك. فصلى بهم الحسين بن عليّ."

ولما حانت صلاة العصر، صلى بالقوم ثم سلّم وانصرف إليهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد: أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله عنكم، ونحن أهل بيت محمد، وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥/ ٧٦ - ٧٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢/ ٧٦ - ٨٣؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٢ - ٣٠٥.

٢- موضع في العراق يقع على طريق الحج بين (كوفة - مكة)، يبعد بمقدار ٦٤ كم عن ناحية الرّهيمة (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، ويبعد ذو حسم عن الكوفة ١١٥ كم تقريباً.

ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أبيتم إلا كراهية لنا والجهل بحقنا، فكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت به علي رسلكم، انصرفت عنكم". فقال له الحر: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسائل التي تذكر، ولما نثرت بين يديه قال الحر: إننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله. فقال له الحسين: "الموت أدنى إليك من ذلك".

وها هنا ملاحظتان:

الأولى: قوله "انصرفت عنكم": لا يعني أنّ الإمام كان بصدد بيان السبب الأساسي لثورته وقدمه إلى العراق وهو كتب أهل الكوفة إليه^(١)، والآن يريد الانصراف عنهم بعد أن تبين خذلانهم، أبدأً ليس هذا هو مقصود الإمام؛ بدليل أنه كان يعلم بخذلانهم له من قبل، وقد صرح بذلك مراراً في المدينة ومكة وفي الطريق أيضاً، ومع ذلك أصرّ على المسير إلى العراق وما ذاك إلا لإنفاذ مراد الله ونصرة دينه كما بينا أكثر من مرة. نعم، الإمام قال "انصرفت عنكم" أمام الحروجيله؛ لأنه كان بصدد المحاججة وقطع عذر المخالفين له، والمحاججة لها أسلوبها الخاص بالتأكيد، فبين لهم أنه قدم الكوفة لأن أهلها خاطبوه وكتبوا إليه، وإذا تبين أنهم لا يرغبون بقدمه فهو ينصرف عنهم أي عن الكوفة وأهلها، لا أن ينصرف عن أصل ثورته الإلهية بوجه الانحراف الأموي.

الثانية: كلام الإمام الحسين مع الحروجيله يؤكد أنّ القوم كانوا كوفيين، ولذلك ذكر لهم الكتب المرسلة إليه من قبل أهل الكوفة، ويؤكد - كذلك - أنهم لم تكن عقيدتهم أموية مثل ابن سعد وابن الأشتع وشمر والحسين بن تميم وأمثالهم، وإنما كانوا مجرد موظفين أمنيين (جيش وشرطة) في دولة بني أمية ويأتمرون بأمر والي الكوفة عبيد الله بن زياد وقائد شرطه الحسين بن تميم الذي بعثهم لاعتراض الحسين وركبه.

ثم إنّ الحسين أراد أن يسير برحله، فحال القوم (الحروجيله) بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين للحر: "ما تريد؟" فقال له الحر: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد، قال: "إذاً والله لا أتبعك" قال: إذاً والله لا أدعك. فترادا القول ثلاث مرات. فلما كثر

١- وإن كانت كتبهم أحد الأسباب الظاهرية التي تقع في طول السبب الحقيقي.

الكلام بينهما قال له الحر: إني لم أؤمر بقتالك، إنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة، تكون نصفاً بيّني وبينك، حتى أكتب إلى الأمير. وكان الحر يكره أن يُبتلى بشيء من أمر الحسين، فتيأسر الحسين عن طريق العذيب والقادسية المؤدي إلى الكوفة وسار الحر وأصحابه يسايره وهو يقول له: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، فقال له الحسين: "أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدوبكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوّفه ابن عمه وقال: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وأسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبورا وباعد مجرماً
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً

ولما بلغ الحسين في مسيره "عذيب الهجانات" ^(١) أتاه سبعة من أنصاره من الكوفة هم: نافع بن هلال، ومجمع بن عبد الله العائذي، وابنه عائد، وجنادة بن الحارث السلماني، ومولاه واضح التركي، وعمرو بن خالد الصيداوي، ومولاه سعد، ومعهم دليلهم الطرماع بن عدي، فأقبل الحربين يزيد الرياحي نحو الحسين يطلب منه تسليم هؤلاء بحجة أنهم لم يكونوا ممن أتى معه من الحجاز، فقال له الحسين: "لأمنعهم مما أمنع منه نفسي إنما هؤلاء أنصاري وأعواني"، ثم سألهم الحسين عن أهل الكوفة فقالوا: "أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم واستميل ودهم واستخلصت نصيحتهم وهم ألب عليك، وأما سائر القوم فأفندتهم معك وسيوفهم غداً مشهورة عليك"، وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر الصيداوي، فقالوا: "أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدمك فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر"، فبكى الحسين عليه السلام وقال: "منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما

١- موضع في العراق يقع على طريق الحج بين (كوفة - مكة)، يبعد بمقدار ٣٠ كم عن ناحية الرهيمة (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، ويبعد عذيب الهجانات عن الكوفة ٨٠ كم تقريباً.

بدلوها تبديلاً، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخورثوا بك" (١).

وروى الطبري: إن الإمام الحسين لما بلغ "البيضة" (٢) خطب بأصحابه وأصحاب الحر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله إن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحق من غير، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تغدوني فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم في أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتكم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغتربكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (٣).

إن خطاب الإمام الحسين هذا يعدّ واحداً من أوضح خطاباته صلوات الله عليه في طريقه إلى العراق، فقد كشف فيه انحراف الأمويين بشكل صريح وبين وجوب الثورة عليهم، وأنه أحق من يقوم بهذه المهمة المكلفة بالتأكيد، وعرف نفسه ومسؤوليته الخطيرة باعتباره ابن بنت رسول الله المنصوص عليه وحثهم بالثبات على بيعته فإن الرشد فيها، وحذرهم من نكث البيعة والغدر الموجب للخسارة التي لا تجبر أبداً.

١- انظر: إِبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ١٤٦ - ١٤٧؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥ - ٣٠٦؛ تجارب الأمم، الرازي: ٢ / ٦٥، وفيهما ذكر أربعة مع الطرماح.

٢- موضع على طريق الحج بين مكة والكوفة، يبعد ٥٤ كم تقريباً عن ناحية الزهيمية (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، والفاصلة بين البيضة والكوفة ١٠٠ كم تقريباً.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٤ - ٣٠٥.

والملفت في الخطاب أنّ الإمام وضع جيش الحر (الألف) ومن كاتبه وبايعه من أهل الكوفة في مربع واحد وخانة واحدة، وهذا - إضافة إلى تأكيده على أنهم كوفيون - يكشف عن أنهم من القبائل التي بعث زعمائها ووجهائها بكتيهم ورسائلهم إلى الإمام يدعونه فيها للقدوم إليهم بل ويكشف عن أنهم - أي الزعماء - قدّموا بيعتهم إلى رسوله مسلم بن عقيل عند مجيئه لهم، وبالتالي فحال أفراد القبائل (التي يتألف منها جيش الحر) في الخذلان سيكون كحال الزعماء والوجهاء دون أي فرق، وأنهم ممّن أقيمت عليهم الحجة ولذلك عاتبهم الإمام على خذلانهم أيضاً، وليتهم اكتفوا بالخذلان والتقصير فحسب ولكن بعضهم خرجوا بسيوفهم لاعتراضه ثم قتاله لاحقاً!

وبعض المؤرخين - كصاحب الفتوح - اعتبر هذا الخطاب عبارة عن كتاب كتبّه الحسين عليه السلام عند وصوله إلى كربلاء وبعث به إلى بعض وجوه الكوفة وأشرافها الذين كاتبوه، جاء في مطلعته: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وعبد الله بن وال، وجماعة المؤمنين أما بعد فقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، إلى قوله: "ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام" (١).

ولغة الخطاب وإن كانت تناسب المذكورين أكثر من جيش الحر؛ باعتبار أنهم كاتبوه وبايعوه فعلاً، وها هو رسوله يقتل في بلدتهم وحيداً، وها هو الإمام يمر بركبه بحذاء مدينتهم على بعد كيلومترات قليلة ويمنع من دخولها بالقوة دون أن يهتّبوا لنصرته أو يحركوا ساكناً للدفاع عنه، ولذلك حدّثهم من نكث بيعته، لكن الإشكال في رواية "الفتوح" يكمن في أنها تذكر أنّ الامام أرسل كتابه بيد قيس بن مسهر، مع أنّ المشهور تاريخياً أنه استشهد قبل وصول الحسين إلى كربلاء وقد بلغ خبر مقتله إلى الإمام في "عذيب الهجانات" من قبل بعض أنصاره الذين التحقوا به في ذلك الموضع كما تقدم.

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٨١ - ٨٢. وفيه: "... وأنا أحق من غيري بهذا الأمر لقرابي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" بدل: "وأنا أحق من غيري".

وعموماً، إذا صح إرسال الكتاب إلى الشخصيات المذكورة فممكّن أن يكون الحامل للكتاب شخصاً آخر غير الصيداوي، كما أنّ الخطاب نفسه لا مانع من أن يكون الحسين عليه السلام ألقاه شفاهياً في "البيضة" أمام أصحابه وأصحاب الحر، ثم أعاد إرساله مكتوباً إلى سليمان بن صرد وأصحابه في الكوفة.

الحسين (ع) يغربل أصحابه ويرفض عرض الطرماح:

غربل الإمام الحسين أنصاره والمُلتحقين به في مواقف عديدة عبر الكلمات التي كان يقولها ويذكر فيها مصيره ومآله، وقد رأينا فيما سبق أنّ جموعاً غفيرة كانت قد التحقت به ثم تفرقت عنه في مكة وأثناء مسيره منها باتجاه العراق، وأيضاً لما دخل أرض العراق قام بغربلة الملتحقين به مرة أخرى، فمثلاً: في "ذو حُسم" ^(١): (قام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا تغيّرت وتنگرت وأدبر معروفها ولم يبقَ منها إلا صباية كصباية الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً حقاً فاني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً".

فقام زهير بن القين فقال: قد سمعنا - هداك الله يا ابن رسول الله - مقاتلك ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، لأثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.

قال: ووثب هلال بن نافع البجلي فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا، وإننا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

قال: وقام برير بن خضير فقال: والله يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، فيقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة) ^(٢).

١- موضع في العراق يقع على طريق الحج بين (كوفة - مكة)، يبعد بمقدار ٦٤ كم عن ناحية الرّهيمة (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، ويبعد ذو حسم عن الكوفة ١١٥ كم تقريباً.

٢- مثير الأحزان، ابن نما: ٣١ - ٣٢: اللّهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٤ - ٣٥: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨١: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥: تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٢ / ٥.

واضح أنّ الأصحاب عرفوا مقصد إمامهم المظلوم وهو ينعى نفسه وقرب أيامه ويشكو قلة الناصروخذلان القريب وقسوة العدو وإدبار الدنيا، ولذلك عقّبوا على كلامه بمواقف نبيلة خالدة ومفعمة بالولاء والثبات والمواساة والنصرة الصادقة يتقدمهم زهير وهلال وبربر رضوان الله عليهم.

وفي رواية: (فوثب إلى الحسين عليه السلام رجل من شيعته يقال له هلال بن نافع البجلي فقال: يا ابن رسول الله أنت تعلم أن جدك رسول الله لم يقدر أن يشرب الناس محبته ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدون بالنصر، ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأمر من الحنظل، حتى قبضه الله إليه، وإن أباك علياً رحمة الله عليه قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصره وقتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته، فلن يضر إلا نفسه والله مغن عنه، فسرينا راشداً معافاً مشرقاً إن شئت، وإن شئت مغرباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

ثم وثب إليه بربر بن خضير الهمداني فقال: والله يا بن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيه أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة بين أيدينا، لا أفلح قوم ضيّعوا ابن بنت نبهم، أفٍ لهم غداً ماذا يلاقون؟ ينادون بالويل والثبور في نار جهنم^(١).

وروى الخوارزمي: (أنّه لما كان الحسين بعذيب الهجانات قام إليه أصحابه وتكلّموا وأجمعوا لنصرته، فجزاهم الحسين خيراً، وخرج ولد الحسين وإخوته وأهل بيته حين سمعوا الكلام فنظر إليهم وجمعهم عنده فبكى ثم قال: اللهم إنا عترة نبيك محمد صلواتك عليه، قد أخرجنا وأزعجنا وطردنا عن حرم جدنا وتعدّت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين. ثم نادى بأعلى صوته في أصحابه: الرحيل)^(٢).

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٢٣٦.

أما الطرماح بن عدي الذي التقى بالحسين عليه السلام في "عذيب الهجانات" كما عرفنا، فإنه لما رأى قلة عدد أنصار الحسين ورأى في نفس الوقت تعبئة السلطة في الكوفة آلاف الكوفيين وتهيئتهم لبعثهم إلى حرب الحسين، اقترح على الإمام أن يسير به ومن معه إلى جبل "أجا" الذي لا يبعد كثيراً عن الموضع الذي كانوا فيه، وهو موضع منيع وآمن كان الطرماح وقومه يحتمون به عند النوازل:

روى الطبري أنّ الطرماح بن عدي دنا من الإمام الحسين وقال له: (والله إني لأنظر فما أرى معك أحداً ولولم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم ترعينا في صعيد واحد جمعاً أكثر منه فسألت عنهم فقبل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين فأنشذك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت فإن أردت أن تنزل بلدأً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجا امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجا وسلوى من طيء فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيء رجالاً وركباناً ثم أقم فينا ما بدا لك فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف فقال له: جزاك الله وقومك خيراً إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه) ^(١).

لا شك أنّ الإمام أجاب الطرماح بما يناسب حاله، فبيّن له أنه يريد الوفاء بالوعد والعهد الذي كان بينه وبين أهل الكوفة: "قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف"؛ وهو خلق إلهي رفيع، لكن الإمام في نفس الوقت كان يعلم بأنهم خاذلوه وقد بانّت علائم الخذلان بعد مقتل رسوله، بل وها هي طلائع الجيش تعترض ركبته وتهدهده، وهو عليه السلام مع هذا يذكر للطرماح أنّ بينه وبينهم عهداً، وهذا إمعان بالغ في إتمام الحجة عليهم وقطع عذرهم والرحمة بهم ومنحهم الفرصة لتدارك حالهم. كما أنّ تيمة الجواب أعني قوله: "ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه" تناسب حال

السائل أيضاً كما لا يخفى، فحقاً وصدقاً كل الأمور بيد الله لكن الإمام - شخصياً - يعلم تماماً بأنه مقتول لا محال وقد بانت لوائح الوعد الإلهي المكتوب في الأفق، كيف! وهو الذي خطب قبل بضعة كيلومترات قليلة من هذا الموضع (أعني: في ذي حسم)^(١) وأبان للسامعين أنّ أيامه في الدنيا لم يتبقّ منها إلا صباغة كصبابة الماء!

وهذا يعني أنّ الحسين عليه السلام قد اختار أن يحقق وعد الله ضمن أفضل الظروف التي لا يترك معها لأحد عليه حجة أو عذر، وأيضاً: اختار المكان المحدد له إلهياً، فهو لم يقبل بمقترح الطرماح ولم يختار العودة إلى الحجاز ولم يخطر بباله الذهاب إلى الشام كما يزعم بعض المؤرخين (كذباً أو توهماً)، كما سيتضح في البحث القادم، وإنما اختار المكان والزمان والظروف الموضوعية المناسبة لبلوغ ثورته ومظلوميته أقصى غاية ممكنة تحقق أهداف الثورة الإلهية وقطف ثمارها ونتائجها.

وفي نص آخر (أكثر وضوحاً)، إنّ الإمام قال للطرماح: (إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أن أخلفهم فإن يدفع الله عنا فقديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لا بد منه ففوز وشهادة إن شاء الله)^(٢).

ثم إننا - بعد اطلاعنا على البحوث المتقدمة - لا نستغرب حقيقة إذا ما رأينا أنّ الطرماح استأذن الإمام بالانصراف إلى الكوفة لإيصال الميرة (الطعام) إلى عياله على أمل العودة إلى الإمام لاحقاً إذا كان الوقت يكفي للرجوع والالحاق بالإمام! وسبب عدم الاستغراب هو أنّ الخذلان الذي ابتليت به الأمة - لست مجازفاً إن قلت إنه - ظاهرة عامة في جميع المدن الإسلامية، وليس مجرد حالة طارئة يتصف به فرد أو مجموعة أفراد معينين. بل، بُرّزت الكوفة - تاريخياً - أكثر من غيرها؛ باعتبار أنّ أهلها كاتبوا الإمام وراسلوه وطلبوا منه المجيء ثم غدروا به وخذلوه، وإلا فالخوف والخذلان والتقصير هو "حال" يتصف به الجميع وتطّبع به الجميع على السواء!

١- إذ الفاصل بين عذيب الهجانات وذو حسم بضعة كيلومترات قليلة.

٢- مثير الأحران، ابن نما: ٢٨.

يكمل الطبري رواية الطرماح بن عدي، فيقول: (قال: فودعته وقلت له دفع الله عنك شر الجن والإنس إني قد امترت لأهلي من الكوفة ميرة ومعني نفقة لهم فأتهم فأضع ذلك فيهم ثم أقبل إليك إن شاء الله فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك قال: فإن كنت فاعلاً فعجل رحمك الله قال: فعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل قال: فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون إنك لتصنع مرتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم فأخبرتهم بما أريد وأقبلت في طريق بني ثعل حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاها إلي فرجعت^(١).

الحقيقة - يا طرماح - إنَّ الامام ليس مستوحشاً لقلة الرجال، فالحسين هو الحسين ولو خرج إلى الموت وحده، وهو الذي شهد أعداؤه - بعد مقتل ولده وإخوته وصحبه يوم عاشوراء - أنهم ما رأوا وحيداً موتوراً قط أشرق وجهاً وأشد بأساً منه، وكانت الجموع تنكشف بين يديه إذا شدَّ بها ليث علي؛ أسد الله، انكشاف ربائض الأغنام إذا شدَّ بها السبع الضاري، مع أنَّ بعض المصائب التي نزلت عليه لو نزلت على جبل لهدَّته وفتَّته وخارت قواه، لكن الحسين الآن يطلب التعجيل منك والحق به؛ لأنه كريم ويحب الخير للجميع، فأراد لك الفوز ونوال سعادة الآخرة التي لا يعدلها شيء أبداً، فالخير بالنتيجة يعود عليك أنت لا على الحسين الذي يعلم بأنه مقتول لا محال وأنَّ المطلوب منه تقديم دمه قرباناً لنصرة دين الله، والحقيقة التي رأيناها بوضوح أنَّ اللاحقين بالحسين لم يدفعوا القتل عنه لكنهم فازوا وسعدوا وحظوا بالشهادة والفتح الإلهي العظيم، وهذا ما كان يطمح إليه الحسين لا غير.

هل عرض الحسين (ع) العودة أو المسير الى الشام؟

بعض العلماء - للأسف - ولأجل دفع شبهة إلقاء النفس في التهلكة^(٢) قِيلَ ما رواه بعض المؤرخين^(٣) من أنَّ الحسين عليه السلام (وحاشاه) عرض على الحر أو عمر بن سعد

١- تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧.

٢- شبهة الانتحار وإلقاء النفس بالتهلكة التي يثيرها بعض النواصب الأمويين على ثورة الحسين عليه السلام منذ القدم وإلى يومنا هذا، تقدمت الإجابة في التمهيد فراجع.

٣- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٩٥، ٣١٢.

- أو الإثنين معاً - أن يعود من حيث أتى أو يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين أو إلى يزيد ليرى فيه رأيه وما شابه، وكذلك قِيلَ بأنَّ الحسين همَّ بالرجوع بعد سماعه بمقتل مسلم بن عقيـل، أو أنه بعدما مُنِع من الكوفة قام بسلوك طريق الشام للذهاب إلى يزيد بحجة أنه - بالرغم ممّا به من فسق وفجور - أرقّ من ابن زياد^(١)؟

وكل ذلك باطل وغير صحيح، ويردّه:

أولاً: بالنسبة إلى مسألة همّ الحسين عليه السلام بالعودة بعد بلوغ نأب مقتل مسلم بن عقيـل فقد تقدمت الإجابة عنها.

ثانياً: تقدم - أيضاً - أنّ مثل هذه الاقتراحات كانت قد طُرحت على الحسين عليه السلام من قبل ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وابن عمرو وابن عباس وغيرهم وقد رفضها تماماً، والأمر التي واجهها بعد إعلان ثورته بوجه الأمويين بقضّها وقضيضها كانت تجري وفق ما كان يعلم به ويراه ماثلاً أمام عينيه ولهذا كان يخبر به أهل بيته وصحبه وغيرهم أحياناً، ولم يكن متفاجئاً أصلاً؛ لا من جهة قسوة الأمويين وظلمهم وهو الخبير بفسادهم وانحرافهم عن الحق، ولا من جهة إعراض الأمة وخذلانها له بما فهم أتباعه ومحّبوه وهو العارف المطلع على إخبار الله ورسوله إتياء والمتيقن بأنّه المخذول المقتول، حتى إنه كان يقول: "هذه كتب أهل الكوفة إليّ ولا أراهم إلا قاتلي"^(٢)، وبالتالي فلا شيء يدعو الإمام الحسين (وحاشاه) إلى أن يعيد حساباته كما يوهّم به كلام المؤرخين.

ثالثاً: نفس المؤرخين الذين ذكروا الحوار الذي دار بين الإمام الحسين وعمر بن سعد بالخصوص رَوَوْا أنّ شيئاً من تلك العروض لم يذكرها الحسين أبداً، وعلى سبيل المثال: روى الطبري: (عن عقبة ابن سمعان قال صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيره إلى ثغر

١- انظر: تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى: ٢٢٩ - ٢٣٠.

٢- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٣٠٥ - ٣٠٦.

من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس (١).

رابعاً: لم يسلك الإمام الحسين درب الشام ولم يكن في نيته ذلك إطلاقاً، أما تياسره في المسير بعد دخول أرض العراق واقترابه من الكوفة وتحديداً في المنازل التي تقع إلى جنوب غرب وغرب وشمال غرب مدينة النجف (أعني منازل: ذو حسم والبيضة وعذيب الهجانات والرهيمة وقصر بني مقاتل والقطقطانة، ... إلخ)، فكان سببه اعتراض الحر وجيشه له فكانوا يدفعونه جاهدين عن دخول الكوفة من جهة الغرب، وأيضاً هي منازل أدّت به بالنهاية إلى كربلاء حيث مكان الشهادة الموعود به بعد الحيلولة بينه وبين دخول الكوفة. وحقيقة، لا أعرف من أين فهم هؤلاء أنّ الحسين كان يتياسر في مسيره لأجل نيته الذهاب إلى الشام والحال أنه لم يصدر منه قولاً أو فعلاً يؤكد ذلك؟!

نزول الحسين (ع) بكربلاء:

لا يزال الحربن يزيد الرياحي بألف من أصحابه يمنع الحسين عليه السلام من الاقتراب من الكوفة ويدفعونه للتياسر في المسير حتى انتهى ركب الحسين إلى نينوى (٢)؛ المكان الذي نزل به الحسين.

ولم يمضِ كثيراً حتى جاء رسول ابن زياد إلى الحرود دفع إليه كتاباً جاء فيه: (أما بعد فجعجع بالحسين حين بلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام). فقال الحرل لحسين: (هذا كتاب الأمير عبيد الله يأمرني أن أجعج بكم في المكان الذي يأتيني كتابه، وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ أمره فيكم).

وحصل حوار بين رسول ابن زياد (مالك بن النسيير الكندي) وبين رجل من أصحاب الحسين اسمه يزيد بن المهاجر الكندي؛ لأن كليهما كوفيان من قبيلة كندة، فسأله ابن

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٣.

٢- ناحية بسواد الكوفة في ذلك الوقت، وتعد كربلاء جزءاً منها، انظر: معجم البلدان، الحموي: ٥ / ٣٣٩.

المهاجر عن فحوى الكتاب الذي قدم به، فقال: "أطعت إمامي ووفيت ببيعتي"، فقال له ابن المهاجر: "بل عصيت ربك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك وكسيت العار والنار، وبئس الامام إمامك قال الله عز وجل: "وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون" فإمامك منهم".

ثم إنَّ الحر أمرهم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقال له الحسين عليه السلام: "دعنا ويحك نزل هذه القرية أو هذه، يعني نينوى والغاضرية، أو هذه يعني شفية! قال: لا والله ما أستطيع ذلك هذا رجل قد بعث إليّ عيناً عليّ".

فعرض زهير بن القين على الحسين عليه السلام أن يقاتلوهم، فقال الحسين عليه السلام: "ما كنت لأبدأهم بالقتال" ثم نزلوا في ذلك المكان ^(١).

ثم أقبل على أصحابه، فقال: "الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديّانون" ^(٢).

وروى الدينوري: (فقال الحسين للحر: سربنا قليلاً، ثم نزل. فسار معه حتى أتوا كربلاء، فوقف الحر وأصحابه أمام الحسين ومنعوه من المسير، وقال: انزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب. قال الحسين: وما اسم هذا المكان؟ قالوا له: كربلاء. قال: ذات كرب وبلاء، ولقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين، وأنا معه، فوقف، فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال: ها هنا محط ركبهم، وها هنا مهراق دمائهم، فسئل عن ذلك، فقال: ثقل لآل بيت محمد، ينزلون ها هنا) ^(٣).

وروي أنّ الإمام الحسين قبض قبضة من تراب كربلاء فشَمَّها، وقال: "هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله أنني أُقتل فيها، أخبرني أم سلمة قالت: كان جبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت معي، فيكيت، فقال رسول الله: دعي ابني فتركته، فأخذك ووضعك في حجره، فقال جبرئيل: أتحبّه؟ قال: نعم. قال: فإنَّ أُمّتك ستقتله، وإن

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٨ - ٣٠٩: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٢ - ٨٤.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨٣.

٣- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٢ - ٢٥٣.

شئت أريتك تربة أرضه التي يقتل فيها! قال: نعم. فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلاء، فأراه إيّاها" (١).

وأيضاً: روي أنّ الحسين عليه السلام لما وصل إلى كربلاء (الموضع الذي قتل فيه) وقف به الفرس ولم يتحرك، فنزل وصعد أخرى فلم يسير خطوة، وهكذا حتى سبعة أفراس، فسأل عن اسم الأرض، فقيل: الغاضرية، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ فقيل: نينوى، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ فقيل: شاطئ الفرات، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ فقيل: كربلاء، فعند ذلك تنفّس الصعداء، وقال: أرض كرب وبلاء، ثم قال: "انزلوا، فهاهنا والله مناخ ركابنا، وهاهنا والله سفك دمائنا، وهاهنا والله هتك حريمنا، وهاهنا والله قتل رجالنا، وهاهنا والله ذبح أطفالنا، وهاهنا والله تزارقبورنا، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا خلف لقوله" (٢).

وذكر ابن شهر آشوب قول الحسين بالنحو التالي: "هذا موضع الكرب والبلاء، هذا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومقتل رجالنا، وسفك دمائنا" (٣).

فنزل الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في كربلاء يوم الخميس الثاني من المحرم، سنة ٦١هـ، وحطّوا أثقالهم وضربت خيامهم فضربت خيمة للحسين (أهله وبنيه)، وضرب أخوته وبنو عمومته خيامهم حوله ثم خيام بقية الأنصار (٤). وكان الحسين ومن معه نزلوا في جانب، ونزل الحرو وأصحابه في جانب آخر.

تنبيه: لا قيمة علمية لما أشكل به البعض على موضع مخيم الحسين في الموضع المعروف المجاور لحرم الإمام الحسين، بزعم أنّ هناك عرفاً عسكرياً سائداً - آنذاك - يقضي بالتباعد إلى مسافة مليون (٣,٢ كم) كحد أدنى بين الجيشين المتقابلين؛ للسماح

١- موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٥٤.

٢- انظر: مقتل الحسين، أبو مخنف: ٧٥ - ٧٦؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٥٤ - ٤٥٥.

٣- مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٤٧.

٤- انظر: الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ٨٤/ ٥.

بحركة الخيول وما شابه^(١)، إذ صاحب الإشكال ربما غفل عن أنَّ الإمام الحسين لم يكن معه عدد كبير يوازي الجيش الأموي ليتم الفصل بينهما بميلين فأكثر، كما أنَّ الشواهد التاريخية تؤكد قرب المخيم الحسيني من ساحة المعركة، وهي كثيرة؛ منها:

- لما أطلق عمر بن سعد شرارة الحرب ورمى بسهم ورمى جيشه بلغت سهامهم المخيم واخترقت بعض أزر النساء.
- من في المخيم كان يسمع خطب الإمام ونداءاته، فمثلاً: سمع الإمام السجاد استغاثة أبيه: "أما من معين يعيننا"، فخرج من الخيمة يتوكأ على عصا لنصرته، بل كانت مشاهدة الحسين ممكنة أحياناً لمن كان بالمخيم، لذلك - مثلاً - ركض إليه عبد الله ابن أخيه الحسن وقتل على صدر عمه.

أيضاً: فور وصول الركب إلى كربلاء، كتب الحر الرياحي لابن زياد يخبره بنزول الحسين أرض كربلاء، فكتب ابن زياد للحسين قائلاً: "أما بعد، يا حسين فقد بلغني نزولك أرض كربلاء وقد كتب إليّ يزيد أن لا أتوسد الوثير ولا أشيع من الخمير حتى ألحقك باللطيف الخبير أو تنزل على حكمي وحكم يزيد، والسلام". فلما قرأ الإمام الحسين كتابه رمى به وقال: "لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق"، فقال له الرسول: أبا عبد الله، جواب الكتاب! قال: "ليس له عندي جواب فقد حقت عليه كلمة العذاب"^(٢). وفي رواية أنه قال: "لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً، فهل هو إلا الموت فمرحباً به". فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بذلك فغضب وخرج بجميع أصحابه إلى النخيلة^(٣).

١- انظر: حياة الإمام الحسين، باقر شريف القرشي: ٩٣/ ٣.

٢- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٨٥/ ٥.

٣- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٤.

الاستعداد لحرب الحسين^(٤):

الزمان: (٢ محرم - ٩ محرم ٦١ هـ)

الفترة الزمنية كما نلاحظ أسبوع واحد فقط، لكنه أسبوع مليء بالأحداث والآلام، يكفي أن نعرف أنّ عائلة الرسول صلى الله عليه وآله عاشت فيه محاصرة مهددة بالإبادة من قبل الجيش الأموي الزاحف إلى كربلاء.

تعبئة الجيش للحرب:

النفير العام والعسكرة:

أعلن ابن زياد النفير العام في الكوفة، وجمع أهلها في جامعها الأعظم وخطب فيهم فمدح معاوية وأثنى على يزيد بسبب تحسن الوضع الاقتصادي والأمني في وقته بحسب زعم ابن زياد، قال: "يعطي العطاء في حقه، قد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره". ثم أوضح لهم أنّه وعد بزيادة مرتباتهم وعطائهم إن هم خرجوا لحرب الحسين، قال: "وقد زادكم - يعني يزيد - في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا". وبمجرد نزوله عن المنبر باشر فعلاً بمنح الناس العطاء والأموال والزيادة التي وعدهم بها، وأمرهم بالخروج إلى الحرب وأن يكونوا عوناً لعمر بن سعد^(١).

١- انظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٥ - ٣٨٦. وفي رواية ابن أعثم: "وكتب إليّ يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أفرقها عليكم وأخرجكم إلى حرب الحسين بن علي، فاسمعوا وأطيعوا" الفتوح: ٨٩ / ٥.

وعمر بن سعد: هو ابن سعد بن أبي وقاص، ولد في المدينة سنة ٢٦ هـ، سكن الكوفة، خبيث ملعون، كان معروفاً عنه منذ صغره أنه قاتل الحسين عليه السلام، روى ابن عساكر بسنده: "عن عبد الله بن شريك قال أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله" تاريخ مدينة دمشق: ٤٥ / ٤٨ - ٤٩. اختير لقيادة الجيش الأموي لقتال الحسين ونفذ تعاليم ابن زياد تماماً فقتل الحسين وأوطأ الخيل صدره وظهره، ولم يئل ما وعده به من ولاية الري وكان يقول: "ما رجعت أحد إلى أهله بشر مما رجعت به! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة

وكان ابن زياد قد أعد جيشاً بأربعة آلاف لبعثه إلى الشرق بقيادة عمر بن سعد وزوّده عهد ولاية الري، وكان الجيش معسكراً في "حَمَامُ أَعِين"^(١)، فلما وصل الحسين إلى كربلاء طلب ابن زياد من ابن سعد أن يسير بالجيش إلى الحسين وإذا فرغ منه توجه إلى الري. فقال ابن سعد: "إن رأيت أن تعفيني فافعل، فقال ابن زياد: نعم على أن تردّ لنا عهدنا فقال ابن سعد: أمهلني اليوم حتى انظر"، وفعلاً استشار بعض رفقائه فأشار عليه بعضهم بترك الخروج، لكنه قرّر بالنهاية أن يسير وصار يتدب الناس في الكوفة للحرب، وطلب من ابن زياد أن يشرك معه بعض أشرف الكوفة^(٢).

وروى البلاذري: (لما سرح ابن زياد عمر بن سعد من حَمَامُ أَعِين، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر أن لا يتخلّف أحد منهم، وصعد المنبر فقرّض معاوية وذكر إحسانه وإدارته الأعطيات وعنايته بأمور الثغور، وقال: إن يزيد ... قد زادكم مائة مائة في أعطيتكم فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب^(٣) والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي فأما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً عن العسكر برئت منه الذمة. ثم خرج ابن زياد فعسكر وبعث إلى الحصين بن تميم وكان بالقادسية في أربعة آلاف، فقدم النخيلة في جميع من معه. ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث ابن قيس والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمان المنقري وأسماء بن خارجة الفزاري وقال: طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة، وخوفوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة (كذا) فخرجوا فعزروا وداروا بالكوفة. ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ويحذرهم الفتنة والفرقة ويخذل عن الحسين! وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة الآلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين. ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف. وتمارض شيبث بن ربعي فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في

الشريفة" أنساب الأشراف: ٣ / ٢١١. هجره الناس وكلما مرّ على جماعة أعرضوا عنه وكل من رآه سبّه، فبقي في داره معزولاً حتى قتله المختار الثقفي مع ابنه حفص. انظر: شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٣٣ / ٦٤٦ - ٦٤٧.

١- موضع على أطراف الكوفة تعسكر فيه الجيوش عادة.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٩ - ٣١٠.

٣- العرفاء: جمع عريف وهو القائم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس، والمناكب: جمع منكب وهو رأس العرفاء، وعمل الاثنين متشابه في أنهما وسطاء بين السلطة والقبائل أو الجماعات من الناس.

ألف ففعل^(١). وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلا في ثلاث مائة وأربع مائة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه^(٢). ووجه أيضاً يزيد بن الحرث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل.

ثم إنَّ ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وأمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمان بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به ابن زياد فقتله، فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة. ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة، غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة يمد بهم عمر بن سعد. وكان عمر يكره أن يكون هلاك الحسين على يده فلم يكن شيء أحب إليه من أن يقع الصلح. ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق الحسين مغيباً له، ورتب المسالحي حولها وجعل على حرس الكوفة زحربن قيس الجعفي. ورتب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرة مقدحة فكان خبر ما قبّله يأتيه في كل وقت^(٣).

أما ابن أعثم الكوفي فقد صرح بوجود "جيش الشام" ضمن السائرين إلى قتال الحسين عليه السلام، وأيضاً: أوصل عدد الخارجين للحرب إلى اثنين وعشرين ألفاً؛ فبعد أن ذكر خطبة ابن زياد المتقدمة ووعدده لهم بزيادة العطاء، قال: (ثم نزل عن المنبر ووضع لأهل الشام العطاء فأعطاهم ونادى فمهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعواناً له على قتال الحسين. قال: فأول من خرج إلى عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن السلوي

١- روى بعض المؤرخين تمارض شبيب بن ربعي بالنحو التالي: (ثم أرسل - يعني: ابن زياد - إلى شبيب بن ربعي أن أقبل إلينا وإنا نريد أن نوجه بك إلى حرب الحسين، فتمارض شبيب، وأراد أن يعفيه ابن زياد فأرسل إليه: أما بعد فإنّ رسولي أخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن، إن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً. فأقبل إليه شبيب بعد العشاء لئلا ينظر إلى وجهه فلا يرى عليه أثر العلة فلما دخل ركب به وقرب مجلسه، وقال: أحب أن تشخص إلى قتال هذا الرجل عوناً لابن سعد عليه، فقال: أفعل أيها الأمير) انظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٦: العوالم - الإمام الحسين: ٢٣٧.

٢- قال الدينوري: (وكان ابن زياد إذا وجه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير يصلون إلى كربلاء ولم يبق منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين، فيرتدعون ويتخلفون، فبعث ابن زياد سويد بن عبد الرحمن المنقري في خيل إلى الكوفة وأمره أن يطوف بها فمن وجده قد تخلف أتاها به) الأخبار الطوال: ٢٥٤.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٧٨ - ١٧٩. خيل مضمرة مقدحة: أي نحيفة سريعة الجري.

- لعنه الله - في أربعة آلاف فارس، فصار عمر بن سعد في تسعة آلاف، ثم أتبعه زيد بن ركب الكلي في ألفين، والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، والمصاحب الماري في ثلاثة آلاف ونصر بن حربة في ألفين فتم له عشرون ألفاً. ثم بعث ابن زياد إلى شبيب بن ربعي ... فخرج إلى عمر بن سعد في ألف فارس ...، وأتبعه بحجار بن أبجر في ألف فارس، فصار عمر بن سعد في اثنين وعشرين ألفاً ما بين فارس وراجل^(١).

بينما أوصلهم السيد محمد بن أبي طالب إلى ثلاثين ألفاً، قال: (فأول من خرج شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف، فصار ابن سعد في تسعة آلاف، ثم أتبعه يزيد بن ركب الكلي في ألفين، والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، وفلاناً المازني في ثلاثة آلاف، ونصر بن فلان في ألفين، فذلك عشرون ألفاً. ثم أرسل إلى شبيب بن ربعي، ... فما زال يرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل^(٢)). وهناك أقوال أخرى بلغت بالعدد أكثر من ذلك، كما سيتضح.

ملاحظات هامة:

١- من لاحظ الإجراءات التي اتخذها ابن زياد لتجيش أهل الكوفة وحملهم على الخروج لحرب الحسين عليه السلام، وجدها تتسم بطابع التهيب من جهة والترغيب من جهة أخرى. ومثال الترغيب: دفع الأموال والترقيات وزيادة المرتبات، وهذا الإجراء كثيراً ما يعتمد إليه الطغاة وتضعف أمامه نفوس أغلب الناس وتضمحل معه المبادئ والقيم في أحيان كثيرة. أما مثال التهيب فرأيناه واضحاً في قول ابن زياد: "فأيا رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن العسكر برئت منه الذمة"، وهو بلغتنا اليوم: إصدار حكم إعدام بحق جميع المتخلفين عن الخروج للحرب! بل إن ابن زياد أمر بقتل رجل أجني (غير كوفي)

١- الفتوح، ابن أعثم: ٨٩ / ٥.

٢- عنه، بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨٦: العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٢٧.

قدم الكوفة لحاجة، فألقت قوات ابن زياد عليه القبض في الكوفة بعد انتهاء المهلة، وأصدر حكماً بقتله وإعدامه ليكون عبرة لغيره^(١)!

٢- لا شك أنّ عمل العرفاء والمناكب متشابه في أنهما وسطاء بين السلطة وقبائلهم (وهو شبيه بعمل المخاتير في زماننا الحالي)، وكانوا يسهّلون على الولاة إدارة الناس من حيث التعبئة في الحروب وإيصال أوامر السلطة وتعليماتها إلى الناس وتوزيع العطاء عليهم ونحو ذلك، وواضح أنه إجراء إداري يضمن معه الولاة طاعة الرعية لهم، فهم - والحال هذه - أيدي الوالي التي يعمل بها، ولهذا كان الولاة حريصين جداً على اختيار من يضمنون ولاءه للسلطة تماماً وتعيينه في هذا المنصب الحساس، وقد رأينا دورهم الكبير في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل، ونرى الآن دورهم - أيضاً - في تجييش أهل الكوفة وحملهم على حرب الحسين عليه السلام. ولهذا نرى أنّ من استخلفه ابن زياد على الكوفة عند خروجه للنخيلة للعسكرة بالجيش (أي: عمرو بن حريث^(٢))، وكذلك من دعاهم وقال لهم: "طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة، وخوفوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة" فجابوا الكوفة طولاً وعرضاً يفعلون ما أمرهم به، وهم: (كثير بن شهاب الحارثي المذحجي، ومحمد بن الأشعث بن قيس الكندي، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمان المنقري، وأسماء بن خارجة الفزاري^(٣))، كل هؤلاء كانوا عرفاء قبائلهم ورؤساء أقوامهم في الكوفة وهم الواسطة بين الناس وبين السلطة، وكانوا حاشية ابن زياد المقرّبة إليه.

٣- يظهر من مطالعة النصوص التاريخية أنّ عمر بن سعد لم يكن يرغب بالخروج إلى حرب الحسين، ولما عرض عليه ابن زياد تولّي قيادة الجيش طلب منه أن يعفيه عن المهمة: "إن رأيت أن تعفيني فافعل"؛ والسبب هو أنّ عظمة شخصية الإمام الحسين - بلا شك -

١- شبيه بهذه الإجراءات عشناها في زمن الطاغية صدام، فصار أغلب الناس يتبع أوامر السلطة: خوفاً من إجرامها وانتقامها، بل بلغ الحال أنّ الجاروشي بجاره والأخ بأخيه، وبالنتيجة كان الخوف سبباً في مسaire أغلب الناس للطاغية في أفعاله وتصرفاته بالرغم من إقرار أغلبهم بظلمه وإجرامه.

٢- نزيل الكوفة، كان يعد من أصحاب علي عليه السلام، ثم مال إلى زياد بن أبيه فكان يستخلفه على الكوفة إذا خرج منها إلى البصرة، عدو لله ملعون، انظر: خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٣٧٧؛ رجال ابن داود: ٣٠٣.

٣- تقدم ذكرهم في بحث مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، فراجع.

كانت تهيمن على الجميع بما فيهم المنحرفين والفسقة، بل حتى بعد قبوله بالسير بالجيش إلى كربلاء لم يكن يتمنى قتاله: "أرجو أن يعافيني الله من حربته وقتاله". كان ابن سعد يتوقع أن ينتهي الأمر بالصلح كما انتهى الأمر بين الإمام الحسن ومعاوية: "فلم يكن شيء أحب إليه من أن يقع الصلح"، وليس بالضرورة أن يكون تمنّيه هذا بسبب حبّه للحسين ونهجه وسيرته، وإنما لأجل طلب السلامة والعافية لا أكثر؛ إذ ليس من السهل تماماً مجرد التفكير بإيذاء من كان يمثل في وجوده الامتداد الحقيقي للرسول؛ نسباً ووجاهة وخلقاً ودينياً وسيرة، وكان الإمام الحسين ينفرد بهذه الخصوصية التي لا يشاركه فيه أحد غيره، كما أنّ شخصيته الفريدة كانت بمستوى من الهيبة والعظمة ما تدعو أي أحد إلى التفكير مراراً قبل الإقدام على إيذائه بقول أو فعل عادي، فضلاً عن التفكير بقتله!

لم يكن ابن سعد منفرداً في هذا القلق، وإنما إمام الأمويين نفسه (معاوية) كان حذراً جداً في التعامل مع الحسين عليه السلام، وبالرغم من علمه بأن وجوده كان يسبّب له وملكه أرقاً وقلقاً متواصلاً لكنه أبداً لم يخطر بباله اللجوء إلى مواجهة علنية معه؛ لعلمه بأن الإقدام على هكذا أمر يعني خسارة كل ما بناه معاوية ومهد له طيلة عقود من الزمن، ولهذا كان يحذّر ابنه يزيد من مواجهة الحسين علناً، كما تقدم. وأيضاً: لاحظنا موقف شبيب بن ربيعي؛ إذ تحايل بالتمارض لكن حيلته لم تنطلي على ابن زياد فأرسل عليه بالاسم وطلب منه أن يخرج للحرب ويعين ابن سعد في المهمة، فلم يتمكن حينها من الإفلات فقبل نتيجة الخوف والجبن وطلب العافية.

وبالنسبة لابن سعد، فإنه اختار السير إلى كربلاء؛ لأنه - من جهة - يضمن له الإبقاء على صك ولاية الري بعد أن هدّده ابن زياد بسحبه منه في حال رفض الخروج، ومن جهة أخرى: لم يكن يتصور أنّ الأمور تؤدي بالنهاية إلى قتل الحسين عليه السلام، فكان يمني النفس بأنه يمكنه أن يصلح معه إلى صلح ما أو أنّ الحسين سيستسلم بعد أن يرى الألوف قد أحاطت به وبعياله من كل جانب ولو بعد بداية المعركة وقتل بعض أنصاره، وهكذا استدرج الأمويون (يزيد و ابن زياد بالتحديد) ابن سعد وشبيب وغيرهم من وجوه وزعامات الكوفة - بل وكثير من الناس العاديين فيها - إلى حرب الحسين وامتطوهم لتحقيق غايتهم الخبيثة لعنهم الله جميعاً.

يقول السيد أحمد الحسن: (... لعظمة شخصية الحسين وعلو مقامه، نجد أنّ أغلبهم بما فيهم من قاتلوا الحسين، ومنهم عمر بن سعد، وبالرغم من سماعهم ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله بحق الحسين ومقتله، لكنهم لم يكونوا يتصورون أن تصل الأمور إلى قتل الحسين، كانوا يتصورون أنّ الحسين سيستسلم وينتهي الأمر بالصلح، ولهذا مباشرة بعد أن قُتل الحسين تجد عمر بن سعد يبكي؛ لأنه عرف في أيّ بئر مظلّم لا نهاية له قد وقع، كان ابن سعد يتصور أنّ الحسين سيقبل التفاوض معه على صلح ما ولم يجُل في مخيلته أنه سيصل الأمر به إلى قتل الحسين، بل حتى بعد بداية المعركة كانوا يرجون قتل بعض أصحاب الحسين فينكسر جيشه ويستسلم، لكن شيئاً من هذا لم يحصل. بالنتيجة، استدرجهم الأمويون وإبليس إلى جهنم، لعنهم الله جميعاً) انتهى^(١).

٤- واضح أنّ من خرجوا لحرب الحسين من أهل الكوفة لم يكن لدى غالبيتهم قناعة ورغبة بالاشتراك، وإنما دفعهم لذلك الخوف من سيف السلطة، وهذا الأمر أشرنا له سابقاً أكثر من مرة ورأيناه الآن واضحاً في كلام المؤرخين المتقدم:

- "كان ابن زياد إذا وجّه الرجل إلى قتال الحسين عليه السلام في الجمع الكثير يصلون إلى كربلاء ولم يبقَ منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون ويتخلّفون"^(٢).
- "كان الرجل يبعث في ألف فلا يصل (إلى كربلاء) إلا في ثلاث مائة وأربع مائة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه"^(٣).

٥- بحسب بعض المؤرخين، لم يكن أهل الكوفة وحدهم من ساروا إلى قتال الحسين عليه السلام في كربلاء، وإنما كان هناك جيش الشام كما لاحظناه في كلام ابن أعثم المتقدم، وهذا الأمر طبيعي بعد أن عرفنا أنّ الكوفة بالأساس معسكر لجمع الجيوش وتدريبها، وأكد يوجد فيها قطعات عسكرية شامية؛ لأن أهل الشام كانوا يمثلون نخبة

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٤.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ١٧٨/٣.

الجيش الموالي لبني أمية ولا يمكن الاستغناء عنه في مدينة مثل الكوفة المعروفة بتمرد أهلها على بني أمية دائماً، وسيأتي مزيد من التوضيح لهذا الأمر.

وصول ابن سعد بجيشه إلى كربلاء:

بحسب المؤرخين^(١): زحف ابن سعد من الكوفة بالآلاف التي كانت معه في اليوم الثالث من محرم ونزل في كربلاء، وفور وصوله أراد أن يبعث رسولاً إلى الحسين يسأله عن سبب قدمه، فاختار عروة - أو عزرة - بن قيس^(٢) لكنه لم يرغب بالذهاب للحسين لأنه كان من ضمن الذين كاتبوه، فعرض الأمر على رؤساء القوم فأبوا لنفس السبب، فقام كثير بن عبد الله الشعبي^(٣) وقال: أنا أذهب إليه، فذهب ورجع ولم يأت بشيء، فدعا ابن سعد قرة بن قيس الحنظلي وطلب منه أن يلقي الحسين ويسأله عن سبب مجيئه، فلما رآه الحسين قال لأصحابه: "أعرفون هذا" فقال حبيب بن مظاهر: "نعم، هذا رجل من حنظلة تميم وهو ابن أختنا وقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد". فجاء حتى سلم على الحسين وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، فقال له الحسين: "كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم" ثم قال حبيب: "ويحك يا قرة أين ترجع؟! إلى القوم الظالمين؟! انصر هذا الرجل الذي بأبائه أيدك الله بالكرامة، فقال له قرة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي. ولما أخبر ابن سعد بالخبر، قال: "أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله!"

ثم كتب لابن زياد: "أما بعد: فإني حين نزلت بالحسين بعثت إليه رسلي، فسألته عما أقدمه، وماذا يطلب؟ فقال: كتب إليّ أهل هذه البلاد، وأتتني رسلم يسألونني القدوم

١- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٠ - ٣١١: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٤ - ٨٧.

٢- بعض المؤرخين ذكروا اسمه: "عروة بن قيس" انظر: الفتوح: ٥ / ٨٦: الإرشاد: ٢ / ٣٨، والبعض الآخر ذكروه باسم: "عزرة بن قيس" انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٠: أنساب الأشراف: ٣ / ١٥٨، وعلى كلا القولين فإن الرجل كوفي، بجلي أحمسي، وقبيلة "بجيلة" من القبائل اليمنية التي استوطنت الكوفة منذ بداية تمصيرها كما تقدم.

٣- كوفي بجلي، خبيث ملعون، قاتل زهير بن القين، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٦ / ٣٠٠: إحصاء العين في أنصار الحسين، السماوي: ١٦٥.

ففعلت، فأما إذ كرهوني وبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم، فأنا منصرف عنهم" ^(١)، فكتب إليه ابن زياد: "أما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع لي زيد هو وجميع أصحابه، فإذا فعل هو ذلك رأينا رأينا، والسلام". ولما ورد على ابن سعد قال: "قد خشيت ألا يقبل ابن زياد العافية" ^(٢).

ثم ما زال ابن زياد يرسل إلى ابن سعد بالعساكر حتى اكتملت عنده آلاف كثيرة جداً ما بين فارس وراجل، ثم كتب إليه: "إني لم أجعل لك علة في قتال الحسين من كثرة الخيل والرجال، فانظر أن لا تبدأ أمراً حتى تشاورني غدواً وعشياً مع كل غادٍ ورائح، والسلام". وذكر ابن اعثم أن ابن زياد كان (في كل وقت يبعث إلى عمر بن سعد ويستعجله في قتال الحسين، قال: والتأمت العساكر إلى عمر بن سعد لست مضين من المحرم) ^(٣).

والملاحظ أن ابن زياد كان يقطع كل عذر عن ابن سعد ويدفع به للحرب في حال أصرَّ الحسين على رفض الاستسلام والبيعة ليزيد، وهكذا ساقه ومن معه إلى حرب الحسين على الصعب والذلول!

وبعد أن تناهى لابن زياد أن ابن سعد يجالس الحسين أحياناً ويناجيه، كتب كتاباً ودعا شمر بن ذي الجوشن وقال: (اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكي فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً وإن هم أبوا فليقاتلهم فإن فعل فاسمع له وأطع وإن هو أبى فقاتلهم فأنت أمير الناس وثب عليه

١- حقيقة "الانصراف" المزمع وروده في كلام الإمام الحسين وبيان معناه تقدم الكلام فيه في بحث "هل عرض الحسين العودة أو المسير إلى الشام"، فراجع. وقلت في بحث "اعتراض الحرللي لحسين": (قوله "انصرفت عنكم": لا يعني أن الإمام كان بصدد بيان السبب الأساسي لثورته وقدمه إلى العراق وهو كتب أهل الكوفة إليه، والآن يريد الانصراف عنهم بعد أن تبين خذلانهم، أبداً ليس هذا هو مقصود الإمام؛ بدليل أنه كان يعلم بخذلانهم له من قبل، وقد صرح بذلك مراراً في المدينة ومكة وفي الطريق أيضاً. ومع ذلك أصرَّ على المسير إلى العراق وما ذاك إلا لإنفاذ مراد الله ونصرة دينه كما بينا أكثر من مرة. نعم، الإمام قال "انصرفت عنكم" أمام الحروجيلشه (أو أمام ابن سعد وجيشه): لأنه كان بصدد الحاجة وقطع عذر المخالفين له، والحاجة لها أسلوبها الخاص بالتأكيد، فبين لهم أنه قدم الكوفة لأن أهلها خاطبوه وكتبوا إليه، وإذا تبين أنهم لا يرغبون بقدمه فهو ينصرف عنهم أي عن الكوفة وأهلها، لا أن ينصرف عن أصل ثورته الإلهية بوجه الانحراف الأموي).

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١١؛ إعلام الوري، الطبرسي: ١ / ٤٥٢.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٠.

فاضرب عنقه و ابعث إليّ برأسه^(١). وأما كتابه فقد ورد فيه: "أما بعد، فإنني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيّ السلامة والبقاء ولا لتقعّد له عندي شافعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ مسلماً وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم فإنهم لذلك مستحقون فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم وليس دهري في هذا أن يضرب بعد الموت شيئاً ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا به إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمربن ذي الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بأمرنا، والسلام"^(٢).

وروى المؤرخون: (فأقبل شمربكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد، فلما قدم عليه وقرأه قال له عمر: ما لك ويليكَ؟! لا قرّب الله دارك، قبح الله ما قدمت به عليّ، والله إنني لأظنك أنك نهيتَه أن يقبل ما كتبت به إليه، و أفسدت علينا أمرنا، قد كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفس أبيه لبين جنبيه. فقال له شمرب: أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه؟ وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر، قال: لا، لا والله ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولى ذلك، فدونك فكن أنت على الرجالة)^(٣). كان ذلك في تاسع محرم الحرام سنة ٦١ هـ.

لماذا اختير ابن سعد لقيادة الجيش؟

من يراجع مضامين الكتب التي بعثها يزيد إلى واليه على المدينة (الوليد بن عتبة) وواليه على الكوفة (عبيد الله بن زياد)، وأيضاً: من يطلع على كتب ابن زياد التي بعث بها إلى ابن سعد يعرف أنّ خطة الأمويين مع الإمام الحسين كانت تركز على أمر أساسي (الأصل) وهو أخذ البيعة من الحسين ليزيد وبديل وهو القتل إن أبي ورفض. وبعد أن

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٥ - ٥٦: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٣ باختلاف يسير في صيغة الكتاب.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٩: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٥٢: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٦.

رفض الإمام الحسين بيعته يزيد في المدينة وأعلن ثورته صارت الخطة الأصل تتضمن إعلان الاستسلام بالضرورة، لذا وردت مفردة "الاستسلام" في كتب الأمويين نصّاً، فالآن المطلوب من الإمام الحسين أن يعلن استسلامه وبيعته ليزيد أو يقتل، هذا هو الموقف الرسمي ليزيد وابن زياد وقادة الجيش الأموي الذين يعملون بالتوجيهات الصادرة من قياداتهم العليا.

وهذه أقوال "يزيد، وواليه، وبعض قادة جيشه" توضح الخطة الأصل والبديل:

- قول يزيد لوالي المدينة: "أما بعد، فخذ الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه" (١).
- قول ابن زياد لابن سعد: "انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم"، وقوله للشمر: "اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً وإن هم أبوا فليقاتلهم" (٢).
- قول ابن زياد للحسين: "لا أتوسد الوثير... حتّى ألحقك باللطيف الخبير أو تنزل على حكمي وحكم يزيد" (٣).
- قول ابن سعد لشمر: "قد كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إنّ نفس أبيه لبين جنبه" (٤).
- قول الحر الرياحي للحسين لما اعترض ركبته في الطريق: "وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله... أريد أن أنطلق بك إلى

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٠.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٨٥.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤، الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٩.

الأمير عبيد الله بن زياد ... إني لم أؤمر بقتالك إنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة" (١).

ولأنّ الخطة الأصل - كما عرفنا - تتضمن الاستسلام والبيعة، فلا بد - والحال هذه - من وجود جهة تمثل السلطة الأموية تتولّى مهمة التفاوض مع الإمام الحسين وإقناعه بالاستسلام والنزول على حكم بني أمية، ولهذا تم اختيار ابن سعد لقيادة الجيش الأموي ليتولّى هذه المهمة؛ لأنه أقرب شخصية للحسين (٢) ذات ولاء أموي يمكن الاعتماد عليها قياساً ببقية الشخصيات الموجودة في الكوفة أو التي تحتلي مناصب عليا في قيادة الجيوش الأموية الموجودة في الكوفة وأطرافها أو المتجهة إليها.

وفي هذا، يقول السيد أحمد الحسن: (بعد وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء كانت خطة ابن زياد هي التفاوض مع الحسين وأسرّه، ولهذا وضعوا عمر بن سعد على رأس الجيش؛ لأنه أقرب شخص للحسين وبالتالي سيقبل الحسين التفاوض معه، وفعلاً جلس الحسين معه وتفاوض معه لكنه رفض الاستسلام، لهذا انتقلوا إلى بديل وهو القتال.

هم كانوا يأملون استسلام الحسين عليه السلام، فهم - أعني: يزيد والأمويين وابن زياد - ليسوا أغبياء ويعرفون جيداً أنّ قتل الحسين سيمثّل مشكلة كبيرة لحكمهم، لهذا كانوا يريدون الخلاص من قضية الحسين بطريقة معاوية وابن العاص أولاً. كان هدفهم منذ البداية - في المدينة - هو بيعة الحسين ليزيد، هذا هو الهدف ولا يريدون التورط بدم الحسين إذا حققوا هذا الهدف، لهذا وضعوا عمر بن سعد بن أبي وقاص - كما قلت لك سابقاً - على رأس الجيش) انتهى (٣).

لم يترك الأمويون للإمام الحسين أكثر من خيارين: الاستسلام والبيعة أو القتل، بل لم يتركوا له - حقيقة - أي خيار غير القتل؛ لأن الأمر الآخر (الرضوخ والبيعة) إذا كانت بقية

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٠: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٤٧ - ٤٨.

٢- باعتبار أنّ الإمام الحسين يعود بنسبه إلى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وعمر بن سعد يرجع إلى بني زهرة بن كلاب، فبنو هاشم بن عبد مناف وبنو زهرة بطنان من بطون قريش كما هو معلوم.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الناس تعتبره خياراً ممكناً ومتاحاً طلباً للعافية، فإنّ الموت أيسر منه بكثير بنظر الحسين بن علي، كيف! و"نفس أبيه بين جنبيه" بشهادة أعدائه، بل من يعرف شيئاً من شخصية الحسين يجزم بأنّ من يرجو منه الاستسلام وبيعة يزيد فإنّ نجوم السماء أقرب له!

لهذا كان عليه السلام يقول: "ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهمات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنين وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلة الناصر" (١).

- الدعي ابن الدعي: يعني ابن زياد.
- السلة: يعني استلال السيوف والقتل.
- الذلة: بسبب طلبهم منه الاستسلام والنزول على حكم بني أمية (البيعة).
- حجور طابت وطهرت: أحضان عفيفة زاكية ومطهرة.
- نفوس أبيّة: مترفعة عن النقائص والردائل.
- أنوف حمية: لديها أنفة وإباء، لا تحتل الضيم والذل والهوان.
- تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام: أي همات أن يختار الحسين البيعة وطاعة الأمويين "اللئام" ويقدم ذلك على القتل في سبيل الله، وهو مصرع الكرام.

وأيضاً: لما قال له قيس بن الأشعث: "انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، فقال له الحسين: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرار العبيد" (٢).

١- مثير الأحران، ابن نما: ٤٠؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٥٩. ورواه ابن عساكر بالنحو التالي: "ألا وإنّ البغي قد ركن بين اثنتين بين المسألة والذلة وهمات منا الدنية أبي الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وبطون وأنوف حمية ونفوس أبيّة أن تؤثر مصارع الكرام على ظنار اللئام، ألا وإنني زاحف بهذه الأسرة على قل العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر" تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢١٩.

٢- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٨.

هل عرض الحسين (ع) على ابن سعد العودة؟

روى الطبري: (قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب عن هاني بن ثابت الحضرمي وكان قد شهد قتل الحسين (١) قال: بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري أن ألقني الليل بين عسكري وعسكرك قال: فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً وأقبل حسين في مثل ذلك فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه قال أبو مخنف: وأما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب ابن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين فهو ما عليه جماعة المحدثين قالوا إنه قال: اختاروا مني خصلاً ثلاثاً إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه وإما أن أضع يدي في يد يزيد ابن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلاً من أهله لي ما لهم وعلي ما عليهم).

أقول: كيف عرف هؤلاء المحدثون - بحسب وصف أبي مخنف لهم - أن الحسين عليه السلام طرح هذه الأمور الثلاثة؟! وإذا كان مستندهم في ذلك ما رواه هاني الحضرمي فإنه صرح في روايته بأنه لم يكن يسمع ما دار في اللقاء، أما إذا كان مستندهم كتاب ابن سعد الذي وردت فيه هذه الأمور فهو مردود أيضاً كما سيتضح. علماً أن الطبري نفسه - بعد أن نقل رواية هاني الحضرمي - ذكر أن الناس هي التي تقولت الأمور الثلاثة، قال: (وتحدث الناس فيما بينهما ظناً يظنون أنه حسيناً قال لعمر بن سعد اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكريين قال عمر إذن تهدم داري قال أنا أبنيها لك قال إذن تؤخذ ضياعي قال إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز قال: فتكره ذلك عمر قال: فتحدث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه) (٢).

يكمل الطبري فيقول: (قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير أنهما كانا التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً حسين وعمر بن سعد قال: فكتب عمر بن سعد إلى عبيد

١- أي إنه أحد المجرمين الذي شاركوا في قتال الحسين عليه السلام مع ابن سعد لعنه الله.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٣.

الله بن زياد: أما بعد فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأييه وفي هذا لكم رضى ولأمة صلاح قال: فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأمره مشفق على قومه نعم قد قبلت قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزولتكونن أولى بالضعف والعجز فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة وإن غفرت كان ذلك لك والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت الرأي رأيك^(١).

أقول: هذا هو أصل الحكاية التي نسبت كذباً وزوراً إلى الحسين عليه السلام، وكل من نقلها وأخذ بها فهو بالتاكيد اعتمد على ما نقله الطبري عن أبي مخنف، مثل: المفيد وابن عساكر وابن الأثير والذهبي وغيرهم^(٢). والقضية - بقضها وقضيضها - باطلة جملة وتفصيلاً؛ لأسباب كثيرة:

أولاً: لا شك أن الرواية مكذوبة أو محرّفة؛ الهدف منها الإساءة للحسين عليه السلام بإضعاف موقفه واستقامته والانتقاص من شجاعته في الدفاع عن دين الله وشدة ثباته على الحق وإصراره على بيان انحراف الأمويين. وبالتالي فهي محاولة بائسة تكذيبها سيرة الحسين، ولا أقل فإن ما وصلنا من مواقفه خلال ثورته منذ انطلاقها في المدينة حتى شهادته في كربلاء يكفي للحكم على مثل هذه الحكايات بالوضع أو التحريف قطعاً.

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤. ومثله البلاذري في أنساب الأشراف: ٣ / ١٨٢ - ١٨٣ إذ قال: "قالوا: وتواقف الحسين وعمر بن سعد خلويين، فقال الحسين: اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليرى رأييه في وإما أن تسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعلي ما عليه! ويقال انه لم يسأله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط، ..." ثم نقل باقي القصة كما ذكر الطبري.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٧ - ٨٨؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٥١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٥؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ١٩٥ - ١٩٦.

وثانياً: إنّ العروض التي تضمنتها الرواية وردت على لسان ابن سعد في كتابه لابن زياد، ولم يرد ما يشير لها في كلام الحسين بمعنى: أنّ كلام الإمام - إن كان له أصل ووجود - لم تنقله الرواية من الأساس واكتفت بزعم ابن سعد لتلك العروض فكأنّ الرواية اقتطعت منها محل الشاهد، وبالتالي فحتى مع افتراض عدم تحريف الرواية إلا إنّ الكذب لا يفارقها والكاذب هو ابن سعد نفسه؛ إذ تقول على الإمام شيئاً لم يصدر منه؛ طلباً للعافية بطبيعة الحال وعدم الابتلاء بدم الحسين، وقد عرضنا له عدة كلمات بهذا الخصوص.

وثالثاً: تقدم فيما سبق ^(١) بيان كذب هذا العرض من الأساس، بل روى الطبري عن عقبة بن سمعان (أحد موالي الحسين الذين رافقوه من المدينة حتى شهادته) أنّ الحسين لم يصدر منه هكذا عروض زعمها الناس وتقولوها عليه كذباً ^(٢). كما أنّه - أي الطبري - اعترف بأنّ الأمور المذكورة لم ترد في كلام الحسين عليه السلام وإنما هي ظنون زعمها الناس كما لاحظناه في كلامه المتقدم.

نعم، كان الإمام الحسين اختلى بابن سعد وناجاه فعلاً، لكن ليس لأجل التفاهات والعروض التي ذكرت، وإنما لأجل أن ينذره عذاب الله إن هو أصرَّ على الإقدام على قتاله، وهذه هي سيرة خلفاء الله جميعاً (أنبياء ومرسلين وأئمة) وهل هم إلا مبشرين ومنذرين!

روى ابن أعثم: (ثم أرسل الحسين رحمه الله إلى عمر بن سعد إنني أريد أن أكلمك فألقني الليلة بين عسكري وعسكرك. قال: فخرج عمر بن سعد في عشرين فارساً وأقبل الحسين في مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر رضي الله عنهم، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه حفص ابنه و غلام له يقال له لاحق. فقال له الحسين رضي الله عنه: ويحك يا بن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني؟ وأنا ابن من علمت يا هذا من رسول الله

١- في بحث: "اعتراض الحر للحسين" وبحث: "هل عرض الحسين العودة أو المسير إلى الشام"، فراجع.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٣، وهذا نص الرواية: "عن عقبة ابن سمعان قال صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس".

صلى الله عليه وآله وسلم، فاترك هؤلاء وكن معي فأني أقربك إلى الله عز وجل! فقال له عمر بن سعد: أبا عبد الله! أخاف أن تهدم داري، فقال له الحسين رضي الله عنه: أنا أبنها لك. فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين رضي الله عنه وهو يقول: ما لك ذبحك الله من على فراشك سريعاً عاجلاً ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إني لأرجو أن لا يأكل من بر العراق إلا يسيراً^(١).

عدد الجيش وهويته:

كم كان عدد الجيش؟

بالنسبة إلى عدد الجيش الذي خرج لقتال الحسين صلوات الله عليه، فقد وردت روايات ونصوص تاريخية مختلفة، ولنبدأ بأقوال بعض المؤرخين والمحدثين التي ابتدأت بخمسة آلاف وانتهت بما يزيد على المئة ألف، والأرقام التي ذكرت في هذا الصدد كثيرة وهذه بعضها:

- (٥,٠٠٠) ^(٢).

- (١٢,٠٠٠) ^(٣).

- (١٦,٠٠٠) ^(٤).

١- الفتوح، ابن أعمش: ٩٢/٥ - ٩٣. وفي رواية أضاف ابن سعد لمخاوفه أيضاً: (فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه إلى شيء فانصرف عنه الحسين عليه السلام، وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً فقال ابن سعد: في التعبير كفاية عن البر مستهزئاً بذلك القول) انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

٢- اكتفى المؤرخ الطبري بذكر الأربعة آلاف الذين سار بهم ابن سعد في اليوم الثاني من محرم، إضافة إلى الألف الذين كانوا مع الحر الرياحي وسايروه في الطريق إلى كربلاء، انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٤ - ٣١٠.

٣- أضاف البلاذري لما ذكره الطبري سبعة آلاف أخرى كما لاحظنا في كلامه المتقدم فصار المجموع اثني عشر ألفاً، ثم ترك الباب مفتوحاً للزيادة إذ قال: "ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة، غداة وضحة ونصف النهار وعشية من النخيلة يمد بهم عمر بن سعد" أنساب الأشراف: ٣/ ١٧٨.

٤- انظر: الدر المنظوم، يوسف الشامي المشغري: ٥٥١.

- (٢٠,٠٠٠) (١).
- (٢٢,٠٠٠) (٢).
- (٣٠,٠٠٠) (٣).
- (٤٠,٠٠٠) (٤).
- (٧٠,٠٠٠) (٥).
- (١٢٤,٠٠٠) (٦).

قال آل عصفور: (فأول ذلك اثنان وعشرون ألفاً من أهل الكوفة، والمؤتمر عليهم: الشمر بن ذي الجوشن الضبابي، وقتم بن كلاب العمري، وشبث بن ربعي، ويزيد بن ركاب، ومحمد بن الأشعث، وأبو الأشرس والضحاك بن قيس، وسعد بن عبد الله، وراهب بن قيس، وحبيب بن جمار صاحب راية الضلال، وقيس بن فاكه، ونوفل بن فهر، وأسد بن مغيرة، وسعد بن أرطاة. ومعهم من أهل الحرف مثل خبّاز ونجار وحدّاد وطبّاخ ورؤساء المحال وجملتهم ثمانية آلاف، وهم شاكريّة وكندة وخزيمّة وأهل مسجد بني زهرة وسوق الليل وسوق الساعات وسوق البراثين).

وثلاثة وثلاثون ألفاً من أهل البوادي وقبائل الكوفة مثل: عبادة وربيعة وسكون وحمير وكندة ودارم ومظعون وجشعم ومذحج ويربوع وخزاعة وكلب. ومن المدائن والبصرة

١- انظر: الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ١٩٧. وأيضاً اختاره الشيخ المحقق محمد السماوي، انظر: إبصار العين في أنصار الحسين: ٣٠.

٢- انظر: الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ٨٩ / ٥.

٣- اختاره السيد محمد بن أبي طالب، عنه، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٦؛ العوالم - الإمام الحسين: ١٢٧.

٤- ذكره القندوزي، قال: "وسار القوم جميعاً من الكوفة حتى أحاطوا بالحسين في أربعين ألف فارس، لا فيهم شامي ولا حجازي ولا مصري، بل جميع القوم من أهل الكوفة" ينابيع المودة: ٣ / ٦٦.

٥- نقله السيد هاشم البحراني، قال: "روي انه لما جمع ابن زياد قومه - لعنهم الله جميعاً - لحرب الحسين - عليه السلام - كانوا سبعين ألف فارس، فقال ابن زياد: أيها الناس من منكم يتولى قتل الحسين - عليه السلام - وله [ولاية] أي بلد شاء، فلم يجبه أحد منهم، فاستدعى بعمر بن سعد "مدينة المعاجز: ٦٢ / ٤ - ٦٣.

٦- اختاره الشيخ سلمان آل عصفور، وقسمهم إلى قسمين: ٨٠ ألف فارس و٤٤ ألف راجل. انظر: مصارع الشهداء ومقاتل السعداء: ١٠٣.

سبعة آلاف نفر والعميد عليهم: زيد بن اللحم، وسعد بن جريح، وقمير بن قيس، وعلوان بن وردان بن ثابت، وبشير بن سعدان، وحماة بن عثمان، وعثمان بن فهد.

ومن أهل الشام ثلاثون ألفاً وعميدهم: ربيعة بن سودة، وسواد بن نحرس، وقيس بن زعال، وصخر بن طعيم. ومن الخوارج اثنا عشر ألفاً وعميدهم: غسان بن ثابت، وحمل بن نافع، وحكم بن عقبة الزهري، وزباد بن حرقوس البجلي. وألفان من الموصل وتكريت والأنبار، وعشرة آلاف من الأكراد.

والأمير على كل العسكر عمر بن سعد، وابنه حفص وزيره، وأبو الحتوف ناظر العسكر، وعميد عيون الجيش أبو الأشرس السلمي وجونة بن جونة كان جاسوساً، والمؤمر على الحراثين أبو أيوب الغنوي، ونقيب الجيش الشمر لعنه الله وتحت يديه أربعة آلاف نفر^(١).

وبصرف النظر الآن عن دقة الأرقام والنسب المذكورة في النص أعلاه، لكن الشيء المؤكد أنّ الجيش الأموي الذي قاتل الحسين في كربلاء لم تكن هوية أفرادهم من أهل الكوفة فقط، بل الصحيح أنّ الكوفيين كانوا أقلية فيه كما سيتضح لاحقاً.

أما بالنسبة للمروي عن آل محمد صلوات الله عليهم: فقد ذكرت الروايات أنّ عدتهم كانت ثلاثين ألفاً:

"عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام: أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكى لما يصنع بك. فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يؤتى إليّ سم يدس إليّ فاقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الاسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك،

١- مصارع الشهداء ومقاتل السعداء: ١٠٣.

وسي ذراريك ونسائك، وانتهاج ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار" (١).

"عن ثابت بن أبي صفية، قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر، ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب. ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كلٌّ يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً. ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس، فلقد آثروا أبلًى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة" (٢).

هل كان الجيش من الكوفة فقط؟

مسألة هوية الجيش الذي قاتل الحسين عليه السلام تكاد تكون من بين أكثر المسائل التي أثارت جدلاً واسعاً بين الكتّاب والمهتمين قديماً وحديثاً، بين من يسعى لتبرئة أهل الكوفة بأي وسيلة كانت، وبين من يسعى إلى تبرئة أهل الشام كذلك، وكلا الطرفين لا يهمهم طلب الحقيقة المجردة ومعرفتها بقدر ما يهمهم إسقاط أفكارهم وأحكامهم وما ينفع مذهبهم وطريقة تفكيرهم على الموضوع مسبقاً.

بالنسبة لنا، فقد استعرضنا سابقاً مقتل رسول الإمام الحسين في الكوفة مسلم بن عقييل والقضاء على حركته وثورته، ورأينا اشتراك قوات ابن زياد في قتاله وقتله بالنهاية، وكان فيهم الكثير من الشخصيات الكوفية المعروفة - فضلاً عن عامة الناس - مثل: كثير

١- الأمالي، الصدوق: ١٧٧ - ١٧٨.

٢- الأمالي، الصدوق: ٥٤٧ - ٥٤٨.

بن شهاب المذحجي ومحمد بن الأشعث الكندي وأسماء بن خارجة الفزاري، بل بعضهم كان ممن كاتب الحسين مثل: عمرو بن الحجاج وشبث بن ربعي وحجار بن أبجرو وغيرهم.

وأيضاً: رأينا أنّ الحر الرياحي وجيشه الألف الذين اعترضوا ركب الحسين عليه السلام وجعجعوا به وأنزلوه في كربلاء كانوا كوفيين، أو لا أقل غالبيتهم من الكوفة كما هو الواضح من خطابات الإمام الحسين معهم، وقد تقدمت الإشارة لذلك. كما أنّ المختار الثقفي - كما سيأتي - لما غلب على الكوفة تتبع من خرج إلى قتال الحسين وكانت عقوبتهم القتل أو هدم دورهم، فهدم في الكوفة دوراً كثيرة وقتل أناساً كثيرة^(١).

أيضاً: في بحثنا الذين نحن فيه "تعبئة الجيش للحرب" استعرضنا الأجواء في الكوفة وما جرى فيها من نفير عام وتعبئة توافقت مع ترغيب ابن زياد وتهديده ... إلخ، وأكد أنّ هذه الإجراءات أدّت إلى خروج أعداد من أهل الكوفة، وقد حصل ذلك بالفعل كما لاحظناه في كلام المؤرخين بوضوح، وبدل على ذلك أيضاً: إنّ بعض الكوفيين خرج مع جيش ابن سعد إلى كربلاء ثم مال إلى معسكر الإمام الحسين ليلة عاشوراء أو قبلها وقد استعرضنا أسماءهم في بحث أنصار الحسين.

بناءً على ذلك، فليس من الصحيح تبرئة أهل الكوفة تماماً من المشاركة في قتال الحسين ولو على مستوى تكثير السواد؛ خصوصاً وأننا ذكرنا سابقاً^(٢) أنّ ميول زعامات ووجوه القبائل الكوفية ليست واحدة وليس كلهم معروفين بالولاء لعلي وأبنائه عليهم السلام، بل قلنا إنّ الاختلاف لا يقف عند حدود القبيلة وإنما يتعداه ليصل إلى البيت الواحد الذي ينقسم بعض أفرادهِ بين تابع لعلي عليه السلام وتابع لعدوه، ولا أقل فإنّ ثلاثة أصناف من الناس كانت موجودة في الكوفة: قسم يوالي أمير المؤمنين وأبنائه، وقسم يوالي أعداءهم، وقسم (ربما هم الأغلب) من أهل الدنيا يميل مع الحاكم أيّاً كان. وبالتالي، فالقول باشتراك بعض أهل الكوفة في الجيش الذي قاتل الحسين أمر مؤكد، لكن

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٩٢.

٢- في بحث: "حواضر المسلمين قبيل الثورة".

الإشكال في ادّعاء أنّ الجيش كله من أهل الكوفة، وبحسب بعض المؤرخين: (ليس فيهم شامي ولا حجازي) ^(١)؟! فهل أنّ هذا الزعم صحيح ودقيق وقريب من الواقع؟

سألت السيد أحمد الحسن عن ذلك، ومن بين الأسباب التي دفعتني للسؤال هو ما روي في "الكافي" عن الإمام الصادق في حديث ذكر فيه جده الحسين عليه السلام فقال: "واجتمع عليه خيل أهل الشام" ^(٢)؛ الأمر الذي يؤكد وجود جيش شامي في واقعة كربلاء. وعموماً، طرحت على السيد أحمد الحسن السؤال والحديث، فأجاب:

(الجيش الذي قاتل الحسين عليه السلام عدد كبير جداً، وكان أغلبه من خارج الكوفة، وعدد كبير منهم من الشام. نعم، هناك عدة ألوف من الكوفة. فالكوفة معسكر لجمع وتدريب الجيش في ذلك الوقت، وكان فيها جيش من خارج الكوفة والتحق بهم عدد كبير من الشاميين. لا شك أنّ يزيد الذي عرف بثورة الحسين وأرسل ابن زياد إلى الكوفة، فإنه سيمدّه بجيش مخلص لمعاوية ويزيد حتى يتمكن من السيطرة على الكوفة والعراق عموماً، وكانت واحدة من الأمور التي استعملت لتفريق الناس عن مسلم بن عقيل - كما هو معروف تاريخياً - هو تهديد أهل الكوفة وعشائرها بجيش الشام القادم، لماذا

١- قال المسعودي: "لم يحضرهم شامي" مروج الذهب: ٣/ ٧١، ومثله ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٢٢٦. وهناك باحثون ومؤسسات تبنت ذلك مثل معهد ومؤسسة سيد الشهداء في كتاب تاريخ النهضة الحسينية: ١٩٢. وبعضهم اعتبر أهل الكوفة أكثرية مثل ابن حجر الهيتمي، قال: "وكان أكثر الخارجين لقتاله الذين كاتبوه وبايعوه ثم لما جاءهم أخلفوه وفروا عنه إلى أعدائه إثارة للسحت العاجل على الخير الأجل" الصواعق المحرقة: ١٩٧.

٢- وهذا تمام الحديث: "عن عبد الملك قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم تاسوعا وعاشورا من شهر المحرم فقال: تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أن لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمدّه أهل العراق - بأبي المستضعف الغريب - ثم قال: وأما يوم عاشورا فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه وأصحابه صرعى حوله [عرة] أفصوم يكون في ذلك اليوم؟! كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين ويوم فرح وسرور لآل مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذرياتهم وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام، فمن صامه أو تبرّك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوط عليه ومن ادخل إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده وشاركه الشيطان في جميع ذلك" الكافي: ٤/ ١٤٧.

يهددونهم؟ يهددونهم لأنه فعلاً هناك جيش شامي كبير قادم، والناس كانت تمر بطريق الشام وتنقل الأخبار لأهل الكوفة^(١).

أما الآلاف التي أرسلها ابن زياد مع ابن سعد والحصين وشبث وغيرهم إلى كربلاء لحرب الحسين عليه السلام فليس جميعهم من أهل الكوفة. نعم، أهل الكوفة كانوا من ضمن الجيش) انتهى^(٢).

ركون يزيد إلى أهل العراق واعتماده عليهم فقط في مواجهة أمر خطير بمستوى ثورة الحسين، أمر لا يمكن توقع حدوثه، ولا يعمل به أي حاكم مهما كان مستوى إدراكه؛ فضلاً عن أن يكون يزيد المحاط بمجموعة من المستشارين الدهاة الذين عملوا مع أبيه معاوية المعروف بدعائه ودعاء مستشاريه. ولا شك أن الأمويين ومستشاريهم - ومنهم يزيد - لا يأمنون جانب أهل العراق ليس فقط في أيام الحسين عليه السلام وإنما على الدوام؛ لأن المعروف عنهم - كسمة غالبية - أن ميلهم علوي، فكيف يركنون إليهم والحال هذه؟!

يقول السيد أحمد الحسن: (عموماً، كما قلت لك: هناك جيش شامي ومن بلاد أخرى وكانوا هم الغالبية، وأما الكوفيون فكانوا أقلية. نعم، لا إشكال أن يكون بعض الكوفيين في المقدمة ولهذا كان يخاطبهم الحسين عليه السلام وأصحابه ويذكرون

١- يتعامل بعض المؤرخين والباحثين مع هذا الأمر "جيش الشام" بحدود كونه إشاعة بآراء رجال ابن زياد بين صفوف الكوفيين لتخويفهم وتفريقهم عن مسلم بن عقيل عند قيامه على ابن زياد، ولكن الصحيح أن يزيد فعلاً هيئاً جيشاً جزأراً لإرساله إلى العراق من أجل السيطرة على الأوضاع المنفلتة في العراق عموماً والكوفة تحديداً، وقد تقدم عند استعراض حركة مسلم أن بعض شيعة بني أمية في الكوفة كاتبوا يزيد وأطلعوه على الوضع الخطير وضعف إجراءات الوالي حينها (النعمان بن بشير) ومنهم عمر بن سعد، فالأحداث في الكوفة كانت تنذر بذهابها من يد بني أمية بالفعل لولا تدخل يزيد - بنصيحة من مستشاريه - ومباشرة بأمرين؛ الأول: تعيين عبيد الله بن زياد وإرساله إلى الكوفة فوراً، والثاني: تهيئة جيش كبير وبعثه إلى الكوفة لإعادة السيطرة عليها وعلى العراق عموماً. والجيش لم يكن قد وصل أيام حركة مسلم؛ لأن حركة جيش كبير من الشام إلى الكوفة تحتاج إلى وقت، لكنه بالتأكيد وصل قبل العاشر من محرم واشترك في الحرب على الحسين عليه السلام، وكان هو السبب في تخويف الكوفيين وخروج ألوف منهم للحرب وصولاً إلى إعادة السيطرة على الأوضاع في الكوفة من جديد.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

أسماءهم، لكن الإشكال في ادّعاء أنّ الجيش أو غالبية من الكوفة، والصحيح أنّ غالبية الجيش من خارج الكوفة.

مشكلة من يكتبون في هذا الأمر أنهم لا يطلبون الحقيقة بل يريدون إما تبرئة أهل الكوفة أو تبرئة أهل الشام، حسب مذهبهم وطريقة تفكيرهم، فهم يُسقطون مذهبهم وتفكيرهم على ما حصل في كربلاء ولا يبحثون عن الحقيقة المجردة. الحقيقة التي يسندها الدليل أنّ الجيش الشامي موجود وكان مسلّحاً ومدرباً جيداً.

ثم هل كان يزيد غيباً إلى درجة أنه يعتمد على ابن زياد وحده ولا يحتمل أنه يُقتل ^(١) مع أنه لديه جيش جرّار في الشام؟! يزيد - كأبي حاكم - كان لديه مستشارون وأعلمهم ورثهم من معاوية، ومعاوية خبيث ومعروف بدهائه، ومستشاروه مثله، فمن غير المنطقي ولا المعقول أن يكون يزيد اعتمد بالكامل على أهل الكوفة وابن زياد واكتفى بتهديده لهم للقضاء على ثورة الحسين عليه السلام. ثم ما الذي أخاف أهل الكوفة وجعلهم يخرجون ويكثرون السواد على الحسين عليه السلام أصلاً؟! الذي أخافهم - بالطبع - هو الجيش الأموي والقوة العسكرية الأموية الكبيرة) انتهى ^(٢).

وحقّ يمكننا تعقّل اشتراك بعض الكوفيين في قتال الحسين عليه السلام، ضرب السيد أحمد الحسن مثلاً عاشه هو وعاصره كثير من الناس في أزمنتنا المتأخرة: تقريباً للصورة التي حدثت في الكوفة عام ٦١ هـ، قال:

(كمثال عشته وعاشه كثير من الناس: مَنْ ضرب ضريح الإمام الحسين عليه السلام في زمن صدام؟ ليس حسين كامل فقط، وليس الجيش النظامي فقط أعني: الحرس الجمهوري والجيش العادي، وهؤلاء فيهم قليل من أهل كربلاء، وإنما يضاف لهم: الحزبيون والرفاق ^(٣) الذين اشتركوا معهم، وهؤلاء كربلائيون مئة بالمئة. هل كانوا كلهم

١- روى البلاذري إحدى محاولات اغتيال ابن زياد التي أراد أن ينقذها أحد أنصار الحسين عليه السلام قبل التحاقه به، قال: (وهم عمّار بن أبي سلامة الدالاني أن يفتك بعبيد الله ابن زياد في عسكره بالنخيلة فلم يمكنه ذلك، فلطف حتى لحق بالحسين فقتل معه) أنساب الأشراف: ٣ / ١٨٠.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- رفاق: جمع رفيق، وهو مصطلح كان يتداوله حزب البعث ويطلقه على المنتمين إليه والعاملين في صفوفه.

قابلين بضرب ضريح الحسين عليه السلام؟ بالطبع بعضهم خرج مجبراً، وبعضهم خرج بإرادته ولكنه لا يريد ولا يقبل بضرب ضريح الحسين إلا أنه بالنتيجة كان معهم وأكثر السواد، وبعضهم خرج بإرادته وقبل بضرب ضريح الحسين بحجة أن فيه مخربين ويريدون تدمير البلد! هذا يوضح لك حال كربلاء والكوفة سنة ٦١ هـ بصورة ما.

الحقيقة، إن أهل الكوفة كان على رقابهم سيف ابن زياد ويزيد، وهذا السيف هو جيش الشام، والأمويون في الكوفة سمّهم "الرفاق" إذا شئت. وأما أهل الكوفة فكانوا قسمين: قسم هرب وتخفى بعضهم في بساتين الكوفة أو خرج منها، وقد مرّ عليك الهاربون من الكوفة وأنت ذكرت بعضهم ممن التقوا بالحسين عليهم السلام^(١)، والقسم الآخر التحقوا بجيش ابن زياد ويزيد. والمتحقيين أيضاً أقسام وليس جميعهم كان يريد أو يقبل بأذية الحسين عليه السلام، ولكنهم علّلوا خروجهم بأنهم مجبرون وأنّ الأمور لن تصل لقتل الحسين، وبعضهم أو كثير منهم رجعوا إلى مؤخرة الجيش لما بدأ القتال، وربما ذكر المؤرخون بعض الحوادث ومنها حادثة الحر الرياحي حيث شكّوا به أنه يريد التراجع، فلماذا شكّوا به وهو قائد في الجيش الأموي؟ شكّوا به لأنها حالة متكررة وقد شاهدوها.

ثم نفس هؤلاء الفارّين من الكوفة أو المتخفّين في بساتينها شكّلوا جيوش الثورة على الأمويين فيما بعد مع سليمان بن صرد والمختار الثقفي) انتهى^(٢).

وهذه مجموعة من الروايات والحقائق التي تؤكد اشتراك جيش الشام في حرب الحسين عليه السلام:

١- عن الإمام الصادق، في حديث طويل يذكر قصة مقتل الحسين صلوات الله عليه، إلى أن يقول: "ونظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً ولا يرى أحداً، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم إنك ترى ما يصنع بولد نبيك. وحال بنو كلاب بينه وبين الماء، ورمي بسهم فوقه في نحره، وخرعن فرسه، فأخذ السهم فرمى به، وجعل يتلقى الدم بكفه، فلما

١- ذكرنا أسماء كثيرين خرجوا من الكوفة والتقوا بالحسين عليه السلام سواء ممن التحق به ونصره أو التقاه وانصرف عنه في بحث: "فئات صادقها الحسين في المسير"، فراجع.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

امتلات لطح بها رأسه ولحيته وهو يقول: ألقى الله عز وجل وأنا مظلوم متلطخ بدمي. ثم خر على خده الأيسر صريعاً، وأقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي، وشمر ابن ذي الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؟ أريحوا الرجل...^(١).

٢- عن الإمام الصادق، وقد سألته أبو غندر عن صوم عاشوراء، قال: "ذاك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام، فإن كنت شامتاً فصم. ثم قال: إن آل أمية عليهم لعنة الله ومن أعانهم على قتل الحسين من أهل الشام، نذروا نذراً إن قتل الحسين عليه السلام وسلم من خرج إلى الحسين عليه السلام، وصارت الخلافة في آل أبي سفيان، أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم، وأن يصوموا فيه شكراً، ويفرحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم في الناس، واقتدى بهم الناس جميعاً، فلذلك يصومونه ويدخلون على عيالاتهم وأهاليهم الفرح ذلك اليوم"^(٢).

٣- ذكر أبو حنيفة الدينوري أنّ المختار الثقفي لما غلب على الكوفة، بعث يزيد بن أنس الأسدي إلى الشام في عشرين ألفاً، فبلغ الخبر عبد الملك بن مروان فالتقوا في "نصيبين"، فانهزم يزيد فبعث المختار في إثره إبراهيم بن مالك الأشتر، ولما سمع عبد الملك هياً جيشاً شامياً كبيراً فيه الحصين بن نمير وابن زياد وكثير من قتلة الحسين الشاميين على حد قول الدينوري، قال: (فانتخب له المختار عشرين ألف رجل، وبلغ ذلك عبد الملك، فعقد للحصين بن نمير في فرسان أهل الشام، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً، وفيهم عبيد الله بن زياد، وفيهم من قتلة الحسين: عمير بن الحباب، وقرات بن سالم، ويزيد بن الحضين، وأناس سوى هؤلاء كثير)^(٣). قوله: "... وأناس سوى هؤلاء كثير" يؤكد أنّ الشاميين كان لهم وجود كبير يوم عاشوراء.

٤- قال الفخر الرازي - وهو يعدّ أولاد الحسين -: (أما البنون، فعلي الأكبر أمه ليلي الثقافية، وأم ليلي ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب، ولهذا دعاه أهل الشام إلى الأمان

١- الأمالي، الصدوق: ٢٢٦.

٢- الأمالي، الطوسي: ٦٦٧.

٣- الأخبار الطوال: ٢٩٣.

وقالوا: إِنَّ لَكَ رَحِمًا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَيُرِيدُونَ رَحِمَ مَيْمُونَةَ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ أَحَقُّ بِالرَّعَايَةِ مِنْ قَرَابَةِ يَزِيدَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أنا علي بن الحسين بن علي أنا وبیت الله أولى بالنبي
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضرب غلام هاشمي عربي

وقاتل حتى قتل، ولا عقب له بالإجماع^(١).

فتلخص بما تقدم: أَنَّ وجود الجيش الشامي في كربلاء واشترائه في قتال الحسين أمر لا ريب فيه، وبالرغم من أَنَّ التاريخ يكتبه الحكّام الظلمة بالطريقة التي تحلو لهم بأقلام مأجورة عادة، وقد سعت تلك الأقلام إلى إخفاء الحقائق وتحريفها بل قلبها رأساً على عقب أحياناً، ومنها مسألة اشتراك أهل الشام في قتل الحسين إذ حرصت على تبرئة صفحتهم وتحميل الكوفيين وحدهم جريرة ما حصل، لكن - كما رأينا - بقي من الشواهد والأدلة ما يكفي لإثبات الحق، وبالنسبة لنا فإنّ روايات آل محمد لو كانت وحدها لكفت، فضلاً عن أن تسندها حقائق ونصوص تاريخية. إضافة إلى الحجج المنطقية البديهية التي بدت واضحة في كلام السيد أحمد الحسن المتقدم.

تنبيه: يبدو أَنَّ هناك خلطاً حدث عند بعض المؤرخين والباحثين عند الحديث عن أهل الكوفة وموقفهم من الإمام الحسين، فلم يفرّقوا بين الخذلان والمشاركة في القتال، فخذلان أهل الكوفة للحسين يكاد يكون صفة عامة اتصفوا بها إلا نفر قليل منهم لحقوا بالحسين ونصروه واستشهدوا معه في كربلاء، وكقاعدة عامة: كل من لم يلحق بالحسين فهو مقصّر معه وخاذل له، ولكن ليس كل مقصّر شارك في الحرب عليه، بل كثير من الخاذلين كان قد فرّوا من الكوفة ولاحقاً شكّلوا الجيوش التي ثارت على الأمويين ومنها جيش التّوّابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، واسمه دال عليه. فاتضح أَنَّ الخذلان صفة عامة لكن المشاركة في الحرب صفة لقسم من أهل الكوفة وليست لهم كلهم.

أحداث أخرى قبل الحرب:

محاولة خجولة للنصرة:

بعد التثام العساكر إلى عمر بن سعد في كربلاء في اليوم السادس من محرم الحرام، أقبل حبيب بن مظاهر إلى الإمام الحسين يستأذنه في المسير إلى حي من أحياء بني أسد القريبة من كربلاء لكي يدعوه إلى النصر، فأذن له الإمام وخرج حبيب في جوف الليل متنكراً حتى وصل إليهم وبعد أن عرفوه دعاهم إلى نصرته الإمام وعرفهم بعظيم الأجر والمنزلة التي تترتب على نصرته، وفعلاً أجابه بعض رجال الحي، وبعض الروايات حددت عددهم تسعين أو سبعين رجلاً^(١) فأقبلوا مع حبيب إلى كربلاء يسرون لينضموا إلى معسكر الحسين لكن رجلاً من الحي وشى بهم إلى عمر بن سعد.

(وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل فخبّره بذلك. فدعا رجلاً من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيدائي فضم إليه أربعة آلاف فارس^(٢)، ووجه به في جوف الليل إلى حي بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر. قال: فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطئ الفرات. قال: فتناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً. وصاح به حبيب بن مظاهر: ويلك يا أزرق! ما لك ولنا دعنا! قال: واقتتلوا قتالاً شديداً. فلما رأى القوم بذلك انهزموا راجعين إلى منازلهم^(٣). فرجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين رضي الله عنه فأعلمه بذلك الخبر. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٤)).

١- في رواية البحار والعوالم: ٩٠ رجلاً، وفي رواية البلاذري: ٧٠ رجلاً، وأما ابن أعثم في "الفتوح" فلم يحدد عددهم.
 ٢- في رواية البحار والعوالم: "أربعمائة فارس"، وفي رواية البلاذري: "جيل" أي طائفة من الجند.
 ٣- في رواية البحار والعوالم: "وعلمت بنو أسد أنه لا طاقة لهم بالقوم، فانهزموا راجعين إلى حيم".
 ٤- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٠ - ٩١: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٠: بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٦ - ٣٨٧: العوالم - الإمام الحسين: ٢٣٧ - ٢٣٨.

منع الماء عن مخيم الحسين (ع):

بعد وصول عمر بن سعد إلى كربلاء تواردت عليه كتب ابن زياد تباعاً وهي تحمل التوجيهات والأوامر، جاء في أحدها: "أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة". فبعث عمر بن سعد في الحال عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، أي في اليوم السابع^(١).

والأدهى من هذا، أن ابن زياد بلغه أن الحسين حفر بئراً ليسقي منه عياله وأطفاله وأنصاره العطاشى، فأصدر الخبيث مرسوماً بعث به إلى ابن سعد جاء فيه: (أما بعد، فقد بلغني أن الحسين يشرب الماء هو وأولاده وقد حفروا الآبار ونصبوا الأعلام، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعمهم من حفر الآبار ما استطعت وضيّق عليهم ولا تدعهم يشربوا من ماء الفرات قطرة واحدة و افعل بهم كما فعلوا بالتقي النقي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والسلام)^(٢). حتى إن رجلاً من أهل الكوفة - اسمه عبد الله بن الحصين الأزدي، وكان عداده في بجيله^(٣) - نادى الحسين بأعلى صوته فقال: "يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً"، فقال الحسين: "اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً"^(٤).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨١؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٧.

٢- الفتوح، ابن أعمش: ٥ / ٩١.

٣- تقدم أن قبيلة الأزدي وبجيله من القبائل اليمنية التي استوطنت الكوفة منذ بداية تمصيرها.

٤- وفعلاً: استجاب الله دعاء الإمام الحسين ومات اللعين عبد الله بن الحصين عطشاً، قال حميد بن مسلم: "والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى يغرثم يقى ثم يعود فيشرب حتى يبغرثما يروى فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته يعني نفسه" انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٧. يغر: أي أكثر من شرب الماء.

فائدة: حميد بن مسلم الأزدي، كوفي حضر معركة كربلاء وشهد بعض مجرياتها ولم يشترك فيها لا مع الحسين عليه السلام ولا مع أعدائه، وكان عمله يشبه عمل المراسل الصحفي في عرفنا اليوم.

وروي: (نادى المهاجرين أوس التميمي: يا حسين ألا ترى إلى الماء يلوح كأنه بطون الحيات والله لا تذوقه أو تموت! فقال الحسين: إني لأرجو أن يوردينه الله ويحلنكم عنه. ويقال إن عمرو بن الحجاج قال: يا حسين هذا الفرات تلغ فيه الكلاب وتشرب منه الحمير والخنزير، والله لا تذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم في نار جهنم)^(١).

الإجراء الخبيث الذي أمر به ابن زياد ونقذه ابن سعد - أعني: منع الماء عن مخيم الحسين - كان له أثر كبير ومؤلم على مخيم الحسين؛ خصوصاً وأن فيه أطفالاً صغاراً ونسوة، فقد اشتد بهم العطش، ولهذا بعث الإمام الحسين أخاه العباس بن علي بجماعة للإتيان بالماء من مشرعة الفرات التي كان يقف عليها عمرو بن الحجاج الزبيدي بخمسمائة فارس من جيش عمر بن سعد.

روى الطبري: (لما اشتد على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قرية فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي من الرجل فجئ ما جاء بك قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلاّتمونا عنه قال: فاشرب هنيناً قال: لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه فطلعوا عليه فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: املؤوا قريكم فشد الرجال فملأوا قريهم وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفّوهم ثم انصرفوا إلى رحالهم وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها عليه)^(٢).

وروى الدينوري الحادثة بشكل مركّز فقال: (... فمضى العباس نحو الماء وأمامهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعة، فمنعهم عمرو بن الحجاج، فجالدهم العباس على

١- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨١ - ١٨٢.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١١ - ٣١٢. حلاّتمونا: أي منعتونا؛ وأيضاً انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨١؛ الفتوح، ابن أعمش: ٥ / ٩٢، وفيه: "فاقتتلوا على الماء قتالاً عظيماً فكان قوم يقتتلون وقوم يملأون القرب حتى ملأوها. فقتل من أصحاب عمرو جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد"، ثم حملوا القرب إلى معسكر الحسين عليه السلام.

الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها، واقتحم رجاله الحسين الماء، فملأوا قريهم، ووقف العباس في أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين^(١).

حقيقة، إن إقدام الأمويين على منع الماء عن مخيم الإمام الحسين يعدّ جريمة بحق الإنسانية بلا أدنى شك؛ لا يختلف في ذلك اثنان من البشر الأسوياء بمختلف اعتقاداتهم وخلفياتهم وانتماءاتهم، وقد أثبت الأمويون والأمة التي أطاعتهم ورضت بأفعالهم أنهم ليسوا فقط بلا دين وأنّ تصرفهم يكشف مدى خبثهم ونصيبهم العداء للرسول بعد سعيهم لإبادة عترته وذريته، ليس هذا فحسب ولكن أثبتوا - أيضاً - أنهم يتصفون بإجرام وشذوذ بهيمي مقزز يصعب معه احتسابهم على البشر أصلاً، اللهم إلا بالشكل والصورة الظاهرية ليس إلا: "الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان"^(٢)، هذا إضافة إلى أنّ فعلهم المنحط هذا جعلهم يترفعون على قمة هرم فاقد الشرف والضمير بامتياز؛ ولا أقل شرف الخصومة التي كان يراعي مقتضياتها كثير من العرب وغير العرب حتى وهم يرتعون في قعر جاهليتهم ويمارسون أبشع مظاهر السلوك الهجمي غير السوي.

أمان يعرضه الشمر على العباس وأخوته:

تقدم عند بيان تراجم أهل بيت الحسين عليه السلام أنّ العباس بن علي وإخوته: عبد الله وجعفر وعثمان أمهم هي أم البنين فاطمة بن حزام الكلابية، ولما كان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله ضبابي كلابي (من بني الضباب بن كلاب) عرض على العباس وإخوته أماناً فرفضوه، قال المفيد: (وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون، فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!)^(٣).

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٥.

٢- القول لأمر المؤمنين عليه السلام وهو يحكي حال كثير من الناس المنحرفين عن الفطرة الإنسانية التي خلقهم الله عليها، انظر: نهج البلاغة: خطبة رقم ٨٧، تحقيق: د. صبيحي الصالح.

٣- الإرشاد، المفيد: ٨٩ / ٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ١٨٣ / ٣ - ١٨٤.

رجع الشمر لعنه الله خائباً بعد أن ردّ عليه أشبال علي بكلام واحد، ويبدو أنّ الطبري - أو الراوي الذي نقل الطبري قوله - لا يروق له رؤية هذا العنفوان العلوي في الدفاع عن الحق المتمثل بأخيه وإمامهم الحسين، فذكر ردّ العباس وإخوته بطريقة أخرى، خلاصتها: أنّ الشمر لعنه الله أخذ الأمان مكتوباً من ابن زياد وسلّمه إلى عبد الله بن أبي المحل (راوي الحديث) وكلّفه بإيصاله إلى العباس وإخوته، فقام عبد الله ببعثه لهم مع مولى له اسمه كزمان: (فلما قدم عليهم دعاهم فقال: هذا أمان بعث به خالكم فقال له الفتية: أقرئ خالنا السلام وقل له أن لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سمية) ^(١). مع أنّ الرواية نفسها نقلها ابن الأثير وابن كثير عن نفس الراوي (عبد الله بن أبي المحل) أيضاً، لكنها بدون زيادة: "اقرأ خالنا السلام" التي ذكرت في تاريخ الطبري! أما ابن الأثير فذكر أنّ العباس وإخوته لما وردهم الكتاب قالوا: (لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية) ^(٢). وأما ابن كثير فذكر أنهم لما بلغهم الكتاب قالوا: (أما أمان ابن سمية فلا نريده، وإنّا لنرجو أماناً خيراً من أمان ابن سمية) ^(٣).

وكان هذا الأمان عرض على العباس وإخوته يوم التاسع من محرم بعد أن انضم الشمر إلى عمر بن سعد لعنهما الله في كربلاء.

مصير من سمع واعية الحسين ولم يجبه!

روى الصدوق: (عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمة بن أبي مسلم، قال: غزونا مع علي بن أبي طالب عليه السلام صفين، فلما انصرفنا نزل كربلاء فصلّى بها الغداة، ثم رفع إليه من تربتها فشمّها، ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب. فرجع هرثمة إلى زوجته، وكانت شيعة لعلي عليه السلام فقال: ألا أحدثك عن وليك أبي الحسن؟ نزل بكربلاء فصلّى، ثم رفع إليه من تربتها، وقال: واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، قالت: أيها الرجل، فإن أمير

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤ - ٣١٥.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٦.

٣- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩٠.

المؤمنين لم يقل إلا حقاً. فلما قدم الحسين قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله ابن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث، فجلست على بعيري، ثم صرت إلى الحسين عليه السلام، فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام فقال: معنا أنت أم علينا؟ فقلت لا معك ولا عليك، خلفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد. قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً، ولا تسمع لنا صوتاً، فوالذي نفس الحسين بيده، لا يسمع اليوم واعتنا أحد فلا يعيننا إلا كبّه الله لوجهه في جهنم^(١).

يوم التاسع وليلة العاشر من محرم:

يوم التاسع من محرم سنة ٦١ هـ بنهاره وليله (ليلة العاشر) كان يوماً عصيباً على عائلة الرسول صلى الله عليه وآله وأنصارهم، وحصلت فيه مجموعة من الأحداث، ونحن نشير إلى بعض منها مما ذكر في الروايات ونصوص المؤرخين:

الحسين (ع) يطلب الإهمال إلى صباح العاشر:

ذكرنا أنّ شمرّاً لعنه الله انضم إلى ابن سعد في كربلاء يوم التاسع من محرم، فأبلغه كتاب ابن زياد الذي خيره فيه بين حسم قضية الحسين إما باستسلامه وبيعته أو قتله والتمثيل به، وبين اعتزال الأمر وترك قيادة الجيش لشمر، وبعد أن أبلغه قال شمر: (أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه؟ وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر، قال: لا، لا والله ولا كرامة لك، ولكن أنا أتوّل ذلك، فدونك فكن أنت على الرجالة. ونهض عمر بن سعد إلى الحسين عشية الخميس لتسع مضيّن من المحرم^(٢)).

١- الأمالي، الصدوق: ١٩٩، وقعة صفين، ابن مزاحم: ١٤٠ - ١٤١؛ وانظر أيضاً: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ١٤ / ٢٢٢ - ٢٢٣؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٣٠١ / ١٤.

٢- تاريخ الطبري: ٣١٤ / ٤؛ الإرشاد، المفيد: ٨٩ / ٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ٥٢ / ٤٥؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥٦ / ٤.

وبعد أن استنفر ابن سعد لعنه الله جيشه نادى: (يا خيل الله اركبي وأبشري فركب في الناس ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته زينب الصبيحة فدنّت من أخيها فقالت يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت قال فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي إنك تروح إلينا^(١) قال: فلطمت أخته وجهها وقالت يا ويلتا فقال ليس لك الويل يا أختي اسكني رحمك الرحمن وقال العباس بن علي يا أخي أتاك القوم قال فهض ثم قال: يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم ما لكم وما بدا لكم وتسالهم عما جاء بهم فأتاهم العباس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون قالوا جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم

قال: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر وقف أصحابه يخاطبون القوم فقال حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً فقال له عزرة بن قيس إنك لتزكي نفسك ما استطعت فقال له زهير: يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عزرة فأني لك من الناصحين أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية قال: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط ولا أرسلت إليه رسولاً قط ولا وعدته نصرتي قط ولكن الطريق جمع بيني وبينه فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم فرأيت أن أنصره وأن أكون في حربه وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام قال: و أقبل العباس بن علي يركض حتى انتهى إليهم فقال: يا هؤلاء إن أبا عبد الله

١- في رواية ابن أعثم: "يا أختاه! إني رأيت جدي في المنام وأبي علياً وفاطمة أمي وأخي الحسن عليهم السلام فقالوا: يا حسين! إنك رانح إلينا عن قريب" الفتوح: ٥ / ٩٧. وقال ابن طاووس: (قال الراوي: جلس الحسين عليه السلام فرقد ثم استيقظ، فقال: يا أختاه إني رأيت الساعة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأبي علياً وأمي فاطمة الزهراء وأخي الحسن وهم يقولون يا حسين إنك رانح إلينا عن قريب وفي بعض الروايات غداً. قال الراوي: فلطمت زينب وجهها وصاحت وبكت فقال لها الحسين: مهلاً لا تشمتي القوم) اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٥.

يسألکم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر... وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره ويوصي أهله. فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر قال: ما ترى أنت أنت الأمير والرأي رأيك قال: قد أردت ألا أكون^(١) ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله والله لو كانوا من الديلم ثم سألك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيهم إليها^(٢) وقال قيس بن الأشعث: أجهم إلى ما سألك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة فقال والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتهم العشية.

قال: وكان العباس بن علي حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار. عن علي بن الحسين قال: أتانا رسول من قبل عمر بن سعد فقام مثل حيث يسمع الصوت فقال: إنا قد أجلبناكم إلى غد فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد وإن أبيت فليسلنا تارككم^(٣).

ملاحظات:

١- قول الحسين عليه السلام لأخيه العباس: "يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم ... إلخ" يكشف عن عظم منزلة أخيه العباس عنده.

١- في رواية ابن أعثم: "إني أحببت أن لا أكون أميراً" الفتوح: ٩٨ / ٥.

٢- في رواية ابن أعثم: "فقال ... عمرو بن الحجاج: سبحان الله العظيم! لو كانوا من الترك والديلم وسألوا هذه المنزلة لقد كان حقا علينا [أن] نجهم إلى ذلك وكيف وهم آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهله! فقال عمر بن سعد: إنا قد أجلبناهم في يومنا هذا" الفتوح: ٩٨ / ٥ - ٩٩.

وفي رواية ابن طاووس: "فسألهم العباس ذلك فتوقف عمر بن سعد (لع) فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي والله لو إنهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم فكيف وهم من آل محمد فأجابوهم إلى ذلك" اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٤.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤ - ٣١٧.

٢- قول قيس بن الأشعث: "فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة" يكشف عن أنه كان عارفاً بأنّ الحسين عليه السلام لا يستسلم مهما بلغت الضغوط عليه وسينتهي الحال إلى القتال لا محال، وهو نفس مؤدّى قول ابن سعد للشمر لعنهما الله - الذي عرضناه سابقاً :- "لا يستسلم والله حسين إنّ نفس أبيه ليين جنبه!"

٣- ما ذكر في رواية الطبري لبيان سبب الإمهال: "وإنما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ويوصي أهله" إنما هو تعليل بحسب وجهة نظر الراوي، وربما هو صحيح بقدر ما لكن ليس هو السبب الوحيد. أما ما ورد عن الإمام كسبب للإمهال فهو قوله لأخيه العباس: "ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنّا العشيّة لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أيّ قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار"، وأيضاً: يمكننا أن نتلمّس هدفاً آخر كان يصبو الإمام إلى تحقيقه ويصب في صالح ثورته المباركة، فأقول: إنّ طلب الإمهال لفترة "ليلة" قد يبدو أمراً يسيراً ولا يؤثر شيئاً في الحسابات العسكرية طالما أنّ الأمر محسوم عسكرياً لصالح الأمويين نتيجة التفوق الكبير مادياً (عدة وعدداً)، فلماذا تردد ابن سعد في قبول طلب الحسين وتوجّه بسؤال الشمر الذي لم يجب بشيء وأرجع السؤال عليه، ثم عرض الأمر على مستشاريه والقريبين منه فاستغرب عمرو بن الحجاج من التردد في الموافقة، وأخيراً اضطرب ابن سعد فوافق خشية من حدوث فتنة داخل صفوف جيشه، والسؤال: ما الذي كان يدور في رأس ابن سعد والشمر يا ترى؟

لا شك أنّ الشمر الذي وصل كربلاء قبل ساعات قليلة كان يحمل توجيهات ابن زياد الصارمة بحق الحسين؛ فإما الاستسلام والبيعة أو القتل، أو يختار ابن سعد التنحي ليتولّى الشمر المهمة، ولما عزم ابن سعد على الإتمام اختار أن يكون عصر يوم التاسع وقتاً للحرب حتى يسهم ظلام الليل - الذي بدأ يقترب - في إخفاء معالم الجريمة والمجزرة التي ينوي الأمويون ارتكابها بحق عترة الرسول، لكن الإمام الحسين بحكمته المعهودة أربك حسابات ابن سعد وطلب الإمهال سواد ليلة العاشر لا أكثر؛ لأنه عرف ما يدور في خلد قادة الجيش الأموي فأراد أن يفوّت الفرصة عليهم ويختار "الصباح" وقتاً للحرب؛ ليشهد الجميع شمس الحقيقة؛ فمن جهة ينظرون مشهد شجاعة وبسالة القلة التي اختارت أن تسطر أعظم صور الدفاع عن الحق والعدل، ومن جهة أخرى ينظرون مشهد عظم

الجريمة التي سيرتكها أشباه القردة والخنازير، ويلتقي المشهدان في أعظم صور العطاء لله ونصرة دينه القويم فتأتي الثورة الحسينية ثمارها وتتسبب بزلزال وبركان كبير لم يستقر- ثورةً وتوهجاً - إلا بزوال عرش الأمويين، بل ولن يستقر طالما هناك ظلم وطغيان على هذه الأرض!

الحسين (ع) يأذن لأنصاره وأهل بيته بالانصراف وهم يأبون ذلك:

روى الطبري عن الإمام السجاد عليه السلام قال: (جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد وذلك عند قرب المساء ... فدنوت منه لأسمع وأنا مريض فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمده على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى عولاً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرولاً أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً خيراً ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً^(١)).

"هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً:" الجمل معروف، و"اتخذ الليل جملاً": مثل يُضرب لمن يعمل العمل بالليل^(٢)، والإمام الحسين بقوله هذا يكون قد إذن لأنصاره (أهل بيته وصحبه) بالانصراف وترك لهم حرية اتخاذ القرار، وهم رضوان الله عليهم برفضهم الانصراف عنه يكونوا قد اختاروا بأنفسهم البقاء ونيل الشهادة معه، فالله سبحانه ارتضى من الإنسان التدين بالاختيار ولم يرتضى التدين بالإكراه والجبر، قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" البقرة: ٢٥٦، وكما أن الحسين صلوات الله عليه عمل على إنفاذ مراد الله باختياره فأنصاره الكرام اختاروا أن يكونوا معه ويحظوا بعظيم المنزلة والفتح الإلهي المبين، فطوبى لهم وحسن مأب!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٧: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩١.

٢- انظر: مجمع الأمثال، الميداني: ١ / ٣٥ رقم ٦٧١.

وقد بيّنت الروايات مواقفهم وردود أفعالهم بعد العرض الذي تقدم به الحسين عليه السلام لهم، وهذا نموذج منها:

روى الطبري عن الضحّاك المشرقي أنّ الإمام الحسين قال: (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فإنّ القوم إنما يطلبوني ولو قد أصابوني لهما عن طلب غيري فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله ابن جعفر: لِمَ نفعل لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً بدأهم بهذا القول العباس ابن علي ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا قد أذنت لكم قالوا: فما يقول الناس؟ يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا لا والله لا نفعل ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقيح الله العيش بعدك

قال: فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخليّ عنك ولما نعدر إلى الله في أداء حَقِّك أما والله حتى أكسرفي صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتم بالحجارة دونك حتى أموت معك قال: وقال سعد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك والله لو علمت أني أقتل ثم أحيأ ثم أأحرق حياً ثم أذر يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً قال: وقال زهير بن القين: والله لو ددت أني قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت حتى أُقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فقالوا: والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا^(١).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٧ - ٣١٨: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩١ - ٩٣: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٧ - ٥٨: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩١.

ورويت هذه الحادثة (القسم المتعلق منها بأهل بيت الحسين عليه السلام) بصيغة أخرى في رواية منسوبة إلى الإمام السجاد^(١)، لكن الرواية تتضمن أموراً غير صحيحة، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها واعتبارها رواية صحيحة، هذا ما عرفت من السيد أحمد الحسن^(٢).

وأيضاً: بعض المحدثين روى أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعد أن استعلم نيات أنصاره (أهل بيته وصحبه) ورأى ثباتهم أخبرهم بمصيرهم بحسب ما أطلعه الله سبحانه عليه وكشف لهم عن مقاماتهم في الجنان:

روى الراوندي: (عن أبي حمزة الثمالي قال: [قال] علي بن الحسين عليهما السلام: كنت مع أبي الليلة التي قتل صبيحتها. فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جماً فإنّ القوم إنما يريدوني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حل وسعة. فقالوا: لا والله، لا

١- وهذا نص الرواية: عن أبي حمزة الثمالي: (سمعت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، يقول: لما كان اليوم الذي استشهد فيه أبي عليه السلام، جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم فقال لهم: يا أهلي وشيعتي اتخذوا هذا الليل جماً لكم، فأنجوا بأنفسكم، فليس المطلوب غيري، ولو قتلوني ما فكرنا فيكم، فأنجوا رحمكم الله، فأنتم في حل وسعة من بيعتي وعهدي الذي عاهدتموني. فقال إخوته وأهله وأنصاره بلسان واحد: والله يا سيدنا يا أبا عبد الله، لا خذلناك أبداً، والله لا قال الناس: تركوا إمامهم، وكبيرهم وسيدهم وحده حتى قتل، ونبلو بيننا وبين الله عزرا ولا نخليك أو نقتل دونك. فقال لهم عليه السلام: يا قوم إني في غد أقتل وتقتلون كلكم معي، ولا يبقى منكم واحد. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرفنا بالقتل معك، أو لا نرضى أن نكون معك في درجتك يا بن رسول الله؟ فقال جزاكم الله خيراً، ودعا لهم بخير فأصبح وقتل وقتلوا معه أجمعون. فقال له القاسم بن الحسن: وأنا فيمن يقتل، فأشفق عليه. فقال له: يا بني كيف الموت عندك؟! قال: يا عم أحلى من العسل. فقال: أي والله فذاك عمك إنك لأحد من يقتل من الرجال معي، بعد أن تبلو ببلاء عظيم، ويا بني عبد الله. فقال: يا عم ويصلون إلى النساء حتى يقتل عبد الله وهو رضيع؟ فقال: فذاك عمك يقتل عبد الله إذا جفت روعي عطشاً، وصرت إلى خيمنا فطلبت ماء ولبناً فلا أجد قط فأقول: ناولوني ابني، لأشرب من فيه، فيأتوني به، فيضعونه على يدي، فاحمله لأدنيه من في، فيرميه فاسق لعنه الله بسهم فينحره، وهو يناغي، فيفيض دمه في كفي، فارفعه إلى السماء، و أقول: اللهم صبرا واحتسابا فيك، فتعجلي الأسنة منهم، والناارتستعري الخندق الذي فيه ظهر الخيم، فأكرعهم في أمراوقات في الدنيا، فيكون ما يريد الله فيكي وبكىنا وارتفع البكاء والصراخ من ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله في الخيم، ويسأل زمير ابن القين وحبیب بن مظاهر عني فيقولون: يا سيدنا فسيدينا علي عليه السلام فيشربون إلي ماذا يكون من حاله؟ فيقول: مستعبراً ما كان الله ليقتطع نسلي من الدنيا، فكيف يصلون إليه وهو أب ثمانية أئمة) الهداية الكبرى، الخصيبي: ٢٠٤ - ٢٠٥.

٢- في حوار خاص معه.

يكون هذا أبداً. قال: إنكم تقتلون غداً كذلك لا يفلت منكم رجل^(١). قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك. ثم دعا، وقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا. فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، وهذا قصرك يا فلان، وهذه درجتك يا فلان. فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة^(٢).

وروى الصدوق بسنده عن: (جعفر بن محمد ابن عمارة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت فقال: إنهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة)^(٣).

ولهذا، فإنهم كانوا مسرورين بالرغم من أن الوحوش تحيط بهم من كل جانب:

قال الطوسي: (ولقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدي، فقال له يزيد^(٤) بن خضير الهمداني وكان يقال له سيد القراء: يا أخي ليس هذه بساعة ضحك، قال فأني موضع أحق من هذا بالسرور، والله ما هو إلا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين)^(٥). لكن، هل صحيح أن الحسين عليه السلام وأنصاره لم يجدوا ألم مس الحديد كما ورد ذلك في مضمون رواية منسوبة للإمام الباقر عليه السلام^(٦)؟

١- لا شك أن شخصين ممن كان في معسكر الامام الحسين عليه السلام جرحوا في واقعة الطف ولم يقتلوا يوم عاشوراء كما تبين لنا عند بيان تراجمهم، وبالتالي فيما أن يكون المقصود بكلام الامام التغليب، أو أن هذين الشخصين لم يكونا حاضرين في مجلس الإمام عندما نطق بهذا الكلام.

٢- الخرائج والجرائح: ٢ / ٨٤٧ - ٨٤٨.

٣- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٢٩.

٤- الصحيح: بربر، فهو سيد القراء الهمداني، وليس في أنصار الحسين من اسمه: يزيد بن خضير الهمداني.

٥- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٢٩٣.

٦- هذا نص الرواية: روى قطب الدين الراوندي: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بني إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون، وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى "عمورا" وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: "قلنا يا ناركوني بردا وسلاما على إبراهيم" تكون الحرب عليك وعليهم [بردا و] سلاما) الخرائج والجرائح: ٢ / ٨٤٨.

سألت السيد أحمد الحسن عن ذلك، فقال: "الرواية غير صحيحة" (١).

موقف بشر بن عمرو الحضرمي:

ضمن أحداث ليلة العاشر ذكر بعض المؤرخين موقفاً لأحد أنصار الحسين الذين التحقوا به بعد نزوله في كربلاء، وقد تقدم ذكره في فصل الملتحقين باسم: بشر بن عمرو الكندي الحضرمي (٢)، وابن طاووس في "اللهوف" ذكره باسم: محمد بن بشير الحضرمي، لكن الصحيح ما أوردناه؛ لأنه الوارد في زيارة الناحية (٣). عموماً، ملخص قصة بشر: أنه بلغه - ليلة العاشر - أنّ ابنه تم أسره في ثغور الري، وعلم الحسين بالخبر فأذن له بالانصراف للسعي في فكاك ابنه، لكنه أبى وكان معه ولده الآخر، فأعطاه الإمام أثواب ثمينة بقيمة ألف دينار ليأخذها ابنه "محمد" من أجل أن يستعين بمبلغها في فداء أخيه من الأسر، أما بشر فبقي مع الحسين واستشهد معه يوم العاشر رضوان الله عليه، وهذه - بلا شك - صورة من صور الولاء الصادق.

قال ابن طاووس: (وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال: قد أسرابك بثغر الري فقال: عند الله أحسبه ونفسي ما كنت أحب أن يؤسروا وأنا أبقي بعده، فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال: رحمك الله أنت في حل من بيعتي فأعمل في فكاك ابنك فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك. قال: فأعط ابنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فداء أخيه فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار) (٤).

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- تقدم ذكره في فصل الملتحقين بالحسين عليه السلام، برقم: ٨٣.

٣- حيث جاء فيها: "السلام على بشر بن عمرو الحضرمي، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الانصراف: أكلتني إذن السباع حياً إن فارقتك وأسأل عنك الركبان، وأخذلك مع قلة الأعوان، لا يكون هذا أبداً" إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٧.

٤- اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٧.

الضحاك المشرقي يشترط النصر بنحو خاص:

من أحداث ليلة العاشر، ما رواه الطبري عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: (قدمت ومالك بن النضر الأرحي على الحسين فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه فردّ علينا ورحّب بنا وسألنا عمّا جئنا له فقلنا: جئنا لنسلم عليك وندعو الله لك بالعافية ونحدث بك عهداً ونخبرك خبر الناس وإنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حركك فر رأيك فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل قال: فتذمّمنا وسلمنا عليه ودعونا الله له قال: فما يمنعكما من نصرتي فقال مالك بن النضر: عليّ دين ولي عيال فقلت له: إنّ عليّ ديناً وإنّ لي لعيالاً ولكنك إن جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً قال: قال فأنت في حل فأقمت معه) ^(١).

حصل هذا اللقاء بعد أن طلب الإمام الحسين عليه السلام من ابن سعد وجيشه أن يمهلهو لصباح عاشوراء، وفيها أمران؛ الأول: خذلان واضح كالعادة صاحبه هذه المرة مالك بن النضر الذي تعذر بالعيال والدين، وأما الضحاك بن قيس فقد اشترط على الإمام أن ينصره ما دام في نصرته فائدة وإلا انصرف عنه، والإمام لرحمته بالناس قبل شرطه، وفعلًا التحق بالإمام وقاتل معه صباح يوم عاشوراء وصلى خلف الإمام صلاة الظهر ثم انصرف عن القتال بعد ذلك ^(٢).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٧ - ٣١٨.

٢- هذا ما رواه المؤرخون عن الضحاك المشرقي نفسه في كيفية انصرافه: (قال: لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا وقد خلص إليهم وإلى أهل بيته ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي قلت له يا ابن رسول الله قد علمت ما كان بيني وبينك قلت لك أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حل من الانصراف فقلت لي نعم قال فقال صدقت وكيف لك بالنجاء إن قدرت على ذلك فأنت في حل قال فأقبلت إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت وأقبلت أقاتل معهم راجلاً فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين وقطعت يد آخر وقال لي الحسين يومئذ مراراً لا تشلّ لا يقطع الله يدك جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك صلى الله عليه وسلم فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استويت على متنها ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنايك رميت بها عرض القوم فأفرجوا لي وأنبغي منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيت إلى شفية قرية قريبة من شاطئ الفرات فلما لحقوني عطفت عليهم فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مشر الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي فقالوا هذا الضحاك بن عبد الله المشرقي هذا ابن عمنا ننشدكم الله لما كففتكم عنه فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا

بين برير وابن سعد:

روى الخوارزمي: أنَّ برير بن خضير الهمداني - وكان من الزهاد الذين يصومون النهار ويقومون الليل - جاء إلى الحسين عليه السلام: (فقال: يا بن رسول الله ائذن لي أن آتي هذا الفاسق عمر بن سعد فأعظه لعلَّه يتعظ ويرتد عما هو عليه، فقال الحسين: ذاك إليك يا برير، فذهب إليه حتَّى دخل على خيمته فجلس ولم يسلم، فغضب عمر وقال: يا أبا همدان ما منعك من السلام عليّ ألسْتُ مسلماً أعرف الله ورسوله وأشهد بشهادة الحق؟ فقال له برير: لو كنتَ عرفت الله ورسوله كما تقول لما خرجت إلى عترة رسول الله تريد قتلهم، وبعد فهذا الفرات يلوح بصفائه ويلج كأنه بطون الحيات تشرب منه كلاب السواد وخنائيرها، وهذا الحسين بن علي وإخوته ونساؤه وأهل بيته يموتون عطشاً وقد حلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوه وتزعم أنك تعرف الله ورسوله!

فأطرق عمر بن سعد ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال: إن الله أعلمه يا برير لأعلم يقيناً أنَّ كل من قاتلهم وغصبهم حقهم هو في النار لا محالة، ولكن يا برير أفتشير عليّ أن أترك ولاية الري فتتكون لغيري؟! فوالله ما أجد نفسي تجيبني لذلك ثم قال:

دعاني عبيد الله من دون قومه	إلى خطّة فيها خرجت لحيني
فوالله ما أدري وإني لحائر	أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي	أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها	حجاب وملك الري قرّة عيني

فرجع برير إلى الحسين وقال: يا ابن رسول الله إنَّ عمر بن سعد قد رضي لقتلك بملك الري^(١).

معهم بلى والله لننجين إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم قال فلما تابع التميميون أصحابي كف الآخرون قال فنجاني الله) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٩.

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٣٥١ - ٣٥٢.

بين برير والشمر:

روى ابن أعثم ضمن أحداث ليلة العاشر: (قال: وجاء الليل فبات الحسين في الليل ساجداً راکعاً مستغفراً يدعو الله تعالى، له دويّ كدوي النحل، قال: و أقبل الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله في نصف الليل ومعه جماعة من أصحابه حتى تقارب من عسكر الحسين، والحسين قد رفع صوته وهو يتلو هذه الآية "ولا يحسن الذين كفروا إنما نملي لهم..." إلى آخرها. قال: فصاح لعين من أصحاب شمر بن ذي الجوشن: نحن ورب الكعبة الطيبون، وأنتم الخبيثون وقد ميزنا منكم. قال: فقطع برير الصلاة فناداه: يا فاسق! يا فاجر! يا عدو الله! أمثلك يكون من الطيبين! ما أنت إلا بهيمة ولا تعقل، فأبشر بالنار يوم القيامة والعذاب الأليم. قال: فصاح بن شمر بن ذي الجوشن لعنه الله وقال: أيها المتكلم! إن الله تبارك وتعالى قاتلك وقاتل صاحبك عن قريب! فقال له برير: يا عدو الله! أبا الموت تخوفني، والله إن الموت أحب إلينا من الحياة معكم! والله لا ينال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوم أراقوا دماء ذريته وأهل بيته. قال: و أقبل رجل من أصحاب الحسين إلى برير بن حضير فقال له: رحمك الله يا برير! إن أبا عبد الله يقول لك: ارجع إلى موضعك ولا تخاطب القوم، فلعمري لأن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت وأبلغت في النصيح^(١).

هل عبرت مجموعة إلى معسكر الحسين (ع)؟

ذكر بعض المؤرخين أن هناك مجموعة - بحدود نيف وثلاثين شخصاً - عبرت ليلة عاشوراء من معسكر عمر بن سعد إلى معسكر الحسين عليه السلام، ومن الذين ذكروا هذا الأمر ابن طاووس في "اللهوف"، قال: (قال الراوي: وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل ما بين راکع وساجد وقائم وقاعد، فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً^(٢)).

١- الفتوح، ابن أعثم: ٩٩ / ٥.

٢- المصدر السابق.

أقول: استعرضنا في فصل الملتحقين بالحسين عليه السلام أسماء الأنصار الذين التحقوا به في كربلاء منذ نزوله فيها في اليوم الثاني من محرم إلى يوم العاشر وبالكاد بلغوا أربعين شخصاً أو أكثر بقليل طيلة فترة الأسبوع الذي قضاه الحسين في كربلاء قبل شهادته، فلو كان عبر لمعسكره ثلاثون شخصاً دفعة واحدة لكان هكذا فعل يعد حدثاً كبيراً تسلط عليه الأضواء حتماً؛ باعتبار أن الأمة - آنذاك - عقلت أن تلد رجلاً وأبطالاً مثل أنصار الحسين، وكان مجيء الفرد الواحد منهم وانضمامه إلى معسكر الحسين محط نظرواهتمام بالغ لدى المدونين والمراقبين والمؤرخين؛ لأنه - أي الملتحق - بالضبط يسبح عكس التيار الجارف، فكيف بمجيء ثلاثين شخصاً دفعة واحدة؟!!

نعم، إذا كان القصد أن مجموع من عبر من معسكر ابن سعد إلى معسكر الحسين طيلة الأسبوع الذي قضاه الإمام في كربلاء قبل مقتله بلغ زهاء الثلاثين في ليلة العاشر فهو أمر ممكن ومقبول، وقد استعرضنا سابقاً حال بعض الملتحقين من الأنصار بعد وصول الحسين إلى كربلاء ووجدنا أن بعضهم كان مع ابن سعد فعلاً وقسم منهم كان موالياً لأهل البيت عليهم السلام لكنه خرج مع عسكر ابن سعد ثم لما وصل إلى كربلاء مال إلى معسكر الحسين عليه السلام، وكانت هذه الطريقة إحدى وسائل اللجوء بالحسين بعد تشديد الطوق الأمني على الكوفة وكربلاء من قبل السلطات الأموية الظالمة.

وربما هذا ما يشير له كلام الشيخ المحقق محمد السماوي، قال: (... فجعل يتسلل إلى الحسين من أصحاب عمر بن سعد في ظلام الليل الواحد والاثنان حتى بلغوا في اليوم العاشر زهاء ثلاثين ممن هداهم الله إلى السعادة ووقفهم للشهادة) ^(١).

لكن الإشكال في كلامه أنه صوّره جميعاً من أصحاب ابن سعد فهداهم الله إلى الحسين عليه السلام، مع أن الصحيح - كما عرفنا - أن بعضهم كان موالياً حقيقة واتخذ الخروج مع ابن سعد مجرد وسيلة توصله إلى معسكر الحسين عليه السلام.

الحسين (ع) ينعى نفسه:

ومن أحداث ليلة العاشر أيضاً أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان ينعى نفسه ويردد أبيات: "يا دهر أف لك من خليل ... إلخ"، وقد سمعه ابنه السجاد وأخته السيدة زينب عليهما السلام، فعلمنا بأنه ينعى نفسه، وهذه الحادثة مشهورة والأصل فيها رواية الطبري عن أبي مخنف، ثم تبعه من تلاه أمثال الشيخ المفيد وابن الأثير وغيرهم.

والرواية وإن كانت تتضمن بعض الأمور الصحيحة لكنها أيضاً تتضمن أموراً غير صحيحة، وبالتالي لا يمكن اعتبارها رواية صحيحة بشكل عام، وهو ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص كان معه ^(١).

١- هذا نص الرواية: روي عن الإمام علي بن الحسين قال: (إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها وعمتي زينب عندي تمزضي إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده حوي مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبدل
وإنما الامر إلى الجليل	وكل حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها فعرفت ما أراد فخنقتني عبرتي فرددت دمعي ولزمت السكون فعلمت أنّ البلاء قد نزل فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجرثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: وا تكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أُمي وعلي أبي وحسن أخي يا خليفة الماضي وثمان الباقي قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أختي لا يذهبن حلمك الشيطان قالت: بأبي أنت وأُمي يا أبا عبد الله استقتلت نفسي فداك فرد غصته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام قالت: يا ويلي أفتغصب نفسك اغتصاباً فذلك أفرح لقلبي وأشد على نفسي ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشياً عليها فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء وقال لها: يا أختي اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته وبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده أبي خير مني وأُمي خير مني وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة قال: فعزاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أختي إني أقسم عليك فأبري قسمي لا تشقي عليّ جيباً ولا تخمشي عليّ وجهاً ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم) تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٨ - ٣١٩: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٢ - ٩٤: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٨ - ٥٩. ثمال: غيات وملجأ.

وبعض المؤرخين روى الحادثة مختصراً، منهم ابن شهرآشوب قال: (فأوصى الحسين أن لا يشقوا عليه جيباً ولا يخمشوا وجهاً ولا يدعى بالوبل والثبور، وباتوا قارئين راكعين ساجدين. قال علي بن الحسين: إني لجالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وكان يقول: "يا دهر أف لك من خليل"، قالت زينب: كأنك تخبر أنك تغصب نفسك اغتصاباً، فقال: لو ترك القطا ليلاً لنام)^(١).

تفقد التلاع والروابي واستعلام نيات الأنصار:

ذكر المحققان السيد عبد الرزاق المقرّم والشيخ محمد مهدي الحائري حادثة خروج الإمام الحسين ليلة العاشر لتفقد المنطقة المحيطة بالمخيم، التي كان يتوقع أن تكون مسرحاً للقتال صباح الغد، فرآه نافع بن هلال وجري بينهما حوار أدى إلى ظهور موافق خالدة بلغت الغاية في النبل والبطولة والولاء الخالص كما سئى الآن، قالوا:

(كان نافع ابن هلال من أخص أصحاب الإمام الحسين عليه السلام به، وأكثرهم ملازمة له سيما في مضان الاغتيال - وقيل إنه كان حازماً بصيراً بالسياسة - فلما رأى الحسين عليه السلام خرج في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات تبعه نافع، فسأله الحسين عليه السلام عما أخرجه قال: يا بن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي. فقال الحسين عليه السلام: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمنا لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون، ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع، ويقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه. ثم قال له: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي، إن سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يكلاً عن فري وجري. ثم دخل الحسين عليه السلام خيمة زينب، ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب

١- مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٤٩. القطا: طائر صغير يشبه الحمام، قال الميداني: (نزل عمرو بن مامة على قوم من مراد، فطرقوه ليلاً فأثاروا القطا من أماكنها فرأى أمر أنه طائفة، فنهت المرأة زوجها فقال: إنما هي القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلاً لنام. يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته، وقيل غير ذلك) مجمع الأمثال: ٢ / ١٧٤ رقم ٣٢٣١.

تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة^(١). فقال لها: والله لقد بلوتهم، فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأفعس يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب. قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة. قلت: إني خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهن. فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحمية وليوث الكريمة، فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية، فقال لبني هاشم: ارجعوا إلى مقركم لا سهرت عيونكم. ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع، فقالوا بأجمعهم: والله الذي من علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطب نفساً وقر عيناً فجزاهم خيراً. وقال: هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن، فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم ألوا ألا يغمدها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديتكم. فخرجن النساء إليهم ببيكاء وعويل وقلن أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وحرائر أمير المؤمنين عليه السلام. فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم^(٢).

حفر الخندق حول المخيم:

روى ابن أعثم: (قال: فلما آيس الحسين من القوم وعلم أنهم قاتلوه أقبل على أصحابه فقال: قوموا فاحفروا لنا حفيرة حول عسكرنا هذا شبه الخندق وأججوا فيه ناراً، حتى يكون قتال القوم من وجه واحد لا نقاتلهم ولا يقاتلون فنشتغل بحرهم ولا نضيع

١- يبدو واضحاً أنَّ سبب الخشية هو أنَّ زينب عليها السلام كانت مرافقة لأخيها منذ إعلان ثورته بوجه الحكم الأموي ولم تتركه لحظة، وكانت شاهدة على التحاق الأنصار الدنيويين بالحسين أيام تواجده بمكة وفي طريقه منها إلى العراق وكان عددهم بالآلاف، لكنهم انسحبوا عنه وهربوا بسبب الخوف وعدم وجود دنيا كانوا يتأملونها من اصطفايهم معه بعد إخبارهم بقتله، لذا سألت أخيها عن حال من كان معه ليلة العاشر.

٢- مقتل الحسين: ١/ ٢١٨ - ٢١٩، معالي السبطين: ١/ ٣٤٤ - ٣٤٦.

الحرم قال: فوثب القوم من كل ناحية وتعاونوا وحفروا خندقاً، ثم جمعوا الشوك والخطب وألقوه في الخندق وأججوا فيه النار^(١).

روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (ثم إنَّ الحسين عليه السلام أمر بحفيرة فحفرت حول عسكره شبه الخندق، وأمر فحشيت حطباً، وأرسل علياً ابنه عليه السلام في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء، وهم على وجل شديد، وأنشأ الحسين عليه السلام يقول: "يا دهرأف لك من خليل * وكل حي سالك سبيلي". ثم قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم، وتوضؤوا واغتسلوا، واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم. ثم صلى بهم الفجر وعبأهم تعبئة الحرب، وأمر بحفيرته التي حول عسكره فأضرمت بالنار، ليقا تل القوم من وجه واحد)^(٢).

رؤيا الحسين (ع) وقت السحر!

روى الخوارزمي: (فلما كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: فما رأيت يا بن رسول الله؟ فقال: رأيت كلاباً قد شدت عليّ تناشبني لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته كأشدّها عليّ، وأظن الذي يتولى قتلي رجلاً أبرص من بين هؤلاء القوم، ثم إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بني! أنت شهيد آل محمد! وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل ولا تتأخر! فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت وقد أظف الأمور واقترب الرحيل من هذه الدنيا)^(٣).

١- الفتوح، ابن أعثم: ٩٦/٥.

٢- الامالي، الصدوق: ٢٢٠ - ٢٢١.

٣- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٣٥٦/١ وانظر: الفتوح، ابن أعثم: ٩٩/٥ - ١٠٠.

عتب الكرام:

الملفت أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يبعث خلال فترة تواجده في كربلاء كتاباً أو رسالة لأحد غير كتاب واحد فقط أرسله إلى أخيه ابن الحنفية وبقيّة بني هاشم عموماً، وكان الكتاب مختصر جداً:

عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (كتب الحسين بن علي عليهما السلام إلى محمد بن علي عليه السلام من كربلاء: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي عليهما السلام إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فكأن الدنيا لم تكن وكان الآخرة لم تزل، والسلام")^(١).

سألت السيد أحمد الحسن عن معنى كلام الإمام الحسين عليه السلام فقال:

(معناه: كأنّ الدنيا فانية في كل الزمان ولا وجود لها ووجودها اعتباري وليس حقيقياً، وكانّ الآخرة هي الموجودة دائماً.

و"كأن" للتشبيه؛ لأنّ الحقيقة هي أنّ كل الوجود المخلوق هو اعتباري، الوجود الحقيقي لله سبحانه، وما عداه - حتى الآخرة - وجودها اعتباري) انتهى^(٢).

كلام الإمام الحسين في هذا الكتاب يشبه إلى حد كبير كلامه في الكتاب المختصر الآخر الذي أرسله إلى أخيه ابن الحنفية وبقيّة بني هاشم أيضاً من مكة لما عزم على الرحيل إلى العراق، والمروي كذلك عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فإنّ من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام")^(٣).

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٨.

٢- حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

الكتابان كما نلاحظ ليسا متشابهين في الاختصار وفي كونهما رسالتي وداع؛ الأولى: "من لحق بي استشهد..." كانت وداعاً للمسير من مكة إلى العراق والثانية وداعاً من كربلاء إلى الآخرة، ليس هذا فحسب ولكنهما أيضاً متشابهين في المضمون؛ إذ يحمل كلاهما عتياً واضحاً من الإمام الحسين على عموم الهاشميين الذين تخلّفوا عنه.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان ذلك:

(عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب الحسين بن علي عليهما السلام من مكة إلى محمد بن علي: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد: فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق لم يدرك الفتح والسلام".

(و) ... عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب الحسين بن علي إلى محمد بن علي من كربلاء: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد فكأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل والسلام".^(١)

كلام الحسين عليه السلام فيه عتب واضح على محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وعمر بن علي وبني هاشم عموماً، فالأولى كانت رسالة وداع أرسلها لهم الحسين عليه السلام وأكد فيها على عظم اللقوق به وهم غير ملتحقين، وفي الأخيرة أكد على أن الدنيا بلا قيمة وإذا كان هناك ما يستحق الطلب فهي الآخرة، وهم بلا شك ركنوا للدنيا لما تخلّفوا عن ركب الحسين عليه السلام، وكانت الرسالة مختصرة جداً وكذا هو عتب الكرام. علماً أنه عليه السلام عاتبهم ليتداركوا حالهم بعده وإلا فلا مجال للتدارك الفعلي كما هو واضح.

أيضاً: لاحظت أن البعض يعتذر لهم بكلام إنشائي دون دليل، مثل: إن الحسين طلب منهم البقاء بالمدينة وكلفهم بمهام إلخ، وهذا افتراء وكذب واضح وجلي على الإمام عليه السلام، فلا يوجد أي رواية تقول هذا ليقال إنهم توهّموا مثلاً، بل الموجود أن الحسين دعاهم إلى نصرته ضمن من دعا وتخلّفوا عنه. نعم، لما اختاروا هم التخلّف عنه وعلم

منهم ذلك طلب من بعضهم أن يقوموا بما يمكنهم باعتبارهم مؤمنين به، ولكن هذا لا يغيّر من الواقع شيئاً، الواقع أنّ الإمام دعاهم لنصرته - كما دعا غيرهم - وهم تخلّفوا عنه بل وطلبوا منه التريث أو عدم التحرك في ثورته العظيمة) انتهى^(١).

ما أعرفه: إنّ آل محمد لا يعتبرون على كل أحد، ف"العتاب على قدر المحبة" و"ليس كل أحد أهلاً للعتاب"، فلولا أنّ المرجو والمنتظر من عبد الله وأمثاله كان غير ما حصل منهم بالفعل لما عاتبهم الحسين عليه السلام!

أبرز الغائبين عن طف كربلاء:

صفّ الإمام الحسين عليه السلام أنصاره يوم عاشوراء وهم - بمعية إخوته وبنينهم وبني عمومته - لم يبلغوا المائة كما عرفنا، وللأسف فإنّ أشخاصاً أكثر معروف عنهم التشيع والولاء لآل محمد عليهم السلام لم يكونوا بين الحاضرين والمدافعين عن الحسين عليه السلام في تلك اللحظة المصيرية والحاسمة في تاريخ خط الرسائل الإلهية، وليتهم كانوا حاضرين ساحة الطف ودافعوا عن الإمام المظلوم ونالوا شرف نصرته والشهادة بين يديه ليقطفوا ما أعدّه الله لأنصاره من فتح إلهي عظيم في الآخرة والدنيا!

وقبل بيان الأسماء ينبغي توضيح مسألة مهمة هي: إننا نبحثنا هذا لا نستهدف الانتقاص منهم فهو مرفض قطعاً وليس هذا ديننا ولا طريقتنا، بل ونعتقد أنّ بعضاً منهم أولياء الله وأصفياء أمير المؤمنين صلوات الله عليه، لكننا في نفس الوقت نرفض منح الأعذار الواهية لهم وتبرير تخلّفهم عن نصره ريحانة محمد ومهجته (الحسين بن علي وفاطمة)؛ لأن فيه إجحافاً بحق الإمام المظلوم وانتقاصاً من عظم مقامه ومنزلته، وأيضاً؛ إجحاف بحق من وقّعه الله لنصرة الحسين والدفاع عنه وبذل مهجته ودونه، إضافة إلى الإجحاف الذي يطال الحقيقة نفسها، ولذلك فإننا نسعى - بتوفيق الله - أن نسلك درباً وسطاً ننصرف فيه للحق والحقيقة بما هي حقيقة وبتجرد تام بلا مسبّقات عاطفية أو مذهبية ونحو ذلك.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

ومهما يكن، فهذه قائمة بأهم الأسماء:

- ١- محمد بن علي (ابن الحنفية) ^(١).
- ٢- عبد الله بن جعفر ^(٢).
- ٣- عبد الله بن عباس ^(٣).
- ٤- قنبر (خادم أمير المؤمنين) ^(٤).

١- محمد بن علي بن أبي طالب، ابن الحنفية، أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، ولد سنة ١٦ هـ. كان لديه أربع وعشرون ولداً، منهم أربعة عشر ذكراً. حضر مع أبيه حربي الجمل وصفين. لم يخرج (وكذا ولده جميعاً) مع أخيه الحسين وبقي في المدينة ثم خرج منها إلى مكة وأقام فيها مع عبد الله بن عباس بعد مقتل الحسين. كان ممن بايع يزيد، دعاه ابن الزبير إلى بيعته فامتنع ثم أخرجه المختار وأقام برضوى قرب المدينة، توفي سنة ٧٣ هـ وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٧٧ / ٧ - ٧٩؛ المجدي في أنساب الطالبين، العمري: ٢٢٣؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٩٣ / ٥. كانت له حوارات عديدة مع الإمام الحسين في مسألة الثورة على يزيد والمسير إلى العراق نقلنا أهمها في البحوث السابقة.

٢- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أمه أسماء بنت عميس، ولد في الحبشة في السنة الأولى من الهجرة، التزم عمه أمير المؤمنين عليه السلام وحضر معه حروبه وكان على ميمنته يوم صفين التي قتل فيها ولده محمد الأكبر. زوجته أمير المؤمنين من ابنته العقيلة زينب عليها السلام وأقام معه في الكوفة. لم يخرج مع الحسين إلى كربلاء لكن له ولدان استشهدا مع خالهما الحسين، وله أولاد قتلوا في واقعة الحرة بالمدينة. توفي سنة ٨٠ أو ٨٤ هـ في الأبواء بين مكة والمدينة. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٥٠٠ - ٥٠٢. وموقفه من ثورة الحسين ومسيره إلى كربلاء شبيه بموقف ابن الحنفية.

٣- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولد في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين، صحب الرسول صغيراً، ثم لازم أمير المؤمنين والحسين عليهم السلام، حضر مع أمير المؤمنين حروبه وكان من أمراء الجيش يوم صفين، اقترحه حكماً عنه في مسألة التحكيم فرفضت الخوارج. ولّاه البصرة وروي أنه احتمل بيت مالها وذهب به إلى مكة فكتب له عليه السلام: "أما بعد، إني كنت قد أشركتك في أمانتي ولم يكن أحد من أهل بيتي في نفسي أوثق منك لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إليّ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو عليه قد حرب قلبت لابن عمك ظهر المجن..." كان من المنادين ببيعة الحسن بعد شهادة أبيه، لم يخرج مع الحسين إلى كربلاء وكان له حوارات تقدم أهمها. بايع يزيد وله كتاب شديد اللهجة وجهه إليه بعد قتله الحسين وسبي عياله. أقام بمكة بعد مقتل الحسين. دعاه ابن الزبير إلى بيعته فلم يجب فنفاه إلى الطائف، توفي بها سنة ٦٩ هـ، انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٢٧٩؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ٤٣ - ٤٤؛ المعجم الكبير، الطبراني: ١٠ / ٢٤١ - ٢٤٣.

٤- قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام، عاش في بيته، وبعد من خواص أصحابه وأمينه وحاجبه. كان حاملاً لواء جيش علي في صفين، جاء ذكره ضمن شرطة الخميس. قتله الحجاج الثقفي لولائه. روي: أن الحجاج قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرب إلى الله بدمه! فجاء بقنبر فقال له: أنت مولى علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي، قال: أبرأ من دينه، قال: فإذا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه؟ فقال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك، قال: قد صيرت ذلك إليك لأنك لا تقتلني قتلة إلا

- ٥- أبو سعيد الخدري^(١).
- ٦- سليم بن قيس الهلالي^(٢).
- ٧- الأصمغ بن نباتة^(٣).
- ٨- كميل بن زياد^(٤).

قتلتك مثلها، ولقد خبرني أمير المؤمنين أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق، فأمر به فذبح، انظر: الإرشاد، المفيد: ٣٢٨ / ١؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢٨٢ / ٦.

١- سعد بن مالك بن سنان المعروف بأبي سعيد الخدري، ولد قبل الهجرة بعشر سنين، صحابي من كبار الأنصار وشارك في حروب الرسول صلى الله عليه وآله وروى عنه الكثير ومنها في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وإلى علياً عليه السلام بعده وكان يعد في أصفياه، شهد معه صفين والهيروان. أثنى عليه الإمام الصادق لاستقامته ومعرفته بالحق، عذبه جند الشام لما غزوا المدينة في وقعة الحرة لولائه ومواقفه، توفي سنة ٧٤ هـ ودفن بالبقيع. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢٠ / ٤ - ٢٢.

٢- سليم بن قيس الهلالي، صاحب الكتاب المشهور، ولد في الكوفة قبل الهجرة بسنتين. من خواص أمير المؤمنين عليه السلام وأحد أفراد شرطة الخميس الذين ضمنوا له التضحية بدمائهم. يقال إنه عمّر إلى زمن الإمام الباقر. سكن المدينة في بداية حكومة عمر بن الخطاب ثم انتقل إلى الكوفة. شهد مع أمير المؤمنين حروبه. ثم لازم الإمام الحسن بعد شهادة أبيه وكان حاضراً أحداث الصلح. التقى بالإمام السجاد بعد شهادة الحسين. هرب إلى "نوبندجان" قرب شیراز بعد تولي الحجاج ولاية العراق سنة ٧٥ هـ، توفي بها سنة ٧٦ هـ. انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٢١ - ٣٢٢؛ الأعلام، الزركلي: ٣ / ١١٩؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٣٤ / ٢٧٢. والملفت أنه لم يرد عنه - في كتابه المعروف ولا غيره - شيء عن ثورة الحسين مع أنه عاصرها، سوى أنه نقل خطبة الإمام الحسين في منى سنة ٥٨ هـ قبل موت معاوية بسنتين. ولم يكن له موقف يذكر في نصرته الحسين والدفاع عنه.

٣- الأصمغ بن نباتة التميمي الكوفي: شيخ عابد ناسك وفارس من فرسان العراق، من خواص أمير المؤمنين وولديه الحسنين عليهم السلام، ومن بايعوه على الموت وضمنوا له التضحية بدمائهم فضمن لهم الفتح. شهد معه الجمل وصفين، كان على شرطة الخميس. عدّه أمير المؤمنين من ثقاته العشرة وروى عنه الكثير. انظر: مستدرک علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٦٩١ - ٦٩٢. تلكاً في نصرته مسلم بن عقيل حيث آل الأمر إلى استشهاده غرباً وحيداً ثم سجن مع من سجن، انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣١٤؛ تنقيح المقال، المامقاني: ٢ / ٦٣.

٤- كميل بن زياد النخعي المذحجي، تابعي، ولد سنة ١٢ هـ، من أصفياء أمير المؤمنين عليه السلام وصاحب سرّه، شهد معه حروبه، ولّه هيت في حكومته، كان ممّن نفاهم عثمان من الكوفة إلى الشام، بايع الإمام الحسن بعد شهادة أبيه، قتله الحجاج بن يوسف لعنه الله في أيام ولايته على العراق، روي: إنّ كميل هرب من الحجاج لما طلبه فحرم العطاء عن قومه، فذهب إلى الحجاج وقال له: ما بقي من عمري إلا قليل فاقض ما أنت قاض فإنّ الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي، فقال له الحجاج: الحجّة عليك إذن فأمر بضرب عنقه، قتل سنة ٨٣ هـ. انظر: الإرشاد، المفيد: ١ / ٣٢٧؛ الكنى والألقاب، عباس القمي: ٣ / ٢٤٥؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٦ / ٣١٤؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦ / ١٧٩.

- ٩- ميثم التمار^(١).
 ١٠- رشيد الهجري^(٢).
 ١١- مزرع مولى أمير المؤمنين^(٣).
 ١٢- الحارث الأعور الهمداني^(٤).
 ١٣- أبو الأسود الدؤلي^(٥).

١- ميثم بن يحيى التمار: نزيل الكوفة، لقب بالتمار لأنه كان يبيع التمر. كان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه أمير المؤمنين منها وأعتقه. كان من خواصه وحواريه ومعروفاً بإخباره عن المغيبات، قال له يوماً: إنك تؤخذ بعدي فتُصلب على نخلة بباب عمرو بن حريث، حج أو اعتمر في سنة ٦٠ هـ، وبعد عودته مسكه عبيد الله بن زياد وصلبه كما أخبره أمير المؤمنين، وكان ذلك قبل مقدم الحسين العراق بعشرة أيام، انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١/ ٢٩٢٣؛ الإصابة، ابن حجر: ٦/ ٢٤٩ - ٢٥٠. وهو وإن استشهد قبل مجيء الحسين عليه السلام بأيام لكن ثورة الحسين لم تكن فقط يوم عاشوراء بل سبقتة بأكثر من خمسة أشهر ولم يكن لميثم خلالها أي دور لا مع الإمام ولا مع رسوله في الكوفة.

٢- رشيد بن عقبة الهجري الكوفي، صحابي. من خواص أمير المؤمنين عليه السلام وموضع سرّه، له علم بالمنايا والمغيبات، لازم الحسنان بعد شهادة أمير المؤمنين، وكان باب الحسين وممن أخبر بقتله. أرسل عليه اللعين ابن زياد بالكوفة أيام إمارته (بعد مقتل الحسين) فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى فقال له: فبأي مية قال لك تموت؟ قال: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرأ منه فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله فيك، قدموه فاقطعوا يديه ورجليه و أتركوا لسانه فحملوه خارج القصر واجتمع الناس حوله يحدّثهم فأخبروا ابن زياد بذلك فأمر بقطع لسانه فمات في ليلته رحمه الله. انظر: الاختصاص، المفيد: ٧٨؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٢٣٢؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤١/ ٣١٣.

٣- مولى أمير المؤمنين عليه السلام وصاحبه، تابعي مقرب إليه. كان عارفاً بالمنايا، روى عنه أبو العالية: "ليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرافتين من شرف المسجد" فقلت له: إنك لتحدّثني بالغيب! فقال: احفظ ما أقوله لك. قال أبو العالية: فوالله! ما أنت علينا جمعة حتّى أخذ مزرع، فقتل وصلب بين شرافتين من شرف المسجد". انظر: قاموس الرجال، التستري: ١٠/ ٤٨. أقول: قتل بعد مقتل ميثم التمار ورشيد الهجري لكونهم من أصحاب عليّ عليه السلام ومن ذوي سرّه.

٤- الحارث الأعور بن عبد الله الهمداني، تابعي كوفي، من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، وأحد ثقاته العشرة، وهو الذي قال له: "يا حارهمدان من يمّت يرني"، وقال له: "وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة". ثم لازم الإمام الحسن بعد شهادة أبيه. توفي سنة ٦٥ هـ. انظر: الكنى والألقاب، عباس القمي: ١٠٤ - ١٠٥. توفي بعد مقتل الحسين بأربع سنين، وربما يعتذر له أحد بكبر السن، لكن يوجد بين أنصار الحسين من هم كبار بالسن أيضاً كحبيب بن مظاهر وأنس بن الحارث وهورفيق لهم، كما أنّ العذر مهما كان لا يغيّر من الواقع شيئاً كما نّهت لذلك.

٥- ظالم بن عمرو، بصري مشهور من سادات التابعين وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه صفين، كان بعض جيرانه في البصرة يرجمونه ليلاً لحبه علياً عليه السلام، ويذكر ضمن أصحاب الحسن والحسين عليهما

- ١٤- أبو إمامة الباهلي^(١).
- ١٥- وهب الخير، أبو جحيفة السوائي^(٢).
- ١٦- سليمان بن صرد الخزاعي^(٣).
- ١٧- إبراهيم بن مالك الأشتر^(٤).
- ١٨- المختار الثقفي^(٥).

السلام، توفي بالطاعون بالبصرة سنة ٦٩ هـ. انظر: الكنة والألقاب، عباس القمي: ١ / ٩؛ معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٨٦ / ١٠ - ١٨٧.

١- صحابي موالٍ لأُمير المؤمنين عليه السلام، له روايات عن الرسول في فضائل الأئمة عليهم السلام، له حوارات مع معاوية في الولاء وكان يرفض عطاياه، مات في الشام سنة ٨٦ هـ. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٣٣٠ / ٨.

٢- وهب بن عبد الله بن مسلم، كوفي صحب الرسول صلى الله عليه وآله طفلاً، موالٍ لأُمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه حروبه كلها، كان على شرطة علي عليه السلام بالكوفة ويقوم تحت منبره إذا خطب، استعمله على بيت المال أيضاً، وكان يسميه: "وهب الخير"، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ وقيل بعد الثمانين، انظر: قاموس الرجال، التستري: ٤٥٢ / ١٠.

٣- سليمان بن صرد الخزاعي: صحابي، ولد في مكة، كان اسمه في الجاهلية يسار فسمّاه الرسول سليمان. وجه من وجوه الشيعة، شهد صفين والنهروان مع أمير المؤمنين وتخلّف عنه يوم الجمل. له موقف مشهور مع الإمام الحسن ووصفه له بـ "مذل المؤمنين". كان رأس من كاتبوا الإمام الحسين عند اجتماع الشيعة في داره بالكوفة وكتب له الإمام عند مسيره إلى العراق. لم يشترك في كربلاء بسبب السجن، قاد لاحقاً ثورة التوّابين على الحكم الأموي ثاراً لدم الحسين وقتل في معركة عين الورد سنة ٦٥ هـ. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١٣٧ / ٤ - ١٣٨. أقول: تلكا في نصرة مسلم بن عقيل حيث آل الأمر إلى استشهاده غربياً وحيداً ثم سجن سليمان مع آخرين كما عرفنا سابقاً.

٤- إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي المذحجي، قائد موالٍ لأهل البيت عليهم السلام، انضم لثورة المختار سنة ٦٦ هـ وانتزعا الكوفة من يد والي ابن الزبير عليها "عبد الله بن مطيع"، بعثه المختار على رأس الجيش الذي سار لقتال جيش الشام بقيادة ابن زياد وابن نمير وشرحبيل بن ذي كلاع فقتلهم في معركة الخازر قرب الموصل. بعد مقتل المختار سنة ٦٧ هـ التحق بمصعب بن الزبير فقرّبه إليه وولّاه على الموصل وأذربيجان وأرمينية، قُتل في أحد المعارك ضد جيش عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ بمسكن قرب "سامراء" في العراق. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١٨٥ / ١ - ١٨٦؛ الأعلام، الزركلي: ١ / ٥٨. لم يكن له دور ملحوظ في نصرة الإمام الحسين ولا مع رسوله مسلم بن عقيل.

٥- المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، تابعي عابد شجاع، من ثقيف الطائف بالحجاز، قائد ثورة الثأر لدم الحسين عليه السلام من قتلته المجرمين، ومن قصد مسلم بن عقيل منزله ابتداء عند وصوله الكوفة وكان من أوائل من بايعوه، كان قائداً لأحد ألوية جيش مسلم في أطراف الكوفة، لكنه تأخّر بالقُدوم عليه لما طلب حضوره - مع لواء عبد الله بن الحارث - في خروجه على ابن زياد ومحاصرته القصر، فوصل في اليوم التالي لشهادة مسلم

١٩- عبد الله بن الحارث الهمداني^(١).

٢٠- يحيى بن أم الطويل^(٢).

٢١- سعيد بن المسيب^(٣).

٢٢- سعيد بن جبير^(٤).

وركزا رايتهما بباب عمرو بن حريث طالبين الأمان الممنوح من ابن زياد، فألقي القبض عليهما وشتر ابن زياد وجهه بالفضيب وأمر بحبسهما، كما تقدم. ولم يزل المختار محبوباً حتى قتل الحسين عليه السلام، ثم أفرج عنه بعد ذلك، وسيأتي تفصيل حركته وثورته لاحقاً.

١- عبد الله بن الحارث بن نوفل الهمداني، بصري من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، كان ممن أحضره ابن زياد معه من البصرة عند مسيره إلى الكوفة بعد بيعة أهلها لمسلم بن عقيل. التحق بمسلم وأخذ البيعة له، كان قائداً على أحد ألوية جيش مسلم في أطراف الكوفة مع لواء المختار. وقد تأخراً بالقدوم عليه لما طلب حضورهما عند قيامه على ابن زياد، فوصل في اليوم التالي لشهادة مسلم، فألقي القبض عليهما فأمر ابن زياد لعنه الله بقتل عبد الله بن الحارث رحمه الله، وقد تقدم بيان ذلك في بحث مقتل مسلم عليه السلام.

٢- يحيى بن أم الطويل المطيعي، نسبة إلى جبير بن مطعم القرشي من بني عبد مناف، أخو الإمام السجاد من الرضاة، من أصحاب الإمام الحسين، وأحد حواربي الإمام السجاد. كان أحد الخمسة المؤمنين به ولم يكن معهم أحد، وروي عن الإمام الصادق: "ارتد الناس بعد قتل الحسين بن علي إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي ويحيى ابن أم الطويل وجبير بن مطعم"، كان يقف بالكناسة (ساحة بالكوفة) وينادي: "معشر أولياء الله أنا براء مما تسمعون، من سب علياً فعليه لعنة الله. ونحن براء من آل مروان وما يعبدون من دون الله"، طلبه الحجاج لعنه الله وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله بواسط وقبره هناك. انظر: جامع الرواة، الأردبيلي: ٢ / ٣٢٦؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٨ / ١٩٠.

٣- سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي. تابعي ولد سنة ١٥ هـ، رآه أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن أوصى جده "حزن" بدفعه إليه، عدّ ضمن حواربي الإمام السجاد عليه السلام، واعتبره الفضل بن شاذان أحد الخمسة الذين كانوا مع الإمام أول أمره، نجا من بطش الوليد بن عبد الملك؛ لأنه كان يفتي بقول العامة. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٨٠ - ٨٢؛ جامع الرواة، الأردبيلي: ١ / ٣٦٢.

٤- سعيد بن جبير بن هاشم الأسدي، تابعي ولد في الكوفة على الأرجح سنة ٣٨ هـ، أبوه حبشي الأصل مولى لبني أسد، درس عند ابن عباس تفسير القرآن، يعد في أصحاب الإمام السجاد عليه السلام وأحد الخمسة الذين كانوا معه أول أمره. قتله الحجاج عام ٩٥ هـ. صرح البعض بتشيعه وولائه لأمر المؤمنين عليه السلام. انظر: الكنى والألقاب، عباس القمي: ١ / ٦٣؛ مستدركات علم رجال الحدي، النمازي: ٤ / ٥٧ - ٥٨. أقول: إذا أخذنا برواية ولادته عام ٣٨ هـ فإن عمره يوم عاشوراء هو ٢٣ سنة، وعلى أي حال فهو ممن تخلف عن نصرة الحسين عليه السلام، وقد نقل عنه: "قال سعيد بن جبير: ما مضت علي ليلتان منذ قتل الحسين إلا أقرأ فيهما القرآن إلا مسافراً أو مريضاً" الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

٢٣- القاسم بن محمد بن أبي بكر^(١).

٢٤- أبو عبد الله الجدلي^(٢).

٢٥- رفاعه بن شدّاد^(٣).

٢٦- المسيب بن نجية^(٤).

٢٧- عبد الله بن وال^(٥).

٢٨- عبد الله بن سعد^(٦).

١- القاسم بن محمد بن أبي بكر، تابعي ولد سنة ٣٥ هـ، معروف بفقهِه في الحجاز، من أصحاب الإمام السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، روي عن الصادق: "كان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام. ثم قال: وكانت أمي ممن أمنت واتقت. والله يحب المحسنين" انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٦ / ٢٥٣. أقول: كان عمره يوم عاشوراء ٢٦ سنة ولم يلتحق بالحسين عليه السلام. وقول الإمام: "وكانت أمي..." يقصد أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

٢- عبيد بن عبد، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخواصّه، شديد التشيع، كان صاحب راية المختار وعلى شرطه، وهو الذي أنقذ ابن الحنفية وجماعة من بني هاشم لما هددهم ابن الزبير بالحرق بعد تخلّفهم عن بيعته. انظر: جامع الرواة، الأردبيلي: ١ / ٥٢٦: الكنى والألقاب، عباس القمي: ١ / ١١٦.

٣- رفاعه بن شدّاد البجلي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. شهد معه الجمل وكان على رجالة الجيش، وعقد له راية على بجيلة في صفين. ولّاه قضاء الأهواز، ثم كان مع الإمام الحسن بعد شهادة أبيه. كان من طليعة من كاتبوا الإمام الحسين لكنه لم يشهد نصرته. أحد قادة ثورة التوابين مع سليمان بن صرد، وبعد هزيمتهم التحق بالمختار وقتل معه سنة ٦٧ هـ. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٣ / ٤٠٣.

٤- المسيب بن نجية الفزاري، تابعي كوفي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. شهد معه الجمل، ثم لازم ابنه الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه وكان له موقف مع الإمام بعد صلحه مع معاوية. من أوائل من كتب الإمام الحسين عليه السلام لكنه لم يشهد نصرته. خرج للطلب بثأره في ثورة التوابين وقتل سنة ٦٥ هـ. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٧ / ٤٢١.

٥- عبد الله بن وال التيمي، من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، حامل كتب أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام في مكة، لكنه لم يشهد معه كربلاء، خرج مع المختار في ثورته وقتل معه سنة ٦٧ هـ. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ١٢٤.

٦- عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وأحد رؤوس الشيعة في الكوفة، من رجالات ثورة التوابين وثالث أمراءهم بعد سليمان بن صرد والمسيب بن نجية، اقترح على سليمان قتل عمر بن سعد في الكوفة قبل المسير إلى عين الوردة لكنه رفض، قتل في عين الوردة بعد مقتل سليمان والمسيب سنة ٧٦ هـ. انظر: معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٩ / ١٨٠: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٥٨ - ١٥٩، ١٨٣.

- ٢٩- عبد الله بن مسمع ^(١).
 ٣٠- عمارة بن عبد السلولي ^(٢).
 ٣١- ظبيان بن عمارة ^(٣).
 ٣٢- عبد الله بن شداد الأرحبي ^(٤).
 ٣٣- عبد الرحمن بن شريح الشيباني ^(٥).
 ٣٤- السائب بن مالك ^(٦).

١- عبد الله بن مسمع الهمداني، شيعي كوفي حمل مع عبد الله بن وال كتب أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام في مكة. لكنه لم ينصره في كربلاء. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ١٢٤. أقول: تخلف عن نصرة الحسين ولم أثر على شيء بخصوصه.

٢- عمارة بن عبد - أو عبيد - السلولي، تابعي وأحد وجوه الشيعة المعروفين، ساهم بنقل المجموعة الثانية من كتب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام بمكة برفقة قيس بن مسهر وعبد الرحمن الأرحبي، بعثه الإمام مع مسلم بن عقيل إلى الكوفة. اقترح على هاني بن عروة قتل عبيد الله بن زياد لما قرر المجيء إليه لعيادته، وقد تقدم ذكره في بحث إرسال مسلم وحركته بالكوفة. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٧ - ٣٨. أقول: انقطع ذكره بعد أحداث الكوفة.

٣- ظبيان بن عمارة التميمي الكوفي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه المؤمنين، شهد معه صفين، بايع الحسن بعد شهادة أبيه وخرج معه في مسيره بأهل العراق لقتال معاوية، هو الذي أخذ المعول من يد سنان بن الجراح الذي طعن الإمام الحسن في فخذه أثناء مسيره وضرب به سناناً وقطع أنفه ثم قتله. كان من أصحاب المختار وهو الذي حمل رأس عمر بن سعد وابنه حفص إلى ابن الحنفية. انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٣٠٢.

٤- كان هو وأخوه عبد الرحمن بن شداد الأرحبي رسولان من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام وأرسلهما مع مسلم إلى الكوفة. انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٩؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٠١. أقول: بالنسبة إلى عبد الرحمن الأرحبي فقد لحق بالحسين ونصره واستشهد معه في كربلاء، انظر: إحصاء العيون في أنصار الحسين، السماوي: ١٣١، وقد تقدم ذكره ضمن الملتحقين برقم ٤٣. وأما عبد الله فلم ينصر الحسين عليه السلام وانقطع خبره، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٠١.

٥- من أصحاب المختار، ممن بايع مسلم بن عقيل بالكوفة وكان رسوله إلى محمد بن الأشعث. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٠١.

٦- السائب بن مالك الأشعري، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وأسلم، هاجر إلى الكوفة وأقام فيها، كان معروفاً بولائه لعلي عليه السلام وعلى خلاف مع عمه ووالد زوجته أبي موسى الأشعري بسبب ولاء علي عليه السلام، أحد رجالات ثورة المختار، كان المختار يستخلفه على الكوفة إذا خرج منها، بقي معه لما حوضر من قبل جيش مصعب بن الزبير وقتل معه سنة ٦٧ هـ. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٩؛ انساب الاشراف، البلاذري: ٦ / ٤٤٠.

- ٣٥- المثنى بن مخزومة العبدي^(١).
 ٣٦- عبد الله بن مالك الطائي^(٢).
 ٣٧- ظبيان بن عمارة التميمي^(٣).
 ٣٨- حكيم بن منقذ الكندي^(٤).
 ٣٩- الوليد بن حصين الكناني^(٥).
 ٤٠- يزيد بن أنس الأسدي^(٦).
 ٤١- ورقاء بن عازب الأسدي^(٧).
 ٤٢- كيسان أبو عمرة الفارسي^(٨).

- ١- من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه الجمل، أحد رؤوس الشيعة بالبصرة، كاتبه سليمان بن صرد أيام ثورة التوابين يطلب منه المدد والموازية فوافقه ومعه جمع كثير، لكنهم تأخروا عنهم ولم يدركوهم. ثم التحق بالمختار وأزهره في ثورته انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٣٤٧/٦؛ تاريخ ابن خلدون: ٢٦/٣.
- ٢- شيعي كوفي، شارك في ثورة التوابين وبعثه سليمان بن صرد إلى بعض وجوه الشيعة في المدائن يدعوهم فيها للموازية، ثم اشترك في ثورة المختار وجعله قاضياً. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٧٩/٥.
- ٣- من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وأحد رجال ثورة التوابين، بعثه سليمان إلى المثنى بن مخزومة بالبصرة يدعوهم فيه لموازيته، ثم اشترك في ثورة المختار وكان ممن بعثه إلى مكة لإنقاذ محمد بن الحنفية وجماعة بني هاشم الذين حبسهم ابن الزبير وهدد بقتلهم إن لم يبايعوه. انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٧٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢٥٠ / ٤ - ٢٥١.
- ٤- شيعي كوفي، أحد رجالات ثورة التوابين، أرسله سليمان بجماعة للنداء بالكوفة "يا لثارات الحسين"، انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٨٢ - ٨٣؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢٤٩/٣.
- ٥- شيعي كوفي، أحد رجالات ثورة التوابين، أرسله سليمان بجماعة للنداء بالكوفة "يا لثارات الحسين"، انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٨٢ - ٨٣؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢٤٩/٣.
- ٦- قائد عسكري كوفي وأحد رجالات المختار وأركان ثورته، أمره على جنده في الجيش، كان أحد الشهود على كتاب محمد بن الحنفية لإبراهيم بن مالك، فقبل شهادته وباع المختار، توفي سنة ٦٦ هـ في مسيره لقتال ابن زياد في الموصل إثر مرض ألم به قبل مقتل المختار، انظر: الأعلام، الزركلي: ٨ / ١٨٠ - ١٨١؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢٤٧/٨.
- ٧- أحد رجالات المختار، أرسله مع يزيد بن أنس (قائد الجيش) في جيش وجعله أميراً على الجيش في حال مقتل يزيد، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١٠١/٨.
- ٨- كيسان - أو كيان - أبو عمرة، صاحب المختار وقائد شرطه والمعين له في الطلب بئثار الحسين عليه السلام من قتلته بالكوفة، انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٣٤٢/١؛ مستدركات علم رجال الحديث: ٣١٧/٦. أقول: لم يكن له موقف مذکور في نصرة الحسين ولا رسوله مسلم بن عقيل.

٤٣- عبد الله بن كامل الشاكري (١).

٤٤- أحمر بن شميظ (٢).

٤٥- سحر بن أبي سحر الحنفي (٣).

٤٦- عبد الله بن ضميرة العذري (٤).

كانت هذه بعض الشخصيات التي لم تحضر مع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في كربلاء، وبالتأكيد يوجد كثيرين غيرهم؛ لكنني اقتصر على أهم الأسماء المؤثرة في محيطها والمعروفة بولائها للأمير المؤمنين وأبنائه عليهم السلام سواء كانوا صحابة أو تابعين، وألحقت بهم قادة ورجالات ثورة التوابين وثورة المختار البارزبن المتحمسين للثأر لدم الحسين صلوات الله عليه، وبالرغم من أنهم قاموا بعمل مرضي لله لكن يبقى عمل من لحق بالحسين عليه السلام ونصره يوم عاشوراء أفضل عند الله وأوليائه.

ملاحظات:

أولاً: لقد صدق سليمان بن صرد الخزاعي - وهو الخبير بما حدث في الكوفة - لما وصف الحال الذي جرى مع الحسين صلوات الله عليه وما لاقاه من أتباعه من ضعف ووهن وعجز وخذلان، فإنه - لما قرر الثورة على الأمويين - خطب في أصحابه قائلاً: (إني أخاف ألا نكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية لما هو خير لنا، نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونعدهم نصرنا، ونحتّم على المصير إلينا فلما قدموا علينا ونينا وعجزنا وداهنا وتربّصنا، حتى قتل ولد نبينا وسلالته وبضعة من لحمه، فاتّخذة الفاسقون غرضاً للتبيل ودرية للرماح، فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله

١ - كوفي من التوابين مع سليمان بن صرد، ثم التحق بالمختار وكان من رجال ثورته وشرطه، مورد اعتماد إبراهيم بن مالك الأشتر؛ إذ اعتمد شهادته على كتاب محمد بن الحنفية للمختار فقبل وباع المختار. انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣٩٥ / ٦؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٧٦ / ٥.

٢ - صاحب المختار وأحد رجالات ثورته وحكومته، شهد مع عبد الله بن كامل ويزيد بن أنس على كتاب محمد بن الحنفية لإبراهيم بن مالك الأشتر فقبل شهادتهم وباع المختار، قتله مصعب بن الزبير مع المختار سنة ٦٧ هـ، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥١٩ / ١.

٣ - أحد رجالات المختار، جعله أميراً على الجند في أحد جيوشه، انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٥٣ / ٤.

٤ - أحد رجالات المختار، جعله أميراً على الجند في أحد جيوشه، انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٢٩ / ٥.

عنكم بأن تناجزوا من قتله وتبيروه، ألا ولا تهابوا الموت، فوالله ما هابه أحد قطَّ إلَّا ذل، وكونوا كتّوآبي بني إسرائيل^(١).

ثانياً: لا شك أنّ الإيمان يجتمع مع الوهن والخذلان بمعنى: قد يكون الإنسان مؤمناً ومعتقداً بعقيدة صحيحة وحقّة لكنه في نفس الوقت مقصّراً مع إمام زمانه وخاذلاً له وظالماً لنفسه، وأسباب ذلك كثيرة؛ منها ما يتصل بكيفية التعامل مع المعصوم، ومنها ما يتصل بطلب العافية في الدنيا، ومنها ما له علاقة بالإخلاص والتوفيق الإلهي؛ خصوصاً في قضايا إلهية كبرى كنصرة الحسين عليه السلام التي تحتاج بلا شك إلى توفيق إلهي ولطف ربّاني عظيم. وقد تقدم بحث هذا الأمر بالتفصيل سابقاً.

ثالثاً: أيّاً تكن الأعذار التي تبرّع بذكرها البعض للشخصيات أعلاه فهي بلا دليل قطعي سوى السجن الذي حدث لبعضهم، وأيضاً: هو عذر جاء متأخراً عن انطلاق ثورة الحسين وكان سببه التلكؤ والتردد في الإقدام مع مسلم بن عقيل كما عرفنا، بل حتى لو كان السجن بدون تلكؤ وسبب ظاهر لنا فهو لا يغيّر من الواقع شيئاً؛ لأن العذر (السجن) وإن كان شرعياً بحسب الفرض لكنه لا يعيد الزمن إلى الوراء ويتيح للإنسان فرصة المشاركة والدفاع عن الحسين المخدول المظلوم والاستشهاد بين يديه، فالمحصلة واحدة بالنسبة إلى من لم يوفق للحضور مهما كان نوع العذر، المحصلة هي: عدم الحضور والتشرف بنصرة الحسين، وعدم نوال المنزلة الإلهية الرفيعة التي أعدّها الله لأنصار الحسين وما ترتب عليهما من فتح إلهي موعود، وهذه - بلا شك - خسارة كبيرة، وفوق هذا كله: من ذكرنا أسماءهم أعلاه مهما كان مقامهم (كلهم أو بعضهم) عالياً وجليلاً عند الله فإنّ مقام من نصر الحسين أفضل وأرفع دون أدنى شك، ولا أقلّ فإنّ قول الإمام الحسين: "ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح" يشملهم قطعاً.

١- أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٣٦٥، تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٨.

المصادر

القرآن الكريم

١. المنشآت، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
٢. إبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبرسي، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩.
٣. أجوبة المسائل المهنية، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، مطبعة الخيام - قم، ١٤٠١ هـ.
٤. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: السيد محمد باقر الخراسان، دارالنعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
٥. الأخبار الطوال، أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى - القاهرة، ١٩٦٠ م.
٦. اختيار معرفة الرجال، محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح وتعليق: مير داماد الاسترآبادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، ١٤٠٤ هـ.
٧. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دارالجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دارالكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
١١. الأعلام، خير الدين الزركلي، دارالعلم للملأين - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
١٢. إعلام الوري بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم، ١٤١٧ هـ.

١٣. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، نشر دارالتعارف للمطبوعات - بيروت.
١٤. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي.
١٥. إقبال الأعمال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
١٦. الأمالي، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط ١، ١٤١٧.
١٧. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
١٨. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
١٩. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.
٢٠. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
٢١. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.
٢٢. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.
٢٣. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق وتقديم: د. سهيل زكار - دمشق، مؤسسة البلاغ - بيروت، ١٩٨٨ م.
٢٤. تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
٢٥. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٩٧١ م.
٢٦. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، قوبلت على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن سنة ١٨٧٩ م.
٢٧. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٥ م.

٢٨. تاريخ النهضة الحسينية، معهد ومؤسسة سيد الشهداء، جمعية المعارف الإسلامية - بيروت، ٢٠٠٨ م.
٢٩. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر - بيروت، مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت - قم.
٣٠. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت.
٣١. ترجمة الإمام الحسين ومقتله، القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة: ستاره - قم، الطبعة الأولى، ١٤٥١ هـ.
٣٢. تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين المرتضى، دارالأضواء - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩.
٣٣. تنقيح المقال، الشيخ عبد الله المامقاني، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف.
٣٤. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دارالكتب الإسلامية - طهران.
٣٥. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.
٣٦. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، منشورات الرضي - قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش.
٣٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تخریج: صدق جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
٣٨. جامع الرواة، محمد بن علي الازدي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم، ١٤٠٣.
٣٩. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، الطبعة الأولى، ذي الحجة ١٤٠٩.
٤٠. خطط الكوفة، ترجمة وتعليق: تقي بن محمد المصعبي.
٤١. خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٤٢. جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٢ م.
٤٣. حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشي، مكتبة الداوري، قم.
٤٤. الدر النظيم، يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٥. دعائم الإسلام، النعمان بن محمد بن منصور المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دارالمعارف - مصر، ١٩٦٣ م.
٤٦. دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
٤٧. دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، دارالنفائس - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
٤٨. ذوب النصار، جعفر بن محمد بن جعفر ابن نما الحلبي، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
٤٩. رجال ابن داود، الحسن بن علي بن داود الحلبي، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧٢ م.
٥٠. السنة، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخرّيج السنة، محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م.
٥١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
٥٢. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار الفكر - بيروت.
٥٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣ م.
٥٤. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - مصر، ١٩٦٣ م.
٥٥. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، الفخر الرازي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر: مكتبة المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
٥٦. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
٥٧. شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري، تعليق: شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم.
٥٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ م.
٥٩. شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، نشر مركز الاعلام الإسلامي - الحوزة العلمية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٦٢ ش.

٦٠. صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٦١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.
٦٢. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الألباني، تعليق وإشراف: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
٦٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الفكر - بيروت.
٦٤. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.
٦٥. صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، تقديم: عبد الحسين شرف الدين العاملي.
٦٦. الصواعق المحرقة، ابن حجر،
٦٧. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.
٦٨. علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
٦٩. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، المعروف بـ "عوالم الامام الحسين"، الشيخ المحدث عبد الله البحراني، تحقيق ونشر: مدرسة الغمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ
٧٠. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تعليق وتقديم: د. يوسف علي طويل، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣ م.
٧١. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.
٧٢. الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
٧٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية.
٧٤. الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
٧٥. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
٧٦. قاموس الرجال، محمد تقي التستري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٧٧. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران.
٧٨. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، نشر الفقهية، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٧٩. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر - بيروت، ١٩٦٥ م.
٨٠. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر - طهران.
٨١. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، ويليه كتاب: حكاية المختار في أخذ الثأر برواية أبي مخنف. الناشر: أنوار الهدى - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٨٢. مثير الأحزان، محمد بن جعفر ابن نما الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٥٠.
٨٣. المجدي في أنساب الطالبين، السيد أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العمري، تحقيق: الشيخ أحمد المهدي الدامغاني، نشر مكتبة المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
٨٤. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، نشر المعاونة الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة، ١٣٦٦ ش.
٨٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨ م.
٨٦. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ هـ.
٨٧. مختصر أخبار شعراء الشيعة، أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، شركة الكتي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٨٨. مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ م.
٨٩. مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
٩٠. مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، منشورات دار الهجرة - قم، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.

٩١. المسائل العكبرية، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل العكبرية، دارالمفيد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٩٢. مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، المطبعة: شفق - طهران، الناشر: ابن المؤلف، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
٩٣. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
٩٤. مستمسك العروة الوثقى، محسن الطباطبائي الحكيم، مطبعة الآداب - النجف، الطبعة الرابعة، ١٣٩١ هـ.
٩٥. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دارصادر- بيروت.
٩٦. مصارع الشهداء ومقاتل السعداء، سلمان بن عبد الله آل عصفور، تحقيق: الشيخ علي آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٩٧. المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.
٩٨. معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، الشيخ محمد مهدي الحائري، منشورات الشريف الرضي - قم، ١٤٠٩ هـ.
٩٩. معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ هـ.
١٠٠. معتمد العروة الوثقى، تقرير أبحاث السيد الخوئي، السيد محمد رضا الموسوي الخلخالي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥ م.
١٠١. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، طبعة منقحة ومزودة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢.
١٠٢. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
١٠٣. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد الحسين بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
١٠٤. المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠٥. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٧٩.
١٠٦. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٨ م.

١٠٧. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، تقديم: كاظم المظفر، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٦٥ م.
١٠٨. مقتل الحسين، لوط بن يحيى بن سعيد أبو مخنف الأزدي، تعليق: حسن الغفاري، المطبعة العلمية - قم.
١٠٩. مقتل الحسين، الخوارزمي، مكتبة المفيد - قم.
١١٠. مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المكرم، دار الكتب الإسلامية، بيروت.
١١١. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.
١١٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
١١٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
١١٤. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.
١١٥. مذهب الأحكام، السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة المنار، الطبعة الرابعة، ١٤١٣ هـ.
١١٦. المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي، صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب.
١١٧. موسوعة كربلاء، د. لبیب بیضون، مؤسسة الأعلي - بيروت.
١١٨. موسوعة كلمات الإمام الحسين، اعداد: قسم الحديث في معهد باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
١١٩. النزاع والتخاصم، تقي الدين احمد بن علي المقرئ، تحقيق: السيد علي عاشور.
١٢٠. نهج البلاغة، جمعه: الشريف الرضي، تحقيق: د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى - بيروت، ١٩٦٧ م.
١٢١. وسيلة الدارين في أنصار الحسين، السيد إبراهيم الزنجاني، مؤسسة الاعلي - بيروت.
١٢٢. وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ١٣٨٢ هـ.

١٢٣. وقعة الطف، هادي اليوسفي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

١٢٤. ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

الفهرست التفصيلي

البشرية بين خطين دائعاً:	٥
تمهيد:	٧
وصايا الرسول (ص) بأهل بيته وبيان فضلهم:	٧
منزلة الحسين عند الرسول (ص) وإخباره بمصيبته:	١١
علي (ع) أيضاً يخبر بما يجري على الحسين (ع):	١٣
الحسين (ع) الثائر المصمم على ملاقاته الوعد:	١٨
مملكة آل أبي سفيان	٢٥
سياسة معاوية في أيام خلافة علي (ع):	٣٤
سياسة معاوية بعد شهادة علي (ع):	٤٩
سب علي (ع) سنة أموية:	٥١
تعيين الولاة المعروفين بعدائهم لعلي (ع):	٥٥
حجر بن عدي يدفع ضريبة الولاء:	٦٥
حواضر المسلمين قبيل الثورة:	٦٩
أولاً: الشام:	٧٠
ثانياً: الحجاز:	٧١
ثالثاً: العراق:	٧٣
كيف تعامل الناس مع الإمام الحق:	٨٥
ما قبل عاشوراء الحسين (ع)	٩٣
بيعة يزيد وموقف الحسين (ع) منها:	٩٣
التمهيد لبيعة يزيد:	٩٣
بيعة يزيد بعد موت معاوية وموقف الحسين (ع):	١٠٠
موقف الثلاثة منبيعة يزيد:	١٠٤
الحسين (ع) الثائر الفاتح:	١٠٧
لماذا ثار الحسين ؟	١٠٧

- الحسين (ع) يغادر مدينة جده ببعض الطالبين: ١١٥
- الحسين (ع) يودع عند أم سلمة ودائع الإمامة: ١٣١
- لماذا اصطحب الحسين (ع) أسرته معه؟ ١٣٤
- من لم يلحق بالحسين (ع) لم يدرك الفتح: ١٤١
- الحسين (ع) في مكة وشهادة مسلم في الكوفة: ١٤٤
- لماذا اختار الحسين (ع) مكة محطة أولى؟ ١٤٥
- كتب أهل العراق إلى الحسين (ع): ١٤٨
- إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة: ١٥٢
- خذلان في البصرة والكوفة: ١٥٨
- مقتل مسلم بن عقيل: ١٦٤
- الكشف عن مكان مسلم: ١٦٤
- إلقاء القبض على هاني وخذلان مذبح لزعيمها: ١٦٤
- ثورة مسلم بن عقيل وخذلان جيشه له: ١٦٥
- إرهاب وقطع رواتب واعتقالات ورفع راية الأمان: ١٦٧
- ابن زياد يخصص جائزة لمن ألقى القبض على مسلم: ١٦٧
- مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة: ١٦٨
- تقصير واضح في موقف وجوه الكوفة: ١٧٣
- الحسين (ع) يغادر مكة إلى العراق: ١٧٨
- الحسين (ع) يقرر المغادرة ومحاولات فاشلة لثنيه عن قراره: ١٧٨
- لماذا العراق؟ ١٨٧
- الحسين (ع) يكلم الناس بحسب حالهم: ١٩٠
- أقوال مكذوبة أو محرّفة: ١٩٣
- إجراءات أموية فور تحرك الحسين (ع) نحو الكوفة: ١٩٧
- مسيرة الركب الحسيني من مكة إلى كربلاء: ٢٠١
- فئات صادفها الحسين (ع) في المسير: ٢٠٢
- فئة المحبّين الخاذلين: ٢٠٢
- فئة العائرين الدنيويين المنصرفين: ٢٠٩
- اللاحقون بالحسين (أنصار الحسين): ٢١١
- من التحق بالحسين (ع) من أهل بيته: ٢١١

- ٢١٤..... من التحق بالحسين (ع) في المدينة:
- ٢١٥..... من التحق بالحسين (ع) في مكة:
- ٢١٨..... من التحق بالحسين (ع) خلال مسيره إلى كربلاء:
- ٢٢٠..... من التحق بالحسين (ع) بعد نزوله بكربلاء:
- ٢٢٤..... من التحق بالحسين (ع) يوم العاشر من محرم:
- ٢٢٥..... ملاحظات:
- ٢٢٦..... عدد أنصار الحسين (ع):
- ٢٣٢..... هل كان زهير بن القين عثمانياً؟
- ٢٣٥..... علم الحسين (ع) بمقتل رسله:
- ٢٣٥..... مسلم بن عقيل:
- ٢٣٦..... هل كان بنو عقيل سبباً في إتمام الحسين (ع) مسيره إلى العراق؟
- ٢٤٠..... عبد الله بن يقطر الحميري:
- ٢٤١..... فائدة بخصوص إخوة عبد الله بن يقطر للحسين (ع) من الرضاعة:
- ٢٤٢..... قيس بن مسهر الصيدأوي:
- ٢٤٤..... رؤى الحسين (ع):
- ٢٤٨..... اعتراض الحر الرياحي للحسين (ع):
- ٢٥٤..... الحسين (ع) يغربل أصحابه ويرفض عرض الطرماح:
- ٢٥٨..... هل عرض الحسين (ع) العودة أو المسير إلى الشام؟
- ٢٦٠..... نزول الحسين (ع) بكربلاء:
- ٢٦٤..... الاستعداد لحرب الحسين (ع):
- ٢٦٤..... تعبئة الجيش للحرب:
- ٢٦٤..... النفير العام والعسكرة:
- ٢٧١..... وصول ابن سعد بجيشه إلى كربلاء:
- ٢٧٣..... لماذا اختير ابن سعد لقيادة الجيش؟
- ٢٧٧..... هل عرض الحسين (ع) على ابن سعد العودة؟
- ٢٨٠..... عدد الجيش وهويته:
- ٢٨٠..... كم كان عدد الجيش؟
- ٢٨٣..... هل كان الجيش من الكوفة فقط؟
- ٢٩١..... أحداث أخرى قبل الحرب:

٢٩١.....	محاولة خجولة للنصرة:
٢٩٢.....	منع الماء عن مخيم الحسين (ع):
٢٩٤.....	أمان يعرضه الشمر على العباس وأخوته:
٢٩٥.....	مصير من سمع واعية الحسين ولم يجبه!
٢٩٦.....	يوم التاسع وليلة العاشر من محرم:
٢٩٦.....	الحسين (ع) يطلب الإمهال إلى صباح العاشر:
٣٠٠.....	الحسين (ع) يأذن لأنصاره وأهل بيته بالانصراف وهم يأبون ذلك:
٣٠٤.....	موقف بشرين عمرو الحضرمي:
٣٠٥.....	الضحاك المشرقي يشترط النصر بنحو خاص:
٣٠٦.....	بين بريرو ابن سعد:
٣٠٧.....	بين بريرو والشمر:
٣٠٧.....	هل عبرت مجموعة إلى معسكر الحسين (ع)؟
٣٠٩.....	الحسين (ع) ينعى نفسه:
٣١٠.....	تفقد التلاع والروابي واستعلام نيات الأنصار:
٣١١.....	حفر الخندق حول المخيم:
٣١٢.....	رؤيا الحسين (ع) وقت السحر!
٣١٣.....	عتب الكرام:
٣١٥.....	أبرز الغائبين عن طف كربلاء:
٣٢٧.....	المصادر
٣٣٧.....	الفهرس التفصيلي